القليل المختار

من مقالات العلامة المنار



شبكة الفكر
alfeker.net
www.alfeker.net



هذا الكتاب هو جَمْعٌ لمقالات متنوعة منتخبة كتبها العلامة **المنار** ونشرها متفرقة على صفحات الانترنت وعلى مدى سنوات عديدة، وعليه تباينت أساليبها وتفرقت مواضيعها، وقد يكون في بعضها نقص أو خطأ لكونها مقالات مرَّ عليها سنوات وكتبت من الذاكرة ومع هذا اشتملت من كل بستان إن جاز التعبير على زهرة.

ثمن هذا الكتاب هو الدعاء لكاتبه العلامة المنار، ولـمُعِدّه.

ملاحظة: هذه النسخة لم تخضع للتدقيق والتنقيح والتصحيح، سواءً اللغوي أو غيره، لذا وجب التنويه

الفهرس

منهج البحث في شخصية فاطمة الزهراء	.....	٥
حجية الزهراء عليها السلام	.....	١٧
الزهراء أول معارضة سياسية سلمية قانونية في الإسلام	.....	٢٧
فدك بمنظور اقتصادي وسياسي	.....	٤١
موقع المرأة في النظام الإسلامي	.....	٨١
تأملات في طبيعة المعجزة وشخصية الرسول	.....	١٢٥
تأملات في زيارة وارث	.....	١٤٧
دور الأئمة في حفظ التشيع	.....	١٥٥
حادثة الغدير تثبيت لمصداقية القرآن	.....	١٨٤
معضلة الأخلاق في المجتمع الإسلامي	.....	١٨٨
نظريتان: عدالة صحابة مع القرآن وعدالة صحابة ضد القرآن	.....	٢١٩
لماذا نرى أن فضح الوهابية من إيمان المسلم بالله؟	.....	٢٨٤
التخنث الفكري	.....	٢٩٦
القشور واللباب في تفكير المخنثين فكريًا — إعدام صدام مثالاً	.....	٣٢٩
قابلية الاستعمار وقابلية الاستحمار عند البشر	.....	٣٤٦
كيف تحاور حمارًا؟	.....	٣٥٩
سفرة سياحية مع رب السلفية على ظهر بعوضة	.....	٣٧٥
مشكلة الأعور الدجال عند منكري بقاء الإمام المهدي (عج)	.....	٣٨٤
مشكلة انهزام التسنن امام الوهابية والقاديانية والبهائية	.....	٤٢٢

النظرة العوراء: القومية والشعوبية وجهان لعملة واحدة	.....	٤٩٣
إعادة صياغة مشكلة قميص عثمان وضياع الوعي الاجتماعي العربي	.....	٥٠٩
هذا هو جواب الفتاوى	.....	٥٥٠
ظواهر اجتماعية شيعية يساء فهمها	.....	٦٨٠
لماذا لا نكتب كتبًا عن تصحيح وتضعيف الأحاديث؟	.....	٧٤٠
ما هي حلولنا لمواجهة الصراع الحضاري الحالي؟	.....	٧٥١
الفرق بين عقيدة المسلمين والمسيحيين ثلاثة أيام	.....	٧٧٥
تفنيد شبهة إله القمر	.....	٨٤٤
القرآن يتحدى الأديان – اختبار عدم الزيف	.....	٨٥٣
الدكتور عبد الصبور شاهين وقصة ولادة آدم عليه السلام من أب بشري	.....	٨٧٩
الحداثوية في فهم النص الديني بين السطحية والجهل	.....	٨٩٧
ظاهرة برامج الطب الشعبي في التليفزيون... معيبة على العرب	.....	٩٢٩
ما هو الموقف الإسلامي من الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية؟	.....	٩٤٩

(١)

منهج البحث في شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام

رسالة أخوية إلى الباحثين عن شخصية السيدة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدعو جميع الباحثين في بلادنا أن يهتموا بدراسة شخصية السيدة الزهراء عليها السلام بطريقة جديدة، وفق منهج دراسي يحاول استكشاف الحقائق في شخصيتها بالمزج بين علم التاريخ وعلوم أخرى (الدين والسياسة والأخلاق والقانون وغيرها).

ومن أجل أن نضع منهجا بسيطا للدراسة يجب أن أقدم مقدمة صغيرة يُبنى عليها المنهج:

كل إنسان حينما تُدرس شخصيته، يصار إلى دراسة فترة فاعليته وإلى نوع فعله، وليس إلى فترات تحضيره كإنسان، فالعالم تدرس فترة عطائه ونوع عطاءه، والمخترع تدرس فترة اختراعاته ونفس اختراعاته، والمؤلف تدرس مؤلفاته وظروفها المحيطة بالمؤلف.

وأغلب فترات عطاء الإنسان هي بعد نضجه العقلي وتراكم الخبرات وتعاظم المعرفة لديه لينتج إنتاجا منظورا في عالم الفكر والواقع. وفترة النضج طبيعيا كانت لا تقل عن أربعين عامًا في حياة الإنسان. ثم بعدها يبدأ إنتاجه في التبلور. وهذه الفترة كانت تسمى فترة العقل واكتمال الشخصية.

لقد اخترع الإنسان طريقة التعليم المكثف، فقلل من فترة النضج باعتبار إن الإنسان قابل للتعلم، وكثف فترة النضج فأصبح الإنسان يمكن أن يبدأ في الإنتاج في سن مبكرة بحدود خمس وعشرين عامًا من عمره ويبدأ في بلورة إنتاجه وتطويره نحو الكمال في فترة عشر سنوات فيكون الإنسان في عصر

التعليم المكثف منتجا متكاملا فكريا في فترة خمس وثلاثين، ولكن العباقرة والأذكياء قد يصل قمة إنتاجهم في الثلاثين عامًا.

نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

فإنها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادى الآخرة، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) قبض ولها ثمانية عشر سنة وسبعة أشهر.

وفي أبعد رواية أن الزهراء ماتت وعمرها ثلاث وعشرون سنة. ولكن النصوص الصحيحة والصريحة هو أنها ماتت ولم تبلغ العشرين بل هي بنت الثمانية عشر.

وهذا يعني أن الزهراء بالمقياس الطبيعي لم تصل حتى للعمر الذي ينتج فيه العباقرة. فلو أنتجت شيئا متميزا في الإنسانية، لكان يفوق إنتاج العباقرة بمسافة، باعتبار عدم الوصول إلى نهاية الفترة التحضيرية لنضج حتى الإنسان العبقري، فكيف نضجت واكتملت الزهراء؟ إنها لمعجزة حقيقية.

ثم نأتي إلى فترة الفاعلية؟

فترة الفاعلية بالنسبة للإنسان قد تكون فترة قصيرة كمعركة قتال يتحدد فيها تاريخ الإنسان. وهي قد لا تتجاوز الساعات أو الأيام، وهذا لا يكون في عالم الإنتاج الفكري، لأنه عالم معقدٌ وبطيءٌ في تكوينه، فمن يريد أن ينتج فكرا لا يمكنه عادة أن ينتجه دفعة واحدة وفي فترة قصيرة جدًا.

ولكن ما هو حال الزهراء؟

الزهراء لم تخرج إلى عالم الفاعلية إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقبل وفاتها، ولكن كم هذه الفترة؟

الفترة تتراوح بين خمس وأربعين يومًا وبين أربعة اشهر في أبعد رواية يمكن الركون إليها، وحقيقة التعرض الفكري والإنتاج الثقافي لم يكن أكثر من عشرين مقابلة وخطبتان أو أربع خطب.

ولكنها شغلت الدنيا بفكرها وإنتاجها إلى هذا اليوم، ولو تمعنا لوجدنا أن أغلب الحراك السياسي والفكري في عالمنا الإسلامي، يرجع إلى تحرك الزهراء عليها السلام، وكل حراكنا، وصراع الحركات الإسلامية، هو عيال على حركة الزهراء عليها السلام.

أليس مذهلا أن تنتج بنت الثمانية عشر عامًا حركة فكرية هائلة يقوم عليا فكر عظماء وأكابر امة بأكملها من ألف وأربعمائة سنة إلى هذا اليوم؟ ولم تنتهي جذوة عطائها.

إنها لمعجزة حقيقية..

وهذه وحدها تحتاج إلى دراسة وتمعن في ظاهرتها الفريدة. فهي لم تقف موقفا سلبيًا أو ايجابيًا يتصف بوحدة الموضوع أو ضيقه، إنما أثارت زوبعة هائلة من مختلف المواضيع ومختلف الاتجاهات، وكأنها هيجت نار الحقيقة لتكشف عن نفسها بعد أن غطاها رماد بسيط.

فقد قدمتْ الزهراء عليه السلام الفقه والقانون والحكم العقلي والحكمة واللغة والمنطق والسياسة والدين والعقيدة والتاريخ والنظم القيادية الإنسانية ومارستها، كما قدمت الإعلام الواعي، والتبليغ والوعظ والإرشاد، والنقاش، والمحاورة الهادئة تارة، والعنيفة أخرى، بكل صورها من دون خروج على اصل مواضيع الحوار، وقدمت العاطفة والشجاعة المفرطة والقوة الهائلة مع الضعف البين، إنها قدمت مواضيع تجل عن الحصر فقد كانت كأنها مبرمجة لتقديم كل لحظة وكل حركة بطريقة واعية تعالج بها الواقع والمستقبل بشكل لا يمكن فهم عمقه، ولكنه يصنع التاريخ ويبرمج التاريخ والمعارف بكل يسر وسهولة.

هذا شيء لا يمكن وصفه بكلمات بسيطة.

وهو حالة يمكن التوقف عندها في حيرة وذهول وتجمد أعضاء لا يعرف الإنسان ما يقول فيها.

فإذن نحن أمام ظاهرة كبيرة جدًا، حيث عدم التناسب بين فترة الفعالية، وبين حجم الحدث تاريخيا، وبين عمر صاحبة الحدث، وبين ضخامة الحدث وامتداداته التاريخية.

فلهذا يجب أن يكون هذا بالذات منطلقا في تفسير هذه الظاهرة ودراستها بعمق.

وعلينا دراسة كل شارة وواردة خلال هذه الفترة القصيرة جدًا من حياة فاطمة الزهراء وصناعتها للحدث.

فلو نظرنا في فترةٍ فاعليةٍ بحدود خمسين يومًا، بل بحدود اقل من عشرين تحركا، ومِنْ شابةٍ لم تتجاوز التاسعة عشر من عمرها، ومِنْ محجبة مستورة لم تخرج للناس قبلا، فسنجد أشياء مدهشة جدًا، ففي تحركها كان أول تحرك سياسي معارض في الإسلام، أسس الأساس الفكري المذهبي، وبذلك الموقف وبيانه –من قبل الزهراء– تأسس لأول مرة فقهاً سياسياً في الإسلام

بشكل واضح المعالم، لما بعد فترة الرسول، وكان على أساس فكري يناقض سياسة (نصلي خلف من غلب بالسيف) وإنما بسياسة (نتبع الحق)، وقد كان هذا التحرك مصحوبا بالمحاججات والمحاكمات وطرح الأفكار وتحديد المعالم، فقد حَدَدت معالم فقه متكامل، وأَسست لموضوع الشرعية الدستورية في الإسلام ، وأسست لموضوع الفرق بين ملكية الحاكم وملكية الشعب، وأسست لموضوع البناء الاقتصادي للفرد المسلم في ظرف دولة الإسلام ونادت بعدم جواز سلب الفرد ممتلكاته بحجة تأميمه بالملكية العامة، وهي أول من ناقش في حوار الديانة على أساس حضاري، حيث قارنت بين منجزات الإسلام الحضارية وبين منجزات الشرك والضلال، ودعت إلى عدم النكوص بعد التقدم الحضاري (تشربون الطرق. وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم اللّه برسوله صلى اللّه عليه وآله بعد اللتيا والتي)، وقد أسست لأخلاقية الخلافات السياسية والتعاطي السياسي،

وحددت المعالم القانونية حتى لشخصية الرسول ولشخصية الحاكم، فقد أسست مبدأ إن أحكام الإسلام الدستورية تشمل النبي ولا تقفز عليه ليكون مهدورا، وهذا أمر لم يكن مفهوما جيدا في تلك الفترة العصيبة، وقد أسست لأول منظومة حقوقية تتعلق بالحق والحرية والالتزام، فقد وازنت بين الحق والالتزام، بشكل قانوني ملفت للنظر، وأكدت إن الفقه الإسلامي قائم على أساس نظريات الالتزام والحق وحرية الإنسان، وأسست لدخول المرأة معترك السياسة على أساس الحق، ونبذ المخالفة (نظرية المحاسبة الجماهرية)، وقد أسست الخطب النسائية الجريئة الرنانة، والبلاغة الفريدة والأدب النسائي الرفيع، وقامت بدور القيادة النسائية. ومن يتابع كل ما فعلت فسيجد إعلانا وتأسيسا لمعارف وأحداث نعيشها لحد هذا اليوم، كان نتيجة حتمية لقيام الزهراء عليها السلام بحركتها المباركة.

فعليه نقترح على الباحثين في المستقبل اخذ هذا بنظر الاعتبار، وتأسيس المنهج الدراسي عليه.

والمنهج المقترح هو:

١.دراسة الأثر الفقهي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٢.دراسة الأثر التاريخي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٣.دراسة الأثر الاجتماعي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٤.دراسة الأثر السياسي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٥.دراسة الفكر الديني السياسي من خلال هذه الفترة الفاعلة من حياة الزهراء عليها السلام

٦.دراسة الأدب في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٧.دراسة البلاغة في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٨.دراسة المبادئ الأخلاقية في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٩.دراسة محاولة بناء فكرة الإمامة والتصريح بها في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

١٠.دراسة تأسيس المذاهب من موقف الزهراء في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

١١.دراسة نفسية لكل عناصر الحدث في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

إن هذه الدراسات يجب أن تكون موسعة وشاملة وبموسوعة متكاملة يقوم بها عشرات بل مئات الباحثين، يذكّر احدهم الآخر ما أغفل عنه أو تجاوز، لتكون هذه الدراسات منبعا حقيقيًا لفهم تلك المرأة الاستثنائية، التي نعجز كبشر عاديين أن نفعل فعلها، أو نكون شبيها لها، حيث إن ما قامت به

يفوق كل التصورات، وهذا نوع معجز يؤكد معنى العصمة، ويرسخها عمليًا، وهو ما نريد فهمه بشكل عملي، قبل أن نفهمه بشكل نظري فلسفي محض.

لو أردنا أن نعطي أمثلة وشروحا لكل دراسة مقترحة، لما كفتنا أيام من الاجتماعات المغلقة لنقرأ فيها التصورات، ولكن ما أن يبدأ الباحث بوضع يده على أساس العنوان الذي يبحث عنه حتى يجد المزيد من الثراء الذي لم يتخيل وجوده في مثل هذا البحث.

(٢)

حجية الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله: (نحن حجة الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة علينا)

لقد فتح هذا الكلام بابا من أبواب المعرفة ومحورا للفكر ليحاول الباحثون تسليط الضوء على هذه المقولة لما لها من الأهمية والإشارة العميقة.

ليس من العسير فهم الحجة على البشر، فكلُ حالةِ تنبيه متوفرةٍ فعلياً لدى البشر تعتبر حجة عليهم، يحتج الله بها، حيث إن الاعتذارَ بالجهلِ منفيٌ بوجود التنبيه، وهذا لا ينحصرُ بنوعٍ من أنواع الحجةِ، فهو قد يكون من ابسط التنبيهات إلى أرقاها، وهي النبوة. ففي الكافي: ج٨ / ص٨٤: عن

الإمام الصادق عليه السلام: إن الرجل منكم ليكون في المحلة فيحتج الله عز وجل يوم القيامة على جيرانه به فيقال لهم: ألم يكن فلانا بينكم، ألم تسمعوا كلامه، ألم تسمعوا بكاءه في الليل، فيكون حجة الله عليهم). فوجود جارٍ قائمٌ ليله عابدٌ نهاره يكفي لإقامة الحجة على جيرانه باعتباره تنبيها للفعل الحسن والسلوك إلى الله بيسر وهداية، فلماذا يستصعب ويستبعد الهدى والعبادة لله؟ فهذا الجار قد سلك ما لنا لا نسلك مثله وهو حجة الله على جيرانه.

لكن من غير المفهوم أن تكون هناك حجة على الحجج، الذين هم هداة البشر العارفون بأسرار الشريعة ومطبقوها بكل تفاصيلها الدقيقة.

وهم الأئمة الطاهرون خزّان علم الله وحاملوا أسرار الشريعة الغراء كما ورد في نصوص كثيرة بهذا المعنى.

الاتجاهات التفسيرية لهذه النقطة أخذت تتوسع حتى ألف فيها الباحث محمد فاضل المسعودي كتابا كاملا باسم (الأسرار الفاطمية) من ٥٣٠ صفحة تقريبا.

ونحن نريد هنا أن نفهم هذه المقولة بعيدا عن كل التعقيدات والنظم الفلسفية التي أطرت فيها المقولة.

هناك اتجاهات متوقعة لمقولة أن فاطمة الزهراء هي حجة على الأئمة:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه العرفاني، وهو يقول بأن هذا له علاقة تكوينية نورية بتكوين أنوار الأئمة، وهو كلام عرفاني راقٍ قد لا نتوفر على فهمه مهما كان صحيحا أو دقيقا، فليس بمقدورنا استيعاب هذا الجانب. ولهذا فنحن نأنس بهذا الكلام ونصدّق بما نقله الآلوسي في تفسيره ج١ ص ٥١ من رواية جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: "

أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر " فهو كلام نوري لا يصدر إلا من الدوحة المحمدية ولكنه من أسرار الله التي نتمنى أن نرتقي لمستواها.

الاتجاه الثاني: وهو التكويني الطبيعي وليس النوري، وذلك بالانتقال الوراثي، وهذا الجانب ليس منكورا، بل له وجاهة في الفهم الطبيعي، لأن انتقال الصفات العالية بالوراثة له مدخلية في تكوين الجواهر الإنسانية، وقد أشار الأئمة إلى وجود مادة لا تقبل التفكك بالموت مهما تفكك لحم وعظم الإنسان، وهي اصل الإنسان و يمكن استرجاعه منها وجوديا، ولعل هذا إشارة واضحة للجين الوراثي، ففي الكافي: ج ٣ / ص٢٥١: (عن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الميت يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها، فإنها لا تبلى، تبقي في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة).

ومَنْ أعلى مزايا مِنَ الزهراء عليها السلام، تلك النبتة التي نبتت من ثمار الجنة.

فهذه النبتة الرائعة لها كل الفضل في نقل الصفات التي لا يمكن حصولها في البشر بصورة طبيعية.

ففي عيون أخبار الرضا:ج ٢ / ص١٠٧: (قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة).

فهذه الحوراء الإنسية التي تحمل صفات أعلى من صفات البشر وراثيا، هي الحجة على نعمة صفات الإمامة عند أبنائها.

وهناك إشارات كثيرة على تفرد السيدة الزهراء في نوع الخلقة ونوع المزايا والصفات ففي شرح أصول الكافي للمازندراني: ج٧: ص ٢٢١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه).

فإمرأة لا يوجد في الأرض كفؤا لها إلا من قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه القندوزي عن جابر بن عبد الله رفعه: (الناس من أشجار شتى، أنا وعلي من شجرة واحدة).

وهو نفس رسول الله بنص الكتاب العزيز بقوله تعالى {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}. وكان هو وعلي قد برز للمباهلة بعنوان نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح الأثر.

فمن لا يكون كفؤا لها إلا هذا الفريد في نوعه لهي فريدة متفردة فعلا.

فعظمة هذه الخلقة ذات المزايا الفريدة مكّنت أهل العصمة من عصمتهم طبيعيا.

وبهذا المعنى يمكن قبول الاتجاه الثاني.

الاتجاه الثالث: ما فرضه المرجع الكبير الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله كما نقله الشيخ الكوراني عنه في كتابه الانتصار ج٧/ ص٣٩٩ قال: ومعنى آخر يعتقد به الوحيد الخراساني مد ظله الشريف.. أن الأئمة عليهم السلام.. قلوبهم متعلقة عمليًا بالصديقة الزهراء عليها السلام.. وهو معنى من عالم الحياة الروحية، والفيض الرباني على عباده المعصومين.

وهذا تفسير باراسيكولجي حيث أن التعلق الروحي هو استلهام واتصال عقلي وروحي عبر أثير لا يمكن تفسيره ماديا ولكنه واقع بالفعل، وأثبتت الدراسات وقوعه عمليا، وهو علم كبير له مؤسسات وجامعات في الغرب وله

حظوة عند أهل العلم الحقيقيين. غير أن تمييز الحقيقي من الزائف يحتاج إلى عارف بحقيقة هذا العلم، ولكن بالنسبة لأشخاص مثل الأئمة الطاهرين لا يحتاج العاقل إلى تمييز متخصص، فعصمتهم العملية ميزت علومهم بأنها حقيقة لا يرقى إليها الشك، فطريقهم حقيقة لا يمكن الشك فيها تبعا لحقيقة ما أنتجوه سلام الله عليهم.

الاتجاه الرابع: وهو التفسير التربوي ومفاده إن التربية التي ربت بها فاطمة الزهراء أهل بيتها، جعلته بيتا مليئا بالحكمة والقدرة على تمييز الحق من الباطل والخبيث من الطيب بحيث أزالت كل جهالة يمكن أن يقع فيها أحد من أبنائها الخاصين، وأورثتهم هذه الحقيقة تربويا، فأصبحوا ايجابيين متمكنين من معرفة الحقائق وتمييزها، والمعرفة هي أساس الحجة على كل مخلوق فهي السبب الحقيقي لكل حجة عند أبنائها الأئمة الأطهار.

الأسس التي مكنت أبناء الزهراء من تمييز المعاني بدقة، قد ورثوها كما يصرحون عن أمهم فاطمة، وهي حالة تجعل الجهالة معدومة لدى المتلبس بها، فيكون الكشف للحقائق هو الحجة على الحجة، وهذا الكشف يرجع إلى الزهراء مصدريا كما لا يخفى وباعتراف أبنائها الطاهرين.

إذن فالسيدة الزهراء حجة الحجج وأساس الإنسان الحقيقي في قلب العارف.

أقول:

هذه النظرة العظيمة للمرأة توقفنا قليلا لإجراء مقارنة بسيطة في علم الأديان.

إن هذه المقولة الإسلامية تصف امرأة مسلمة بأنها انسانة كاملة وسيدة على السادة من حيث الطبع والجوهر، لا من حيث السلطة والغلبة الدنيوية، كما هي عادة الملكات والأميرات رغم جهلهم وآثامهن.

إن هذه النظرة للمرأة غير متوفرة في أديان مهمة تعتبر المرأة مجرد أنثى مهمتها المتعة والولادة وبعضها يعتبرها نجسة روحا وهي سبب المصائب التي

حصلت للبشر حيث أغواها إبليس فأجبرت زوجها على أكل التفاحة ليبدأ عذاب البشر بسبب خروجهم من الجنة إلى عالم الشقاء.

أين من يقول أن المرأة انسانة كاملة حازت على أعلى رتب الشرف، ممن يقول إن المرأة كارثة على الإنسانية وسبب شقائها؟

هذا التساؤل سيبقى يولده هذا النظر الشريف لسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

وهذه الخصال التي فرضت نفسها علينا هي التي ستبقى صارخة بوجه كل من يقول بأن الإسلام لا يكرم المرأة بينما نجد من ينطق بهذه الخدعة هو من يرى إن المرأة مخلوقة نجسة خبيثة روحا أخرجتنا من النعيم إلى السقم والشقاء.

(٣)

الزهراء عليها السلام أول معارضة سياسية سلمية قانونية في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة والأخوات الحضور الأعزاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد قدمت في المرة الأولى فهرساً لما يمكن أن يدرس من فكر الزهراء عليها السلام، واليوم اخترت احد المجالات لأثير فيه إثارات مختصرة لتمكن أي مفكر للغوص فيها وتأليف بحث متكامل حولها: وهو دور السيدة الزهراء كسياسية أولى في الإسلام، وكأول معارضة سياسية أدت معارضتها إلى إعلان الخط الفاصل فكريا ودينيا بينها وبين من خاصمتهم سياسيا ودينيا.

قد يستغرب اثنان:

أحدهما لا يعرف خفايا السياسة.

والثاني لا يعرف خفايا الحدث الذي حركته السيدة الزهراء.

فان من لا يعرف السياسية لا يدري أن السيدة الزهراء كانت تعارض عدم الشرعية التي حصلت أمامها وكانت تعتبره انقلابا بصريح عبارتها، فمن جملة ما قالت: (أفتجمعون إلى الغدر اعتلالًا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيهٌ بما بُغي له من الغوائل في حياته) وهناك كلمات مماثلة قالتها مثل هذه شديدة الصراحة بحصول انقلاب وغدر في تسلم الحكم وتسلق الشرعية الدستورية.

وقد يستغرب من لا يعرف خفايا الحدث فيقول بان كل ما حدث هو خلاف على ممتلكات وارث وهذا يحصل بين الورثة في الغالب، فكيف يطور الأمر إلى معركة سياسية ودينية؟

ان من يقف إلى هذا الجانب من نهر المعرفة يرى الظل ولا يرى الحقيقة. فالحقيقة هي غير ذلك، وتشرحها المواقف والنصوص والإحداث المتسارعة في ذلك الوقت، ان أفضل شرح لحقيقة مطالبة الزهراء وجوهره هو ما دار بين هارون الرشيد وبين الإمام الكاظم عليه السلام.

ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار وابن شهر آشوب في المناقب نقلا عن كتاب أخبار الخلفاء: إن هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا أبا الحسن حد فدكاً حتى أردّها عليك، فيأبى، حتى ألحّ عليه فقال: «لا آخذها إلا بحدودها» قال: وما حدودها؟ قال: «يا أمير المؤمنين، إن حدّدتها لم تردّها»، قال: بحقّ جدّك إلا فعلت، قال: «أما الحدّ الأول فعدن»، فتغيّر وجه الرشيد وقال: هيه، قال: «والحدّ الثاني سمرقند»، فاربدّ وجهه، قال: «والحدّ الثالث أفريقيا» فاسودّ وجهه وقال: هيه، قال: «والرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية»، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، قال موسى(ع): «قد

أعلمتك أنّي إن حدّدتها لم تردّها». فعند ذلك عزم على قتله. (١) المناقب ج ٣ ص ٤٣١.

وفي رواية ابن أسباط أنه قال: أما الحد الاول: فعريش مصر، والثاني دومة الجندل، والثالث: احد والرابع: سيف البحر، فقال هذا كله، هذه الدنيا فقال عليه السلام هذا كان في أيدي اليهود بعد موت أبي هالة فأفاءه الله على رسوله، بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام.

هذا الحوار يدل على ان القضية ليست قضية ارض مغتصبة وإنما هو خلاف على حدود الدولة الإسلامية، وانها قضية شرعية الحكم، ولهذا عزم الرشيد على قتل الإمام الكاظم عليه السلام. كما تقول الرواية.

فالقضية التي اثارتها السيدة الزهراء تتعلق بشرعية الحكم وبالمطالبة بالرجوع إلى الشرعية ،هذا اخطر اعتراض سياسي وشرعي، بطريقة قانونية وذات

صبغة قضائية، وطريقة سلمية، وقد كشف الاعتراض القانوني وجود خللل فقهي وقانوني في الشرعية، ولو قرأنا ما واجهته الزهراء من خلل قانوني لعرفنا عمق القضية، و كما هو معروف فانها واجهت قضيتين قانونيتين هما دعواها النحلة للانفال والثانية هي الارث وكلاهما كانتا تحتويان على مخالفات قانونية تكشف عدم الالتزام بسنة رسول اله وبكتاب اللّه، ففي ادعاء النحلة حيث قابلت ادعاء المدعي عدم ملكيتها للارض المتنازع عليها واجهت عدة امور:

١–ان المدعي هو عين القاضي!.

٢– ان الدعوى من أجنبي على صاحب يد، ولو قيل بان اليد لا تدل على أكثر من صحة التصرف (وهذا محل نقاش) فإن المدعى عليه أتى بالشهادة الدالة على الملكية.

٣- ان القاضي طلب من المنكر البينة لتحول الملك الخاص إلى عام، بينما لم يأت المدعي البينة. وقد أصبح نفي المدعي لملكية الزهراء هو الدليل على عدم ملكيتها وأخذها منها. وهذا بحكم القانون الإسلامي غصب واضح.

٤- اضطرت الزهراء أن تقيم البينة على كونها نحلة وملكًا خاصًا لها، فرُدَّتْ بينتُها الشرعية لأسباب لا علاقة لها بالقضاء الإسلامي، مثل رد شهادة علي بن أبي طالب، حتى لو قال عنه رسول الله (الحق معه أينما دار) بحجة أنه زوج، والزوج لا يشهد لزوجته بحق!، ورد شهادة اثنين شهد لهما رسول الله بأنهما سيدا شباب أهل الجنة بحجة عدم جواز شهادة الفرع للأصل، ورد شهادة (ام أيمن) وهي امرأة شهد لها رسول الله (بأنها من أهل الجنة) بحجة أنها أعجمية! ولا يصح قبول شهادة الأعجمي.

ثم إن الزهراء عليها السلام بعد أن جار عليها القاضي الحاكم المدعي، وقد سلب منها ملكية الأراضي، حولت القضية إلى قضية ثانية، فطلبت أن تكون

الأرض تركة موروثة باعتبارها ملكًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحولت المحاكمة إلى موضوع آخر، وهو الإرث بعد أن طويت قضية الملكية بطريقة لا قانونية، وتم سلب العين المتنازع عليها، وقد ارتكب الخليفة أخطاء قانونية أخرى، حسب الشريعة الإسلامية، وقد تجاوز هذه المرة إلى أصل التشريع، وسأختصر الأخطاء القانونية بنقاط:

١- أن القاضي هو عين المدَّعَى عليه.

٢- أن المدعِي هو من أهل العلم بالشريعة، وله خصوصية كبيرة حيث إنه ابن المورث الذي هو نفسه المشرّع الأساس ومصدر الشريعة الإسلامية، وهو يعلم بأن ابنته فاطمة وعليًا وابنيها يحتاجون مثل هذا النص المدَّعَى فيما لو كان هناك استثناء شرعي، لأنهم تحت رعايته المباشرة، وهم أهل الحاجة دون غيرهم، و المدَّعِي (الذي هو الزهراء عليها السلام) ادعى صحة التوريث وأنه لا خصوصية للنبي ولم يرد عن النبي أي خصوصية في ذلك.

٣- اعتمد القاضي المدعَى عليه على فكرة نزع أملاك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشخصية إلى الملكية العامة استمرارا للقضية الاولى، فنفى التوريث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوى أن هذا لخصوصية له.

٤- تحوّل القاضي المدعَى عليه إلى مشرع خاص حين نفى التوريث عن الأنبياء بخلاف نصوص القرآن الكريم هذه المرة ولم يستجب للاستدلال بكتاب الله في توريث الأنبياء المال. وحين أمر بتحويل الملك الخاص إلى ملك عام بدعوى علمه الخاص وهذا تشريع لا يقبل في الإسلام.

٥- ادعى القاضي وجود نص عن الرسول لا يعرفه احد من المسلمين، وخصوصًا أهل بيت النبي الذين هم أهل الابتلاء بالحكم، وقد اعترض الامام علي على غرابة ان يوصي الرسول بنص لا يعرفه اهل بيته مع انهم المعنيون به؟

٦- في تطبيق هذه الإضافة ادعاء خصوصيتين: الأولى هي عدم ملكية النبي لأموال خاصة بعد وفاته (ولعل دعوى الحاكم أن الرسول في حال حياته لا يملك ملكا خاصا)، فإن الأنفال هي أملاك النبي الخاصة تتحول إلى عامة بعد وفاته، وهذا دون اثباته خرط القتاد؛ لأنها أملاك خاصة في حياته، فكيف تتحول إلى عامة بعد وفاته؟!، والخصوصية الثانية المدعاة: ادعاء وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل ملكيته بما فيها ملكه الخاص جدًا لتتحول إلى ملك عام، وهذه وصية بأكثر من الثلث وهي ممنوعة، فمعناه أن الرسول [- وحاشاه -] لا يفهم الشريعة، حسب هذا النص المضاف، ولهذا فان الضرورة تحكم باختلاق النص المدعى أو إساءة تصوير وتفسير الجزء الصحيح من النص بشكل مكشوف.

٧- تحجج الحاكم المدعَى عليه بحجتين: ١- بتصرف النبي في أملاكه وأنه كان ينفقها على المسلمين والإنفاق دليل عدم امتلاكه للمال، وهذا دليل

لا يقول به اقل طلبة العلم، لأن الإنفاق من الكريم لا يدل على نفي الملكية الخاصة. **٢**– بعلم الحاكم الشخصي بطرقه الخاصة، صحة حكمه هذا، مثل علمه الخاص بوجود نص عن الرسول غاب عن كل المسلمين. ونحن نعلم أن الفقهاء اختلفوا في حكم القاضي بعلمه في قضيةٍ يحكم بها، فقال الأعم الأغلب بعدم الجواز، وقال قلة بالجواز، ولكن لا يوجد فقيه واحد في الإسلام يقبل أن يحكم القاضي في دعوى هو ركن فيها بعلمه الخاص، وإنما يقدمها لقاض آخر ويعرض بينته. فتصرف الخليفة غير مسموح به بحكم جميع فقهاء المسلمين.

٨– التناقض الواضح في تطبيق الحكم، في موارد كثيرة: ١– فحين طولب الحاكم بشهادة على صحة نسبة النص لرسول الله، وعجز فأتى بشهادة ابنته، ولم يطبق نظريته في عدم صحة شهادة الفرع للأصل، التي رد بها شهادة الحسنين. وقد صارت الأموال تحت تصرفه وتملكها شخصيا بدليل

التوارث فيما بعد من سلب الحكام لها كل واحد من ورثة الذين قبله. فهذه شهادة من الفرع جرت نفعا على الأصل. وأي نفع اكبر من مال تمكن به الخليفة من إدارة دولته لعظيم خطر ذلك المال؟ ٢– لم يتوقف عن توريث نساء النبي ولم يعتمد نصه ودعواه عدم التوريث، ٣– تبيّن فيما بعد أن فدك لم تكن لعامة المسلمين وإنما تم تداولها بين الحكام، وانتهى أمرها في زمن عثمان بتوزيعها تركة على بني أمية، وقد كشف ذلك عمر بن عبد العزيز حين تنازل عن حصته من تلك التركة لأنها ليست له وإنما هي لأبناء فاطمة، وتبين أنها وزعت على بني أمية. وهذا الخليفة يقولون عنه خليفة راشد ومتدين، وهو يكشف السر بأنهم لا يؤمنون أصلا بالملكية العامة، وإنما سلبت لأسباب سياسية، والمحاكمة كلها صورية، فبحسب ضميره أرجع ما وقع تحت يده من سلب. ولعل هذا احد الاسباب السرية لنقمة السيدة

عائشة على الخليفة عثمان خصوصا وهناك تعليل للنقمة بانه منع عنها العطاء وكان عطائها من فدك كبيرا جدا.

٤- تبين فيما بعد بأن تركة الرسول قد حولت كليًا إلى ملك خاص للقاضي نفسه، وهو حولها إلى ابنته، فحين طلب بنو هاشم دفن الحسن عليه السلام في ملكه بالإرث في بيت الرسول؛ لأنه وريث فاطمة التي تملك ٨٨,٩٪ من بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالت السيدة عائشة: (لا تدخلوا بيتي من لا أحب)، فهي تملك البيت إذن، وهي لا تحب سيد شباب أهل الجنة وابن خير خلق الله، ، بينما هي دفنت أباها، ودفنت الخليفة الثاني، بطلبه منها مع أنه والد زوجة ثانية للرسول فلم ير له الحق في ذلك، بل هو حق خاص لابنة القاضي نفسه، مما يشير إلى أنه يعرف بان ملك رسول الله في داره امتلكه الخليفة الأول ملكًا شخصيا له، ومِن ثَمّ ملكه للسيدة عائشة، وإلا لماذا يطلب منها الإذن وهي لا تملك إلا ١,٤٪ (تسع الثمن) من أصل لا

يزيد عن ٣٠٠ مترٍ مربع، فحصتها تقارب أربعة أمتار مربعة، وهو مكان يسع لقبر واحد من قبور المسلمين المعتادة والتي هي بأبعاد تقريبية: ١,٥ * ٢,٣ = ٣,٤٥ مترا مربعا، أو قل لا يسع أكثر من قبرين قطعا، فكيف كانت تسكن في البيت إذا أعطت حصتها لمن قبرتهم في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهذا يفسر أنها تملك كل البيت ملكًا خاصًا مسلوبًا من جميع الورثة بواسطة والدها، الذي شهدت له بان ملك الرسول صدقة للمسلمين ولا يجوز توريثه، بينما رفض والدها شهادة سيدي شباب أهل الجنة لأنهما فرع يجر النفع للأصل.

ان هذه المحاكمة القانونية طعنت في الشرعية وأعلنت منهج المعارضة السياسية منذ ذلك اليوم، والإسلام مدين لتلك الفترة بوجود منهجين للحكم، واعلان شرعية المعارضة للحاكم في نظر الزهراء واتباعها.

فهي اول من خط المعارضة السياسية القانونية السلمية، بدون حمل سلاح وخروج على السلطة بالسيف. بخلاف مفهوم المعارضة الدموية التي ينتهجها السياسيون القدماء.

(٤)

فدك بمنظور اقتصادي وسياسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه

محمد وآله الطاهرين.

مشكلة فدك لها جوانب كثيرة جدا، وقد استوعبت بحثا وتدقيقا، مثل الجانب الفقهي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي والعقدي وغيرها، ولعل المشكلة التي لم يتوسع فيها الباحثون، هي الجانب الاقتصادي والذي سيؤدي إلى تداعيات سياسية خطيرة في هذه المشكلة.

ونحن هنا يجب أن نواجه سؤالا جوهريا، ونجيب عليه.

وهو: هل لفدك أهمية اقتصادية بحيث تستطيع تغيير السياسة؟

وهذا السؤال نابع من قضية، يمكن تصوّرها مسبقا، وهي إن قضية فدك كانت تدور حول مصدر مالي، ادعى الخليفة انه يمثل مال المسلمين، وليس مالا شخصيا، فهل كان يستحق مثل هذا النزاع؟ بحيث إن سلبه يمثّل ثقلا في المعادلة السياسية، لصالح خزينة الحاكم؟

وهل اعتراض الزهراء كان ينظر إلى هذا الجانب، حيث إن هذا العائد الاقتصادي يمكن أن يعيد الحق إلى نصابه؟

إن جردًا استقرائيًا، لمشكلة أهل البيت (ع) مع سلب خلافتهم وأملاكهم، ومعاملة الخلفاء لهم، يبيّن أن هناك حصارا ماليا لحقوقهم المالية بشكل عام، فلم يمنع عنهم ملكية وعائدات فدك بمفردها وحسب، وإنما منعت عنهم الأخماس التي هي من حقهم كاملا، ومنعت منهم إدارة صدقات المدينة وخمس خيبر الذي لا يعرف الكثير عنه. ومنعت عنهم أموال أخرى مجهولة الان، ((و كانت للنبي صلى الله عليه وآله أموال سماها منها: العواف و

يرقط و المبيث و الكلا و حيسيا و الصائفة و بيت أم إبراهيم،) الأمالي للطوسي – (ج ١ / ص ٣٠١)، فالأموال التي تركها النبي كثيرة، ولكن ملك فدك عظيم في ذلك الوقت. وكلها قد حبست أو ضيعت على أهل البيت (ع) بشكل وآخر.

فالمسألة تتعلق بحرب اقتصادية متعمدة، وتحديدٍ كاملٍ لواردات أهل البيت (ع) حتى لا يتمكن – أي منهم – لتشكيل أي نوع من أنواع النفوذ السياسي، والتمكن من السلطة الاجتماعية على اقل تقدير.

فهناك تناقض بين القول والعمل في التعامل مع أملاك أهل البيت (ع)، فإذا كان رسول الله لا يورث، فكيف ورث بيت النبي لنسائه، وتم تمليكه في الأخير لابنة الخليفة نفسه، الذي منع من ارث السيد فاطمة الزهراء (ع)؟، والا فبريك كيف منعت زوج الرسول صلى الله عليه وآله دفن ابن بنت رسول الله في بيته، بقولها (لا ادخل بيتي من لا أحب) فهو مالها وبيتها

إذن؟ فكيف أصبح مالها؟ إذا لم يكن بالتوريث، وفي قولها هذا إشارة مهمة وهو إنها لا تحب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وهو طرف في نفس المشكلة، فمن تحب إذن؟

واذا كانت نحلة رسول الله صلى الله عليه وآله تعود للمسلمين عامة، فلماذا لم تؤخذ الأموال الصغيرة التي بيد علي(ع) وهي نحلة له من رسول الله صلى الله عليه وآله : قال السيد المرتضى قدست نفسه: (و من العجائب أن تدعي فاطمة (ع) فدك نحلة و تستشهد على قولها أمير المؤمنين (ع) و غيره فلا يصغى إلى قولها، و يترك السيف و البغلة و العمامة في يد أمير المؤمنين على سبيل النحلة بغير بينة ظهرت و لا شهادة قامت.) شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد – (ج / ص ٢٥)

وإذا كانت فدك ملكا لجميع المسلمين، فكيف تم تمليكها لأنصار السلطة، ونقل الملك ووُرث من فرد لفرد؟ إلى أواسط الزمن العباسي قبل ان تتلف المنطقة كلها بفعل التعمد والإهمال.

وإذا كان الخمس ممنوعا، فكيف استلم الخلفاء سهم الإمام من الخمس؟ وهو العشر، واسموه زكاة، وهو ليس من الزكاة بشيء! حتى إن ابن حزم اعتبره من التشريع مقابل اللّه، لأنه لا يفهم ما القصة؟ ولا يدي انه هو الخمس بعينه تم تحويله من أجل منع وصية رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله .

وإذا كان الخمس في غنائم الحرب فقط، فكيف تم استلام خمس الغوص وخمس الكنز؟ وخمس المعادن من باطن الأرض؟ وكيف تم تكييف اخذ العشر من مكاسب المسلمين؟ أليس ذلك هو سهم الإمام من الخمس! وقد رفضوا سهم الفقراء من بني هاشم (سهم ذوي القربى)، كما هو مصرف الخمس قرآنيا؟

فكيف يقال ان الخمس من غنائم الحرب لا من مغانم المسلمين؟ وقد اخذ النبي صلى الله عليه وآله من قبائل اليمن والبحرين، بصكوك الوفود في عام الوفد، من الخمس حسب نص الصكوك بأخذ (خمس المغانم) فهل هي غنائم الحرب؟ مع أنهم ليس عندهم حرب مطلقا، وقد اسلموا طواعية، وهي من مغانم الكسب والتجارة المستمرة سنويا؟ ولو كانت من غنائم حرب لما استمرت سنويا. وقد اسماها الخلفاء بعد ذلك بالأعشار لرفضهم سهم ذوي القربى فبقي عشر، وكيف بقي الخمس يؤخذ من أرباح خيبر إلى زمن عمر بن الخطاب وبعده، فهل الحرب مستمرة يوميًا في خيبر؟ وهل استمر الأسر والغنيمة يوميًا لثلاثين عامًا أو أكثر؟؟ ان نزاع الخليفة عمر – بنصوص البخاري ومسلم – مع الإمام علي (ع) والعباس، كان على خمس خيبر، ولم يكن يقتصر على فدك، كما تدل النصوص الصحيحة، مع إن خيبر انتهت معركتها في زمن النبي صلى الله عليه وآله وقد قسّم خمسها وانتهى. وهذا

يدل على إن الخمس مستمر في مغانم الكسب، وكلنا يعلم إن عليا (ع) لا يطالب بمال ليس له حقه أو ليس له حق الولاية عليه شرعا، وإلا فان هذا قدح في عدالة الصحابة، و علي بن أبي طالب (ع) من أجلاء الصحابة ومن المبشرين بالجنة كما رووا، والمعضلة هنا اما ان لانقول بعدالة الصحابة فنبحث في سلوك الجمسع أو نقول بها فلا يجوز تكذيب علي وفاطمة والعباس، على أن فيهم نص خاص دون المسلمين يوجب لهم اعتقادنا بصدقهم لأنهم مطهرون من كل دنس.

ان القضية واضحة تماما، ولا تحتاج إلى مزيد بحث وتنقيب، فان منع أهل البيت (ع)حقوقهم الشرعية، ومن ثم أخذ نفس المبالغ المنوحة لأهل البيت بعناوين أخرى، للتهرب من استحقاق أهل البيت (ع)، لهو أمر واضح للعيان، يثبت حجم هذه الحرب. ولعل مصادر التاريخ ترينا عجبا من التصرف بهذا المال يتهادى من ظالم لظالم، ففي (كتاب الخلفاء لابن

قتيبة): أعطى عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص طريد رسول اللّه مائة ألف درهم من بيت مال المسلمين، و أقطع (مهزورا) موضع سوق المدينة الّذي تصدّق به النّبي صلى اللّه عليه و آله على المسلمين الحارث بن الحكم أخا مروان، و أقطع مروان فدك التي هي صدقة النّبي صلى اللّه عليه و آله، و افتتح إفريقية و وهب جميع خمسها لمروان أيضا). [بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة – (ج ١٤٥ / ص ٩)]، وما رواه هنا ليس كامل الحقيقة، فقد تم تملك وإهداء كل حقوق أهل البيت (ع)كما تملك وأهدى حقوق المسلمين كافة. ومنحت مرتبات مالية بحسب تقدير الحاكم للمقربين وغيرهم، بما لا يضر بالسلطة والحاكم، وبما يعزز من سيطرة قبائل معينة ونفوذها في الدولة، وترسيخ قواعد الظلم والجور الذي حدث في المسلمين على مر التاريخ.

فهل هذه الحرب المالية، وتهادي حقوقهم، لمجرد الكراهية لأهل البيت وحرمانهم؟ أم لأجل قضية تتعلق بالحكم وسلبه منهم؟

ان المتتبع لهذه القضية وأبعادها الاقتصادية، ينكشف له إن البعد الاقتصادي لم يكن بعدا فرديا شخصيا، وإنما له بعدٌ عام يتعلق بالسياسة وإدارة الحكم، من قبل جماعة معينة، عن طريق التحكم بمال المسلمين، وحق التصرف به من جهة، ومن جهة ثانية هو عدم تمكين علي بن أبي طالب (ع) من الوصول للسلطة كما أوصى رسول الله، بواسطة الزهراء (ع) وما ملّكه إياها النبي صلى الله عليه وآله من مال وفير قادر على سد حاجات المسلمين في وقتها من أجل ضمان وصيته، وتعيينه لخليفته المنصوص من قبله.

المسألة يجب ان تبحث ليس من زاوية حجم المبلغ العائد من مزارع فدك بشكل مطلق، وإنما بدراسة حاجة المسلمين في ذلك الوقت من مال يحرك مجتمعهم؟ حيث ان متطلبات الدولة في تلك الفترة مساوية أو اقل من واردات فدك الكبيرة.

فالمسألة يجب أن لا تتعدى زمنها في تقدير الحاجة، لنعرف إن المال المتنازع فيه، قادر على تغيير الموازيين السياسية، ولهذا حجب عن الزهراء (ع)، وبالتالي منع علي بن أبي طالب (ع) من التمكن من أي تحرك اجتماعي فضلا عن السياسي.

كان عدد مسلمي المدينة الذي يوزع بينهم العطاء لا يتجاوز عشرة الاف في ذلك الوقت ولنقل انه اكثر قليلا، وان العطاء هو بمقدار ثلاثة دنانير في السنة أي ثلاثين درهما في وقتها (وهذا رقم كبير جدًا في وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لا بعده بشهور لان الوضع تغيّر نتيجة التوسع بالحروب من أجل العائد)، فتكون حاجة الخزينة الفعلية للمرتبات بحدود ٣٠ ألف دينار أو أكثر قليلا، وحتى لو وصلت إلى ٥٠ الف دينار في السنة، وهذا مبلغ كبير جدًا على مجتمع قليل المتطلبات، وقليل العدد، ولم يبلغنا أن العطاء كان يصل إلى اهل الأطراف، في ذلك الوقت، ونحن استثنينا حاجة الحرب لأنها

بعد لم تبدأ ولان في الغالب تسد متطلباتها بنفسها وتفيض، ولعل هذا هو السر في التوسع بالحروب بدون اسس عقائدية، كما نص على ذلك المحاربون انفسهم في رسائلهم لعمر بن الخطاب بالتوجه أو عدم التوجه إلى الأماكن حسب غنيمتها والامر فيه نصوص كثيرة ليس هنا محلها.

إن الناظر إلى حجم العائد من فدك يرى أنه يمثل رقما مهما يعادل تقريبا الخزينة الأساسية (الميزانية التشغيلية) لنظام المجتمع المسلم في وقت السلب. فإذا أضفنا له التمكن من بقية الأخماس والصدقات فانه قد يصل إلى ما يمكن أن يسمى بالميزانية الاستثمارية لخزينة الدولة في تلك السنة التي وقع سلب المال فيها.

إذن هذا المقدار يمثل مالا سياسيا كبيرا، وليس مجرد مال شخصي تم سلبه بواسطة سلطة الحاكم، وحسب تفسيره الشخصي للنص الذي لم يجد له أي دليل أو برهان يعضده.

فالمشكلة وراءها القدرة السياسية، والقدرة على الإمساك بمقاليد السلطة.

ومشكلة منع الخصم من التمكن المالي مشكلة مكررة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان المنافقون يتواصون ان لا يتم إمداد الرسول صلى الله عليه وآله بالمال حتى تبطل دعوته، وينفض الناس عنه لفقره، ({هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ المَنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ}(المنافقون/٧). والغريب أن الصحابة يعملون ذلك بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأشد مما فعل المنافقون والكفار، وهذا يحتاج إلى تأمل شديد، ووقفة ضمير حي في فهم هذه السياسة العجيبة التي استنكرها القرآن، وبيّن أهدافها، وهو تدمير الإسلام من الداخل، بواسطة نشر كراهية الناس، وضعاف النفوس، بسبب ضعف الرسول صلى الله عليه وآله، وأهل بيته في القوة والمال، فكيف يتم فعل ذلك؟ هذا السؤال يحتاج إلى عقل واع وضمير حي..

ونكرر، فقد روى الرواة إن المنع لم يكن من فدك وسهم خيبر وحدها، بل سهم ذوي القربى من عموم الخمس، فلننظر بتمعن في ما يرويه ابن ابي الحديد من طرقه التي يثق بها في شرح نهج البلاغة (ج / ص ٢٢): (قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا هارون بن عمير قال حدثنا الوليد عن ابن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال أرادت فاطمة أبا بكر على فدك و سهم ذوي القربى فأبى عليها و جعلهما في مال اللّه تعالى. قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا أحمد بن معاوية عن هيثم عن جويبر عن أبي الضحاك عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ع أن أبا بكر منع فاطمة و بني هاشم سهم ذوي القربى و جعله في سبيل اللّه في السلاح و الكراع.)، وهذا كلام خطير جدا، فانه منع ما هو نص في القرآن الكريم، وليست مجرد نحلة من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، يعرفها عدد قليل من المسلمين، مع ان قضية انها (ع) كانت صاحبة اليد، وهي من الناحية

الشرعية والقانونية قضية لازمة، والقضية خارج حكم القضاء أصلا، لأنها من قبيل مجهول المالك الذي ظهر مالكه، فهي لا تدخل القضاء أصلا، ولكن هذه القضية شائكة نوعا ما، وليست بمستوى النص القرآني في سهم ذوي القربي الذي تم منعه، فهنا حكم مقابل نص صريح لا يقبل النقاش. وهو يساهم في تجويع وتطويق أهل البيت (ع)، بينما أصهار الخلفاء وأبناؤهم كانوا ينقلون الأموال بالفؤوس لكثرتها وكان عائد طلحة – وهو ابن عم الخليفة وصهره– من بعض نواحي العراق فقط كل يوم ألف دينار ذهب، وترك الزبير وهو صهر الخليفة خمسين مليون درهم أو دينار وكان له بنك تسليف كما هو بنص البخاري، وكانت املاك السيد عائشة تحسب بمئات ألوف الدنانير الذهبية، حتى ان هداياها لاخواتها وغيرهن، كانت بقيم مثل أربعمائة ألف دينار وما شابه ذلك، فما بالك بغيرهم ممن اخذ لنفسه مقاطعات كبيرة من البلاد المفتوحة؟ وهي اكبر من فدك بمئات المرات! وقد

تم تهادي الأموال العامة والأراضي ذات القيمة المليونية للأصهار وابناء العمومة، حتى تكونت قوى غاشمة عظيمة استطاعت تدمير العقل المسلم، وتأسيس عدم القدرة العقلية للتفريق بين الناقة والجمل عند عموم الشعب المسلم تقريبا إلى هذا اليوم.

وحكى ابن ابي الحديد تفسير منع حقوق وسهام ذوي القربى، نقلا عن بعض العقلاء، بما يقرب من تفكير كل العقلاء، فقال في شرح نهج البلاغة – (ج / ص ٢٧): (و قال لي علوي في الحلة يعرف بعلي بن مهنئ ذكي ذو فضائل: ما تظن قصد أبي بكر و عمر بمنع فاطمة فدك؟ قلت ما قصدا؟ قال أرادا ألا يظهرا لعلي و قد اغتصباه الخلافة رقة ولينا و خذلانا و لا يرى عندهما خورا، فأتبعا القرح بالقرح. و قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل. و هل كانت فدك إلا نخلا يسيرا و عقارا ليس بذلك الخطير؟ فقال لي ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدًا و كان فيها

من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، و ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي بحاصلها و غلتها على المنازعة في الخلافة، و لهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة و علي و سائر بني هاشم و بني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته و يتصاغر عند نفسه، و يكون مشغولا بالاحتراف و الاكتساب، عن طلب الملك و الرئاسة.).

ما هي فدك؟

قال محمد بن جرير الطبري في كتابه المسترشد: (ج ١ / ص ٤٢٧):

(فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة (نُقل أن المسافة من المدينة اليها ١٢٠ كيلو مترا) أفاءها اللّه على رسوله صلى اللّه عليه وسلم في سنة سبع صلحا، وذلك أن النبي صلى اللّه عليه وسلم نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق الا ثلث واشتد بهم الحصار راسلوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحلنيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه أريد لذلك شهودا [قال الحموي ولها قصة] أنظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٨. قال أحمد المحمودي: الحديث في قصة فدك ذو شجون ذكر الحموي في المعجم قصة فدك وإعطائها لفاطمة عليها السلام واحتلالها أبو بكر في خلافته وكذا عمر، وردها عمر بن عبد العزيز إلى بني فاطمة، فمن أراد التفصيل فعليه بالمصدر المذكور).

عائد فدك كما ذكر في التاريخ:

يروي الرواة ان الرسول صلى الله عليه وآله قد اتفق مع اهل فدك على عطاء دائم وهو ٢٤٠٠٠ دينارا ذهبيا، وهذا يمثل قيمة سوقية كبيرة جدًا فلو أردنا

تحويل الدينار إلى سعر النياق فان الناقة سعرها ١٠ دنانير في ذلك الوقت، (ويعرف هذا قطعا من معادلة الدية فإنها ١٠٠ ناقة أو ١٠٠٠ دينار، وهو يعني ان كل ناقة تساوي عشرة دنانير) وبحساب بسيط فان عائد فدك يستطيع شراء ٢٤٠٠ ناقة، وهذا ملك دولة كما هو واضح فان أغنى أغنياء العرب لا يستطيع شراء مثل هذا العدد في السنة الواحدة. وحتى في هذا الزمن فان المبلغ له أهمية كبيرة بالنظر للقيمة الشرائية، فان الجمل اليوم يتراوح اليوم بين ٢٠٠٠دولار في العراق والشام إلى ٣٠٠٠ دولار في الجزيرة العربية ومصر، فيكون المبلغ بحساب اليوم يتروح بين ٤٨ مليون دولار و ٧٢مليون دولار.

فلنقرأ ما جاء في كتاب الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي – (ج ١ / ص ١١٦): [وجاء أهل فدك إلى النبي صلى الله عليه وآله فقاطعهم على

أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة] وتجد هذا النص أيضا في بحار الأنوار – العلامة المجلسي – (ج ١٧ / ص ٣٧٩)

وقد علق المرحوم السيد كاظم القزويني في كتابه (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) – ص ٢٣٢: (وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار، ولعل هذا الاختلاف في واردها حسب اختلافهم (في) السنين. وعلى كل تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة، لا يصح التغاضي عنها.) أقول: لم اعثر بهذه العجالة على الرواية الاخرى، وهو رجل ثبت وصادق فيما ينقل رحمه اللّه وقدس نفسه الزكية.

ونحن قد أخذنا اقل الروايات، ولعل ما احتمله السيد رحمه اللّه مقبولا، فان تصاعد القيمة أمر منطقي. حتى أن معاوية قسم فدك أثلاثا، وإعطاها لكل من يزيد ومروان وعمرو بن عثمان ثلثا، وان مروان كان له ذرية كثيرة توارثت أملاكه، حتى وصل بالتناسخ إرثا لعمر بن عبد العزيز ويبدو من خلال

النصوص إن قيمة حصته في ذلك الوقت ٤٠ ألف دينارا كما نقل، فكم كان قيمتها إذن؟ ونحن لسنا معنين بحصر ارث هؤلاء جميعا، ولكن فيهم بنات وبنون بعدد لا يستهان به، فلو كان سهم عمر بن عبد العزيز عشر السهام وكان قيمة حصته ٤٠ الفا لكان مبلغها ٤٠٠الف دينار، فكيف اذا كان سهمه واحد من اكثر من ثلاثين؟ [لأنه لو كان بقدرته أن يرجع الحصص التي بيده وهو خارج الحكم لفعل، ولكن الامر يبدو انه كان بأيادٍ كثيرة خارجة عن السيطرة إلا بواسطة الحكم]، وعند ذاك قد ينوف سعرها على مليون و مائتي ألف دينار، وهي بالقيمة الشرائية لهذا اليوم تساوي ما يقارب ٣٦٠ مليون دولار، بناء على قيمة الجمل الكامل في الجزيرة العربية ٣٠٠٠دولار كما هو في سوق المسلمين اليوم. فهي من نفيس المال الذي يؤسس دول عصرية صغيرة على اقل تقدير، وليس دولة قديمة ذات متطلبات قليلة فيها القليل من البشر. (مع العلم اننا لا نستطيع أن نؤكد الرقم لتشوش

الروايات بين ما يروى انها كانت خالصة لعبد العزيز، وتركت بين ورثته، وبين ما تقول انها كانت أثلاثا ولورثتهم، كما أوردنا الرواية، وقد جمع آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله العالي بين الأخبار فاستظهر ان معاوية قسمها اثلاثا ثم خلصت إلى مروان واهداها إلى عبد العزيز، وهذا الاحتمال وارد اذا عدنا إلى تصديق الاخبار والجمع بينها، بينما قد ذُكر في الروايات ان عثمان بن عفان اهدى فدك جميعها لمروان بن الحكم، وهي احدى القضايا التي نقم بسببها المسلمون على عثمان، وهكذا كل اخبار الباطل تشوش ولا يعرف لها حقيقة الا بالنظر الدقيق جدا، وقد ورد في سنن ابي داوود أن عائد فدك في زمن عمر بن عبد العزيز كان ٤٠ الف دينار، وليس مبلغها كما نقله النجمي، في (أضواء على الصحيحين) — الشيخ محمد صادق النجمي (ج ٨٢ / ص ٣): (كما يقول أبو داود في سننه: إن أرباح فدك السنوية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت تبلغ أربعين ألف

دينار وقد ردها الخليفة لبني الحسن.) وهذا يعقّد التصور للأمر قليلا، فالمبلغ هو مبلغ العائد وليس قيمة الملك، والمردود عليهم هم بنو الحسن وليس الإمام الباقر (ع) كما ذكر في الروايات الأخرى، ولكنه على كل حال يزيد من القيمة كثيرا، فإذا كان واردها بهذا القدر فكم قيمتها إذن؟ وهناك روايات لا يمكن تصديقها مثل ان مروان كان يبيع ثمر فدك بعشرة آلاف! فاذا كان رسول الله يقبض نصف ثمرها باربعة وعشرين الف، فكيف بكل ثمرها عشرة الاف؟ حتى لو كان الكلام عن زمن عثمان، ففي الطبقات الكبرى لابن سعد – (ج ٥ / ص ٣٨٨): (فكانت بيد مروان يبيع ثمرها بعشرة آلاف دينار كل سنة،)، وكذلك هناك رواية اشد غرابة القائلة ان عائدها في زمن عمر بن عبد العزيز اربعة الاف كما نقلها في بحار الأنوار – العلامة المجلسي – (ج ٢٢ / ص ٢٩٥): – ما: أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يحيى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن

عمرو بن حزم، عن أبيه قال: عرض في نفس عمر بن عبد العزيز شئ من فدك، فكتب إلى أبي بكر وهو على المدينة: انظر ستة الآف دينار فزد عليها غلة فدك أربعة آلاف دينار فاقسمها في ولد فاطمة رضي الله عنهم من بني هاشم، وكانت فدك للنبي (صلى الله عليه وآله) خاصة، فكانت مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال: وكانت للنبي (صلى الله عليه وآله) أموال سماها منها العواف وبرقط والميثب والكلا وحسنا والصانعة وبيت ام إبراهيم،). أقول: لعل الخطأ في العدد فقد كانت اربعين الف ضمها إلى مبلغ ممنوح، وكان تفاوض رسول الله على نصف الثمر والأرض بينما كانت فدك باجمعها بيد الخليفة عمر بن عبد العزيز، لأن عمر بن الخطاب اشترى النصف الثاني من مال المسلمين، الروضة الندية شرح الدرر البهية — لمحمد بن علي الشوكاني (ج ٢ / ص ٣٤٥): (وأما يهود فدك فكان لهم نصف الثمر ونصف الأرض لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان صالحهم على

نصف الثمر ونصف الأرض فأقام لهم عمر بن الخطاب نصف الثمر ونصف الأرض قيمته من ذهب وورق وإبل وحبال وأقتاب ثم أعطاهم القيمة وأجلاهم منها)).

إن في كشف الغمة للأربلي رقما مهولا من التراكمات للخمس وحقوق أهل البيت وبني هاشم الذي وقع بيد الحكام، كما في كشف الغمة لابن أبي الفتح الاربلي – (ج ١ / ص ٤٩٦): (و روي أنه لما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رد عليهم سهام الخمس سهم رسول اللّه ص و سهم ذي القربى و هما من أربعة أسهم رد على جميع بني هاشم و سلم ذلك إلى محمد بن علي الباقر ع و عبد اللّه بن الحسن. و قيل إنه جعل من بيت ماله سبعين حملا من الورق و العين من مال الخمس فرد عليهم ذلك و كذلك كلما كان لبني فاطمة و بني هاشم مما حازه أبو بكر و عمر و بعدهما عثمان و معاوية و يزيد

و عبد الملك رد عليهم و استغنى بنو هاشم في تلك السنين و حسنت أحوالهم).

وهذا يعني حوالي خمس وثلاثون طنا من الذهب والفضة لأن حمل البعير أكثر من نصف طن وهو يحمل كرا وربع تقريبا [والورق هو الفضة والعين هي الذهب]. ويبدو من النص الأنف أن هذه الأموال لم تصرف، وإنما أخذها حاكم من حاكم بطريقة لا نفهمها، أو انه تم تقدير تلك المظالم بهذا المقدار، وكل ذلك كبير كما ترى. على اننا لا نعرف مدى صحة الرواية ولكنها حجة على من نقلها لتلميع صورة هذا الخليفة، وقد تكون القصة صحيحة فان المبالغ بحساب بسيط أكثر من ذلك بكثير لأنها خمس ارباح المسلمين مع كل ما كان ملكا للرسول من سواحل البحار ومخزونات أعماق الأرض والبحار وغير ذلك.

فالمسألة إذن كبيرة جدا، وهي تنطوي على معادلة مهمة تقول إن فدك تساوي الخلافة، لأن ملكية فدك تساوي ملكية دولة مزدهرة في ظل جدب ويباب، فينبغي أن تفرد لها دراسات متخصصة من قبل اختصاصيين في الاقتصاد والاقتصاد الزراعي، حيث إن مزارع بحجم مزارع ونخيل الكوفة، في ذلك الوقت الذي يعتبر التمر فيها من أثمن البضائع، كما ان فيها زراعات وبضائع أخرى كالحبال والخشب والقتاب، والصناعات الزراعية، فان صورة اقتصاد مزدهر يشع من هذه المنطقة، وليس مجرد ملك شخصي صغير يمكن أن يتنازع عليه أي متنازعين على ملكية، وانما هي ملكية بحجم ملكية الدولة.

شبهة حول قيمة فدك اقتصاديًا

يقول بعض من لا خبرة له، انه لو كانت فدك بهذه الأهمية الاقتصادية، لما تركها علي بن ابي طالب (ع) بيد مغتصبيها، وهو الخليفة القادر على رد الحق إلى نصابه.

والجواب: ان القائل لم يلتفت إلى ان هذه القيمة كانت عظيمة الأهمية يوم توفي الرسول صلى الله عليه وآله وليس هناك من موارد غيرها تقريبا، فقد منع المخالفون لأبي بكر الزكاة فشن عليهم حربا، ولم يأتي خراج اليمن وهجر الا بعد فترة طويلة نسبيا. وأما بعد الفتوحات أصبحت فدك لا تساوي قلامة اظفر في أملاك الإمبراطورية المترامية الأطراف، التي وصلت إلى ينابيع المياه والأنهار ومناطق الزراعة الكبرى في السهول من باكستان حتى غرب مصر.

ثم إن عليًا (ع) كان خليفة على كل هذه الإمبراطورية، وهو زاهد بها أصلا، وكان يعمل بكد يمينه وهو خليفة وقبل ان يكون خليفة، وقد استمر منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على حفر الآبار وإنشاء المزارع والتصدق بها، حتى استشهد على يد أشقى الخلق.

ثم انه كان يريد إرسال رسالة بعدم قبول، تضييع ظلامة الزهراء (ع)، في ذلك الوقت حتى تثبت عن غير طريقه، وقد حدث كما أراد حيث أرجعها أموي بنفسه إلى ولد الزهراء (ع) ثم عباسيان.

وعلى كل حال هناك روايات عن أهل البيت (ع)تسلط الضوء على هذه المعاني:

قال أمير المؤمنين (ع) كما في شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – (ج / ص ٣):

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ اَلسَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ وَ نِعْمَ اَلْحَكَمُ اَللَّهُ وَ مَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَ غَيْرِ فَدَكٍ وَ اَلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلُمَتِهِ آثَارُهَا وَ تَغِيبُ أَخْبَارُهَا وَ حُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَ أَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا اَلْحَجَرُ وَ المَدَرُ وَ سَدَّ فُرَجَهَا اَلتُّرَابُ المتَرَاكِمُ وَ إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ اَلْخَوْفِ اَلْأَكْبَرِ وَ تَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ المزْلَقِ)

وفي مسند الامام الرضا (ع) – الشيخ عزيز الله عطاردي – (ج ١ / ص ٣٣١)

حدثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن الهمداني، قال: حدثنا علي بن الحسن بن على بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام لم لم يسترجع فدك لما ولي أمر الناس؟ فقال: لأنا أهل بيت إذا ولينا الله عزوجل

لا يأخذ لنا حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو، و نحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ لهم حقوقهم ممن يظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا.

كشف الغمة في معرفة الائمة لابن ابي الفتح الاربلي – (ج ١ / ص ٤٩٥)

(و روي عن أبي عبد اللّه ع و قد سأله أبو بصير فقال لم لم يأخذ أمير المؤمنين فدكا لما ولي الناس و لأي علة تركها فقال لأن الظالم و المظلومة قدما على اللّه و جازى كلا على قدر استحقاقه فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب اللّه عليه الغاصب و أثاب المغصوبة، و قد روي أنه كان لأمير المؤمنين ع في ترك فدك أسوة برسول اللّه ص فإنه لما خرج من مكة باع عقيل داره فلما فتح مكة قيل له يا رسول اللّه أ لا ترجع إلى دارك فقال ع و هل ترك لنا عقيل دارا و أبى أن يرجع إليها و قال إنا أهل بيت لا نسترجع ما أخذ منا في اللّه عز و جل.)

تعقيب

بعد أن كتبت عن فدك ومدلولها الاقتصادي والسياسي، بحثت في النت عسى أن اعثر على الجديد أو الثري من المعلومات، خصوصا كنت ابحث عن رواية ولم اعثر عليها لحد الان، فلفت انتباهي ما كتب في الويكيبيديا على يد الارجاس من الوهابية اليهودية الناصبة عن الموضوع، بشكل خبيث، حيث تصدى الخبثاء لعرض وجهتي النظر بطريقة محرفة، فرأيت من واجبي ان انبه جميع إخوتي لمراسلة الويكيبيديا وتصحيح الامر رغم انه لا يدخل في صميم مهمة هذا البحث وهو (فدك اقتصاديا وسياسيا) ولكنه يؤشر إلى تداعيات قضية فدك واكاذيبها السياسية إلى هذا اليوم

عرض اولي لما كتب في الويكيبيديا:

في البداية عثرت على التعريف بكلمة (فدك)، وكان تعريفا جغرافيا، وفيه شرح لقصة النحلة، ولكن فيها حذف متعمد واضافة متعمدة، حيث حذف

اسم الخليفة واصبح النص مشوها، واضيف مصدر وهو كتاب لعثمان الخميس عن فدك بدون أي داع لهذه الاضافة فليس هناك اشارة لهامش فيها، الا التزوير ومحاولة لفت الانتباه لوجود كاذب اشر يعرّف بعدوه محمد وآل محمد، بطريقة شيطانية، حيث يحوّل إلى البحث عن الخميس، ومن ثم إلى موقعه للدخول في الكذب المحض، وقلة الحياء من رسول الله، واظهار النصب والعداء له.

فانظر كيف تم التزوير في هذه الفقرة: (واهداها أو وهبها لابنته فاطمة الزهراء فكانت لها بها عمال يعملون وياتون بالحصاد اوقيمته للزهراء حتى توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم [فطالبت بها فاطمة على انها هي له فامرها ان تاتي بشهود واستدلوا حديثا عن رسول الله (نحن معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة) – على حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة] (٥) –وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك،)، وقد

وضع مصدر لهامش غير موجود في النص وهو هذا: ((١) راجع حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس) فكلما تبحث عن ترقيم الهامش رقم (١) في المتن لا تجده، ثم انظر إلى الحذف والتزوير في النص التالي (فطالبت بها فاطمة على انها هي له فامرها ان تاتي بشهود واستدلوا حديثا عن رسول الله (نحن معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)) فقد حذف من هو المطالب بالفتح، ثم قوله استدلوا حديثا، والحقيقة ان الخليفة ادعى انه سمع حديثا لم يسمعه غيره، وفي العصر العباسي أو الاموي حاولوا وضع اكاذيب مع سرقة وقلب الاسانيد تقول بان هناك من شهد لابي بكر بهذا الحديث، بل كذبوا على علي نفسه وادعوا انه اقر بصدور هذا الحديث وصدق قول عمر، وقد كذبوا على الناس في مورد الخلاف في الحديث حيث انه في النص (ما تركنا صدقةٌ) وليس في قول الرسول المروي عنه نحن معاشر

الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة، ثم ان النص تم تحريفه حيث حول (ما تركنا) إلى (ما تركناه) والفرق كبير بينهما.

ولهذا فالتعريف بفدك في الويكيبيديا فيه تحريف واضح عاثت به يد النواصب، وهو ليس من الحقيقة بشيء.

ومن ثم هناك في أخر التعريف رابط يتناول التعريف بمظلومية الزهراء ع بعنوان (الخلاف حول ميراث فاطمة الزهراء)، وستفاجأ من ان الكتابة متناقضة، وهناك اصرار شديد على ان مظلومية الزهراء هو قول الشيعة وليس هو قول السيدة الزهراء ع ولا قول اهل البيت ع، ثم يتم عرض وجهة نظر لا يقال عنها انها سنية رغم الدعوى وهي لا علاقة لها بالتسنن وانما كلها تزوير وكذب وافتعال، وتقريب البعيد وتبعيد القريب حسب المشتهيات، وليس فيها من فكر التسنن الا قولهم ان هذا الخلاف طبيعي لاختلاف

الاجتهادات وان الزهراء تبين لها انها تطالب بما ثبت نفيه عنها فسكتت، وهذه نظرية سنية معروفة رغم انها تخالف الدين والحقائق التاريخية.

واهم ما طرح وهو ما يلي:

١- مظلومية الزهراء قول شيعي محض، وكأن الشيعة ليسوا على مذهب أهل البيت.

٢- ان استشهاد الزهراء بكتاب الله وبنصوص اياته، رده بعض البوالين على اعقابهم من انصار الظلمة، ولم يقبله بعض النواصب.

٣- حدبث (ما تركنا صدقة) رواه ابو بكر وايده عمر، فثبت الهلال.

٤- لا يوجد تعليق على دعواهم رد فدك، من قبل الخلفاء، والاعتراف بها بانها مغصوبة من فاطمة.

٥– لم تظلم الزهراء ولم يمسها شيء، بدليل ان عالما شيعيا متأخرا نفى ذلك ونفى كسر ضلعها. ودليل اهل السنة ان عدالة الشيخين تكوينية كما يبدو من كلام واضع النص فلا يمكن لهما ظلمها واذيتها.

٦– جوابهم على وراثة العلم لفاطمة بحسب نص نفس الحديث المستشهد به، حيث خالفوا علمها: بان علم النبي لم يخصص بفاطمة، والآخرون اعلم منها بقول أبيها، فدعواها عن جهل اذن؟!!.

٧– اكذوبة عدم انفراد ابي بكر برواية الحديث بالترويج لإقرار جملة من الصحابة بهذا الحديث بعد ١٥ سنة من الخلاف وتكذيب الزهراء للحديث، وهذا منتهى التزوير والكذب.

٨– كذبة حرمان ابنتي الخليفتين من ارث الرسول، بينما هما قد أخذاه كله واستفادا به ومنحاه لبناتهما، فكيف حصلت عائشة على بيت رسول الله ولم تقبل دفن الحسن (ع) في ملكه وحقه بالوراثة، فان عائشة لها واحد من أصل

أثنين وسبعين سهما بينما لفاطمة ٦٤ من أصل ٧٢، ومع ذلك تقول لا ادخل بيتي من لا احب، فكيف تملكت الجميع واصبح بيتها.

٩- ابو بكر وعمر لم ينتفعا بالميراث، وهذه الكذبة يكشفها سر تجييش الجيش لمحاربة مانعي الزكاة، فمن اين لهم المؤونة وهم لا مال لهم؟ ان هذا المال هو الذي اسس اساس ملكهم، وهذا يسمى عدم نفع في عرفهم، على ان التركات لهم ولأقربائهم تكذب هذا القول فهي بالملايين وليس بالآلاف.

١٠- ادعاء ان عليا استلم مسؤولية صرف هذه الصدقة، وهذه كذبة صلعاء لا يثبت معها شيء فهي كذبة واضحة.

١١- غضب فاطمة لا قيمة له وان حديث الرسول في حرمة إغضاب فاطمة مؤول بأنه مشروط بما لا يفهم ولم يقع ذلك الشرط غير المفهوم والمخترع. وهو ان تغضب بحقٍ ما لم تنتهك المحارم، والعياذ بالله من النصب، فمعنى

كلامهم ان غضبها كان باطلا منتهكا لمحارم الله، فيحيا النصب والعداء لرسول الله واهل بيته.

١٢- الشيعة يروون عن ائمتهم: (لا نورث ذهبا ولا فضة وانما نورث العلم) فإذن يجوز الكذب على رسول الله وادعاء ان ماله الشخصي مباح لجميع المسلمين وهو لا يملك من دون الخلق.

١٣- ان عليا لم يرجع فدك من يد مروان فهو اقرار بصحة تصرف الخليفة.. وقائل هذا القول يدعي ضمنا ان عدم رد علي ع يعني صحة تملكهم الشخصي لفدك؟!! وهذا منتهى الخبال.

١٤- رواية النحلة ضعيفة سندا ومتنا على الطريقة العوراء حيث يضعفون الصحيح ويصححون المكذوب ففي السند فيه مجروحان، وفي المتن فان السورة مكية فلا تصح ان تكون بعد الهجرة، ولم يكلف صاحب القول نفسه في البحث عن اسانيد داعمة إلى درجة التواتر، كما انه لم يكلف نفسه فيقول

بان هذه الكثرة من الرويات في نزول الآية تجعلها مستثناة عن المكية وإلا فلماذا أسباب النزول؟.

١٥- النحلة لا تجوز على رسول الله، لانه ظلم لباقي بناته، فالنحلة لا تصح! ويسلم النصب.

هذا مجمل العرض السخيف للموضوع، وقد حوّل هذا العرض الموسوعة العالمية إلى أداة طائفية ومستنقع للكذب والتزوير.

والذي اقترحه ان يراسل ابنائنا الكرام أو يسجلوا للتصحيح، حيث يشار إلى بيان امور مهمة.

١- ان عرض رأي الشيعة غير دقيق، فانه ليس رأي الشيعة، وإنما هو رأي أهل البيت ورأي فاطمة وعلي والحسن والحسين، وهم من قبل التحاكم واتى بالأدلة.

٢- ان الدفاع السني ليس سنيا وإنما وهابي صرف مبني على الكذب وتكذيب الصحاح عند أهل السنة، ولهذا يجب الاتيان بالدفاع السني وليس الناصبي اذا كان هناك دفاع.

٣- ان النقد الموجه للشيعة يدل على جهل فضيع، فهم اعمق من تنالهم هذه السطحية في التفكير.

ولهذا فعليهم ان يغير النص ولا يسمحوا بتدخل النواصب كليا لانه مليئ بالاكاذيب وعدم الموضوعية.

موقع المرأة في النظام الإسلامي

بين الفينة والفينة تثار مسألة كرامة المرأة وقيمتها، مع التشويش على بعض أحاديث الآحاد التي لا اعتبار بها في التقليل من شأن المرأة، وكأن الشخص اكتشف نقصاً في الإسلام فيحاول الطعن بالمرأة بعنوان أنه رأي الإسلام أو لازم ما يراه الإسلام.

والحقيقة أن هذا كله لا قيمة له إطلاقا ولا يصح أبدا.

والسر في اشتباه أبنائنا وبناتنا حفظهم الله ورعاهم، يرجع إلى (القراءة التجزيئية) بدل (القراءة الشاملة)

وهذه في الحقيقة تمثل معضلة حقيقية الآن في تناول القضايا الدينية، لأن القراءة الجزئية أو التجزيئية تخرّب المفاهيم وتقلبها رأسا على عقب، ولعل من المفيد أن نشير إلى وجوب توقف المثقف عند حده حين يرى أنه قرأ جزئيا في موضوع بدون شمول وفهم لكامل الأطراف.

وقضية المرأة قضية خطرة جدًا إذا قرأت بكل جزئي، لأن القارئ إذا اختار خصائص المرأة التكوينية واعتبرها احتقارا لها فسيبني نظرية ظالمة للمرأة المكرمة في الإسلام وسوف يقوم بتشكيك المرأة بإسلامها بل بإنسانيتها،بلا سبب حقيقي وبفهم خاطئ جدا.

ولهذا أهيب بكل مسلم أن يقف موقف المتحرج من إصدار الإحكام في المواضيع الخطير كموضوع المرأة وغيره من المواضيع واللجوء إلى المتخصص في شرح الموقف، لأن المتخصص له الفرصة للقراءة الشاملة. وسوف يجيب بما يناسب الموضوع وبما يحفظ الحقوق والكرامات.

مبدأ الاشتباه عند المتسرعين من شبابنا حفظهم الله هو (عدم التفريق بين نظام الحقوق والواجبات، وبين الأحكام المبنية على الفروق التكوينية) وهذا خلل في أساس تناول الأحكام.

إن الإسلام مبني على جملة قوانين أساسية منها أن الحكام تابعة لمصالح ومفاسد العباد ومنها أنها مبنية على الاستطاعة واستحالة التكليف بغير المقدور أو بما لا يطاق.

وكل الإحكام الفارقة بين الرجل والمرأة هي في الحقيقة تمثل العدل واستيفاء الحقوق.

وسأشرح ذلك بإيجاز ثم انقل نصوصًا كاملة لعالم متخصص.

لا شك أن التساوي إجباري في نظام المعرفة والحقوق والواجبات والقيم، ولكن الأحكام ليست جميعها نابعة من نظام الحقوق والواجبات، و إنما قسم منها يتعلق باستطاعة الإنسان نفسه وبنظامه التكويني والبنيوي.

الرجل يختلف عن المرأة في بعض الجوانب الجسدية متمثلة بالفروق الفسلجية والكيمائية الحيوية، وبالتالي الطبيعة التركيبية للعاطفة والعقل عند المرأة المختلف عنها عند الرجل.

مع التأكيد أن اغلب نقاط الاختلاف هي تعقيدات و رقي كبير في فسلجة المرأة وتكوينها البايولوجي.

أن من يحاول دراسة جسم الإنسان طبيا لا يعسر عليه أن يكتشف النظام، الشديد التعقيد، في جسد المرأة الذي يمثل تعقيدات كبيرة وغاية في التطور، كما هي العلاقات بين الهرمونات والوظائف الإنسانية.

وكلنا يعلم بأن الجسد كلما ترقى وتعقد، رق وضعف ذاتيا، لأن التعقيد في الخلقة يتوازى مع الضعف النسبي.

ولكن لا يعني ذلك سرعة التلف بالضرورة فالمرأة وهي اكثر تعقيدا من ناحية بنائية واضعف بنية، ولكنها أقوى إرادة من الرجل، أطول عمرا، واكثر تحملا للظروف المناخية وللمشاكل النفسية، وهي اقل من الرجال تعرضا لأمراض عقلية، بل هناك حقيقة مهمة جدًا وهي أن المرأة مادامت دورة

الحيض عندها مستمرة فلا يمكن أن تصاب بأمراض تصلب الشرايين والسكتة القلبية.

ولهذا لا تبدوا أعراض القلب على النساء إلا بعد سن الخمسين بينما الرجال غير محصنين من المرض حتى بأعمار الزهور.

وهذا يدل على أن من الخطأ إصدار حكم تعميمي مبني على نظرة إلى نقص محدد والبناء عليه، فمن ينظر إلى ضعف المرأة في البنية العضلية ويعتبره نقصا فقد نسي أنها أطول عمرا واصح صحة في القلب والنفس.

فهل يصح أن نقول بأن الرجال ناقصي عقول وناقصي مروءة؟ لأن أعمارهم اقصر ولأنهم يصابون بالإمراض العقلية والنفسية بنسبة أكبر من النساء.

مثل هذه الأحكام مبنية على الخطأ من الأساس.

وهنا سأشرح فرقا واحدا، من أجل أن أبين الفرق في تحليل النظر واترك الباقي لمتخصص يقول كلمته.

نقص العبادة بالنسبة للمرأة، يعتبره الكثير نقصا على المرأة، وهو في الحقيقة لا يعدو أن يكون حكما تابعا للنظام التكويني للمرأة وهو عين العدل في التكليف.

فالمرأة بدورتها النسائية تقوم بأهم شيء في وجودنا وهو بقاء نسلنا جميعا، وبقاء الإنسان على هذا الكوكب، وهذه أعظم مصلحة عند الإنسانية أجمع لا يمكن أن يضحي بها إلا مجنون.

وهذا العمل العظيم الذي تقوم به المرأة والذي يبدأ بمظاهر الدورة الشهرية، يعتبر ميزة وكرامة لها تستحق عليه تغييرا في شكل العبادة مما لا يتعارض مع التكوين السامي للمرأة ولمهمتها.

وعليه فإن من الممكن أن نقول بأن الوضع المؤذي للمرأة لا يسمح بالتكليف الاعتيادي لها من دون إعطائها تكريما لهذه الفترة.

واعظم تكريم لها أن نعترف بأهمية هذه الفترة ونميزها حكمياً من ناحية وأن نجعل الحكم يتوازى مع الواقع بحيث لا يكون تكليفا بما لا يطاق. وهذا قمة التكريم والاعتراف بالتميز.

ولهذا كان نقص العبادة في فترات نسائية مميزة.

فالنظر الواعي يقلِب النيل من الكرامة، إلى تكريم تام وكرامة غير منقوصة.

وهذا لا يتأتى من قراءة تجزيئية بسيطة بل هو وليد قراءة شاملة. فتعبير ناقصات الدين الذي ورد في روايات الآحاد يجب أن يحمل على النقص في التكليف وهو الدين، وهو تكريم لها لأن العبء الذي منع التكليف هو أجل واعظم ما يحمل الإنسان وهو الوجود نفسه.

ولا يصح قراءة النص على أنه مجرد تحقير لمقام المرأة، بل هو بيان للإعفاء من التكليف بسبب أهم من التكليف نفسه وإلا لما أعفيت المرأة من التكليف العظيم.

فهكذا يجب أن نقرأ النصوص بقراءة واعية شاملة، وليس بقراءة سطحية تجزيئية.

وهنا في سبيل أن أحيل الأخوة الأفاضل إلى رأي أحد المتخصصين، وهو المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه– مسائل حرجة في فقه المرأة –الكتاب الثاني– أهلية المرأة لتولي السلطة.

وهو كتاب صغير ولكن بما انه غير متوفر في الأسواق فسأضطر إلى نقل النص المهم المتعلق بالموضوع أحياءِ لذكرى هذا العالم الجليل واستخراجا لكنوز العلم المدفون في الكتب والذي يغفل عنه شبابنا حفظهم اللّه.

وأنا متأكد انه حين يقرأ شبابنا هذا الكلام سيشعر براحة نفسية وأجوبة شافية تريحه من التخبط والشكوك والقراءة الجزئية المبتورة للنصوص.

مسائل حرجة في فقه المرأة

–الكتاب الثاني–

أهلية المرأة لتولي السلطة.

سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

الصفحة ١٢ وما بعدها

موقع المرأة في النظام الإسلامي

إن المرأة في النظام الإسلامي (نظام المعرفة والحقوق والقيم) تتبوأ نفس الموقع الذي يتبوأه الرجل في القيمة الإنسانية والمركز الحقوقي.

وقد دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة الشريفة المتواترة المعنى.

فمما ورد في الكتاب العزيز في هذا الشأن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة)(النساء: من الآية١)

وقوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(آل عمران: من الآية١٩٥)

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)(الاسراء: من الآية٧٠)

ومما ورد من السنة جملة من الروايات نذكر منها:

١- رواية الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

" إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوج المقداد بن الأسود ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب. وإنما زوّجه لتتضع المناكح، وليتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليعلموا أن أكرمهم عند الله اتقاهم". الكافي، الفروع ج٥ ص٣٤٤ ح١

٢- رواية ابن بابويه، في من لا يحضره الفقيه: " المؤمنون بعضهم أكفاء بعض". من لا يحضره الفقيه ج٣،ص٢٤٩، ح١١٨٥

٣- وبهذا المعنى ما روي في سنن أبي داود، ومسند أحمد، وسنن الترمذي، من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " إنما النساء شقائق الرجال". صحيح الجامع الصغير ح ٢٣٢٩

وعلى هذا الأساس أكّد الإسلام أهلية المرأة الكاملة للحياة الروحية والتسامي فيها إلى أعلى المراتب، فأهليتها للتقرب من الله تعالى بالطاعة والعبادة كأهلية الرجل تماما.

وقد ورد التصريح بهذه الحقيقة في القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى: (إِنَّ المسْلِمِينَ وَالمسْلِمَاتِ وَالمؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالمتَصَدِّقِينَ وَالمتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب: ٣٥)

ومنها قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧)

وبهذا أكد طهارتها الذاتية وبراءتها الأصلية في مقابل وصمها بالخطيئة الأصلية، لما نسب إلى السيدة حواء رضوان الله عليها من أنها ارتكبت المعصية الأولى بتناول الثمرة المحرمة، كما شاع ذلك في اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديانات القديمة.

فبين الله تعالى أن مخالفة الإرشاد الإلهي لم تحصل من حواء وحدها بل شاركها فيها زوجها آدم عليه السلام، فنسب المخالفة إليها تارة، وخص بها آدم عليه السلام أخرى.

فقال تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (البقرة: من الآية٣٦).)

وقال تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا)(لأعراف: من الآية٢٠)

فبين أنهما استجابا لداعي الشيطان، ما ترتب على ذلك من عقوبة تمثلت في الأثر الوضعي للمخالفة بإخراجهما من وضع النعمة الإلهية الذي كانا فيه و ببدوّ سوآتهما.

كما أشار القرآن إلى تفرد الرجل (آدم عليه السلام) بالمعصية فقال تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)(طـه: من الآية١٢١)

ولعل نسبة مخالفة الإرشاد إليه وحده، مع عدم انفراده بها، ناشئة من مسئوليته القيادية في الحياة العائلية.

ولعل لذلك منشأ آخر أيضا وهو الإيحاء بالرد على العقيدة الشائعة في اليهودية والنصرانية بأن الشيطان أغوى حواء، فارتكبت معصية النهي الإلهي بعدم الأكل من الشجرة، كما ورد ذلك مفصلاً في بعض فصول التوراة والإنجيل المتداولة.

فما ربما يقال: من أن إفراد الرجل بالذكر في هذه الآية مشعر بمسئوليته القيادية في الحياة مطلقا، لأن إفراده يوحي بأنه اكثر مسؤولية من المرأة وأنها تابعة له ومتأثرة به.

لا وجه له: لما ذكرنا من جهة ولأنه تعالى حملهما المسؤولية معا وعلى نحو الاشتراك.

ثم أن الله تعالى بين ان آدم وزوجه تابا وقبل الله توبتهما، فقال تعالى: (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (لأعراف: ٢٣)

ثم قطع الله دابر كل شبهة في سريان آثار الذنب إلى غير مرتكبه، وبين أن البشر بريئون مما ارتكب أبواهم، فقال تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ١٣٤)

وقد رتب الله تعالى على تأكيد تمتع المرأة بالإنسانية الكاملة وأهليتها الروحية والأخلاقية الكاملة، وطهارتها وبراءتها الكاملة، ووجوب إكرامها واحترامها، وحرَم كل إساءة إليها وتشاؤم فيها. بنتا وأختا وأمّا وزوجة وعضوا في المجتمع.

فحرم الله وأد الأنثى وذم التشاؤم بها و كراهة ولادتها، وسمى ذلك حكما سيئا:

فقال تعالى في شأن الوأد: (وَإِذَا الموْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (التكوير: ٨–٩)

وقال تعالى في شأن التشاؤم بالأنثى، في سياق بيان بعض ملامح ثقافة الشرك والجاهلية وسلوك المشركين: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ.يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (النحل:٥٨-٥٩)

و أوجب إكرام المرأة في المجتمع بقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَم) (الاسراء: من الآية٧٠)

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ) (الحجرات:١١)

وخصص المرأة بأعظم التكريم والرعاية والاحترام، فقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً) (الاحقاف: من الآية١٥)

ورفع المرأة، الزوجة، من مستوى الرقيق، التابعة للزوج، إلى مستوى الشريك الكامل، فقال تعالى من جملة آيات كثيرة: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)(الروم: من الآية٢١) وقال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمعْرُوف)(النساء: من الآية١٩).

لقد بين القرآن الكريم أصول النظرة إلى المرأة في جميع حالات و أصول السلوك تجاهها، وفصلّت السنة ذلك في مئات الروايات التي لا تترك أدنى اثر للشك في مساواة المرأة للرجل في الكرامة، والأهلية، والحقوق.

وقد ترتب على ذلك وضع حقوقي اثبتة الشارع المقدس للمرأة في مجال الأهلية الشخصية (في الولاية على الذات)و الاقتصادية، فأثبت لها الولاية

على نفسها ومالها وعملها حين تبلغ سن التكليف وتكون رشيدة في تصرفاتها.

ولم يجعل لأحد عليها ولاية في شيء إلا في موردين:

أولهما– الأب والجد للأب في شأن الزواج إذا كانت بكرا، على القول الراجح عندنا مقابل قول باستقلالها المطلق وعدم ولايتهما، وهو القول المشهور. وولايتهما – بناء عليها– ليست مطلقة ولا استبدادية ولا استقلالية، بل هي في حدود النظر لمصلحة البنت وبضميمة ولايتهما على نفسه.

المنار يقول: من يقول بولايتهما لا يبطل تصرفها خارج ولايتهما فإذا زوجت نفسها من دون أمرهما لا حق لهما بفسخ العقد.

وثانيهما – الزوج في خصوص ما يتعلق بحقوق الزوجية في مجال الاستمتاع..

وفيما عدا هذين الموردين لا قيد لها، ولا ولاية لأحد عليها.

لقد ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في كل شيء، سوى بعض الموارد التي اختلف فيها وضعها الحقوقي عن الرجل لأسباب موضوعية ناشئة من نفس مجال الاختلاف، ولا طاعة

لها بكرامتها ولا بأهليتها العامة.

وهذه الموارد هي: الشهادة، والميراث، والدية، وحق الطلاق.

ونشرح فيما يلي بإيجاز منشأ الاختلاف في هذه الموارد ليتبين أنه ناشئ من (طبيعة الموارد) وليس من (دونية المرأة).

١- الشهادة

قال الله تعالى(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)(البقرة: من الآية٢٨٢). فقد صرح المفسرون بأن المراد من الضلال هو النسيان كما في مجمع البيان، ولسان الآية لسان التعليل بذلك، فأن قوله

تعالى (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا)(البقرة: من الآية٢٨٢) تعليل لاعتبار التعدد الهادف إلى تذكير في حالة النسيان

ان الشهادة –كما دلت عليه النصوص الشرعية، وحققه الفقهاء– لابد أن تكون عن حس في جملته وفي جميع تفاصيلها، ولا يكفي فيها الاستنتاج والظن.

وهذا يقتضي معايشة مباشرة للأحداث والتصرفات والعلاقات المشهودة عليها، ولا يكفي فيها السماع أو الحضور الآني الحدود.

والمرأة –غالباً– مستغرقة في حياتها العائلية والمنزلية، وشؤونها الخاصة، وقلما تعايش الأحداث والمنازعات والاتفاقات على نحو تكون قادرة على ضبط وقائعها ووعيها، بحيث تكون شهادتها فيها عن (حس) لجميع تفاصيلها وخصوصياتها.

ولو عايشت امرأة حدثاً على هذا النحو، فإن اهتمامات حياتها اليومية ومشاغلها الأساسية في منزلها أسرتها وعلاقاتها الخاصة، إضافة إلى مزاجها الخاص، تؤثر _بالتأكيد–على ذاكرتها ووعيها للوقائع والتفاصيل في موضوع الشهادة.

لهذه الأسباب الموضوعية الناشئة من طبيعة الشهادة،التي تحكم حياة معظم النساء –ولا عبرة بالشذوذ – واحترازاً لحقوق الناس من الضياع اعتبرت الشريعة الإسلامية التعدد في شهادة المرأة، وعدم الإكتفاء بشهادة امرأة واحدة.

ولو شهد رجل عدل في قضية، وكان مصاباً بارتباك يؤثر على ضبطه لخصوصيات الموضوع المشهود عليه، ويعرضه لنسيان بعض التفاصيل والخصوصيات، فإنه لا يصلح للشهادة ولا تكفي شهادته، لهذا العامل الموضوعي لا لنقص في كرامته وأهليته الأصلية.

وقد صرحت الآية المباركة المشرعة لهذا المبدأ القاضي بالاعتبار الموضوعي المقتضي لهذا التشريع في قوله تعالى (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)(البقرة: من الآية٢٨٢) فتتكامل شهادتان باستيفاء جميع عناصر القضية المشهود عليها، وسدّ الثغرات – إن وجدت – في شهادة إحداهما بشهادة الأخرى.

ويؤكد هذا العامل الموضوعي في اعتبار التعدد في شهادة النساء، وعدم نشوء اعتبار التعدد من أي نقص في الكرامة و الأهلية، قبول شهادة المرأة وحدها فيما يختص بشؤون النساء مما لا يطلع عليها –غالباً– سوى المرأة، من قبيل بكارة المرأة و ثيبوبتها وولادتها، والعاهات والعيوب الجنسية في المرأة، وما إلى ذلك من شؤون النساء.

المنار يقول: إن مسألة حضور شاهدين عدلين في كثير من القضايا يعم الرجل أيضا، كالبينة وغيرها. بل هناك ما هو اكثر من ذلك.

وهو شرط الشهود الأربعة في شهادة الزنا وأمثاله.

وحتى في العقود والإيقاعات، فلا يكفي في شهادة الطلاق في مذهب أهل البيت أقل من حضور شاهدين عدلين.

وهذا لا علاقة له لقيمة الشاهد نفسه،وإنما هناك قيمة موضوعية لموضوع الشهادة.

فكما قال المرحوم شمس الدين أن اشتراط الحضور والشهادة الحسية هي تكليف من هو قادر عليها، وأما من لا يكون عادة من الحاضرين لموارد العقود والخلافات، كالنساء، فلا يجب تكليفهم بما لا يطيقون من تحمل عبء الشهادة. وهذا قمة التكريم

فتكليف النساء بتعاضد الشهادة تكريم للمرأة وتقليل من تحميلها المسؤولية مع حفظ كامل حقوقها وحفظ كرامتها.

بل الإكرام لها أن لا تحمل ما تكون عادة قليلة الحضور فيه.

فوجود امرأة ثانية مساندة تذكرها تجعل من المسؤولية الضميرية أقرب للصواب.

وأنا كرجل لا أتمنى أبدا، أن أكون شاهدا مفردا، فهذه مسؤولية لا يتحملها ضميري لإمكان الاشتباه، فاحب أن يذكّرني من حضر معي الحادثة.

وهذا لا ينقص من شأني بل يزيد منه عزة وثقة في الشهادة والحكم.

فلو وجدت نصا شرعيا على مساندة شهادتي بشاهد أكون قد ارتحت ضميريا وزادت كرامتي اكثر لأنني سيصير لي بصيرة من الأمر يختلف عنها تحمل المسؤولية المفردة.

فهذه قراءة أخرى لمسألة الشهادة للمرأة وتكريمها بكون الأحكام الصادرة منها أكثر عصمة بينما لم يطلب الله هذا من الرجل، فهو قد عصم المرأة من الاشتباه بزيادة عدد الشهود في القضايا، ولكن يعصم الرجل من ذلك وجعله في ورطة حقيقية وتكليف كبير وصعب، وهذا بسبب تصديه للحياة الاجتماعية والتواجد أكثر من المرأة.

وبهذا تبين أن فهم السطحيين خاطئ جدًا في تصور وجوب تعاضد شهادة المرأة على أنه نقص من كرامتها بل هو زيادة كرامة وحفظ لها من الخطأ لم يطلب من الرجل. فكل ما عداه من تصور إنما هو الخطأ بعينه.

٢و٣- الميراث والدية:

في الغالب حالات الإرث، ترث البنت نصف نصيب الذكر، كما أن دية المرأة نصف دية الرجل.

وهذا التفاوت ليس ناشئاً من نقص في القيمة الإنسانية للمرأة وكون الرجل اكمل إنسانية منها.

بل هو ناشئ من أن المرأة، بحسب ما قرره الإسلام في الشريعة، تتمتع بامتيازات اقتصادية على مستوى الأسرة لا يتمتع بها الرجل، بل يتحمل الرجل أعباء اقتصادية لا تتحملها المرأة.

فالرجل يتحمل مهر الزوجة، ونفقات العرس، وتأسيس بيت الزوجية وتأثيثه، وينفق على الزوجة وعلى الأولاد، وتقع عليه الأولوية الأولى في النفقة على أبويه إذا كانا فقيرين.

وهذه كلها نفقات واجبة عليه بحسب أحكام الشريعة، ولا يجب على المرأة فيها شيء.

فحصة الرجل في الميراث معّرضة للإنفاق غالباً وليست موضوعاً للإحراز و الادخار،بينما حصة المرأة من الميراث لا تواجه أي عبء مالي إذ لا يجب

عليها كما يجب على الابن والوالد والزوج من النفقة، فما يصل إليها من الميراث هو –غالباً–للادخار والإحراز.

وكذلك الحال في الدية:

فإن فقدان الرجل من الأسرة يفقدها كافلها وعائله بينما لا يسبب فقد الأسرة للمرأة انقطاع موردها الاقتصادية، بل يسبب لها –كما يسبب فقد الرجل أيضا – نكبة عاطفية وخسارة معنوية، وهذا ما لا يقدر بالمال.

فلحظ الشارع في دية الرجل النكبة الاقتصادية بفقده، فجعل ديته على الضعف من دية المرأة، ولاحظ عدم تأثير فقد المرأة على الأسرة من الناحية الاقتصادية غالباً، فجعل ديتها نصف دية الرجل.

فتقدير الدية يخضع لاعتبارات اقتصادية محضة، وأما الاعتبارات الإنسانية والمعنوية والعاطفية، فهي لا تقدر بالمال في الرجل والمرأة على السواء.

المنار يقول:

لا علاقة لمقدار الحصص في الإرث بكرامات الأفراد فالأم اكرم عند الله من الأولاد جميعهم ولكنها لا تأخذ اكثر من السدس مع الأب والأولاد وقد تحجب على ما زاد عن السدس مع الأب والبنت إذا كان له اخوة حاجبون لها وإن كانوا محجوبون بها.

فالبناء في الإرث على حسابات يعلمها الله ولكن نرى أن الرجل اكثر حصة إذا اجتمع مع المرأة وهذا ما يرجح كون الولاية الاقتصادية لها دخالة في التوزيع كما قال الشيخ رحمه الله.

و أما البناء في الدية فعلى ما قاله الشيخ، ويمكن إضافة أمر دقيق وهو أن الأحكام تتبع الغالب، والغالب في القتل هو للرجال بحيث قد تكون النسبة واحد إلى عشرة، وهذا يعني أن الدية التي هي كعقوبة وكغرامة تكون اكبر كلما كان موضع العرض للجريمة أكبر من أجل زيادة الردع.

– الطلاق:

جعل الإسلام سلطة الطلاق والولاية عليه بيد الزوج.

وهذا ليس لأن الرجل أكمل إنسانية من المرأة، أو لأن له ولاية أصلية عليها، بل لأن الطلاق إجراء خطير جدًا حيث انه يحلّ كيان الأسرة ويحرر الزوجين من علاقتهما الزوجية ،وهو إجراء كريه مذموم في الشريعة الإسلامية. في غير حالات الضرورة التي لا ينفع فيها علاج ولا ينجح فيها إصلاح ينقذ الأسرة من التفكك، ويخلص أفرادها من الشقاء.

وطبيعة مؤسسة الأسرة، ودرجة مسؤولية الزوج فيها وعنها من جهة، وطبيعة الخلافات الزوجية التي تؤدي إلى الطلاق، تقضيان بجعل الطلاق من صلاحيات الزوج دون الزوجة.

فإن جميع الفروض العقلية في سلطة الطلاق –عدا كونها بيد الزوج– فروض بيّنة الفساد، تعرّض دائماً الأسرة لخطر التفكيك، أو تخلق أوضاع لا يمكن التغلب فيها على المشاكل ولا يمكن التوصل فيها إلى حل سليم.

فإن الفروض العقلية لسلطة الطلاق منحصرة في الصور التالية :-

١- إما تجعل سلطة الطلاق للزوج فقط على نحو الاستقلال- في حالة عدم وجود شروط في العقد يقيّد هذه السلطة- وهذا ما قررته الشريعة الإسلامية.

٢- أن تجعل سلطة الطلاق للزوجة فقط على نحو الاستقلال.

٣- أن تجعل سلطة الطلاق للزوج والزوجة، إما بشرط اتفاقهما، أو بأن تكون لكل واحد منهما سلطة إيقاع الطلاق على نحو الاستقلال.

٤- أن لا يكون لأي منهما سلطة إجراء الطلاق، بل تكون لطرف ثالث وهو المحكمة.

أن فحص جميع هذه الفروض يكشف عن أن ماعدا الفرض الأول – وهو ما قررته الشريعة الإسلامية- بيّنة الفساد و تعرّض الأسرة إلى أخطار الانحلال من دون مبرر حقيقي لذلك، أو الاضطراب.

و لا يحل مشكلة الزوج أو الزوجة أو هما معاً عندما تتوتر العلاقات بينهما وتقع الخصومات لأسباب مسلكية،أو سبب خارج عن إرادتهما كالعقم أو المرض أو العجز الجنسي مثلاً.

ونحلل فيما يلي هذه الفروض لنرى درجة صلاحية أي منها ليكون بديلا عما قررته الشريعة الإسلامية:

١- أما فرض جعل سلطة الطلاق للمرأة فقط على نحو الاستقلال، فيتوقف صلاحه على المرأة المؤهلة لذلك من الناحية النفسية والعاطفية من جهة وعلى مدى مساهمتها الاقتصادية في إنشاء كيان الأسرة وديمومتها من جهة أخرى.

أ- أما بالنسبة إلى العامل النفسي -العاطفي، فإن التكوين النفسي والعاطفي للمرأة يجعلها شديدة التأثير والانفعال بالمثيرات العاطفية والنفسية، سريعة الاستجابة إلى ما تقتضيه هذه المثيرات من ردود أفعال سلبية أو إيجابية.

وهذه خاصة من خواص الحالة النفسية للمرأة تعتبر فضيلة لها وعنصر من عناصر التكامل والعافية في شخصيتها إذا كان مجال فعلها في الأسرة الأبوية والزوجية، لأنها في هذين المجالين عنصر من عناصر التلاحم والتوحيد و الاستقرار.

أما في مجال السلطة على تفكيك المؤسسة الزوجية وحلها، فإن هذه الخاصة النفسية تكون عاملاَ سلبيا ضاراَ يهدد الأسرة دائماَ بالتفكك والانحلال، لأن سرعة التأثر العاطفي والانفعال النفسي تدفع بالمرأة إلى الاستجابة باستخدام سلطة الطلاق عند أي خلاف بينها وبين زوجها

وقد أثبتت الدراسات الميدانية والاحصاءات هذه الحقيقة في المجتمعات التي أعطت المرأة سلطة الطلاق.

ب– وأما بالنسبة للعامل الاقتصادي من حيث ما يستلزمه تكوين الأسرة وديمومتها من تكاليف مالية واقتصادية، فإن الزوج هو الذي يدفع المهر إلى

الزوجة، وهو الذي يدفع نفقات العرس والزفاف، وهو الذي يشتر أو يستأجر بيت الزوجية ويؤثثه، وهو الذي ينفق على الزوجة والأولاد، ويدفع نفقة الزوجة أثناء عدتها بعد الطلاق. والزوجة هي المستفيد من كل ذلك.

فجعل سلطة الطلاق للزوجة على نحو الاستقلال، يسلطها على التصرف بتدمير مؤسسة لم تتحمل في تكوينها وديمومتها أية نفقات، ويعرض الزوج لنكبة اقتصادية قد تحرمه جني عمره من دون أن يكون له أدنى رأي في ذلك.

بينما تتمكن الزوجة – باستعمالها لسلطة الطلاق– من استغلال تحررها من علاقتها الزوجية بالاقتران بزوج جديد بمهر وبيت ونفقة، في حين يواجه الزوج – المطلَّق – إذا أراد تأسيس حياة زوجية جديدة، مسئولية بذل نفقات جديدة على مهر وعرس وبيت زوجية.

٢– و أما فرض جعل سلطة الطلاق لكل من الزوج والزوجة:

أ. فإن كان بشرط اتفاقهما، فإنه يجعل الطلاق شبه مستحيل حتى في الحالات التي تقضي الضرورة بإيقاعه فيها، بل انه يدخل عنصرا جديدا في الخصومة بين الزوجين زائدا على الخلاف حول طبيعة العلاقة الزوجية.

وهو الخلاف على إيقاع الطلاق وعدمه، فيتربص أحدهما بالآخر، والمتوقع في هذا الفرض لأن تسيطر روح النكاية والانتقام والحقد بينهما فينقض أحدهما ما يبرمه الآخر، وتزداد بذلك الحياة الزوجية شقاء، وإذا كان ثمة أولاد فإنهم ينشئون في جو أكثر فسادا وشرا.

ب. وإن كان لا بشرط اتفاقهما، فإن مفاسد استقلال المرأة بالطلاق في هذه الحالة هي بعينها ما ذكرناه في الفرض الأول.

وقد يدفع جعل سلطة الطلاق على هذا النحو بالزوج إلى المبادرة بالطلاق خشية أن تبادر الزوجة إلى ذلك قبله.

هذا مضافا إلى نشوء حالة الحذر والتربص عند كل منهما تجاه الآخر.

٣- و أما فرض جعل سلطة الطلاق بيد طرف ثالث هو المحكمة، فإنه يتسبب في مفاسد كثيرة من دون أن يحصن الحياة الزوجية، ومن دون أن يشكّل حماية للزوجة.

إن هذا الفرض يجعل أسرار الحياة الزوجية الجنسية وغيرها، وخصوصيات الزوجين الجنسية وغيرها، عرضة للهتك والتداول بين الناس، وما أكثر ما تتحوّل الاتهامات إلى حقائق تمس شرف المرأة وعفتها، وشرف الرجل وعفته، فيستعصي الإشكال البسيط على المعالجة، وينتهي الأمر بتعميق المشكلة، وهو ما يؤدي غالبا إما إلى الطلاق وإما إلى شلّ الحياة الزوجية وتعطيلها.

وفي احسن الحالات فإن المحكمة تباشر قضية الطلاق من دون تحسس بأبعادها في علاقات الزوجة والزوج، بل باعتبارها موضوعاً قانونيا بحتاً.

وغالبا ما تنتهي دعاوى الطلاق بالطلاق أو شل الحياة الزوجية، ونادرا ما ينتهي بعودة الوفاق حيث يمكن ذلك أو بإيقاع الطلاق حيث يتعيّن ذلك.

٤- بعد هذا العرض تبيّن أن أسلم الفروض و أبعدها من المفاسد وأوفقها بمصلحة الزوجين والأسرة، هو جعل سلطة الطلاق بيد الزوج على نحو الاستقلال، مع تقييده بأن يقع في طهر لم يواقعها فيه، وأمام شاهدين عادلين (على مذهب الإمامية) وعدم البينونة الكاملة بمجرد إيقاع الطلاق، بل لا بد من أن تعتد المطلقة بثلاث حيضات في بيت الزوجية، تحت سمع الزوج وبصره، وهو ما يحمل الزوج على إعادة النظر في موقفه من زوجته، وربما يدفعه إلى مراجعتها وإعادة العلقة الزوجية إلى عافيتها.

إن هذا الفرض هو الأليق بقدسية العلاقة الزوجية وخصوصيتها، وبكرامة الزوجين وأولادهما وسمعة الجميع في المجتمع.

إمكانية ولاية الزوجة على الطلاق:

على أن الاجتهاد الفقهي قد أدى إلى اكتشاف صيغة لإنشاء علاقة زوجية تتمكن الزوجة فيها أن تجعل لنفسها الولاية على طلاق نفسها، وذلك استنادا إلى إطلاق أدلة الشروط الدالة على مشروعية الاشتراط وإلزامية الشرط للمشروط عليه، إذا لم يكن الشرط مخالفا للكتاب والسنة.

فللمرأة – بمقتضى هذا الاجتهاد– أن تشترط لنفسها– في عقد الزواج – الوكالة عن الزوج في إيقاع طلاق نفسها منه عندما يخلّ بالتزاماته نحوها، أو يحدث بينهما خلاف يتعذر رفعه.

ونحن نذهب إلى صحة هذا الشرط ونفاذه، وقد أفتى بذلك كبار الفقهاء، نذكر منهم أستاذنا المعظم الخوئي رضوان الله تعالى عليه.

فقد أفتى في هذه المسألة بقوله:

" كما يجوز أن تشترط الوكالة على طلاق نفسها عند ارتكابه بعض الأمور: من سفر طويل، أو جريمة موجبة لحبسه، أو غير ذلك. فتكون حينئذ وكيلة على طلاق نفسها، ولا يجوز له عزلها. فإذا طلقت نفسها صح طلاقها"

ولا يرد: على ولاية الزوجة على الطلاق عن طريق الاشتراط ما أوردناه على فرض استقلال الزوجة بالولاية على الطلاق عن طريق التشريع الأصلي.

لأن: الزوج في مقامنا يتناول ولايته على الطلاق بتفويض الزوجة، وهو قد أعطاها هذه السلطة طوعا وعن وعي منه.

خلاصة:

استطردنا هذه الإستثناءآت لنثبت أن اختلاف الوضع الحقوقي للمرأة عن الرجل في الشهادة والميراث والدية والطلاق، ناشئ من أسباب موضوعية تتصل بالمركز الاقتصادي – الاجتماعي للمرأة، وبطبيعة العلاقة الزوجية ومؤسسة الأسرة، ولا تعبر عن نقص في كرامتها التي اعتبرها الشارع مساوية

لكرامة الرجل، وأهليتها العامة التي أعتبرها الشارع مساوية لكرامة الرجل، وأهليتها العامة التي اعتبرها الشارع مساوية لأهلية الرجل.

انتهى ما عرضه المرحوم العلامة الشيخ مهدي شمس الدين قدس الله نفسه.

يقول **المنار**:

أن المرحوم شمس الدين له خبرات كبيرة جدا، لأنه مسؤول كبير عن العلاقات الاجتماعية والقضائية، وقد نطق بخبرة واسعة وهنا لي بعض التعليقات الصغيرة حتى لا نؤثر على ما قاله الشيخ.

١- لا شك أن الطلاق ليس ميزة حتى يطالب أي شخص بأن يكون الحق بيده لأنه عمل كريه.

فإعفاء الشرع للمرأة من هذا الأمر –جزئيا- كأنه تكريم لها أجل تكريم، حيث طهّر يدها من مسؤولية هدم الأسرة وتحطيم العلاقة الزوجية.

ولم يكن الأمر تكريما للرجل بقدر ما هو مسؤولية صعبة فالمطالبة بحق الطلاق لأي أحد إنما هو مطالبة بحق هدم الأسر وهذه مطالبة قبيحة على كل حال.

فلهذا فإن أصل الموضوع فيه خطأ في الفهم، فليس الحق في فسخ روابط الأسرة حق سهل أو حق مشرّف حتى يطالب به من يسمي نفسه من أنصار المرأة زورا.

ومع أن حق الطلاق بيد الزوج فإن الطلاق ليس مطلق بدون شروط، فالطلاق التعسفي منهي عنه شرعا لأنه ظلم والطلاق بدون توفر الشروط باطل والشروط كما قال الشيخ شمس الدين أنفا تعطي فرصة للتأخير وإعادة النظر.

مع كل هذا فقد اغفل الشيخ رحمه الله قضية في غاية الأهمية، وهي ان حسب مذهب أهل البيت فإن الطلاق بيد الرجل في حال تقدير ضرر العلاقة بين الزوجين، ولكن في حال الضرر على الزوجة أو النفور الزائد منها له أحكام تعطي المرأة الحق في طلب الطلاق إما من الزوج ويسمى المخالعة وهذا

طلاق بائن تبذل فيه الزوجة للزوج ما يقابل منافعه من أجل طلاقها لحل مشكلة اقتصاد الأسرة وما يتبعها من تعقيدات.

وهناك طلاق آخر من حق المرأة أن تطلبه وهو طلاق الحاكم الشرعي، وهو بأن تبين الزوجة مقدار الضرر اللاحق بها من الزوج فيقدر الحاكم بدينه وتقواه ما يجب فعله فإذا رأى أن الشكوى لها وجه، فيطلق الزوجة رغم انف الزوج المعاند والضار بزوجته. فلا يوجد ما يسمى بفقد الزوجة لأي سلطة على تطليق نفسها من زوجها إذا كان الزواج مضرا بها.

ولهذا فإن الدعوات بوضع الطلاق بيد الزوجة هي دعوات غير واعية لواقع التشريع ولا تدري ما تقول.

٢. هناك ملاحظة مهمة حول طليق المحكمة: لقد أخذت بعض المحاكم في العالم الإسلامي من فقه أهل البيت (عليهم السلام) جواز طلب التفريق

القضائي، ولكنهم أسرفوا في القبول، و أنا شخصيا لي معرفة دقيقة في هذا الأمر، وقد كان فيه من الأمور التي لاحظتها عدة أمور خطيرة منها:

الكذب في الادعاءات المتبادلة، مما يفقد احترام المحكمة لهذه الأسرة.

ومنها كشف الستر عن المستور من العلاقات الزوجية بما يسيء إلى سمعة الأسرة أبناءً وآباء وأقارب.

ومنها تزايد العداوة وطولها الشديد مما يؤدي إلى شبه جرائم واقعة فعلا ومشخصة قانونيا، وتزايد العداوة ليس أمرا هينا في المجتمعات المحافظة، بينما إيقاع الطلاق من قبل الزوج حين الاقتناع بوجوب فسخ العلاقة يسهل الأمر ويلغي العداوة، ولعل من أسباب العداوة هو أن الطلب من المحكمة يقتضي تأخير الحكم لأقصى حد ممكن وهذا ما يساعد على تأجيل الخلاف وكثرة تناقل الوشاية بين الطرفين ونشر الأساليب العدائية، ولعل من أسباب العداوة هو أن طلب التفريق في الغالب يكون بين زوجين غير مجتمعين في

بيت الزوجية بخلاف حالة الطلاق فإنهما حتى بعد الطلاق لا يجوز إخراج الزوجة من بيت زوجها إلا بعد انقضاء عدتها مع بقاء الطلاق متزلزلا (طلاق رجعي) بحيث يحق لهما الرجوع حين يرغبا من دون حاجة لشيء. والطلاق بهذا الشكل منضبط بعدد معين لا يجوز تجاوزه.

٣–عندي ملاحظة على شرط الوكالة على الطلاق في العقد، وهذا بحسب الموازين الفقهية أمر لا مانع منه، وهو مستخدم في محاكم إيران، ولكنني افضّل أن يكون مشروطا بأمور تصدر من الزوج كما وضّح السيد الخوئي رحمه الله، وليس بشكل مطلق كما يفعل بعض الايرانيين، وبتطبيق هذا الأمر انكشف الخلل الكبير في إعطاء الزوجة حرية اتخاذ قرار الطلاق، فقد بلغني بأن هناك بعض الأزواج الذين مَنَحوا الوكالة بالطلاق لزوجاتهم بشكل مطلق غير مشروط بتقصير منه، يعيش حالة من القلق المخل بنظام الأسرة وضعف إدارة الأسرة مما يؤدي إلى اعتبارها مؤسسة فاشلة ومعرضة للزعزعة، وهذا

خلاف ما يريده الشرع من استقرار واستدامة للأسرة، ولهذا فإن إعطاء الوكالة لا بد أن يكون مشروطا بحالات التقصير والقصور كالسفر الطويل والحبس وارتكاب الجرائم والتقصير المالي المتعمد أو التقصير في الفراش المتعمد. وهذا من أجل أن لا يهتز التلاحم الأسري لمجرد نزاعات عاطفية وزعل آني. كما حدث في إيران حيث حدثني بذلك بعض الثقات عن بعض الحالات التي وقعت، وعلى كل حال فليس من حق المرأة بعد هذا الشرط أن تقول أنها لا تملك في الشرع الإسلامي قرار الطلاق منفصلا عن الزوج بل هو نوع من أنواع تمليك القرار ولكن بالاتفاق والتشارط مع الزوج نفسه.

وهنا يجب التنبيه إلى أن إعطاء الوكالة لا يعني فقد الزوج لقرار الطلاق و إنما هما مالكان للطلاق كل على حدة، بدون نقص من ملكية قرار الزوج للطلاق. هذا بعض ما أردت التعليق عليه.

تأملات في طبيعة المعجزة

وشخصية الرسول الأكرم

في سكرة التأملات العميقة، حاولت أن أتعمّق في مفهوم المعجزة، عسى أن ينشرح قلبي.

كلنا بحاجة إلى تعمّق وقناعة في هذا المفهوم. صغيرنا و كبيرنا.

لماذا؟

لأنه احد أسس ديننا الحنيف لكونه مرتكز التصديق بالنبوة والرسالة، و بدونه تخرب الديانة من ناحية عقلية وشرعية.

رهيب...

هذا موضوع مخيف للغاية ونحن نغفل عنه؟

لماذا نغفل؟

لا اعرف سرا لغفلتنا عنه إلا لأننا أمنا فطريا بالله ورسوله، ولم نحتج إلى المعجز ليثبت لنا صدق الرسالة. هذه نظرة ابتدائية قد تكتنز معرفة حقة.

ولكن هل يكفي الإيمان الفطري؟

العلماء يقولون: لا يكفي؟ فإن دعوى النبوة غير كافية ما لم يصاحبها معجز يثبتها.

فماذا نفعل؟

يجيبني عقلي الداخلي: لم أنت منزعج، فقد حدثت المعجزة أمام أسلافنا وأقنعتهم ونحن نروي قناعتهم لقناعتنا بهم وبما شاهدوه.

هذا كلام سليم.

ولكنه لا يرضي علماءَ الكلام ولا المحققين الذي يقولون أن العقيدة أمر شخصي وجداني، يجب أن يعتقدها الشخص بالدليل.

واختلفوا في حجم الدليل بين الإجمال وبين التفصيل. ولكن للأسف كلها تبتني على أساس مهم، وهو صدق الرسالة، وهذه مبنية على إدّعاء الرسالة والمعجز المساند لها فتثبت الرسالة. فرجعنا من حيث ابتدئنا.

قلت في نفسي يجب أن نقوم ببحثين منفصلين لا علاقة لأحدها بالأخر حتى نخلص من هذه الدوامة.

البحث الأول: ما مدى تأثير المعجزة على إسلام المسلمين الأوائل؟

الثاني: كيف نصوّر المعجزة في هذا الوقت بعيدا عن مشاهدة المعجزة التي حصلت في ذلك الوقت؟

إذن لا نبحث فيما يبحث به الناس عن المعجزة وطبيعتها الذاتية وهل هي خرق العادة أم المفاجئة أم بحصر المصدر بالغيب؟

وهل المعجزة في العلم أم في الكلام أم في الأفعال؟

وهل المعجزة في تحريك الشجرة أم المعجزة في القران؟

وما هي طبيعة إعجاز القرآن؟ هل هو الصرفة أم النظم أم المعنى أم السر الحرفي أم الأعداد والقيم الحسابية المعقدة؟

هذه بحوث جليلة وعظيمة ولكن يشوبها شائبة التعقيد وهي لا تناسب المسلم العادي.

فهل المعجز وجد للعلماء فقط أم للجميع؟

لهذا نحاول أن نفهم القضية بأسلوب آخر.

نأتي إلى البحث الأول: ما مدى تأثير المعجزة على إسلام المسلمين الأوائل؟

سيرعب الإنسان حين يكتشف بأن الإسلام لم يبنى على المعجزة وإنما بني على القناعة القلبية التي تفوق المعجزة ،

وسأبيّن الحال باختصار:

لو جردنا السيرة النبوية لوجدنا أن اغلب من طلب المعجز من رسول الله ص لم يؤمن به.. ولكن من آمن به لم يطلب المعجز.

فعلي بن أبي طالب آمن بالإسلام وكذا خديجة لمجرد أن سمعوا من الرسول النبوءة، والسبب واضح هو شخصية الرسول النزيهة التي يعرفونها حق المعرفة. وهذا حدث مع كل الصحابة الأجلاء المقداد وأبي ذر وزيد وعمار وحمزة وأبي طالب و..و..و.. الخ.

وأبو جهل وأبو سفيان وغيره من زبانية جهنم، طلبوا المعجز مرارا، فعمل لهم الرسول المعجز فيقولون ساحر وكبير السحرة.! ومن ادعى منهم الإيمان فهو نتيجة الهزيمة العسكرية وليس للإيمان نفسه.

إذن المعجزة لم تكن –بحدود ما درسنا من واقع– هي السبب في إيمان أعظم المسلمين، ولم تكن لتغيّر كفر الكافرين.

أليست هذه معضلة؟ ما الحقيقة إذن؟

يا إلهي أنر قلبي بشمس الحقيقة (هذا هو دعاء كل مخلص حين يرى هذه المشكلة، حيث لا يدي هل كلام أهل العقيدة صحيح أم هذا الواقع هو الصحيح).

جوابي الجازم هو: أن كُلَ الرسولِ صلى الله عليه وآله معجزٌ. فلهذا تاه علينا المعجز.

هذا فتحٌ قلبيٌ يجب أن نوضحه.

دعونا نتسائل: حين آمن علي (ع) بالرسول هل قال له كيف تثبت هذا؟

لا أبدا

وكذا جميع من عرفناهم من مخلصي صحابة رسول الله

لماذا كان منهم هذا التصرف؟

لأن نفس الرسول كان اشراقة نورانية على قلوبهم فلم يحتاجوا لمثل هذا السؤال.

إذن هنا فاعل عظيم وقابل كريم والبحث في الفاعل وفي القابل. ولكنه بحث يطول نتركه لتأملات المشاركين. فأين أهل النظر بعين الله التي لا تنام ليدلونا الطريق فأجيبوا داعي الله

وحاولوا أن تفكروا في الجواب الذي يحاول معرفة سر عدم إيمان من طلب المعجز. ومن آمن لم يطلبه؟

وهلموا إلى أسرار أخرى

حلوة وعذبة وسلسة.

وهنا نأتي إلى البحث الثاني: كيف نصوّر المعجزة في هذا الوقت بعيدا عن مشاهدة المعجزة التي حصلت في ذلك الوقت؟

من خلال ما تقدم ننتقل من الماضي إلى الحاضر.

يقول النصارى أنكم تدعون إن القرآن معجزة، فنقول لو سلمنا انه معجز لأهل العربية فكيف يكون معجزا لغيرهم حين لا يرون فيه أي ميزة وقد ترجم إلى عدة لغات فلم يكن ذا شأن أدبي عند الشعوب حتى المسلمين منهم.

يقول اليهود والنصارى إنكم تقولون بنفي ديانتنا لأن ديانتكم معجزتها متجددة و معجزتنا قد انتهت. فما تجيبون لو قيل لكم أن معجزتكم القرآن أصبحت محدودة بكم ومع ظهور تيارات الحداثوية أصبح القرآن متناقضا وليس بمعجز.

هل عندكم جواب يا أحبابي أم توافقون اليهود والنصارى على ما يقولون.

اليوم علينا تكّوين منظور فكري لدراسة طبيعة ما نراه فعلا من معجزة.

و الإضاءة الحقيقية جاءت من حياة الرسول ص حيث لم يحتج المؤمن إلى معجز ولم ينتفع الكافر والمنافق بالمعجز.

لنأتي ونفكر من جهة القابل أولا :

الفاعل الفياض بأي صورة كان فيضه سواء (علما أو بهجة أو وجودا) يعرفه كل من كبرت قابليته على اختزان فيضه.

فكما يقال كلما كبر الماعون زادت سعة الخزين من فيض الرحمة والمطر.

فالقابل له دخل كبير.. فسليم القلب يستوعب الفيض {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} ومن شدة استغراقه بالنور يتحول هو إلى نور {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٢) سورة الحديد.

ومظلم القلب لا ينتفع من النور كما تشير الآيات الكريم {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ} (١٧) سورة البقرة

وهنا سؤال مهم.

كيف نقتنع برسالة السماء؟

هل نقتنع فقط بالمعجز الآني؟

حسب تأملي بما حدث مع الرسول الجواب: لا.

القناعة نتيجة شبكة مترابطة من المعلومات، ولكنها ترتبط بالشخص المنتج للمعلومات ارتباطا وثيقا نتيجة سلوكه وفكره.

علينا أن ندرس جوانب المعجزة في شخص الرسول قبل أن ندرسها في القرآن الكريم وغيره. نعم ندرس معجزة الرسول في ما نقل أو فيما أنتج.

الإنسان ابن محيطه في كل شيء، في الثقافة وفي الحياة وفي القيم وفي الأحكام وفي المظهر... الخ

فإذا وجدنا أن إنسانا فاق محيطه وزمانه بشكل خارق كان هو المعجزة بحد ذاته، وإذا بقي التفوق له إلى الزمن الذي نحن فيه فهو معجزة حقيقة لحد الآن.

وهكذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وآله معجزة متحركة

ابن صحراء قاحلة.. لا علم فيها.. لا تقدم حضاري.. لا قيم أخلاقية.. لا اقتصاد... لا إدارة....إلخ

نراقبه.. نراقب كلماته.. نراقب إنتاجه.. نجده متفوقا في كل شيء

ما من علم إلا وله فيه كلمة صحيحة لم يبطلها علم

ما من فن إلا وله فيه كلمة صحيحة تهدي مسراه

القانون كله قد انبثق منه فجأة

الشريعة المعقدة سالت من بين أصابعه الشريفة

الحكمة تعدت حدود البشرية حيث عجز الناقلون عن نقل جميع حكمته

الإيمان ومراتبه فقد أعجز من جاء بعده في بلوغه

الصفات النفسية العظيمة لا مثيل لها فهي من أقصى الكرم والرأفة إلى أقصى الشدة في ذات الله.

إن من يدرس ما أثر عن الرسول ليدهش من اختراقه لحواجز الزمان والمكان.

إنها الرؤية الثاقبة لما وراء الحجب، حيث يرى المستقبل كما يرى الحاضر، ويرى الباطن كما يرى الظاهر. ويرى الخفي كما يرى الجلي، فلا علم يعتب عليه بعدم المرور، ولا فن من فنون الرقي هرب من لمساته الشريفة.

عجيب.. عجيب هذا الرجل العجيب.

إنه اغرب من الخيال.

لا يستطيع أن يفلت منه شيء!

والأعجب من هذا انه علّم بعض صحبه منطق العقل ومساره الصحيح.

وورثناه.

وعرفنا بهذا المنطق العظيم كيف نميّز بين الحق والباطل فطريا. ولولا هذه الوراثة العظيمة لكنا الآن وهابية مجسمة نشرك الله ونصيح نحن أهل السنة بينما أهل السنة موحدون، وهؤلاء مشركون، ولكن لأن خللا بالمنطق حاق بهم فجعلهم يرون الشرك إسلاما والإسلام شركًا.

سبحانك اللهم ما أعظمك وأعظم صنعك بهذا المخلوق المقدس.

لقد تعلمنا منه أن نميّز بين الصادق في دعواه والكاذب.

ولهذا لم يحتج أبونا أمير المؤمنين عليه السلام للمعجز لأنه يعيش مع المعجزة المتحركة التي تطوي الأشياء كطي السجل.

فلا تخونه معرفة ولا تفوته حادثة، ولو استشرف على التاريخ من طرفيه لحصل على ما يريد

فمن كان مع المعجز وهو يرى ويفهم المعجز فلا يطلب المعجز، ومن كان أعمى لا يرى المعجز وهو معه وهو يطلب المعجز دائما، فلا ينفعه إعجاز.

مفارقة جميلة

حين اقرأ القرآن الكريم ينتابني شعور مزدوج.

اشعر بأنني أمام كلام عظيم

اشعر بأنني أمام رسول معجزة أوصل لنا هذا الكلام المعجز.

إن إيماني بتنوع القرآن وعظيم صنعته يربطني بالنبي محمد ص بعكس الكثير من المسلمين. الذين يخافون الربط بين القرآن والنبي محمد. لأنهم يعتقدون بأن الربط قد يوحي باختلاق النبي للقرآن.

رباه ما هذا الجهل؟

أ يعقل أن كتابا يعجز عنه البشر من حيث التنوع يمكن أن ينتحله شخص إنساني؟

فإذا كان نفس الشخص معجزة فيستحيل أن يكون الكتاب منه لأن كونه معجزة فهو مرتبط بمن أعطى المعجزة وبالتالي فالقرآن معجزة وهو معجزة خارج قدرات البشر. فهما من سنخ واحد، فكيف يمكن القول بأنه مخلوق له. هذا جهل فضيع.

القرآن يهديني للرسول لأن كل حرف فيه هو الرسول.

الرسول يهديني للقرآن لأنني كلما أردت الرسول أجده في القرآن. وهو مفتاح أقفال القرآن والقرآن وجه من وجوهه النبرة.

هذه معادلات سهلة

ولكن هل القرآن يفقد معجزته بتغيير اللغة كما يقولون.

لو كانت المعجزة لغوية لقلنا لهم معكم الحق.

ولكن المعجزة هي المعرفة المترامية الأطراف التي تقنع كل عاقل به بدون أن يطلب معجزة. فضلا عن أن القران لسان وليس لغة.

القرآن مثل الرسول والرسول مثل القرآن

طريقتهما إقناع القلوب المشرقة وتحريك الأجسام الخامدة.

من دون التفكير بالمعجز

وهذه هي المعجزة بحد ذاتها

حين تقرأ القرآن يقنعك بوحدانية الله وبعلم الله ويوم الحساب وبأمور كثيرة هي جوهر دين الإسلام ببراهين تدخل القلب.

تنطبع في قلبك كل الحجج حتى لو كنت كافرا به.

إنها لغة تسيطر على العقل لتعطي أربعة جمل أو خمسة أساسية.. منها: (الله واحد) (الرسول حقيقية) (الإيمان طريق النجاة في الآخرة) وهكذا.

هذه العناوين يقتنع بها كل من يقرأ القرآن بقلب سليم.

ومن لا يؤمن بها.. فهذا لو نزل عليه جبريل عليه السلام وأجرى له المعجزة لقال أنها سحر ويخاف من الدخول في الإيمان لأنه يعتقده سحرا.

أليس معجزا أن تكون القناعة عن طريق القلب وليس عن طريق المعجز، وهي متعلقة بأمر خطير يحتاج إلى معجز لإثبات صدق الدعوى.

إن إثبات صدق الرسول والرسالة يحتاج إلى معجز وإلى آيات ولكن من يقرأ القرآن لا يحتاج للقناعة إلى معجز، أنه كتاب يدخل الجوانب الخفية من العقل ليبرم بإحكام كل عرى الإيمان ويجعلها في نقطة مضيئة ودائمة في عقل

الإنسان. ولهذا دائما نفكر بأن دليل إعجاز القرآن نفسه هو قوته في الإقناع وقبوله عن قارئ سليم القلب والسريرة.

فالقرآن يفعل بنا نفس فعل الرسول بعلي بن أبي طالب وأبي ذر وسلمان وحذيفة وكل المؤمنين الذين لم يطلبوا برهانا لأنهم حصلوا على البرهان قبل النطق بالقضية. وهكذا القرآن يحمل صدقه معه ويحمل قدرته معه.

إن متشابهات القرآن مصدر تخريب للقرآن بيد المخربين، ولكن القرآن نفسه حمى نفسه بنفسه من هذا المعول. حيث لا يصح الجمع بين المتشابهات (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) هذه حصانة اسقطت كل التلاعب بالقرآن

إن من يفهم هذه الآية المباركة يدرك أن جميع من يريد تخريب القرآن إنما يقوم بالجمع بين المتشابهات والقرآن قد شخص هذه الحالة. وقال إن

استخدامها لا ينفع. وهو زيغ وفتنة وتأويل الكتاب بالباطل. وليس لهم القيامة به، فتأويله عند أولي الرسوخ الذين يفهمون التشابه.

هذه عصمة للقرآن بحيث أنه يستبطن رد كل ما قالوه عنه بجملة واحدة.

فلا راد للقرآن مطلقا.

وكل من يدعي الرد فهو قد جمع المتشابهات وهذه محسومة مسبقا. والنتيجة السقوط. ولا يوجد أبدا غير ذلك.

وهذا هو ما أجاب به مولانا الحسن العسكري ع للفيلسوف الكندي الذي مزق كتابه من كلمة صغيره قالها الإمام له مفادها: إن من يجمع بين المتشابهات ليس بناقض وهو ليس بعالم.

وهذا الجواب من القرآن نفسه.

إنها حصانة عجيبة تحمي الكتاب بكامله. هل هناك كتاب يحمي نفسه بهذا المستوى؟

إذن المعجز اليوم هو نفسه المعجز في زمن الرسول ص.لأنه نفس الطبيعة ونفس المسلك.

هو السيطرة على العقل الواعي لإنتاج قضايا دينية تسيطر علينا.

ومن هنا كانت خطورة القرآن.

إن التلاعب بالمتشابهات هو أعظم عدو لكتاب الله وهو التحريف الحقيقي الذي يقوم به المجرمون من سلفية وغيرهم.

ولهذا علينا أن نصادق القرآن الكريم، ونشرب من منهله العذب لأنه هو نفس رسول الله ص في الطبيعية العقلية التي جعلت علياً يؤمن إلى درجة ما

بعد اليقين فعلينا أن نستنطقه ليجعلنا نصل إلى رتبة اليقين. وعلينا أن نخضع له لا أن نطوّعه حسب أهوائنا باستخدام ما تشابه منه.

هذه تأملات بسيطة وغير مرتبة ولكنها ضرورية في بابها. ولا تقف التأملات عند هذا الحد ولكننا نقف عند حد الملل للقارئ الكريم.

أتمنى على الأحبة الكرام من أحباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفكروا و يستنتجوا و يبدعوا الأفكار، من أجل الربط بين حقيقة المعجزة في حياة الرسول ص وبين إيماننا بمعجزة الإسلام الخالدة.

وبقية البحث على أحباب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

تأملات في زيارة وارث

طلب مني احد الأخوة رؤس نقاط للتفكير في سطح زيارة وارث لا في عمقها.

كتبت هذه الرؤوس لنقاط عسى ان تنفع قلب العاشق للّه:

زيارة وارث تعبير عن أهمية زيارة الحسين عليه السلام.

فزيارة وارث تصرّح بان الإمام وارث كل النبوات والفضائل الإنسانية لأفضل خلق اللّه على مر التاريخ.

أنه وارث الحكمة للأنبياء والأولياء. أنه وارث الولاية لكل الأولياء المعصومين.أنه وراث العلم لأعظم العلماء الملهمين من قبل اللّه ومؤسسي العلوم للبشرية منذ آدم حتى أمير مؤمنين علي بن أبي طالب الذي قال (سلوني قبل تفقدوني فأنني اعلم بطرق السماء كما اعلم بطرق الأرض). إنه وارث الأسرار من أصحاب الأسرار.

فهذا التصريح بزيارة وارث، انه وارث كل الفضائل والشرعيات عبر التاريخ وأعظم الشخصيات في التاريخ، يعني إننا نزور مجمع الوحي الإلهي ومجمع الولاية الإلهية العامة، ومجمع العلم والسر والرسالة لهداية البشرية بهدي الله.

إن زيارة وارث تعلن أن مركز سعادة الإنسان هو التأسي بوارث كل النبوات، ووارث كل الاستقامة لكل الأنبياء والأولياء. إن زيارة وارث احتوت على مفاصل فكرية وعقائدية خطيرة جدا.

أولا: الإقرار بوراثة الحسين عليه السلام الأنبياء في كل صفاتهم وأكثرها أهمية.

ثانيا: الإشارة إلى انه ابن السلسلة الطاهرة وربيب حجرها الطاهر من النبي محمد وأمير المؤمنين علي والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء.

ثالثا: ان قضية الإمام الحسين هي قضية إلهية منسوبة لله مباشرة، وان ظليمته هي ظلم لله، فهو ثار الله وابن ثاره وهو الوتر الموتور لله، أي ان قضية الإمام الحسين هي قضية العدل الإلهي وقضية تجسيد ظلم الظالمين في الأرض على مدى التاريخ من السابقين واللاحقين، فهي قضية كونية من جهة وقضية رمزية من جهة ثانية فهي رمز لكل ظلم في الأرض وسيكون الحسين هو عنوان الاقتصاص من كل ظلم حين يعلن الله عدله المطلق يوم القيامة.

رابعا: ان الإمام الحسين لم يغادر شريعة الله وعمل بها أحسن العمل وعمل بسنة رسول الله حتى الموت.

خامسا: سَنَّت زيارة وارث لعن الأمم الظالمة والمتخاذلة عن الحق، حتى لا نكون منها، ولنستلهم من لعن الظالمين ولعن أمة قتلت وأسرجت وألجمت وتهيأت للقتال، أن لا نقبل ان ننخرط في الظلم ولو بمقدماته وشروطه

الأولية. بل يجب أن نعرف أن اللعن حتى للأمة التي سمعت بذلك فرضيت به ولم تعره بالا، فان الإهمال والرضا بفعل الظالمين مصيره اللعن والإبعاد عن رحمة الله. وهذا من اشد حالات التقييد للمسلم، كما انه من اشد حالات تنبيه الأمة للابتعاد عن فعل الظالمين ولو قلبيا.

سادسا: ان زيارة وارث نبهتنا إلى مسألة خطيرة، وهي تزوير رجال السلطة لقضية خطيرة، حيث يقولون بان الديانة الحقة قبل الإسلام هي النصرانية فقط، بينما الحقيقة انهما ديانتان حقتان والثانية المسكوت عنها أحق بالإتباع، وهي الحنيفية التي كان عليها آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد صرحت زيارة وارث أن الحسين عليه السلام كان حسب الزيارة (نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها)، إن هذا تعبير عن نقاء وطهر أباء النبي الأنبياء حسب دين إبراهيم الحنيف عبر إسماعيل عليه السلام. وليس كما

يكذب بني امية باعتبارهم كفارا والعياذ بالله. بل ان الرسول الكريم بنى مسجده في المدينة على مقربة من قبر أبيه عبد الله وكان القبر موجودا معتنى به من قبل المسلمين حتى أزاله الوهابيون بعد تسلطهم على المدينة المنورة. وهذا يدل على ان والد النبي من أهل الإيمان الذين يعتنى بقبورهم. والزيارة صريحة بذلك.

سابعا: أن الامام الحسين هو ركن الإسلام ودعامة الإيمان وبدون الإيمان به لا يعتبر الإسلام حقيقيا ولا الإيمان مكتملا، وهذا هو معنى ما ورد في الدعاء (وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا) ورحم الله الشيخ الخواجة نصير الدين الطوسي حين قال:

لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا * وود كل نبي مرسل وولي

وعاش ما عاش آلافا مؤلفة * خلوا من الذنب معصوما من الزلل

وقام ما قام قواما بلا كسل * وصام ما صام صواما بلا ملل

وطار في الجو لا يأوي إلى حلل * وغاص في البحر لا يخشى من البلل

فليس ذلك يوم البعث ينفعه * إلا بحب أمير المؤمنين علي

فإن ولاية علي وأهل بيته شرط أساسي في الإيمان وقبول الأعمال، وهذا الامر يكاد يكون من ضروريات الإسلام، ولعل ابسط دليل عليه هو جعل اجر الرسالة حب الأربعة من أهله واقتران الصلاة عليه بالصلاة عليهم وتوقف قبول العبادات على الولاية والبراءة وغير ذلك من الضروريات.

ثامنا: الزيارة تنص على ان الإمامة محصورة في ولد الحسين عليه وعليهم السلام، فإنهم حجة الله على العباد (وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا)، ومعنى الحجة هنا أن الله سبحانه وتعالى سيحاسب العباد بناء على عدم التمسك بمنهج من أعدهم الله لبيان أحكامه وهديه الشريف.

تاسعا: دعوة صريحة للإيمان برجعة الأئمة عليهم السلام في آخر الدنيا، وظهور كرامة الله على أيديهم. (إني بكم مؤمن وبإيابكم موقن)، هذه الرجعة التي حاربها أنصار السلطان الغاصب للشرعية الإسلامية.

عاشرا: تبريد القلب وإنعاش الروح باتباع الحسين وأهل بيته والصلاة عليه وعلى كل ما يعلق به وما يذكرنا بحضورهم وغيبتهم وأرواحهم وأجسادهم، فانه نور تام مشتق من الله سبحانه وتعالى: (قلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسادكم وعلى أجسامكم وعلى شاهدكم وعلى غائبكم وعلى ظاهركم وعلى باطنكم.).

دور الأئمة عليهم السلام في حفظ التشيع

قبل اكثر من عشرين سنة كنا نتباحث فيما ينبغي على الشيعة من فعل اتجاه الهجمة الشيطانية الشرسة على الإسلام الحقيقي اسلام محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام، وكان الحضور من عَلّية القوم، فانبرى لي احد ابناء المراجع رحمه الله، فقال إن رأي والدي ان التشيع يحفظه الائمة سلام عليهم بدون حاجة لنا، وهذا هو المجرب، فقد كان الحفظ والتسديد من قبل الأئمة اهم بكثير مما فعلناه بل النتائج لا تتناسب مع الأفعال وضئالتها. فهنا اطرقت ثم قلت له: هذا صحيح في واقعه، ولكننا نبحث عن تكليفنا مع اننا لا نريد حفظ ايمان المؤمن الذي وصله الامام بلطفه، بل نريد حصانة الشيعي العادي من الفتن الداخلية والخارجية المدعومة بالمال والدجل وجيش من الدجالين والتكفريين المجرمين، وأما الائمة فإن لهم اسلوب عجيب في تقريب وتسخير قلوب الناس اليهم وتوجيه

الناس إلى الوعي بالدين والى حب الله الحقيقي وطاعته، ولكن لا ننسى أن هناك حاجة ماسة لبيان الحقائق ولتحسين الخطاب رغم التضييق علينا من جميع النواحي. (ثم سار الحوار باتجاهه المطلوب).

ذكرت هذا الحوار لانطلق انطلاقة سريعة للبحث في دور ائمتنا سلام عليهم في حفظ التشيع وحفظ حبهم في قلوب الناس، فان ما قاله ذلك الرجل المحترم صحيح في جانب التعامل الشخصي بين المؤمن وبين الايمان نفسه فهناك حالة لا يمكن تحقيقها بالطرق المألوفة من الخطاب والاقناع العلمي فإن ما يقوم به اهل البيت احياء واموات بشكل معجز يقوم مقام القيادة الخفية لحفظ المذهب وحفظ الإسلام بالحقائق.

قد يتبادر لذهن القارئ الكريم إن الكلام هو عن دور الائمة سلام الله عليهم في حياتهم بما فعلوه من سلوك اخلاقي رفيع، وعلم، والتزام، وتقوى، واظهار حقيقي لمعنى العصمة والكرامة الإلهية وصحة كتاب الله وبيانه

الجلي عمليا، فكانوا كتابه الناطق وبرهانه الساطع. ولكن في الحقيقة فانني اريد الكلام في غير هذا المجال فإن هذا المجال مستوفى أو متوفر في كمية هائلة من الدراسات والكتب، وهي دراسات رغم انها تحتاج إلى المزيد والمزيد لأن دراسة حياة اهل البيت عليهم السلام وبيان نصاعة موقفهم. وما نقصده من البحث هو دورهم عليهم السلام بعد حياتهم أو في زمن الغيبة بشكل ادق. فهذا الدور الحيوي العجيب الغريب الذي يتصف بالكرامة والفاعلية الحيوية المباشرة، لهو دور يجب ان نفكر به وان ندرسه ليس من جهة كونه مجرد كرامات، بل من زاوية ثانية وهي زاوية الدعم العقلي والنفسي للمؤمن بشكل شخصي لاثبات أن طريقهم هو طريق الصلة باللّه وهو طريق الحقيقة.

انه الكلام عن الدور الفعلي والمباشر للائمة سلام اللّه عليهم في نصرة التشيع أو الشيعي بما يثبّت قلوب المؤمنين على الحب والتشيع لهم.

هذا الكرم المستمر من النبي واهل بيته الطاهرين حتى بعد وفاتهم لهو اعظم ما اتحفنا الله به من تشيعنا لهذه الثلة القليلة من الانوار القدسية التي شرفنا الله بالايمان بها والتمسك بحبل يقينها المتين.

الفكرة بسيطة جدا، تتمثل بكون الانسان حين يتوسل بالامام سلام الله عليه بمشكلة عويصة لا يمكن أن تحل الا بشكل معجز فيحدث الحل بشكل متناسب ومتزامن مع الحدث وبالشكل المعجز وغير المتوقع بدون وسيط أو خزعبلات. فهذا الامر يتعلق بالقناعة بوجود الصلة الحقيقية بين الامام وبين الله ويتعلق بالعلاقة بين الامام وبين مريديه من أي بشر كان. وبقول مختصر: إن الاستجابة للطلب الروحي الشخصي بما يقنع الشخص يجعل ذلك الفرد مرتبطا ارتباطا روحيا وعقديا بما لا يمكن أن يغيّر قناعته بخزعبلات تقول بعدم قدرة المستجيب على الفعل بأدلة لفظية غير سليمة المعنى (كما يدعي الوهابية).

وهذا ما يحدث يوميًا بعشرات بل مئات والوف المرات مع المؤمنين من كرامات اهل البيت ومعاجزهم في مختلف بقاع الأرض، بحوادث تختلف من حيث القرب والبعد عن تحقيق الممتنع.

إن من يرى بنفسه حل مشكله بعد أن يطلبه من الامام أو النبي ص فهل يمكن أن يقنعه وهابي يطنطن في اذنه عشرات السنين؟ ليقول له الوهابي: ان هؤلاء موتى وأن الميت لا يمكنه ان يفعل شيئا ومن قال بقدرة الميت على الاجابة للتوسل فقد كفر وان الوساطة شرك فلا يجوز ان توسّط بينك وبين الله وليا صالحا مهما كنت مذنبا أو لا قيمة لك من ناحية شرعية، وغير ذلك من سخيف الكلام الذي يلوك به الوهابيون من الأكاذيب والكفر المبطن، للتزوير على المسلمين من أجل اخفاء مشكلة شركهم الحقيقي بالله وعبادتهم لغير الله وتجسسهم لصالح الكفار وخدمتهم والعياذ بالله.

إن حقيقة التواصل الروحي والجسدي عبر تلبية المهمات الخاصة للانسان لهي ابلغ الدعاية واوفر طرق التواصل العقلي والمعنوي بين الامام وبين طالبي الحاجات لتكون نقطة بدء وتثبيت على الايمان وعلى اليقين المبني على البرهان الواضح لكل العقول ولكل الاتجاهات الفكرية.

الفرق بين ما يقوم به الائمة سلام الله عليهم وبين غيرهم سواء كانوا حقيقيين ام دجالين هو في نوع الاستجابة، مثل الاستجابة في الممتنع الذي يصل إلى مستوى المعجزة. ولهذا فإنني اعتبر أن الاستجابة بما هو اقل من هذا المستوى هي عملية استئناس وتواصل بسيط يدعم الايمان ويكون مجرد عمل متمم للاستجابة في الممتنعات الذي هو الدليل على ان جميع انواع الاستجابة المتواصلة صحيحة وبرهان عملي على صحة الارتباط، وليست نوعا عاديا من الاتصال بالامام.

طبعا بشيء من التأمل في المسألة الافتراضية يمكن أن نصل لنتيجة قاهرة ويقينية. وهي ان من يقدر على فعل المتنعات انما يستمد قواه من القادر الاكبر على الخلق والفعل وهو الله، وهذا الامداد لا يكون بدون علاقة صادقة وقرب صحيح بين الله وبين عبده المكرّم بهذه الكرامة المهمة. وهذه العلاقة هي المطلوبة للبشر ليرتبط الانسان بربه عبر حجة من حججه. وعلى اقل تقدير هي علاقة صحيحة مع جهة واقعية وليست كذبا أو مستعينا بالكذب والدجل كما يفعل ائمة الضلال.

واما في غير (المتنعات و شبه المستحيلات) فلا يمكن أن يكون ذلك دليلا قاطعا وانما هو مجرد دليل ظني يمكن ان يحصل بالشعوذة والسحر وغير ذلك من اساليب الدجل للدعوة للاشخاص أو المبادئ ونسبتها إلى الله أو الدين لتعزيز موقف دين معيّن أو مذهب معيّن. (خصوصا حين تكون الاستجابة ممن يفترض موته وليس امام كاهن أو ساحر متخفي يقوم

بالتغييرات الكونية بالسحر وما شابه ذلك). ولكن حين تكون الاستجابة بحجمٍ وشكلٍ وصيغةٍ لا مجال فيها للشعوذة فيمكنها ان تدعم وتعزز كل انواع الاستجابة البسيطة الاخرى الداخلة في الدليل الظني. فهناك فرق بين أن يكون الطلب سري وقلبي بينك وبين الامام فتجاب بشكل معجز، وبين ان تطلب ممن يفتح دكانه ليقوم بعملية شفاء بالسحر والدجل. وهذا واضح لمن له ابسط عقل متوفر لدى البشر.

اما لو رجعنا إلى شواهد من معجزات الأئمة سلام الله عليهم التي تلامس معالجة الممتنعات وأشباه المستحيلات، فلعل كل شيعي عاصر أو شاهد أو وقع معه شيء من هذا القبيل سواء بوعي منه أو دون وعي. وقد كتب في ذلك كتب مثل مدينة المعاجز وغيره من الكتب، وأنا شخصيا وقع معي الكثير ولكنني لا احب ان اروي ما وقع معي بالذات لاسباب كثيرة، ولكن سأروي نماذج قليلة مما عاصرته وشاهدته. وهي مجرد نماذج قليلة جدًا

اخترتها من الذاكرة من بين مئات بل قل الاف ما عاصرته أو شاهدت روادها.

هذه النماذج رغم عدم اخراجها بالصورة الملائمة لها، ولكنها كافية لأن تجيب من لم يفهم سر تمسك الشيعة بمذهب اهل البيت عليهم السلام بعيدا عن الادلة الشرعية والعقلية في صحة العقيدة ونضج المحتوى الديني لهذا المذهب الذي هو عين اسلام محمد وأهل بيته.

(القصص من الذاكرة المتعبة واعتذر عن التقصير فيها)

قصة المسيحي المستبصر أمامي– أبو فلان —

(احتفظ بالاسم لكونه طلب مني الستر عليه لسلامة ذريته)

اتصل بي صديق من بغداد وكنت يومها في النجف الأشرف في سنة ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢ ميلادية، فقال لي ان صديقا مسيحيا يرغب ان يراك لتحل له

بعض مشاكله، فقلت له: على الرحب والسعة. فحدد موعد الوصول ووصل الينا بعد الغروب من ليلة الجمعة وكان في نهاية الشتاء وبداية الربيع، فرحبنا به وبعد أن استقر به المقام قال لي: اريد منك طلبا شخصيا. فقلت له: تفضل، ولن نبخل عليك بما نستطيع، عدا ما حرمه اللّه، فقال: اريد منك ان تعلّمني كيف اتشيع؟ وان تستر عليّ ذلك! فقلت له: هذا بسيط ولكن ما سبب الطلب ولماذا تريد الستر؟ ثم قلت له: الامر بسيط وهو ان تقول: اشهد ان لا اله الا اللّه وان محمدا رسول اللّه. وتلتزم بشريعة اللّه. تكون مسلما، مالك مالنا ودمك دمنا وعرضك عرضنا، فقال لي: يا استاذ اريد ان اتشيع بالخصوص. فضحكت. وقلت: من قالها بشرطها وشروطها فقد تشيع لان التشيع هو الإسلام الحقيقي، ثم قلت له سأسهّل عليك الامر: يمكنك ان تقول بعد الشهادتين: واشهد أن عليا ولي اللّه وأن الائمة الأحد عشر من ولده المعصومين ائمتي وحجج اللّه وأن التزم بتعاليم الإسلام. فقال:

هل هذا يكفي بدون طقوس؟ فقلت له: نعم بكل تأكيد ولكن عليك بعمل الشريعة من حين قولك لأنك مكلّف بها على كل حال. فقالها امامي، ثم اخذ يبكي ويمسح دموعه.

وجلسنا متقابلين واخذ يحدثني عن سبب إسلامه. فقال: قصتي هي أنني متزوج ولي ولد وبنت متزوجة، وسعيد في زواجي ومع اسرتي، واحب زوجتي كثيرا، وقبل سنة تقريبا أحست زوجتي بالام ووجود وروم متضخم، فراجعنا المستشفى فاجريت الفحوص فتبين أنها مصابة بالسرطان. فضاقت الدنيا في عيني، ثم قررنا ارسالها إلى بريطانيا للعلاج فاخذها اخوها إلى لندن، وبعد ايام اتصلت بي زوجتي لتقول إنها اتصلت لتودعني حيث تبين ان السرطان منتشر ولا يمكن السيطرة عليه وهو في المراحل النهائية. وقد قربت وفاتي، وهنا تنهد وقال: بينما انا جالس واضع يديّ على رأسي غارق في التفكير في محلي في بغداد، دخل علي جاري وصديقي الشيعي وهو كثير

المزاح، فسلّم علي فلم اجبه لأنني لم اشعر به. فاخذ يصيح بي فشعرت به واعتذرت وسألني عما يشغلني فحكيت له مصيبتي، فقال بكل برود: يا أخي لم انت متحير؟ اذهب إلى الحسين واخيه ابي الفضل العباس فسوف تشفى زوجتك، فاستسخفت كلامه حيث ان العلم يأس من زوجتي وأن توسلاتي الدينية في الايام الماضية لم تنفع. فلا الدين ولا العلم اسفعني، فكيف يسعفني أئمة المسلمين؟ وبينما انا افكر دخل علي جار عاقل موزون معروف في المحلة فسألني عن همي فاخبرته واخبرته بسخافة عقل جاري واقتراحه، فقال لي لا تستهين بكلام جارنا فهذا الامر له قيمة حقيقية، ويمكن ان تشفى زوجتك اذا طلبتها بقلب سليم من الحسين عليه السلام، فرحمته لكل الناس بدون تمييز وهذا مجرب وقد حدثت معنا حوادث. واخذ يقص لي القصص الواقعية، فقلت في نفسي: ماذا اخسر اذا طلبت زوجتي من إمام المسلمين؟ فقررت السفر إلى كربلاء. وفي الصباح الثاني أو الثالث

قدت سيارتي إلى كربلاء، ووصلت حرم الامام الحسين وتفاجئت بعظمة البناء وبهائه وبدا لي اكبر من حقيقته بكثير لكوني مندهش فاخذت في البكاء بلا شعور، فسحبني احد الخدم وقربني من الضريح لاعتقاده انني مسلم محب للحسين وصاحب حاجة مندهش. وقال لي: اطلب حاجتك من إمامك ولا تخجل فهو كريم وهو رحمة لكل الناس. فاخذت اطلب من الحسين زوجتي بالحاح، ثم خرجت من مقام الحسين عليه السلام فزرت اخيه العباس وفعلت ما فعلت مع اخيه. وخرجت من حرمه شبه مخدر نتيجة التعب والارهاق من البكاء والسفر. فقدت سيارتي إلى بغداد، وفي الطريق اثناء قيادتي شبه الغائبة عن الوعي شعرت بسيارة تضايقني بالاصوات فالتفت فوجدت انني اقود السيارة في منتصف الطريق وقد سببت تضييق الطريق، فملت لتعديل المسار، فاذا بالسيارة التي خلفي قد تقدمت وصفّت مع سيارتي وإذا بضابط في الجيش يقود سيارة حديثة يسبني ويبصق

عليّ فلم اجبه، ولكنه امرني بالتوقف فتوقفت فنزل واخذ يسبني ويشتمني ثم صفعني على وجهي واهانني وذهب ضاحكا وكان من في سيارته يضحك ويسبني، فدهشت من هذه الاهانة والظلم، فهنا ادرت وجهي إلى العباس فقلت له باكيا: هل يكون جزاء من يزورك الاهانة والضرب؟ فذهبت باكيا ذاهلا مما حصل لي، وبعد ان عبرت جسر مدينة المسيب وجدت تجمعا امام حادث مرور، فاذا بي ارى السيارة الحديثة مقلوبة والضابط ميت ومن معه مصابون باصابات بليغة. فهنا عرفت أن العباس لم يفوّت هذا الإعتداء على زائره، فتعجبت من هذه المقابلة مع العباس والنتائج، فذهبت إلى المحل مباشرة بحدود الثالثة عصرا وما ان فتحت باب المحل حتى سمعت رنة التلفون فرفعت السماعة، واذا بزوجتي تقول: حدث امر غريب يا ابا (فلان)؟ فقلت: ما هو؟ قالت: اليوم فجأة تحسنت صحتي وذهب المي فطلب الطبيب اجراء تحليلات سريعة بما فيها تحليل لمؤشر السرطان في

الدم، فاجري التحليل وقد خرجت الان النتائج فاذا به لايوجد فيه أي مؤشر للسرطان. فسألتها: متى شعرت بالتحسن فحددت الساعة واذا بها بحدود دخولي إلى حرم الحسين والعباس، فشكرت المسيح على هذه المنحة وتوجهت إلى الحسين اشكره بقلبي كرد لجميله مع هذا المسيحي، وهنا قالت لي زوجتي: جائني الآن امر من الطبيب ان اقوم بالفحص النسيجي لتأكد والان استودعك. فقلت لها: على البركة وقفلت التلفون. وبعد عدة ايام اتصلت بي وقالت: حدثت معجزة! حدثت معجزة من المسيح! فقد تبيّن ان السرطان انتهى مني نهائيا. فاجهشت بالبكاء وطلبت منها المجيء إلى بغداد فورا. وحين وصلت زوجتي إلى بغداد اخبرتها بالقصة، ولكن اخذني الفضول ان اسأل من هو الحسين؟ وما هي قصته؟ وبدأت اسأل واقرأ وقد أُعجبت بالقرآن وبنهج البلاغة وادعية الامام زين العابدين فوجدت أن نهج البلاغة فيه من الحكم اكثر من الحكم في كتابنا المقدس ووجدت في الصحيفة

السجادية ما هو اكثر من الزبور من المناجات للّه. وقد بدأت في كل يوم خميس ازور كربلاء والنجف واطّلع على الإسلام ومحنته، وعرفت أنني ملزم بالايمان بالإسلام. فجئتك لهذا السبب، فقلت له: كيف ستعالج موضوع العبادات والالتزام الفقهي اذا كنت لا تريد اعلان اسلامك؟ فقال: ان مشكلتي هي انني في مجتمع ديني متزمت لا يقبل التحوّل الديني لأي سبب كان، فاذا اعلنت إسلامي فسوف لن استطيع تزويج ابني وقد يطلّق صهري ابنتي فاخسر اسرتي ولهذا اريد فترة لترتيب امري في اسرتي بمساعدة زوجتي، ولكن ارشدوني كيف أقوم بالعبادات بدون علان؟ وهل هناك طريقة لاقوم بالعبادة سرا؟ فقلت له: نعم، فقال لي: سوف اكون هنا بعد اقل من شهر من أجل تعلم العبادات وكيفية أدائها، وفي صباح الجمعة سافر الرجل، وفي الخميس الثاني أو الثالث اتصل بي صديقي. وقال لي ابلغك خبرا سيئا وهو ان ابا فلان المستبصر قد توفي فجأة. فقلت له فورا: هذا من حب اللّه له

حيث لم يعطه فرصة للتراجع نتيجة ظروفه الاجتماعية الضاغطة عليه فقد كان ضعيفا جدًا امام قوة مجتمعه. وقرأت له الفاتحة.

قصة المسيحية وولدها المشلول والامام الرضا عليه السلام

روى احد خدام الحرم الرضوي الاصدقاء الموثوق بهم، قال: لحظت امرأة غير ملتزمة بالحجاب في حرم الامام الرضا عليه السلام، فسارعت اليها لمنعها ووعظها، فجابهتني بقولها: أنني لست مسلمة، فتعجبت وسألتها عن سبب زيارتها اذن.

قالت: ان عليّ دينا للامام فقد شافى ولدي. وسردت لي قصتها وهي:

ان لها طفل مشلول منذ الولادة وهو ليس له علاج مطلقا كما هو معلوم.

عرض عليّ بعض اقاربي أومعارفي أن اعرض حاله على الامام الرضا، واطلب من الامام شفاءه. فقلت لهم: انه يشافي جماعته واهل نحلته، ولا يشافي من يتبع غير دينه. ولم افعل.

وظل الحال هكذا حتى بلغ السابعة من عمره فصار الولد يستمع إلى هذه الاقوال ممن حولنا من الجيران والمعارف، فاصر هو على الذهاب للامام الرضا لعله ينال مبتغاه. فاتيت به إلى حرم الامام الرضا تلبية لرغبة ولدي ليس إلا. فسألت عن الطريقة التي يتعامل بها الموالون في حرم الامام الرضا. فأخبروني بربطه عند شباك باب المراد وأن ابيت عنده الليلة، ففعلت ذلك، فأخذتني غفوة ثم صحوت، فاذا بي اراه واقفا على رجليه، فذهلت وسألته عما جرى؟ فاخبرني بأنه قد خرج شخص من ذلك الضريح وأتاني (اشار إلى ضريح الامام عليه السلام) فطلب مني القيام، فقلت له: انني مشلول ولا استطيع ذلك، فأعاد عليّ الطلب واعدت الجواب وفي الثالثة اخذ بيدي

ونهض بي فوقفت على رجلي ثم قال اخبر امك (باننا لسنا فقط لشيعتنا وانما نحن رحمة للعالمين) ومن تلك الليلة شفي ولدي وانا ازوره بين الحين والاخر ردا للجميل. فسألتها: اما كان الاولى ان تهتدي بهديه؟ فاجابت انه التوفيق والى الله ترجع الامور. (اقول لعل جوابها كجواب صاحبي المسيحي رحمه الله لضغط العامل الاجتماعي)

قصة الشاب المصاب بالتدرن

حدثني المصاب بالتردن نفسه بهذا الحديث: قال: اصيبت بالتدرن الرئوي وقد تقدم المرض إلى المراحل المتقدمة المسحيلة الشفاء، واثبتت الفحوص المختبرية والصور الشعاعية تقدم المرض بما لا امل بالشفاء وساءت حالتي، فلجأت إلى الامام الرضا عليه السلام فتوسلت وطلبت الشفاء فلم يحصل لي شفاء، وبعد فترة ساءت حالتي اكثر فعاودت الطلب فلم يلبى طلبي، فوصلت حالتي إلى شفير القبر، فاردت ان أودع الامام بزيارة اخيرة فدخلت

باب الصحن الشريف وسلمت على الامام وزرته بعيدا عن الضريح. وقلت: قد جئتك مودعا وخشيت ان انشر العدوى بين زوراك ان دخلت بينهم، فاستميحك عذرا واستودعك الله، وعدت إلى بيتي مستسلما للموت المحقق، فلما جن علي الليل واذا برجل يأتيني في المنام فيضع يده على صدري ويضغطة ضغة شعرت معها بحاجتى إلى التقيؤ فنهضت من منومي وقذفت ما بداخلي من قيح ودم وارتحت بعدها، فاحسست بتحسّن سريع، فطلبت الطعام من أهلي، وما ان اصبح الصباح حتى كان كل شيء على ما يرام بشكل غريب، فراجعت الطبيب المشرف على علاجي واخبرته بما جرى فطلب فحوصا وصور شعاعية جديدة، وحين ظهرت النتائج فاذا به يصدم بان لا اثر للمرض بالمرة هذا امر معجز بالنسبة له كطيب عايش الحالة

قصة الحاج نجيب الايراني

حدثني الحاج ابو الفضل نجيب الايراني رحمه الله قال: اصاب زوجتي السرطان وعند مراجعة الطبيب اخبرني بحالها المتقدم وتسليم الامر لله فلا نفع في الدواء، فطلبت منه ان اسافر خارج البلاد للعلاج، فقال: إن العلاج الذي في الخارج هو نفس ما عندنا لأنه منهم فلا ترهق زوجتك بالسفر وان حالتها مستعصية ونسبة النجاح بالنسبة لهذه الحالة منعدمة، فحزنت كثيرا.

كان عندي مجلس (تكية) باسم ابي الفضل العباس يقام فيه مجلس العزاء واطعام الطعام، فذهبت التكية في ليلتي واغلقت الابواب وحدي ورحت اصرخ مناديا ابا الفضل العباس سلام الله عليه ثم خاطبته: ان اسمي على اسمك وخدمتك صغيرا ويافعا وشابا وكهلا وكبيرا ولم اطلب منك شيئا ولا اريد منك الليلة الا شفاء زوجتي، وبعد ان اضناني الصراخ والجهد عدت إلى

بيتي منهكا ونمت مع زوجتي. فلما اصبح الصباح واستيقضت زوجتي من نومها اخبرتني: بانها رأت أمراة عليها الوقار والحشمة قدمت الي صحناً فيه حلوى وأمرتني ان آكل منه فامتنعتُ متعللة بانه يضرني. فاصرت. قائلة: بانه ينفعك فكلي منه.. فأكلت منه وهنا قالت لي: ان ابا الفضل العباس يلح كثيرا على شفاءك، وفقت من النوم. والان يا حاج ابا الفضل بعد استيقاضي شعرت بان صحتي قد تبدلت.

قال: اخذت زوجتي إلى نفس الطبيب المعالج المصر على امتناع شفاءها وحكيت له القصة، فاجرى الفحوصات، وكم كان مندهشا حيث تبيّن ان المرض قد اقتلع من اساسه بحمد الله، وهذا معجزة حقيقة بمقياس العلم يوم ذاك لعدم وجود دواء لهذه الحالة مطلقا.

قصة مدير المصنع السني في النجف الأشرف

مدير أحد المصانع الكبيرة جدًا في مدينة النجف الأشرف على مشرفها التحية والسلام رجل سني، ومن عادة المهندسين ان يتسامروا فيما بينهم بعد الدوام في نادٍ خاص بالمصنع وكان احد المهندسين من معارفنا من آل الصراف يتسامر معه فسأله المدير سؤالا غريبا، قال له: يا اخي لماذا انتم تتمسكون وتتغنون بعلي بن ابي طالب في هذه المدينة؟ فاجابه صاحبنا بأنه ليس برجل دين ليجيب بطريقة عقائدية، ولكن البرهان العملي لكل واحد منا يجعلنا لا نفكر في ترك ولاؤه، فاننا كلما حل بنا بلاء أو مشكل عويص نلجأ اليه بالتوسل فنجد الحل بسهولة حتى لو بعد حين، ورغم كل ما جرى على هذه المدينة من اذى وقصدٍ بالسوء من اعداء علي بن ابي طالب وشيعته ولكن دائما يتحول الحال إلى احسنة بعد ان يقصم الله ظهر الجبارين، وبدأ يذكر له حالات كثيرة مما تجعل المسلم يجزم بان علي بن ابي طالب مقرّب من

الله والولي الأكبر بعد رسول الله ص، فقال له المدير نحن نعتبر هذه الحالات من الخرافات التي لا يمكن ان نؤمن بها، فقال له صاحبنا: حين تنزل بالانسان نازلة يقنتع ان هذا الامر له قيمة حقيقية وهو بعيد عن الخرافة. وانتهى الحديث إلى هذا المستوى البسيط من الحوار بين غير المتخصصين. وبعد مدة من الزمن جاءت اتفاقية الوحدة المؤقتة بين سوريا والعراق في زمن البعث في البلدين وكان من ضمن قرارتها حرية السفر بين البلدين بالهوية فقط بدون جواز سفر ولا تعقيدات، فرغبتْ اغلب الاسر بين البلدين بالسفر والتمتع، وكان المدير قد استلم سيارة جديدة في حينها واراد ان يمتع عياله بسفرة سهلة ورخيصة لدولة عربية شقيقة، فحزم امتعته وسافر إلى سوريا، وبعد مدة عاد إلى النجف لصاحبنا، يطلب منه ان يعلن تشيعه وان يزور امير المؤمنين، فتعجب صاحبنا من طلبه!! فسأله عن السبب وطلب منه البيان. فقال له: ساقص عليك قصتي الغريبة، وهي:

انني حين عودتي خرجت من الحدود السورية (ابو الشامات) بعد العصر قاصدا إلى الحدود العراقية (الرطبة) وكانت الطريق كثيرة المشاكل والمطبات وغير محددة المعالم لكثرة الطرقات اليها فقد دخلت طريقا غير جيد التعبيد أو انه طريق ثانوي، وفي اثناء سيري بالسيارة واجهتني حفرة بشكل مفاجئ فقفزت السيارة وتحرك المحرك وضربت المروحة بالراديتور فنزل ماء المحرك وتوقفت السيارة من ارتفاع الحرارة في المحرك، وحين نزلتُ لارى حجم المشكلة، لم اجد أي حل لهذه المعضلة لأن الراديتور متمزق ولم يبق فيه ماء، فاخذ يراودني الخوف على نفسي واسرتي لأن المنطقة كثيرة اللصوص والسباع، فالخطر حقيقي في هذه المنطقة خصوصا حين يحل الظلام، وبدأ القلق يزداد مع اقتراب الغروب، فهنا تذكرت كلامك يا صديقي حين تجادلنا عن حبكم لأئمتكم ولعلي بالخصوص. فقررت اللجوء إلى علي بن ابي طالب عليه السلام، فتوسلت به ان يجد لي حلا مرة وثانية وثالثة ورابعة

بالحاح بين مرة ومرة دقائق، حتى بدأ اليأس يدب في نفسي، وتيقنت انني وعيالي في كارثة وحل الظلام فقلت له يا امير المؤمنين يا علي ابن ابي طالب اذا انجيتني من هذه الكارثة سأتحول إلى التشيع مع عيالي، وبقيت صامتا ومشوشا من حالي ومن طلبي، بعد فترة بان لي شبح خيّال على فرسه فدخلت السيارة وادخلت عائلتي فورا واغلقت الابواب لاحتمال ان هذا احد قطاع الطرق جاء لسلبنا وقتلنا، فاقترب منا وقال لي افتح الباب اريد ان اساعدك ما مشكلتك؟ وهنا اطمئن قلبي فحدثته بقصة السيارة، فقال لي: بسيطة افتح غطاء المحرك ففتحته له، ثم اتى بقربة ماء كان على ظهر الجواد فصبها على الارض وكانت طينية فمزج الماء بالطين واخذ يلحم الراديتور بالطين بيده ثم صب باقي ماء القربة في الراديتور وانا استهزء من هذا البدوي الذي يريد ان يلحم النحاس والحديد الممزق بالطين ويجعل المركبة تعمل بهذه الطريقة التي لا يمكن ان تستمر عشرة ثوان فالطين يتحلل

بالماء والثقوب فيها كثيرة وكبيرة، وهنا قال لي البدوي: بصيغة جازمة اصعد وحرّك المحرك، فشغلت المحرك فاشتغل بصورة طبيعية لمدة غير معقولة مع هذا الطين، فقال: هل ارتفع مؤشر الحرارة؟ فقلت له: لا. فقال: اطمئن ستصل بسلامة واذهب إلى الرطبة الان، وبدأت بالحركة وهنا تبادرالى ذهني ان اسأله عمن يكون من عرب المنطقة؟ فقلت له: يا اخي من انت؟ فاقترب مني وهمس في اذني قبل ان احرك السيارة قائلا: انا الذي توسلت به وعاهدته. فالتفت اليه مذعورا فلم اره ابدا رغم انفتاح الصحراء وعدم وجود الحواجز. فحركت السيارة صامتا وزوجتي تسألني ماذا يجري؟ وانا لا اجيب. وحين وصلت إلى البيت جمعت اسرتي وحدثتهم ما جرى بحذافريه، فقالوا نحن معك على نذرك في التحوّل إلى مذهب علي ابن ابي طالب وحبه، وجئنا الان إليكم شيعة ونريد معرفة معالم ديننا.

أقول: هذه القصص وغيرها مما هو واقع بكثرة تجل عن الحصر أو المتابعة تعطينا صورة واضحة عن سبب فشل ادعياء الدين مثل الوهابية باقناع ابسط الناس –المشمولين برعاية الائمة الطاهرين– بافكارهم الهدامة للاسلام وللمجتمع الإسلامي. ان التواصل الحقيقي بين الائمة وبين البشر الخيرين أو المرجو منهم الخير، يشكّل دليلا وبرهانا معرفيا ونفسيا لا يمكن اختراقه بخزبعلات الوهابية المنافية للواقع وللعقل.

ولهذا ارى افضل جواب على الوهابية هو ايجاد لجنة تدوين لهذه المعجزات اليومية كما فعل الأخوة في حرم الامام الرضا عليه السلام منذ فترة، فانهم يعدون المعجزات وحالات الاستشفاء منها بالخصوص لأنها تحدث فورية وبشكل معجز، وقد نقل لي أن الاخ الكويتي المستبصر مبارك الفضلي طلب من احد اصدقائنا في مشهد الامام الرضا أن يرى بنفسه حالات الشفاء فقد سمع عنها فارشده إلى ما يحدث في شباك باب المراد فجاء ليلا في الساعة

الثانية بعد منتصف الليل إلى الساعة الرابعة ورأى بعينه اربع حالات استشفاء معجزة. فيجب تنسيق ونشر هذه الحوادث بالاسماء والدلائل والشواهد، فإننا في مجتمعنا لا نحاول توثيق هذه المعاجز الخطيرة الدالة على التواصل مع الائمة وعلى صحة طريقهم إلى الله وعلى بطلان اعدائم من بهائم المسلمين وغيرهم.

إن هذه القصص ليست مجرد كرامات وانما في بعضها الدليل اليقيني على بطلان أهل الباطل اعداء مذهب أهل البيت عليهم السلام من خلال اثبات كرامة الله الحقيقية لأهل البيت بفعل الممتنع عادة عند البشر.

حادثة الغدير تثبيت لمصداقية القرآن

سيكونُ حديثي قصيرًا، ولكنه سيكون محددًا ومثيرًا.

قال الله تعالى في محكم كتابه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا } (المائدة/٣).

إن هذا النص ظاهر في كمال الدين، فلابد ان يكون كاملا من كل جهة، كما هو ظاهر النص.

فهنا نحن أمام معضلة حقيقية، حيث نحتاج إلى تثبت من معنى هذا الإكمال.

فلو كان معنى كمال الدين هو التمامية في العقائد والشرائع وما يحتاجه الإنسان، فان الواقع يعارض صدق هذه القضية، فان الاختلاف السياسي والعقائدي والتشريعي والمنهجي شمل اغلب نواحي البحث فيها، حتى انه

لم يقع إجماعٌ على أحكامٍ عقائديةٍ وفقهيةٍ بين المسلمين غير نزرٍ قليلٍ، فأين اكتمال الدين؟

فإذن أين نضع الحاجة إلى اختراع مصادر للتشريع بلغت أكثر من عشرة مصادر، مقابل الكتاب والسنة؟ منها القياس، والاستحسان، وشرع من قبلنا، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، وفتوى الصحابي، وفتوى إمام المذهب، وعمل أهل المدينة و..و..و..

وأين نضع ما يسمى بمناطق الفراغ التشريعي؟

وأين نضع ظهور المذاهب والاتجاهات والفرق؟

وأين نضع الحروب الدينية التي يدعي كلٌ انه يقوم بالواجب الشرعي؟

وأين نضع الحاجة إلى الاجتهاد التي دعت اليها مبكرا مدرسة الخلافة بمعنى تأسيس الحكم، لا استكشاف الحكم الشرعي كما عليه الاجتهاد عند

الإمامية؟ والمعنى عند الإمامية لا يدل على إكمال الدين وإنما على التعذير في العمل ليس إلا.

فالمحصلة أنه لا يمكن تفسير كمال الدين، إلا بالمعنى المرتبط بحادثة الغدير حيث قد تواتر (معنويا أو معنويا ولفظا) أن الآية قد نزلت بعد أو قبل الحادثة بساعة، ولم ينزل بعدها تشريع كما قال المفسرون.

إن حادثة الغدير بتعيين الامتداد الإنساني لبيان الدين وتقديم حجة الله على خلقه بصورة حية. هي التفسير الواقعي الوحيد المنسجم لهذه الآية الشريفة. وإلا فان هناك عدم تطابق بين الواقع والقرآن الكريم، وهذا تكذيب صارخ والعياذ بالله.

فالمعادلة المتحققة من الآية والواقعة: هي أنه إما أن يكون إكمال الدين بمعنى ما ورد في حادثة غدير خم، أو أن يفقد القرآن مصداقيته، ولا محيص من هذا.

والموضوع يمكن بحثه بصورةٍ أكثر دقة وتفصيلا، ولكنه لن يغادر هذه النتيجة، فكل من قال بان كمال الدين هو بكماله في تشريعاته وعقائده، لا يمكنه إثبات ذلك واقعا، وبالتالي فهو يتهم القرآن في أعظم مكوناته، وهو الصدق والصدور عن علّام الغيوب الذي هو اصدق لهجة من كل صادق.

وبهذه المعادلة يتحول يوم الغدير إلى يوم فاصل بإثبات واقعية القرآن الكريم، وبمصداقيته وبعدمه ينعدم الإسلام، ويتحول إلى دين ملوكي صرف، ليس له صلةٌ بالواقع والصدق، فعلى المسلم أن يختار احد الطريقين. فمن وفقه الله يفرح بصدق القرآن الحقيقي، ومن لم يوفقه الله لا يبالي اصدق القرآن أم كذب، إنما يهمه نصرة السلطان والتمذهب الاعمى.

معضلة الأخلاق في المجتمع الإسلامي

يقول علماء الاجتماع والحضارة الإنسانية: (إن الإنسان اجتماعي بالطبع) وهذا الكلام لا يختلف عليه عاقل، فمن سمات الإنسان هو التعويض عن الضعف بقوة الاجتماع بشتى الطرق، فهو يعوض حاجاته بطلبها من غيره ويعوض عن أمنه بطلبه من المجموع ويعوض عن غذاءه بإنتاج غيره، ولهذا فالإنسان كائن تبادلي إذا صح التعبير. وهذا الكائن التبادلي يحكمه جملة من قواعد تكوين المجتمع ومن قواعد التبادل في كل شيء يمكن تبادله من لغة وفكر وأشياء عينية ومعنوية. وهذه القواعد بعضها تكويني وبعضها اعتباري يتحكم بها الإنسان نفسه ولكنها في الغالب قواعد عقلية صارمة وثابتة وبعضها يحتوي على قيم نسبية.

كل هذا الكلام لا يختلف فيه عالم ولا عاقل.

ومن فروع هذا الكلام أن أساس نظام المجتمع الإنساني هو القيم وأهمها القيم الأخلاقية، وبدونها لا يمكن أن يتكون مجتمع، ولكن لكل مجتمع سقف معين من القيم التي تتحكم بالمجتمع وبهذا السقف تتميز المجتمعات، وترتقي وقد تهبط في عالم البقاء إلى رتبة الفناء بسبب اختيار أخلاق الفناء. فكم من مجتمعات إنسانية تم تدميرها وفنائها كليا بحكم قيم الظلم والشراسة والعدوان على الحقوق وانعدام الأمن. إنها القيم المعاكسة لقيم بقاء المجتمعات.

وكل امة تعتمد مبادئ أخلاقية معينة ولكن لا ترتقي القيم المصنعة إنسانيا إلى القيم التي وضعها الله في دينه القويم، ولهذا فالديانات الحقة هي ديانات قيم أخلاقية وديانات بناء وتطور الإنسان والمجتمع. وقيم بناء المجتمع فيها من أهم القيم. ولا اقصد بذل النصوص المحرفة للديانات وإنما عقيدتنا في الدين الرباني.

في سنة ١٣٩٠ هجرية كنت عند المرحوم المرجع الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين قدس الله نفسه الزكية فحدثني بحديث لطيف عن مجتمع مصغر في إحدى قرى أفغانستان الشيعية، فقال: حدثني احد أفاضل طلاب أفغانستان بان هناك بعض القرى فيها مجتمع يعتبر عجيبا في العصر الحالي فهو مجتمع تنعدم فيه الجريمة والمعصية تماما، فلا سرقات ولا قتل ولا زنى ولا غصب للحقوق، ولو حدث أي خلاف بين المؤمنين يلجئون إلى مجموعة الحكماء العقلاء فتحل المشكلة في دقائق ويزول الخلاف وأسبابه. وقد بيّن أن هذا المجتمع يعتمد القيم الأخلاقية والالتزام الشرعي التام. وبعد عدة سنوات وقع في يدي احد أعداد مجلة العربي الكويتية وفيها استطلاع عن قرية شيعية في شمال باكستان على حدود افغانستان، ويتعجب أصحاب الاستطلاع من طبيعة هذا المجتمع الذي تنعدم فيه الجريمة كليا وينعدم فيه اختلال الحقوق، ويكفي أن انقل من المقال أنه ينقل عن الشرطي الوحيد في

المنطقة قوله انه يلح على إدارته على نقله من المنطقة لكونه لا يعمل شيئا مطلقا لعدم وجود أي سبب لوجوده ولا يوجد ما يشغله بأي شيء غير الزيارات وحضور الأفراح والأحزان.

وحين قرأت تاريخ جبل عامل والقرى الشيعية فقد وجدت شيئا عجيبا وهو انعدام الجريمة في هذه البقاع، وقد حدثني المرحوم المرجع الكبير الشيخ محمد تقي الفقيه قدس الله نفسه بأنه في دراسته عن تاريخ جبل عامل لم يثبت وجود جريمة قتل إلا واحدة فقط خلال ستة قرون وقد اهتز لها مجتمع جبل عامل، ولا تزال قرى جبل عامل تمتاز بميزة عجيبة وهي انعدام السرقات وبقاء الأبواب مفتوحة ولولا دخول الحيوانات لما أغلق عاملي بابه في كثير من القرى الطيبة لحد هذا التاريخ.

واما مدينة النجف الأشرف فقد تعجب اذا قلت لك أنها خلال ألف عام لم يكن فيها جريمة قتل أو زنى أو أي من المعاصي الكبيرة (عدا ما أحدثته

الحكومة العثمانية من فتنة الزكرت والشمرت بعد طرد الوهابية وهي فتنة مضخمة في اذهان النجفيين لكونها معصية كبيرة)، ولم تبدأ فيها المعاصي الا في سنة ١٩٥٦ ميلادية بفعل متعمد من قبل الحكومة حيث فرض على المدينة دخول الغرباء وحماية المجرمين وكانت المقاومة في البداية لهذه الظاهرة قوية جدًا ولكنها خفت نتيجة قتل كل مقاوم لظاهرة الخروج على الشرع. ولازالت رعاية الجريمة في المدينة من قبل الطائفيين حقدا على علي بن ابي طالب من أجل ان يقال ان مدينة علي بن ابي طالب تحوي المجرمين، ولكن ستزول هذه الظاهرة بشكل تام بعد فترة، فقد تغيرت الأمور هناك كما يبدو وأصبح لمقاومي الجريمة صولة وجولة ناجحة وستتغير كل مخططات أعداء الإنسانية الغارقين بالطائفية البغيضة وستزول آثار عداونهم وستظل هذه الفترة عارا في جبين هؤلاء الطائفيين الذين نشروا الرذيلة لمجرد

الخلاف الطائفي والحقد الأعمى، وهل هناك فضيلة لمن ينشر الرذيلة في مجتمع عدوه حسدا منه لأنه مجتمع ليس فيه رذيلة أصلا؟

وهذه الصورة المشرقة هي الأصل في تطبيق مبادئ الإسلام وليست هي الاستثناء كما قد يتصور البعض ممن ألف المعصية والجريمة في مجتمعه. فالإسلام قد رسم صورة مشرقة لمجتمع سعيد بمبادئه الأخلاقية والقيم العالية البناء.

وكأبسط صورة فقد وصف الله المجتمع المدني في زمن الرسول ص وصفا عظيما والذي سرعان ما تغير بحكم دخول مبادئ دخيلة مثل كونه مجتمعا يسعى لإقامة الدار والايمان والمحبة والإيثار والكرم والاستغفار ورفع الغل من النفوس، كما في آيات سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاء المهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [٨] وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٩] وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [الحشر: ١٠]

ويمكن بكل سهولة حين مراجعة آيات القرآن الكريم ان نجد الأسس الأخلاقية لتكوين المجتمع المثالي مثل أحكام وجوب الصدق و الأمانة وحفظ أموال عموم الناس وخصوصا القاصرين منهم إلا بما ينفعهم بالتي هي أحسن وإيفاء الكيل والميزان والعدل في التعامل، والإيفاء بالعهود وعدم النقض وأداء الأمانات إلى اهلها (حسن الائتمان) والحكم بين الناس بالعدل والبذل لذوي القربى والنهي عن الفحشاء والمنكر، ومدح الصابرين والقانتين والقانعين والمنفقين وعدم الاستجابة للدعايات والتشويش والتخويف وشكر الله على نعمة الأمن مع إن المجتمعات تتخطف بعضها بالعدوان وبالغزوات الظالمة،

وهذه وغيرها كثير من المفاهيم المؤسسة لمجتمع مثالي جدًا يتمتع بالسعادة والطمأنينة والقدرة على البقاء والنمو. (لقد اعددت الكثير من الآيات الكريمة ولكن حذفتها اختصارا ولأنني في الغالب اكلم من يعتني بالقرآن الكريم ويعرف هذه الإشارات)

وهنا نأتي إلى واقع المجتمع الإسلامي بعد الرسول ص. فهل استمر في تبني هذه الباقة من الأخلاق الفاضلة؟

للأسف لو طالعنا تاريخ الإسلام ووصلنا إلى واقع المجتمع الإسلامي الحالي سنجد أن الأخلاق اخر ما يسأل عنها المسلم من قمة الهرم وهي الخلافة إلى ادنى مستويات المجتمع.

فالعدل مرفوض والصدق معدوم والأمانة ميتة والإيثار معندم واستبدل بالانانية وأما حسن المعشر وغير ذلك فهو مرهون اما بالتكتلات الاجتماعية أو مرهون بالتعصب الطائفي فمعاشرة كثير من المسلمين لا تطلب. ولكن قد تجد حسن

معشر عند مجتمع مسلم مصغر ولكنه تراه ينقلب إلى سوء معشر حين تتخالط الأعراق أو المذاهب أو حتى أبناء الأقاليم، فالتركي يحتقر الجميع ويسوء معاملتهم والعربي يحتقر الجميع ويسوء معاملتهم وكذا الهندي والبربري والفارسي.

واما في المذاهب فلا نجد سوء معشر كما نجد في اجتماع أصحاب المذاهب، وقد يكون هناك ظاهرة إقليمية حتى في العرق الواحد والمذهب الواحد فابناء الجنوب وابناء الشمال وابناء الشرق مع ابناء الغرب كلهم يتعاملون بسوء خلق واحتقار مستغرب لا يشبهه الا ما عند الكفار من تنابز وإساءات وثلب في غيبة الناس.

وخلاصة امر معاشرة الناس وحسنها عند المسلمين هو سيادة أخلاق القرية وتكتلاتها الاجتماعية الضرورية واما ما عداها فهي اخلاق غير ملزمة وغير متفشية في المجتمع الإسلامي فقلما تجد من يعتذر للاخر في المدن الكبيرة

فينما تجد الانسان الكافر في المدن المتحضرة يكثر من الاعتذار والابتسامة بوجوه الناس والليونة في التعامل وما شابه ذلك من متطلبات حسن المعشر.

وهنا قد يأتي تساؤل مهم وهو: هل إن سوء خلق المسلمين تابع لدينهم؟ وحسن اخلاق بعض الامم المتحضرة غير الإسلامية تابع لدينها؟

الحقيقة ان من يدرس الأديان يجد اغلب ما هو مثبت من نصوص مزيفة عند الكثير من الأديان يامر بعكس الاخلاق فخذ مثلا، التوراة ستجد أنها تفرق بين زنا وزنا وبين قتل وقتل وبين كذب وكذب وبين اعتداء واعتداء، فاذا كان القتل أو الزنى أو الكذب والاعتداء وسلب الحقوق واقعا على يهودي فهو محرم واذا كان واقعا على أممي فهو من المستحبات ويكفيك كتاب (استير وهو كتاب مقدس كامل يتبارك بزنى استير مع الاممين لمصلحة اليهود).

وقد تقول لي بان كتب الديانات الشرقية مثل الهندوسية والبوذية مليئة بمعالي الاخلاق فاقول لك انه قد فاتك انها ديانات مبنية على الطبقية فالأخلاق مطلوبة من الطبقة العليا القليلة العدد مع بعضها وغير مطلوبة مطلقا مع من هي ادنى منها واما طبقة العامة فلا يحكمها شيء ولا تكليف عليها بل هي كالحيوانات عندهم.

فملخص ما رأيناه من قراءة مجمل الديانات في الأرض نجده لا يتصف بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة بينما نجده في القرآن بشكل واضح وصريح ويؤسس بناء مجتمع أخلاقي بكل وضوح.

فما السر في اعتماد الأمم التي لا وجود للقيم الأخلاقية في ديانتها على القيم الأخلاقية بشكلها العام أو الظاهر على اقل تقدير بينما ينعدم ذلك من مجتمع مسلم مبني أساس على دين يدعو لمجتمع أخلاقي؟

ويجب ان نشير إلى ان بعض الباحثين يقولون هذا تعميم على المجتمعات الإسلامية قد يكون فيه ظلم لها وذلك لوجود بعض الأخلاق في بعض مجتمعاتها الصغيرة وهو حصول تحقق اجمالي. فاقول: قدمت ان الاخلاق بمعنى حسن المعشر على نطاق فكر القرية أو المحلة موجود ولكن ليس هو عمود الاخلاق وسيأتي ما يدعم هذا السؤال المتقدم للفرق بين التمسك الأخلاقي في المجتمعات رغم المخالفة مع الديانة نفسها، حيث ان اليهودي مدعو للكذب على الآخرين ولكننا نجده حريصا –في التعامل التجاري مثلا – على التمسك بالامانة والصدق وحسن المعاشرة وكذا البوذي الياباني والكوري وكذا النصراني، بينما قلما نجد تاجرا أمينا في سوق المسلمين واذا تعامل مع غير مذهبه أو غير طينته ينقلب إلى وحش كاسر ومعتدٍ على الحقوق بشكل عجيب الا اذا وجد قوة أو شهوة فيما يعتقد عند الطرف المقابل.

السر بسيط جدا.

المسلم لا يعي وجوده نتيجة تغييب الحاكم لشخصيته ومسخها إلى شخصية غريبة الأطوار، بينما الكافر المتحضر يعي وجوده ويعتقد أن مفهوم الاجتماع يقتضي المحافظة على معايير الأمانة والصدق والعدل وبقية القيم الأخلاقية من أجل النمو عبر تثبيت الموثوقية والمصداقية لشخصيته ولامته حتى يرتفع بين الأمم، لان التبادل يعتمد في ثباته وثبات نموه على المصداقية الدائمة والثابتة. بينما لا يعي المسلم هذا مطلقا. فلا الأخلاق عنده ضرورة دينية وهو لا يعترف بتعاليم دينه إلا بالمقدار اللساني ولا يعترف بان الأخلاق مصلحة له ولامته من أجل النهوض والترقي.

وليس من العسير عليك أن تجد في مجتمعك أو في شارعك من تستغرب له لارتكابه أخطاء أخلاقية عجيبة فإذا تعامل بخس في الميزان وإذا وعد لم يفي وإذا وجد اقل غفله من جاره سطى على ماله وحقوقه، فقد حدثت قضية

طريفة في عمارة سكنية وهي إن ساكنا اجنبيا لاحظ سرعة استهلاك وقود التدفئة في بيته وخزانات الوقود في سطح البناية، فاخبر بذلك حارس البناية ليعرف سر هذا النفاذ السريع للوقود؟ هل هو ناتج عن تسرب أو سرقة أو سوء في الحارقة؟ وما شابه ذلك، فبقي الحارس يراقب فوجد أن إمام الجامع الساكن في نفس البناية قد عمل ثقبا صغيرا في خزان هذا الرجل الأجنبي وهو يوميًا قبل صلاة الصبح يصعد للسطح ليمد أنبوبا بلاستيكيا رفيعا ويسحب حوالي عشرين إلى ثلاثين لتر من الوقود يوميًا ويفرغها في خزانه، وبعد أن تأكد الحارس اخبر الشرطة والقي القبض على إمام الجامع وهو يقوم بعملية التفريغ المقدسة، فقال أمام الشرطة وبكل صلافة ان هذا الأجنبي مبتدع لا حرمة لماله فإذا لم افعل ذلك سيحاسبني الله على عدم إظهار عدم حرمة مال المبتدع. فقيل له انه من قومك ومن أهل لغتك ومن دينك فقال فليكن ولكنه يختلف معي في المشرب وهو عندي من أهل البدعة (طبعا كلاهما سني

المذهب ولكنهما مختلفان فالإمام السارق سلفي والمسروق ضد السلفية). هذه الحادثة ليست حالة مبالغة وليس مختصة بالفكر السلفي وإنما هي حالة عامة في المجتمعات الإسلامية الكبرى خصوصا في المدن الكبيرة. وهي تختلف كليا عن التزامات أهل القرية المليئة بالخوف والرعب من الملاحظة والتسقيط العام.

ما يجري في المجتمع قد لا يكون ذو أهمية كبرى تجاه القيم السائدة في أساس الحكم عند المسلمين وهو مصدر التوجيه والرعاية للمجتمع الإسلامي، وللاسف نجد الحاكم المسلم يتصف بأعلى درجات الظلم والكذب والخديعة والجبن مع الصلافة، وليس له أي أمان أو التزام أخلاقي، فاذا طلب الحاكم من أصدقاءه الحكام الحكام الالتزام بالامن المشترك سيكون هو أول متآمر عليهم مع أعدائهم الداخليين والخارجيين من أجل القضاء عليهم، إن من يعرف حالة الحكام المسلمين يعرف انه يعيش في مجتمع ذئاب متحفزة

لنهش لحوم بعضها فما أن تحين فرصة للانقضاض الا ورأينا الدماء انهارا بلا أي سبب خارج عن شهوة السلطة وطلب العلو في الأرض على البشر.

ولكن هل ينتصر المسلمون في المعارك؟ نتيجة دمويتهم؟

الجواب انه طيلة التاريخ الإسلامي منذ زمن العباسيين أنفسهم بل حتى قبلهم لا يوجد انتصارات حقيقية فقد تكون هناك معركة فيها نوع من النصر ولكن في النتيجة هي المراوحة على نفس المكان، فلو استثنينا التقدم المغولي في الهند والتقدم العثماني القليل في أوربا، فليس عند المسلمين الا الهزائم والهروب من ساحة المعركة ولكن قد ينتصرون بالأكاذيب وبث الدعايات على الشعوب الفقيرة والمسكينة التي لا تدري ما القضية؟ وذلك لآن الحاكم كاذب وهو متآمر والمعركة كاذبة بالاساس، والمحكوم لا يتصف بالالتزام الأخلاقي تجاه بلده ولا اتجاه دينه فيولي الدبر بكل سهولة ولا يحتاج إلى تعليل وتبرير لمخالفته لدينه في الثبات والإيثار.

وماذا نقول لوصف حالة المسلمين الأخلاقية؟

إنها أسوء صورة عرفها التاريخ.

وهنا مصدر العجب.

فأمة دينها يبني مجتمعا على أرقى معالي الاخلاق فتتصف باسوء الأخلاق من الظلم والجور والكذب والخيانة والغش و الخدعة وسوء المعاملة وفحش الالفاظ وعير ذلك مما هو اسوء خلق عرفه الانسان.

المسؤول الأول هو الحكام الأوائل الذين أسسوا أساس الظلم والجور وحرفوا تعاليم الإسلام وجعلوا الفكر الإسلامي عجينة طيعة لتبرير سوء الخلق والخروج على الدين باسم الدين وقد وصلت نظريات الحكام المسلمين إلى اعتبار الحاكم أهم مصدر للتشريع وان الله يتابع الحاكم في قراراته وليس

حاكما عليها. والعياذ بالله من هذا الكفر الفضيع الذي دعا إليه اغلب حكام المسلين لحد هذا اليوم.

ولا احتاج أن ازيد من تنبيه المثقف المسلم لما عليه أسس نبذ الاخلاق في النظريات المذهبية التي تسمى مقالات المسلمين مثل رفض مبدأ العدل وتبرير ظلم الحاكم وخديعته وكذبه، والضغط على الناس حين تجويعيهم وترذيلهم بان هذا أمر الله والحاكم ليس بيده شيئا وانما هي من الله مباشرة ومن قال بأنها من الحاكم ومن عند أنفسهم فقد كفر قطعا ويجب قطع رأسه لأن هذا الكلام يعني تجريد الله من سلطانه فكيف يخلق الإنسان فعله والله موجود؟

إذن يجب على المسلم قبول كل رذيلة على أنها من الله وان الله نفسه لا تمتنع عليه الرذائل (حاشاه سبحانه وتعالى) وهناك عشرات المقالات العقدية والفقهية التي تؤسس لدين لا أخلاقي يعتمد سيف الحاكم بدل الخلق والالتزام الديني. ولا يمكن استقصاءها جميعا ويكفيك أن تنظر في باب الحيل

الشرعية وباب العقيدة في الجبر والتكليف والحسن والقبح وغير ذلك فستجد المبررات الشرعية المذهبية لسوء الاخلاق وتنسب للإسلام بكل وقاحة وينسب الكفر لمن يخالفها بكل صلافة وهي مناقضة للإسلام جوهرا وصورة.

لو أردنا ان نناقش أسس البناء اللا أخلاقي في فكر المسلمين فسندخل نفقا مظلما وسنتهم بمخالفة الدين وإننا نقول بخلق فعل الإنسان وبالتمرد على الله وهذا كفر فضيع وما شابه ذلك من نقاش بيزنطي مبني على الخديعة والتحريف للنصوص بشكل واضح لدينا ولكنه معكوس تماما لدى الآخرين، فلهذا ليس من المجدي معالجة مشكلة الأخلاق عند المسلمين مرحليا على أساس النقاش في الأسس النظرية لتبرير انعدام القيم الأخلاقية بل يجب التفكير بطريقة أخرى أكثر نجاحا.

يجب على المسلمين إحداث ثورة أخلاقية لبناء مجتمع يمكن أن يتطور بشكل صحيح ويمكن أن يساير العالم في ركب الحضارة والتحضر، ولكن ما

هو اساس هذه الثورة؟ وعلى ماذا تستند اذا كانت المبررات الدينية المذهبية مخالفة لهذه الثورة؟

أقول انه على أساس المصلحة للفرد وللمجتمع.

المصلحة هي التي تدعونا للتمسك بالأخلاق ومعالي معاييرها. فحين نطالب كل موظف بتحديد نفعه من المال العام وحين نطالب كل حاكم بالالتزام بالعهود والمواثيق وعدم الخيانة، وحين نطالب المجتمع ببذل أقصى الجهد في سبيل تحصيل صورة المصداقية والموثوقية للفرد المسلم وللتاجر المسلم، فإننا سنكون مركز استقطاب العالم لأن حكمنا سيكون نظيفا أخلاقيا وشعبنا سيكون ملتزما أخلاقيا يمكن التعامل معه بسهولة وليس كما هو عليه حال بعض الشعوب فأنت حين تشتري بضاعة من الصين الشيوعية يجب أن تنظرها بنفسك وتعزلها وتشحنها حتى تطمئن من عدم التبديل والغش، فلو كنتَ قادرا على إنتاج ما تنتجه الصين وترسله على أسس الموثوقية الرائعة

بلا نظر من المشتري، فانك ستعمل في عالم التجارة بما لا يسعه زمنك ولا تستطيع ان تؤديه وحدك لكثرته وكبير حجمه، وهذا بنفسه أعظم المصلحة التي تجر النفع لك ولجميع المجتمع المسلم.

فنحن ندعو المسلمين أن يقلدوا كل الأمم التي لا تؤمن بالقيم الأخلاقية ولكنها تعمل بالقيم الأخلاقية من أجل رفعة مجتمعها وقوة دولتها وانتشار سلطانها بين الأمم. من دون أن ندخل نقاشا بيزنطيا معهم في ضرورة الأخلاق دينيا بعدما اسقطت الكثير من المذاهب الإسلامية أسس الخلاق وقيمها الحقيقية حينما انكرت القيمة نفسها وحينما أنكرت فعل الإنسان وقدرته وإرادته وحينما حرفت النصوص وانقلب الظلم عدلا والعدل ظلما والصدق قبحا والكذب حسنا. فلا ينبغي لنا الآن الدخول في هذه المتاهة – رغم أهمية مناقشتها بعمق– حتى لا نبقى بلا أخلاق فيسير قطار الأمم علينا وتفوتنا المصلحة والتقدم المنشود.

ولو استعملنا المعايير الأخلاقية لأسباب مصلحية فقط فسنخلص من الحاكم الجائر ومن أفعاله العجيبة في التسلط على أرواح وأموال وأعراض المسلمين، لأن من يجد نفسه مطالبا بالأمانة والصدق وعدم مخالفة النظم الأخلاقية سوف لن يستطيع ان يتجبر ويفعل الكثير من الجرائم المعهودة وإنما سيمارس جرائم صغيرة ومخفية بحسب شهوته وسوف يأمن الناس من غائلته ووحشيته التي نراها الآن بكل وضوح على جميع حكام المسلمين تقريبا.

علينا أن نطالب بالأمانة ونبذ الخيانة والإيثار وبناء مجتمع كمجتمع القرآن من دون ان ندعو لتطبيق القران نفسه لئلا نكفر في مذاهبهم التي تقول إن الدين مبني على الخيانة والظلم ومن قال غير ذلك فقد كفر بالله واشرك.

تعقيب

في موضوع معضلة الأخلاق عند المسلمين تطرقت لقضايا مهمة، وفي أثناء الحديث وصفت بعض المجتمعات الملتزمة بالإسلام كالمجتمع الشيعي في أماكن كثيرة وخلوه من الجريمة. وقد استثنيت بعض الحالات المؤلمة التي أدخلت على المجتمع الشيعي من قبل الحكومات الظالمة من أجل إفساد الشيعة، وكل فاسد يريد من الجميع أن يكون مثله فاسدا، ويبقى متظاهرا بالصلاح، كما هو حال السلاطين المسلمين الذي لم يشهد العالم فسادا كفسادهم، فهم حين يكرهون أهل الحق يحاولون نشر الفساد بينهم حسدا وحقدا، فعلى أهل الحق أن ينتبهوا لاستغلال هؤلاء الشياطين لشهواتهم، وان يفضلوا الحق على ملء الكون ذهبا وشهوات. وعلى الشباب قبل الكهول التنبه لدينهم ولعدوهم الذي يريد حرفهم عنه، بل على الشباب أن يزداد وعيا وأن يتفهم تقصير بعض الكهول في معرفة الحقيقة التي تحيق به من

حرب المجرمين، وعلى شبانا أن يفهم حجم المعركة عليه وعلى مذهبه من قبل أتباع الشيطان والسلطان.

أما بالنسبة للسؤال الأخ عن فتنة الزكرت والشمرت في النجف فسأختصر ما كتبه الباحث كاظم محمد علي شكر حفظه الله في هذا الموضوع وقد قرأته قبل خمس وثلاثين عامًا، وخلاصته:

بعد هجوم الوهابية على كربلاء وعمل الفضائع والجرائم الشهيرة تحَسَّب أهل النجف من هجماتهم على النجف لِما بلغهم عن آراء ونظريات هذه الفئة الضالة من أتباع الإنجليز وجواسيسهم، فأسس الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء رحمه الله مجموعة مقاتلة من أهل النجف واسماهم (الزكرت) وتعني من لا ولد له أو زوجة وأغلبهم كان من قبيلتين بدويتين تسكنان النجف لتدافعا عن النجف، واستعان الشيخ جعفر بمجتمعات كثيرة للتسليح منها إيران وبعض قرى الشرق الشيعة فأثار هذا حفيظة السلطان

العثماني واعتبره وليجة للاستقلال عن السلطنة العثمانية وتدخلا إيرانيا في شؤون المملكة، وهنا حدث أمر خطير استغلته الحكومة العثمانية بتمويل جيش داخلي مقابل لجيش الزكرت تحت رعاية المرجعية، وأساس الأمر هو إن الشيخ جعفر رحمه الله علم بطرقه الخاصة بان سادن الحرم الحيدري من (الملالي) يعمل لصالح الحركة الوهابية ويقوم بالتجسس على جيش النجف، وان سبب إحدى الهجمات على ثغرة لا يعرفها إلا أبناء النجف كان بفعل هذا السادن، فقرر طرده واخذ (الكليدارية — السدنة) منه فأعطاها لابن أخته السيد الرضا الرفيعي أو الرفاعي، فاخذ الكليدار السابق يطالب الباب العالي بان يرجعه إلى الكليدارية ويعلمه إن قرار الشيخ تمرد يخالف فرمان الباب العالي بسبب تعيينه كليدارا غير معين من قبل الباب العالي وسلطان الآستانة، فاخذ العثمانيون يطالبون بالكليدارية لصاحب الحق حسب الفرمان العثماني وبدأ تشكيل مجموعة من الشبان المطالبين بإرجاع الكليدارية

إلى أصحابها الشرعيين منذ ستمائة عام، وقد تم تسميتهم بجيش (الشمردل) أي الأبطال التي صحّفت بعد ذلك إلى (الشمرت) كان قوام هذا الجيش من قبيلة بدوية تسكن النجف أيضا، وقد تم اغتيال قيادات جيش الزكرت، فحدث أن تم الرد عليهم باغتيالات ممثالة بحكم طبيعة القبائل المتصارعة كقبائل بدوية، وبعد مدة حدث أمر مهم حيث قامت أخت المولى (يوسف أو شاكر فقد نسيت) بقتله لأنها تيقنت بان أخيها يساعد الوهابيين وكانوا يُسمون يوم ذاك بـ (جيش الإخوان) ففشل المسعى العثماني وانحل جيش الشمردل بسبب معرفته لخيانة من يقاتلون من اجله لأنهم شيعة ولا يقبلون هذا العمل الخياني، ولكن المشكلة إن الثارات العشائرية بين الطرفين استمرت لمرحلة لاحقة ثم تحوّلت الصراعات المسلحة إلى صراعات كلامية ومنافسات بين حيين في المدينة يسكنهما المتصارعان الأولان هما طرف العمارة للزكرت وطرف المشراق للشمرت، وبقيت هذه المنافسة والمفاخرة

الكلامية مستمرة بحدود ١٠٠ سنة إلى سقوط النجف على يد الانجليز سنة ١٩١٨ وإعدام مجموعة من زعماء الشمرت الذين قاوموا الإنجليز وشاركوا في قتل القائد البريطاني وقد اتحد معهم كل النجفيين في الثورة والمقاومة وانتهت المعركة الكلامية بين الاطراف. ولا اعرف بالدقة كم كان عدد قتلى الاغتيالات بين الطرفين ولكن يبدو انها بعدد أصابع اليدين فانا غير متأكد من الرقم ولكنني لا أميل إلى المبالغات الشعبية وأساطيرها. وهذه الاغتيالات لم تكن إلا في المرحلة الأولى وهي مرحلة المطالبة بالسيطرة على الحرم العلوي لصالح الكليدار الخائن الذي قتلته أخته، وقد بقيت فترة محدودة بين عشيرتين صغيرتين في النجف وانتهت المعارك بعد ذلك لتحريم العلماء عادة الأخذ بالثأر وللتوعية الدينية.

مع العلم انه لا علاقة للخلاف بين السيد محمد الإخباري وبين الشيخ جعفر الكبير بموضوع الزكرت والشمرت وكذا لا علاقة للخلاف مع السيد كاظم

الرشتي وغيره من العلماء الذين اختلفوا معه على بسطه الولاية بطريقة عسكرية. فهذه أمور منفصلة تماما.

والصحيح ان اغتيال السيد محمد الاخباري رحمه الله كان على يد احد أعوان الشاه بوشاية من احد وزراءه لأن السيد محمد الأخباري كان مقربا من الشاه بعد حادثة قتل القائد الروسي بواسطة العمل الروحاني الذي عمله الميرزا أمام الشاه ولكن الوزير الحاسد اخذ يغري صدر الشاه بان من له القدرة عل قتل العدو بواسطة العمل الروحاني سيقتل الشاه حين يريد، وهذا كان سبب طعنه بخنجر من شخص مجهول الهوية في مدينة الكاظمية كما أتذكر، وموضوعه لا علاقة له بالنجف إطلاقا. نعم كان هناك خلافا كبيرا في الرأي في مدينة كربلاء بين أستاذ الشيخ جعفر الكبير وهو الآقا الوحيد البهبهاني وبين السيد محمد والشيخ يوسف البحراني وغيرهم من الاخباريين

ولكن ثبت أنهم كانوا يحترمون بعضهم رغم الخلاف العلمي بينهم. وقد توارث التلاميذ التراشق الكلامي.

واما السيد كاظم الرشتي فقد أساء إليه والى سمعته ظهور الحركة البابية والبهائية بين تلاميذه وتمت مشاحنات بينه وبين علماء النجف وكربلاء، وقد حمّله العلماء المسؤولية الشرعية لما جرى، وقد بقي في كربلاء ثم في النجف معززا مكرما رغم التراشق الكلامي، وقد جمع حوله اهل طرف البراق في مدينة النجف، ولا زال طرف البراق بزعامة اولاد السيد كاظم الرشتي إلى هذا اليوم باسم آل الرشدي مصحفين الرشتي إلى رشدي، وعزاء الحسين لأهل طرف البراق يخرج من دار السيد كاظم الرشتي في كل سنة في عشرة أيام من محرم الحرام.

أما سؤالك عن حملة إدخال الغرباء وحماية المجرمين منهم.

بالأساس لست ضد انتقال الناس بين المدن، بل من المؤيدين لتوسيع وتمتين العلاقات الحضارية بين الحواضر الإسلامية ومن المؤيدين لحملة تحضير البداوة والهجرة إلى الله وتمكين المعرفة.

ولكن لست من المؤيدين لنشر الفساد بواسطة التنقل بين المدن. فهذه حجة يمكن أن تنطلي على البسطاء.

موضوع الهجرة موضوع معقد اغلبه كان بسبب الضيق المعاشي الذي يعيشه أهل الريف مما دعا الكثير منهم للهجرة من أجل لقمة العيش، وكان هذا الوضع غير منضبط وغير ممنهج بل كان مستغلا من قبل المخططين للحروب الطائفية، وإلا فالأصل فيه هو تحسين الحال الاقتصادي والتعليمي والحضاري وهو ممدوح قطعا.

ولم يبدأ دخول الغرباء حقيقة في مدينة النجف إلا في سنة ١٩٥٦ م تقريبا، وقد تم إيقاف توزيع الأراضي لأهل النجف وتم التوزيع إلى موظفين في دوائر

قمعية للدولة من خارج المدينة، وهم إما أن يبيعونها لمن يختارون سواء لهدف مالي بحت أو لهدف سياسي طائفي أو يقيمون فيها المباني ويؤجرونها لمن يريدون.

ورغم ضيق شريحة الفاسدين ولكن كما هو معلوم فان فاسدا واحدا يمكن أن يغطي على ألف من الصالحين.

وهناك أساليب خبيثة جدًا لإدخال الفاسدين والفاسدات بعد أن توسعت مدينة النجف لتمتد خارج سورها المعروف. ولكن بحمد الله فقد تقلصت الآن ظاهرة الفساد التي كانت ترعاها الدولة – كما قيل لي –.

نظريتان:

عدالة صحابة مع القرآن، وعدالة صحابة ضد القرآن

هذا حديث من القلب إلى كل سني غيور على دينه، فهنا خاطرة خاصة لكل سني مثقف يفهم الكلام بعقل منفتح ويحب الله ورسوله.

يقولون ان الشيعة لايؤمنون بعدالة الصحابة فيجب ان نكره الشيعة وان نحاربهم، فما هو حقيقة هذا الكلام؟

الجواب بكل وضوح: أن هذا الكلام باطل وخطأ بشكل قطعي، فلا يوجد من يقدس الصحابة مثل الشيعة، ولا يوجد من يحفظ حق الصحابة وحرمتهم مثل الشيعة، ولكن هناك فرق بين النظريتين لعدالة الصحابة وتقديسهم.

يجب ان ان يطّلع عليهما ابننا المولود في المحيط السني التابع للسلطان ليعرف حقيقة القضية ، وحقيقة هذه التهمة التي يراد بها أن يحارب الأخ

أخاه. والتي افسدت قلوب المسلمين وحولتهم إلى وحوش على شكل بشر بصورة القتل على الهوية، والإبعاد واقصاء الاخر على مر السنين، بحجة عدم الايمام بعدالة الصحابة.

هنا نظريتان اساسيتان عليك أن تفهمها لتفهم أي النظريتين هي المزورة والخارجة عن الإسلام.

ساضطر لاختصر لك النظريتان من دون رتوش أو استدلال بالآيات الكريمة لان ما اقوله مفهوم لكل من يقرأ كتاب الله:

النظرية الأولى

وقد اختارها اهل البيت وشيعتهم وهي نظرية عدالة الصحابة بالاطار القرآني. ومفادها: وجوب حب وحفظ الصحابة لأنهم طريقنا إلى رسول الله ص فلا بد أن نقدسهم ونجلهم، ويجب ان يتصف الصحابي المقدس

بالصفات القرآنية من التقوى والعدالة والعلم وعدم الخروج عن الإسلام وعدم نكث العهد، فهؤلاء نأخذ عنهم الدين ونتبع هديهم.

فبعد أن عرفنا أن بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وآله قد ارتكبوا المخالفات الشرعية القطعية، فلابد من التمحيص وتعيين من هو الصحابي المقدس دون من لا قداسة له ولا حجة في فعله، وهذا هو مقتضى النصوص الهائلة التي في كتاب الله من شرط عدم الزيغ وعدم خيانة العهد والتمسك بالشريعة وتقديم الاعلم والاتقى والاسبق ومن يتصف بالايمان بالغيب وغير ذلك مما ورد في القرآن من صفات الصحابة وشروطهم أو من صفات المؤمنين العدول وشروطهم.

وخلاصة النظرية هي: ان الالتزام بشروط الصحبة القرآنية موجب للتقديس والمحبة والولاء واعتبار حجية الطريق إلى النبي ص، وليس الصحبة بما هي صحبة تزكي وتقدس المتصف بها. أي لا يكفي جهالة حال الصحابي ليكون

عدلا فالاحتياط للدين يوجب التمحيص والحكم بيقين بعد ثبوت المخالفة القطعية واندساس النفاق بين الصحابة، وذلك ممكن بدراسة حال الصحابة والتزامهم بالدين أو مخالفتهم القطعية. وهذا هو مقتضى مجمل النصوص القرآنية.

النظرية الثانية

وهي نظرية سلاطين المسلمين الجائرين التي يغشون بها اهل السنة. وهي تقول: أن الصحبة بما هي صحبة تزكي المتصف بها بدون قبول أي شروط قرآنية حتى لو ادى هذا القول إلى المخالفة الصريحة مع القرآن، ولو خالف الصحابي مخالفة علنية للشرع فيجب ان نحمله على الصواب أو نعذره بحجج كثيرة مثل أنهم تابوا فتاب الله عليهم فانتهت المشكلة وليس هناك مشكلة من عدم ثبوت تلك التوبة، وانما يجب ان نفترضها لأن هؤلاء اتصفوا بالصحبة، وهذا حال يوجب الفرض.

ويدّعون ان مبرر ذلك هوأن حال المنافقين مجهول ولا يمكن معرفتهم ونحن مأمورون بحسن الظن بصحابة رسول الله ص وحسن الظن يقتضي تعديلهم وغض النظر حتى على المخالفة الظاهرة.

وأما نصوص القرآن في الشروط فهي على انواع:

فما كان منها يصف الصحابة بالمنافقين فهذا لا يشمل الا المنافقين الذين لا نعرف من هم؟ فيجب ان نقدس الجميع لأننا لا نعرف المنافقين باعيانهم وهم طريقنا إلى الرسول ص فلا بد من قبول جميع الصحابة بما فيهم المنافقين المختفين بين الصحابة (نحمل المجهول على الصحة)

وقسم من النصوص يوجب شروطا لرضا الله عن الصحابة بعدم التبديل فهذا لا نعتني به بل نأخذ الرضا لأنه معلوم، ونترك شرط [عدم التبديل] لأنه غير مفهوم ولا يمكن تعيينه، وقسم من النصوص فيها تفضيل السابقين وتفضيل العلماء وتفضيل المقربين وهذا لا نأخذ به لعدم التفضيل في مذهب اهل

السنة، وقسم عام لصفات المؤمن والتقي والعادل والمتمسك بحبل الله ورسوله وتفضيله وهذا لا نأخذ به. وانتهت النظرية بهذا القدر.

وخلاصة هذه النظرية بكل صراحة هو: أن عدالة الصحابة يجب ان تكون ضد القرآن وبعيدا عن تعليماته، والا فسدت وبفسادها امتنع اخذنا للدين عن رسول الله ص لعدم امكان معرفة المنافقين والمخالفين لرسول الله بين الصحابة ولعدم قدرة العقل على ادراك معنى مخالفة الشريعة لإمكان وجود التبرير والعذر والاحتمالات المصححة للسلوك مهما كان الاحتمال بعيدا وضعيفا.

وهذه هي عدالة ضد القرآن كما هو واضح. وهي ضد العقل وضد الكياسة فان التصريح بعدمقدرتنا على التمحيص هي استهانة ظارة بقدرة الانسان وهي اشبه ما يكون بأوامر الشرطة للناس بالعمل من دون تفكير أو بقول الشيوعيين

(نفذ ثم ناقش) ولن يأتي وقت مطلقا للنقاش. وعلى كل حال فان النظرية فيها خلل بيّن في القواعد العقلية والدينية والقرآنية.

فيا أخي الحبيب الحبيب حاول ان تدرس النظريتين وتعرضهما على كتاب الله وسنة رسوله والعقل السليم فستعرف أن النظرية الشيعية هي النظرية الإسلامية وان نظرية السلاطين لا علاقة لها بالإسلام مهما ألبست ثوب الإسلام، لأنه يستحيل ان يطاع الله من حيث يعصى ويستحيل ان يتحقق الإسلام بترك الإسلام نفسه، وهذا ما يحدث مع هذه النظرية السلطانية لمبتدعة في الدين.

فهل يجب أن تقتنع يا اخي السني بوجوب حرب أو اذى أو تشويه صورة المسلم الشيعي لأن المبتدعة يغرونك بقولهم بأن الشيعة لا يؤمنون بعدالة الصحابة؟

وقد يضيفون معيارا اخر وهو بما أن الشيعة ينتقدون الخليفتين (وقد يسمون النقد سبابا بخلاف معناه)، فهذا نكث لعدالة الصحابة في اجلى صورها.

بل اوجد بعض فقهاء السلاطين حكما عجيبا لا يعرفه الله ولا رسوله وهو قتل أو كفر ساب الشيخين بدون طلب التوبة منه بينما يستتاب من يسب الله. مع أن الشيخين انفسهما قد سبهما المسلمون في زمن النبي فلم يفعل الرسول اكثر من الابتسامة، وسبهما المسلمون في خلافتهما فلم يحدث شيئا مما حكموا به بل سب الخلفاء خلفاء، فعثمان سب ابا بكر وعمر سب علي ووصفه بالنزق والصغر في السن ومعاوية سب عمر وسب علي على المنبر واتهمه بشتم بابي بكر. وهذه كلها حوادث لها شواهد من الواقع التاريخي سوف اذكر نماذج من النصوص ليتبين لك بعض ذلك والبقية متروك لدينك ولضميرك.

ولكن هل يلتزم القائلون بهذه النظرية بحكمها؟

وهل يحكمون بقتل من سب الصحابة؟

وهل يفسقون أو يكفرون من يؤذي المؤمنين من الصحابة؟

الجواب واضح: انهم لا يلتزمون أبدا بنظريتهم حين يتعلق الامر بالفريق الذي يكرهه من وجدت هذه النظرية لصالحهم الذين هم بعض فساق أو مخالفي الصحابة. فسب علي بن ابي طالب جائز عندهم وتفسيق الصحابة الذين حاربهم معاوية وغيره مثل حجر بن عدي و هند بن أبي هالة أول الرجال من المسلمين وغيره ممن فسقوهم وقتلوهم من عشرات المؤمنين من الصحابة بل قل الألوف.

واما مشكلة المشاكل لهذه النظرية هي قضية تقاتل الصحابة والخروج بمبدأ غريب جدًا وهو انه لا يمكن الحكم على الباطل والحق ولا يمكن معرفة الحق من الباطل في مسألة قتال الصحابة لبعضهم. ويقولون أن هذه المسألة توكل إلى الله فقط، أي انهم لا يستطيعون تمييز الحق من الباطل فيها.

إن قراءة بسيطة للسلوك مع هذه النظرية تظهر بشكل لا مرية فيه انها للدفاع عن فساق الصحابة وعن المنافقين فقط لأسباب سياسية وقد تكون للتغطية على صعود المنافقين انفسهم إلى تخت الحكم كما حدث بصعود القيادات العسكرية غير الملتزمة بالإسلام والمؤمنة بالسلب والنهب وانه هو جوهر الدين، وهي تعبّر عن حالة من الغياب عن الوعي والدين من أجل رغبات الحاكم الذي يريد منا ان نقدس مخالفة اللّه ورسوله عبر تقديس المخالفين لهما.

وهنا يجب ان اثير وعي أي مثقف سني بقراءة طائفة من النصوص المهمة ليتلمس مقدار التناقض بين الفكرة التي يروجون لها وبين الواقع وهي مقسمة لطوائف من النصوص:

فستكون الطائفة الأولى من النصوص:

عن بعض احكام وحوادث في قتل من يسب الشيخين كحكم شرعي تابع لعدالة الصحابة السلطانية المضادة للقرآن الكريم.

وستكون الطائفة الثانية من النصوص:

أن مسلمًا يسب ابا بكر امام رسول الله ص فيبتسم الرسول ص ولكن حين يرد عليه ابا بكر يغضب رسول الله ص ويقوم من مقامه ويقول قد ذهب الملك وجاء الشيطان ولا ينبغي ان ابقى مع الشيطان، وهذه القصة حجة على من يقول بطريق الصحاح السنية. وان كان فيها من الزيادة الموضوعة ما لا يمكن اخفائه لوجود التناقض. والمهم في النص هو عدم حكم النبي بكفر أو قتل ساب ابي بكر فمن اين أتى حكمهم المخترع الموسع المبني على عدالة الصحابة، وهل ساب ابي بكر هو عادل ايضا؟ ولماذا لم يأمره النبي بالاعتذار له على اقل تقدير اذا كان سبه محرما؟

وستكون الطائفة الثالثة من النصوص:

هو ذكر تشاتم الصحابة بينهم وذكر مجلس يضم بعض اهم الصحابة المعروفين وقد وقع بينهم من التشاتم وسوء الخلق خصوصا تجاه النبي وأهل بيته ما يندى له الجبين وجواب ريحانة رسول الله ص الإمام الحسن عليه السلام على سبهم وشتمهم لعرض رسول الله واهل بيته.

الطائفة الأولى من النصوص: وهي مجموعة نصوص في حكم من سب ابا بكر وعمر وعائشة عند بعض وعاظ السلاطين:

المغني – عبد الله بن قدامه – ج ٢ – ص ٤١٩

وقال الفاريابي: من شتم أبا بكر فهو كافر لا أصلي عليه، قيل له فكيف تصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته.

الغدير – الشيخ الأميني – ج ١٠ – ص ٢٦٩

وقال الجرداني في " مصباح الظلام " ٢ : ٢٣ : قال أكثر العلماء : من سب أبا بكر وعمر كان كافرا.

وقال ابن تيمية في " الصارم المسلول " ص ٥٨١ : قال إبراهيم النخعي : كان يقال شتم أبي بكر وعمر من الكبائر. وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي : شتم أبي بكر و عمر من الكبائر التي قال الله تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه.

وقتل عيسى بن جعفر بن محمد لشتمه أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة بأمر المتوكل على الله. قاله ابن كثير في تاريخه ١٠ : ٣٢٤.

وفي " الصارم المسلول " ص ٥٧٦ : قال أحمد في رواية أبي طالب في الرجل يشتم عثمان : هذا زندقة.

تاريخ الطبري – الطبري – ج ٧ – ص ٣٧٥ – ٣٧٦

ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره في ذلك * وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسان الزيادي قاضى الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة سبعة عشر رجلا شهاداتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط فإذا مات رمى به في دجلة ولم تدفع جيفته إلى أهله.

اقول: يبدو من جملة: إن شهاداتهم مختلفة. أن القضية فيها تلفيق واضح. ثم هل رأيت الحكم ونوعه؟

فهل تجد في الإسلام مبررا لهذا الحكم أو دليلا يستند عليه؟

فهو يقتل مسلمًا لغير ما امر الله من الحدود وبطريقة الموت بالتعذيب (في رواية انه امر بجلده الف جلدة) ولا يقبل حتى دفنه ولا يسلم إلى أهله وانما

يقذف في نهر دجلة!!! فهذا هو من يعلم المجرمين رمي جثث الأبرياء في نهر دجلة.

قصة طريفة في اعتراض خليفة مسلم عاقل على من حدّ مسلمًا لشتمه الشيخين فاقرأ بتمعن:

تاريخ اليعقوبي – اليعقوبي – ج ٢ – ص ٤٦٨ – ٤٦٩

وكان بشر بن الوليد الكندي، قاضي المأمون ببغداد، قد ضرب رجلا قرف بأنه شتم أبا بكر وعمر، وأطافه على جمل.

فلما قدم المأمون أحضر الفقهاء، فقال:

إني قد نظرت في قضيتك، يا بشر، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة.

ثم أقبل على الفقهاء.

فقال: أفيكم من وقف على هذا؟

قالوا: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟

فقال: يا بشر! بم أقمت الحد على هذا الرجل؟

قال: بشتم أبي بكر وعمر.

قال: حضرك خصومه؟

قال: لا!

قال: فوكلوك؟

قال: لا!

قال: فللحاكم أن يقيم حد القرفة بغير حضور خصم؟

قال: لا!

قال: وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصته، فيبطل الحد؟ قال: لا!

قال: فأمهما كافرتان أو مسلمتان؟

قال: بل كافرتان.

قال: فيقام في الكافرة حد المسلمة؟

قال: لا! (أقول لا ارى في هذا السؤال والجواب علاقة بين كفر امهات الشيخين باقامة الحد على شاتمهما ولكن وضعت الكلام كما هو ولعل هناك تصحيفا أو سقطا في الجملة أو لعله يشير إلى عدم حد من ابويه مسلمين بمن ابويه كافرين وهذا لم اعثر عليه في فقه المسلمين فالعبارة فيها غموض)

قال: فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحق، أفيشهد عندك شاهدا عدل؟

قال: قد زُكي أحدهما

. قال: فيقام الحد بغير شاهدين عدلين؟

قال: لا!

قال: ثم أقمت الحد في رمضان، فالحدود تقام في شهر رمضان؟

قال: لا!

قال: ثم جلدته وهو قائم، فالمحدود يقام؟

قال: لا!

[قال:] ثم شبحته بين العقابين، فالمحدود يشبح؟

قال: لا!

قال: ثم جلدته عريانا، فالمحدود يعرى؟

قال: لا!

قال: ثم حملته على جمل، فأطفته، فالمحدود يطاف به؟ قال: لا!

قال: ثم حبسته بعد أن أقمت عليه الحد، فالمحدود يحبس بعد الحد؟

قال: لا!

قال: لا يراني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك، خذوا عنه ثيابه، واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه.

فقال له من حضر من الفقهاء: الحمد لله الذي جعلك عاملا بحقوقه، عارفا بأحكامه، تقول الحق، وتعمل به، وتأمر بالعدل، وتؤدب من رغب عنه، إن هذا، يا أمير المؤمنين، حاكم أجد [اجتهد] برأيه فأخطأ، فلا تفضح به الحكام، وتهتك به القضاء.

فأمر به، فحبس في داره حتى مات.

الطائفة الثانية من النصوص: حال حكم رسول الله ص حين شَتَمَ مسلمٌ ابا بكر [إنه التبسم]:

مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ٢ – ص ٤٣٦

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى عن ابن عجلان قال ثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ان رجلا شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال [وقام] فلحقه أبو بكر فقال يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت. قال إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لا قعد مع الشيطان.

وقد قال عن الحديث في مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٨ – ص ١٨٩ – ١٩٠

قلت روى أبو داود منه إلى قوله فلم أكن لأقعد مع الشيطان – رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح.

فهذا الحديث يجب على كل مسلم قراءته يوميًا ليرى أين هو الحكم بالكفر والقتل لمن سب ابا بكر حتى يُقتل ملايين الابرياء على مر التاريخ بهذه التهمة؟

وليتها تهمة صادقة بل هي دائما تلفيق في تلفيق.

على ان ما يقصدون في السب بالنسبة للشيعة هو النقد وعدم اعتماد حجية الخلفاء. والا فإن الشيعة مما لا يعقل ان يسبوا لأن السيف مسلط على رقابهم بهذه التهمة!

فكيف لعاقل ان يفعلها في ذلك الوقت؟

وهذه مراجع وفقهاء الشيعة يحرمون اشهار سب الشيخين بالعناوين الثانوية درأً للفتنة ولحفظ دماء المؤمنين نتيجة سراية هذه الفتوى غير الإسلامية التي لا اصل لها في شرع الإسلام. وسيتبين أن مخترعي هذه الفتوى يجيزون بل يقومون بسب وشتم سيد المؤمنين علي بن ابي طالب وينسون فتواهم وحكمهم بعدالة جميع الصحابة فهل يستثنون الاتقياء المجاهدين منهم؟

فلْيدلّنا اصحاب الفتوى السلطانية اين يجدون حكم كفر وقتل من يسب ابا بكر بحديث صحيح كهذا الحديث الدال على الاباحة.

بينما يستطيع الشيعة ان يأتوهم بعشرات النصوص الصحيحة الصريحة الدالة على حرمة سب علي بن ابي طالب وأن سبه هو سب لله عزوجل. والأمويون الظلمة يسبونه علنا ولحد هذا اليوم فقد صدر من الوهابية من السب واللعن لعلي ما يندى له الجبين.

الطائفة الثالثة من النصوص: وهي مجموعة نصوص في تشاتم الصحابة

ذكر الامام الرازي بعض القصص في تشاتم الصحابة انفسهم وقد اخترت ان ابدأ بالحكاية الأولى ثم اذكر تفصيلها من ابن ابي الحديد ليعقل المسلم إلى اين كانت تجري الأمور؟

وما هي الحقيقة؟

ثم بعد ذلك اذكر بقية القصص:

المحصول – الرازي – ج ٤ – ص ٣٤٠ – ٣٤٢

(ما يروى من شتم بعضهم بعضا)

ولنذكر من ذلك حكايات:

الحكاية الأولى

حكى ابن داب في مجادلات قريش قال:

اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة ثم أحضروا الحسن بن علي رضي الله عنهم ليسبوه وهو فلما حضر تكلم عمرو بن العاصي وذكر عليا رضي الله عنه ولم يترك شئ من المساوئ الا ذكر فيه وفيما قال إن عليا شتم أبا بكر وشارك في دم عثمان إلى أن قال اعلم أنك وأباك من شر قريش ثم خطب كل واحد منهم بمساوئ علي والحسن رضي الله عنهما ومقابحهما صلى الله عليه وسلم ونسبوا عليا إلى قتل عثمان ونسبوا الحسن إلى الجهل والحمق.

فلما آل الأمر إلى الحسن رضي الله عنه خطب ثم بدأ يشتم معاوية رضي الله عنه وطول فيه إلى قال له إنك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وذلك بعدما عمي أبو سفيان فلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمل وراكبه وسائقه وقائده فكان أبوك الراكب وأخوك القائد وأنت السائق

ثم قال لعمرو بن العاص إنما أنت سبة كما أنت فأمك زانية اختصم فيك خمسة نفر من قريش كلهم يدعي عليك أنك ابنه فغلب عليك جزار قريش من الأمهم حسبا وأقلهم منصبا وأعظمهم لعنة ما أنت إلا شانئ محمد فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم إن شانئك هو الأبتر ثم هجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعين قافية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني لا أحسن الشعر فالعنه بكل قافية لعنة

وأما أنت يا ابن أبي معيط فوالله ما ألومك أن تبغض عليا وقد جلدك في الخمر وفي الزنا وقتل أباك صبرا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وسماه الله تعالى في عشر آيات مؤمنا وسماك فاسقا وأنت فاسق وأنت علج من أهل النورية

أما أنت يا عتبة فما أنت بحصيف إذا فأجيبك ولا عاقل فأعاتبك فقال وأما وعدك إياي بالقتل فهلا قتلت الذي وجدت في فراشك مع أهلك

وأما أنت يا مغيرة بن شعبة فمثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإني عليك نازلة فقالت النخلة والله ما شعرت بوقوعك أي علي وأما زعمك أنه قتل عثمان فلعمري لو قتل عثمان ما كنت منه في شئ وإنك لكاذب.)

أقول: هذه الرواية كما في المحصول مختصرة وفيها اقتطاع مخل، وتفصيلها رواه ابن ابي الحديد وغيره عن كتاب المفاخرات وسوف اعتمد نص ابن ابي الحديد:

شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٦ – ص ٢٨٥ – ٢٨٩

(وروى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، قال:

اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه السلام قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين،

إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدق، وأمر فأطيع، وخففت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا.

قال معاوية، فما تريدون؟ قالوا: ابعث عليه فليحضر لنسبّه ونسبّ أباه، ونعيره ونوبخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا، من ذلك.

قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن، فقال: ويحكم لا تفعلوا! فوالله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي، قالوا: ابعث إليه على كل حال.

قال: إن بعثت إليه لأنصفنه منكم.

فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يربي قوله على قولنا؟

قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مره بذلك.

قال: أما إذ عصيتموني، وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية، فجاءه رسوله، فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك. قال: من عنده فسماهم له. فقال الحسن عليه السلام: مالهم؟ خر عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم قال: يا جارية، ابغيني ثيابي، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت، بحول منك وقوة، يا أرحم الراحمين! ثم قام، فلما دخل على معاوية، أعظمه وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم، وخطروا خطران الفحول، بغيا في أنفسهم وعلوا.

ثم قال: يا أبا محمد، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني. فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله، الدار دارك. والإذن فيها إليك، والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم، إني لأستحي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على رأيك، إني لأستحي لك من الضعف، فأيهما تقرر، وأيهما تنكر؟ أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بنى عبد المطلب، وما لي أن أكون مستوحشا منك ولا منهم، أن وليي الله، وهو يتولى الصالحين.

فقال معاوية: يا هذا: إني كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومنى، وإنما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما، وأن أباك قتله، فاستمع منهم ثم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك.

فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم ذكر عليا عليه السلام، فلم يترك شيئا يعيبه به إلا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره

خلافته، وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرها، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلما.

وادعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها، وأضاف إليه مساوئ، وقال: إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم مالا يحل. ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك. وإنما دعوناك لنسبك وأباك، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شئ فارددە علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقال: يا بني هاشم، إنكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقكم، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلما، لا عذر له ولا حجة، فكيف ترون الله طلب بدمه، وأنزلكم منزلتكم، والله إن بنى أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وإن معاوية خير لك من نفسك.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فقال: يا حسن، كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وإنك ممن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا، ولا في ميزانها راجحا، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه، وأما أنت، فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم عليا، وقال. والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان. ثم سكتوا.

فتكلم الحسن بن علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً ألفته وسوء رأى عرفتَ به، وخلقاً شينا ثبتّ عليه، وبغياً علينا، عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم.

أنشد كم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم، صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأخرى ناكث!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال!

وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفى كل ذلك يفتح الله له ويفلح حجته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط!

وأنشدك الله يا معاوية، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: (اللهم العن الراكب والقائد والسائق!).

أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا

خالي وعمى وعم الام ثالثهم * وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تكلفنا * والراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد * حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت.

وأنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل فيه: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث عليا بالراية، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها!

ثم قال: يا معاوية أظنك لا تعلم أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتابا إلى بنى خزيمة، فبعث إليك [ابن عباس، فوجدك تأكل، ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل، فدعا عليك الرسول بجوعك] ونهمك إلى أن تموت.

وأنتم إيها الرهط: نشدتكم الله، ألا تعلمون أن رسول الله صلى إليه عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها.

أولها: يوم لقى رسول الله صلى الله عليه وآله خارجا من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفا إلى الدين، فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده، وهم أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان، وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثالثة: يوم أحد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادى: أعل هبل! مرارا، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات، ولعنه المسلمون.

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام، والهدى معكوفا أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان، ولعن القادة والاتباع، وقال: (ملعونون كلهم، وليس فيهم من يؤمن)، فقيل: يا رسول الله، أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: (لا تصيب اللعنة أحدا من الاتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد).

والسادسة يوم الجمل الأحمر.

والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثنى عشر رجلا، منهم أبو سفيان. فهذا لك يا معاوية.

وأما أنت يا بن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولا، من عهر وسفاح، فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسبا، وأخبثهم منصبا، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل الله فيه

ما أنزل. وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيبا وعداوة. ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطاك ما رجوت ورجعك الله خائبا، وأكذبك واشيا، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي، حسدا لما ارتكب، مع حليلتك، ففضحك الله وفضح صاحبك. فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام.

ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون إنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة)، فعليك إذا من الله مالا يحصى من اللعن.

وأما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعرت عليه الدنيا نارا، ثم حلقت بفلسطين، فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحه أدميتها. ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا.

ويحك يا بن العاص! ألست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل * وما السير منى بمستنكر

فقلت: ذريني فإني امرؤ * أريد النجاشي في جعفر

لأكويه عنده كية * أقيم بها نخوة الأصعر

وشانئ أحمد من بينهم * وأقولهم فيه بالمنكر

وأجرى إلى عتبة جاهدا * ولو كان كالذهب الأحمر

ولا أنثني عن بني هاشم * وما اسطعت في الغيب والمحضر

فإن قبل العتب منى له * وإلا لويت له مشفري

فهذا جوابك، هل سمعته!

وأما أنت يا وليد، فوالله ما ألومك على بغض على، وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرا، وأنت الذي سماه الله الفاسق، وسمى عليا المؤمن، حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا علي، فأنا أشجع منك جنانا، وأطول منك لسانا، فقال لك على: اسكت، يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق. فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون)، ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا: (أن جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا).

ويحك يا وليد! مهما نسيت، فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنزل الله والكتاب عزيز * في علي وفى الوليد قرانا

فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقا * وعلى مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عمرك الله * كمن كان فاسقا خوانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل * وعلى إلى الحساب عيانا

فعلى يجزى بذاك جنانا * ووليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة بن أبان * لابس في بلادنا تبانا

وما أنت وقريش؟ أنما أنت علج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسن ممن تدعى إليه.

وأما أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أمتك إلا سواء، وما يضر عليا لو سببته على رؤوس الاشهاد! وأما وعيدك إياي

بالقتل، فهلا قتلت اللحياني إذا وجدته على فراشك! أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان * ولسبة تخزي أبا سفيان

نبئت عتبة خانه في عرسه * جبس لئيم الأصل من لحيان

وبعد هذا ما أربا بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك، ولم تقتل فاضحك؟ وكيف ألومك على بغض على، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد!

وأما أنت يا مغيرة، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإني طائرة عنك، فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة على فأعلم بك طائرة عنى!

والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا كلامك، وإن حد الله في الزنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقا، الله سائله عنه!

ولقد سألتَ رسول الله صلى الله عليه وآله: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: (لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا)، لعلمه بأنك زان.

وأما فخركم علينا بالأمارة: فإن الله تعالى يقول: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا.

ثم قام الحسن فنفض ثوبه، وانصرف، فتعلق عمرو بن العاص بثوبه، وقال: يا أمير المؤمنين، قد شهدت قوله فيّ وقذفه أمي بالزنا، وأنا مطالب له بحد القذف. فقال معاوية: خل عنه لا جزاك الله خيرا. فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأكم أنه ممن لا نطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني، والله ما قام حتى أظلم على البيت، قوموا عنى، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق. والله المستعان.

أقول: أخي المثقف السني هل يدلك ما تقرأ على أخلاق هؤلاء وتآمرهم على اهل البيت وشتمتهم واذاهم لعلي وأهل بيته؟ وهذه الرواية وحدها كافية في بيان الحقيقة، ثم أن نظرية عدالة الصحابة مطلقا كانت ولا زالت لتعديل هؤلاء وهم كما ترى، فهل تعدّل هؤلاء وهم بهذه القباحة؟

ثم هل التفت إلى ان ابتداع قضية تكفير من شتم ابا بكر وعمر وهو من اصحاب ذلك المجلس الجائرين (بني امية وانصارهم). فهل تحتاج إلى تنبيه عقلي اكثر من هذا.

المحصول – الرازي – ج ٤ – ص ٣٤٢ – ٣٤٤

الحكاية الثانية: أن عثمان رضي الله عنه أخر عن عائشة رضي الله عنها بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل فقال عثمان رضي الله عنه ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط. الآية

فكانت عائشة رضي الله عنها تحرض عليه جهدها وطاقتها وتقول أيها الناس هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل وقد بليت سنته اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا

ثم إن عائشة ذهبت إلى مكة فلما قضت حجها وقربت من المدينة أخبرت بقتل عثمان فقالت ثم ماذا فقالوا بايع الناس علي بن أبي طالب فقالت عائشة قتل عثمان والله مظلوما وأنا طالبة بدمه والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله فقال لها عبيد بن أم كلاب ولم تقولين ذلك فوالله ما أظن أن

بين السماء والأرض أحدا في هذا اليوم أكرم على الله من علي بن أبي طالب فلم تكرهين ولايته ألم تكوني تحرضين الناس على قتله فقلت اقتلوا نعثلا فقد كفر فقالت عائشة لقد قلت ذلك ثم رجعت عما قلت وذلك أنكم أسلمتموه حتى إذا جعلتموه في القبضة قتلتموه والله لأطلبن بدمه فقال عبيد بن أم كلاب هذا والله تخليط يا أم المؤمنين.

المحصول – الرازي – ج ٤ – ص ٣٤٤ – ٣٤٥

الحكاية الثالثة: الخصومة العظيمة التي كانت بين عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار وبين عثمان والخصومة التي كانت بين عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم حتى آل الأمر إلى الضرب والنفي عن البلد واللعن وكل ذلك يقتضي توجه القدح إلى عدالة بعضهم

المحصول – الرازي – ج ٤ – ص ٣٤٥ – ٣٥٠

الحكاية الرابعة: مقتل عثمان رضي الله عنه والجمل وصفين.

اقول: اختصر الإمام الرازي المشكلة العظمى والفتنة الكبرى بحكاية مدمجة لمقتل عثمان والجمل وصفين. بينما كل حادثة على حدة فيها مشكلة عظيمة لكثرة من فيها من الصحابة المتقاتلين، ولعظيم الاشكال على عدالة الصاحبة مطلقا أو جواز سبهم أو قتالهم وما شابه ذلك. فكيف يجوز قتل الصحابي المؤمن ولا يجوز سبه؟ انها معادلة واضحة الاضطراب. فإنهم يقتلون الصحابي المؤمن ويدعون عدم جواز سبهم؟ أليس ذلك عجيبا! فكيف يمرر ذلك على المثقف؟

تركت هذه القصص ترد على من زعم عدالة الصحابة من دون الضوابط القرآنية وعلى من زعم كفر أو وجوب قتل من سب الشيخين، وهي خير شاهد ودليل على عدم الالتزام بمضمون النظرية منذ القدم ولو اردنا ان نجد الشواهد على مر العصور لاحتجنا إلى نقل كتب كاملة.

وخلاصة القول: يا اخي لا يغشنك الوهابية بافكار بني امية عن طريق ايجاد معايير لا يقبلها الله ولا رسوله ولا العقل وليس لها شاهد بل الشواهد على خلافها. كما هو حال القول بعدالة الصحابة ضد القرآن أوالقول بكفر أو قتل من يسب ابا بكر بلا دليل بل ضد الدليل من السنة النبوية الدالة على الاباحة وعدم جواز القتل أو التكفير.

تعقيب ١

اتصل بي أحد الأصدقاء وقال لي: اطّلعت على خاطرتك الاخيرة ولي عليها ملاحظة وهي أن هذه النصوص التي اوردتها في جواز شتم الشيخين وتناقض الحكم مع الدليل عمدتها حديث احمد بن حنبل عن تبسم النبي بشتم ابي بكر وهو بطريق صحيح كما لا يخفى، ولكن جماعتنا يرون انه دال على كراهة شتم ابي بكر، وانت ادعيت انه دال على الاباحة والفرق بينهما ظاهر. فالمشكلة إذن في الدلالة.

فأجبته بما يلي:

معنى دلالته على الكراهة هو عدم الحرمة اصلا فضلا عن الحكم بالكفر والقتل. واصل المشكلة هي القتل والتكفير على أساس هذا الحكم الذي يناقض فعل وقول رسول الله ص.

وبيّنت له باختصار لماذا قلتُ انه الاباحة وأن الحديث دال على ان حكم شتم ابي بكر كحكم شرب الماء وهو بنص صحيح ومعتمد عند أهل السنة.

والآن ابيّن بالتفصيل السبب لقولي أن الحديث دال على اباحة شتم ابي بكر وانه ليس فيه معصية اطلاقا فضلا عن دعواهم الكفر ووجوب القتل.

اكرر نقل الحديث للتأمل:

مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ٢ – ص ٤٣٦

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى عن ابن عجلان قال ثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ان رجلا شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال [وقام] فلحقه أبو بكر فقال يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت. قال إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لا قعد مع الشيطان.

وقد قال عن الحديث في مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٨ – ص ١٨٩ – ١٩٠:

قلت روى أبو داود منه إلى قوله فلم أكن لأقعد مع الشيطان – رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح.

والدراسة للحديث تنبّهنا إلى ما يلي:

الحديث طريقه صحيح كما نص عليه الاعلام حيث رجاله رجال الصحيح.

الحديث فيه مقطعان يجب ان ندرسها:

المقطع الاول: هو تعجب وتبسم النبي لشتم ابي بكر ومن ثم غضبه حين رد ابو بكر على الشاتم.

المقطع الثاني: التعليل للغضب وهو أن الشيطان حضر عند شتم ابي بكر لشاتمه، مع انه كان هناك ملك يرد عن ابي بكر حين كان يشتمه الشاتم.

في المقطع الاول وبدون النظر إلى المقطع الثاني دالالة واضحة على فرح النبي لشتم ابي بكر وغضبه لرد ابي بكر على الشاتم.

وفي المقطع الثاني دلالة على ان رد ابي بكر على الشاتم كان سببا في طرد الملائكة و حضور الشيطان.

فهذا الظهور يقرر استحباب النبي ص لشتم ابي بكر.

ولكن هناك امر قد ينغص هذا الظهور وهو مفاد قوله (كان معك ملك يرد عنك) فهو يدل على نصرة الملك لأبي بكر. وهذا ما تمسك به شراح الحديث وتمسكوا ايضا بورود روايات للحديدث متأخرة عن ابن حنبل باكثر من ٢٠٠ سنة ليس فيها (ويتبسم) من أجل التقليل من عمق الدلالة الاولى على الاستحباب وهذا التمسك الثاني لا قيمة له لأن نص احمد اقدم واولى بالاخذ لكون طريقه صحيحا والمثبت حجة على المسقِط.

نأتي إلى دلالة (كان معك ملك يرد عنك) فانه لو كان مجردا من القرائن والمشكلات لقلنا بانه دال على نصرة الملائكة لابي بكر وان شتمه مكروها، ولكن القرائن لا تدع هذا الظهور ساريا، فالقرائن اما ان تدل على ان هذه الجملة مقحمة ليست من قول الرسول ص وانما هي لتخفيف وطئة الحديث وهي زيادة من الرواي لمقابلة حضور الشيطان، أو ان معناها يُحمل على ما يحتمله المقام في اللفظ بحسب القرائن وسياق النص.

فكون رد ابي بكر على الشاتم احضر الشيطان ودفع الملاك لا معنى له الا ان شتم ابي بكر امر مخفف يمكن ان يحضر معه الملك ويَعبد الله وهو مجلس من مجالس المؤمنين، ورد ابي بكر جعله مجلسا من مجالس البطالين الذي ينفّر الملائكة ويحضّر الشياطين ولا معنى اخر غير هذا.

فما معنى أن الملك كان يرد عن ابي بكر مع هذا الحال الظاهر؟

المعنى المقبول هنا أن الملك كان يرد نيابة عن ابي بكر كمسلم فيقول للشاتم (أحسنت باركك الله) وهذا ما يناسب تبسم النبي في حال شتم الشاتم لابي بكر وغضبه حين رد عليه ابا بكر، و على اسوء تقدير فان الشاتم حين كان يشط بشتمه لأبي بكر فيقول الملك للشاتم (غفر الله لك) وهذا ما يناسب حضور الملك، فالملك لا يناسب مقامه الخالص أن يرد الشتم بالشتم كما هو معلوم، فالرد عن ابي بكر لا يكون باقل من هذا.

نعم يمكن ان يدعي مدعي بانه كان يلعن الشاتم وهو (رد عنه). والجواب أن هذا غير محتمل لأنه كان يمكن ان يقول (أنه كان معك ملك يلعنه) ثم اذا كان الملك يلعن الشاتم وهو يستحق هذا الدعاء فلماذا حين رد ابو بكر هرب الملاك وحضر الشيطان؟ والمفروض ان الشاتم يستحق اللعن في المقام وهو مقام عبادة وطاعة لا يهرب منها الملاك ويحضر الشيطان!!! فاحتمال هذا المدعي يرده النص بحضور الشيطان. الا ان يدعي بأن ابا بكر حين رد على الشاتم ارتكب المعاصي وخرج عن الشرع فاخذ يذكر بلسانه ما نفّر الملائكة الكرام واحضر الشياطين، فيكون هذا الاحتمال نقضا لغرض المدعي. وعلى كل حال يدل على ان شتم الشاتم لم يكن يصل إلى مستوى تنفير الملائكة الكرام بخلاف رد ابي بكر وهذا عقدة العقد في الموضوع.

فالمتعين هو احتمال ان يكون الرد هو المباركة أو الاستغفار. وهذا هو حال المستضعفين من المؤمنين لأن شتم المؤمن المتمكن من الايمان معصية تجلب

الشيطان وتنفر الملائكة الكرام واما شتم المؤمن للمستضعف فانه ليس كذلك بل قد يكون من المستحبات التي تحضر الملائكة الكرام إذا كان لبيان الباطل واظهار الحق أو لتقريع المستضعف في الدين واستنهاضه للتمسك بالدين لطلب الكمال، وهذا ما يناسب حضور الملائكة ونصرتهم للمؤمنين. واما أهل الكرامة في الايمان فان الملائكة تنصرهم وتلعن من يشتمهم وتبقى معهم بدون هرب منهم أو حضور الشيطان معهم اذا تكلموا. وهذا من ابده البديهيات.

فحصيلة القرائن في الحديث الصحيح والسنة الثابتة هي استحباب شتم ابي بكر قربة إلى الله، وانه موجب لحضور الملائكة الكرام، ولكن بما انني حاولت ان احترم من يقول بان هناك نصا نافيا للاستحباب وموجبا للكراهة ولو اشتباها منه، فعملت بتعارض الحكمين وتساقطهما عند التعارض وهما الاستحباب والكراهة فبقي حكم الاباحة الاصلي حاصل من المحصلة. وهذا هو الداعي لاعتباره مباحا بدل الاستحباب المحصّل من الحديث.

فلهذا اقول بان هذا الحديث الصحيح يجب ان يقرأه المثقف السني يوميًا ليرى مقدار الجريمة المرتكبه بحق المسلمين لقتلهم وتكفيرهم بحجة شتم ابي بكر وهو من المباحات بنص السنة النبوية، فهل يجوز قتل الملايين وتكفير مئات الملايين لتهمة انهم يشتمون ابا بكر؟

وهل القول بأن ابا بكر قد خالف الرسول في كذا موقف يعتبر شتما؟

الشيعة يقولون بكل ثقة ويقين بأن ابا بكر وعمر وعثمان خالفا الشرع في مواقف لا يمكن تبريرها كما بررها اهل السنة، لأنها مقابل نصوص صريحة. وهذا القول لا يستحي منه الشيعة، وهم يقولون أن هذه المخالفات لا تعطينا الحق الشرعي باتباع ما تفردا به. فهم ليسوا الحجة التي يحتج به المسلم امام الله، وهذا كل ما يقول به الشيعة من الناحية الشرعية.

فهل هذا شتم؟

اما ما يصدر من بعض جهلة الشيعة في العصور المتأخرة فلا يعتبر دليلا على اهل البيت عليهم السلام وانما هو رد فعل على ما يرونه من ظلم وتعدي على ائمتهم، وهو غير مقبول عند المرجعية الشيعية. وعلى من لا يريد ان يصدر مثل هذا فعليه ان يمنع الظلم والجهل ليمنع ردود الافعال غير المنضبطة.

والشتم غير اللعن، فاللعن من الواجبات التي امرنا الله بها لكل من حاد عن سبيل الله. وكل مسلم يدّعي بأن اللعن لمن حاد الله من المحرمات فقد حاد عن جادة الصواب وهو يحتاج إلى رجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ليكون مسلمًا متعلما لا يوالي اعداء الله، واما مصداق من حادد الله فهذا يرجع إلى المكلف ومعاييره في تحدد من يلعنه الله.

واكرر ما أعتبره خلاصة مهمة:

إن النصوص الصحيحة الصريحة ليس فيها ما يدل على تكفير وكفر من يشتم ابا بكر، فمن أين أتى فقهاء بني امية بهذه الجرثومة التي يقتلون بها اهل الايمان منذ الصدر الاول للاسلام وحتى هذا اليوم؟

على كل مسلم سني ان يدرك إن معيار عدالة الصحابة ومعيار تكفير المسلم الشاتم لابي بكر هي معايير ليست اسلامية ولا تقرب إلى الله بل هي من المعاصي التي دمرت المجتمع الإسلامي وهي احد اسس التكفير في الإسلام وعلينا جميعا ان نقف ضدها وان نبيّن حكم الله في هذه القضية.

فإلى طلب الحقيقية يا اخي السني، ولا تلتفت لعدوك وعدو الله الوهابي الأموي فانه يريد ان يورطك لتبتعد عن الله وأن تدمر مجتمعك الإسلامي، وإليك الشكل العملي وهو ما حدث في العراق حيث ان المجتمع السني اصبح الحاضنة لهؤلاء التكفريين الأمويين القتلة فترة من الزمن، ولكن بعد فترة ادرك المجتمع السني أنه لا قواسم مشتركة حقيقية مع هؤلاء القتلة دعاة

بني امية فأخذوا يقتلونهم تحت كل حجر ومدر وتوضّح لهم ان التسنن ليس بالضرورة هو السير خلف الوهابية الصهيونية الحديثة في الإسلام. فعلينا جميعا ان نكون حذرين جدًا من هؤلاء المجرمين وأن نتحد ضدهم.

تعقيب ٢

المواضيع التي أثرتها في هذه الخواطر اغلبها ينطلق من خلفيات حوارية واتجاهات أفكار وسلوك علمي وعملي عند المسلمين وغيرهم وفيها إشارات إلى نقاط الضعف ونقاط القوة. كان على الإخوة تدارسها وفهم أهميتها، ولا أستطيع أن احدد كمية الإشارات واهميتها وسآتيكم بأمثلة بسيطة: منها ما قررته من أن شتم ابا بكر بموجب الثابت عن الرسول لا يرتقي إلى مرتبة

المنع الشرعي والعقائدي بل هو مباح أو مستحب وهذا بموجب نص يصححه أهل السنة، والقصد من هذه الإشارة هو الرد على كل خزعبلات الوهابية والنواصب حيث جعلوا مدار الدين على حب أبي بكر وعدم شتمه، وان رفض التشيع عائد في الحقيقة عندهم إلى ما يعتقدونه من شتم الشيعة لأبي بكر، فإذا كان هذا الأصل نفسه مردودا بنص رسول الله ص وفعله، فكيف يستقيم كل حوارهم وخزعبلاتهم؟

لو راجعتم كل حوار بين وهابي وشيعي في الصفحات الأولى على المنتديات لوجدتم أساس منطلق الوهابي هو التركيز على مركزية أبي بكر في الإسلام وبدونه لا إسلام، ولا يلتفت الأخوة لمناقشتهم في اصل التوجه والمنطلق لكل نقاشاتهم.

فالوهابي حتى لو ناقشك في كتاب الطهارة فانه ينطلق من أن أبا بكر عمود الدين وان عائشة ربة العالمين التي بخدش ذيلها المصون يقع العرش على

الفرش. فلماذا لا يتم نقاشهم بصراحة بهذا المبدأ الكفري الشركي الذي لا وجود له في الإسلام بل الإسلام ضده يقينا؟ في نفس الوقت الذي يتهاون فيه الوهابية مع النصوص الصريحة الدالة على إن سب علي بن أبي طالب هو سب لله بنصوص عن الرسول مصححة عندهم.

المشكلة عند أبنائنا أنهم ينساقون للحوار مع الوهابية من دون أن يربطوا ما يقوم به الوهابية من تفكيك ايهامي يظهرهم أنهم متنوعو الثقافة بينما هم لا همَّ لهم إلا الاستماتة في الغلو بابي بكر ومعاوية بالذات والباقي عندهم يشكل جزءً متمما في الدين، لان الدين كل الدين هو أبا بكر أولا ومعاوية ثانيا. وكلاهما لا يساوي في الإسلام بصلة بموجب معايير الإسلام الحقيقية، ولا يوجد لهما سند يجعلهما جزءً من الإسلام فضلا عن كونهما محور الإسلام بحيث يحكم على منتقديهما بالكفر والخروج على الدين وارتكاب البدعة ووجوب القتل.

هذا هو أساس كل سعيهم ومحور كل محاورهم في الحوار، فعلى المحاورين الشيعة أن يضربوا في الأسس ويؤجلوا التفاصيل أو يرجعون دائما إلى الأساس مهما غرقوا في التفاصيل.

والأساس هو عدم وجوب الولاء للأشخاص الذين يستميتون في إظهارهم مركزا للدين وعمودا للعقيدة الإسلامية.

والمثال الثاني هو قولهم بان الشيعة لا يقولون بعدالة الصحابة بينما الحقيقة نحن من يقول بها، ولكننا لا نقول بعدالة الفسقة والفجرة والمخالفين لرسول الله ص والمعتدين عليه وعلى الله جل جلاله.

ولهذا ليس من السليم موافقتهم على ادعائهم عدم قولنا بعدالة الصحابة بل نحن نقول بالعدالة وفق الشروط القرآنية وبدون القول بعدالة المؤمنين من الصحابة نفقد إسلامنا، وهؤلاء الدجالون يوحون للناس بأن عدم القول بعدالة الفسقة من الصحابة إنما هو ضرب للإسلام ونفي للرسالة وهذا عين الكذب.

يبقى أنهم يقيمون مغالطات هي أشباه الأدلة، وأخوتنا يردونها باعتبار إن النتيجة مخالفة للقرآن وبطريقة شرح النصوص والقيود القرآنية وهذا سليم ولكن لو التفت أبنائنا إلى دليلهم لوجدوه لا ينحصر بالصحابة ويمكن تطبيقه على كل المسلمين حتى الفسقة الحاليين وسأبين هذا بشكل سريع:

هم يدّعون بأن من ارتكب معصية من الصحابة الذين ثبت الرضا عنهم كعنوان (أصحاب رسول الله ص) لا يخلو من فتح باب التوبة له، وبما أننا نحتمل انه تاب بينه وبين الله فلا ذنب له وعاد إلى نقطة الصفر، خال من الذنوب فهو عادل معصوم من تبعات الذنوب.

وهذا الدليل المبني على الاحتمال مضحك في نفسه، لأنه وضع الاحتمال الغيبي موضع العلم المشاهد، ولكن لو طبقنا هذا على الأمة الإسلامية التي جعلها خير امة أخرجت للناس ورضي الله عنها فيمكن إجراء نفس الدليل على كل فاجر وفاسق اليوم وأمس وغدا، فاحتمال انه تاب قبل موته موجود

فينطبق عليه عموم خير الأمة والرضا عن المؤمنين بالإسلام. وهذا يمكن تطبيقه على أعداء الوهابية كالشيعة والاشاعرة والصوفية والزيدية والاباضية وغيرهم فهم يحتمل فيهم التوبة فهم عدول ولا يجوز لوهابي التحرش به أو التعرض له.

وهناك دليل مضحك لهم غير متداول ولكنه يقال في المجادلات الخاصة مفاده بان خفاء الفسق والنفاق يوجب عدم معرفته، وبما إن الدين يؤخذ عن الصحابة فيجب عدم التفحص حتى يتم اخذ الدين وبدونه لا دين، بينما الحقيقة أنه في الشبهة يجب التفحص حتى يتم اخذ الدين الصحيح وليس الدين المحتمل التزوير بوجود الفسقة والمنافقين غير المشخصين، فالعلم الإجمالي بوجود الفسقة والمنافقين يوجب عدم الأخذ من غير متيقن التقوى وعدم المخالفة لرسول الله ص، وهذا لا يكون إلا لثلة قليلة من الصحابة – كما فعل الشيعة – حيث اعتبروهم حجة شرعية بموجب حكم العقل

والشرع، وإلا فالأخذ من غيرهم إنما هو الولوج في الشبهات، بينما المتسلفة يعتمدون على من نص الله ورسوله والصحابة العدول على كذبهم فيأخذون عنهم الدين كالذي كذبه وفسّقه الله.

ولست أريد هنا الحوار في التفصيلات إنما أريد أن أنبه الأخوة إلى أنني قد طرحت الكثير من المفاصل التي تحدد الطرق إلى فهم الإسلام ببدايات بسيطة ضمن خواطر متفرقة. فليس من الإنصاف الحوار حول جزئيات بسيطة جدًا قد لا تشكل محور المعرفة وإنما معلومات جانبية داعمة.

لماذا نرى أن فضح الوهابية من إيمان المسلم بالله؟

سألني احد علماء السنة عن رأيي في فضح الوهابية؟

فأجبته فورا: بانه من ايمان المسلم وشعوره بوجوده الإسلامي.

فسألني عن سبب ذلك؟

فاجبت بما ملخصه:

أن الوهابية مشروع تدميري لبنية الإسلام عموما وتحويل الإسلام إلى دين ارهابي خبيث، بحيث سيأتي وقت لا يقبل اعتناق الإسلام الا مجرم أوكذاب ودجال، إن المشروع الوهابي منذ تصنيعه غربياً سعى لتفكيك العالم الإسلامي، وتدمير الدولة الإسلامية وانشاء كيانات سَرَطانية اخطر على المسلمين من الكفار انفسهم، بل هو مشروع الكفر بقالب الإسلام.

إن إلقاء نظرة عامة على حركات هذا المشروع سنجد انه يحاول تدمير كل الكيانات الإسلامية ثقافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ودينيا. وانه يحاول أن يدخل المجتمع الإسلامي في دوامة من الكذب والارهاب والدجل الديني.

ففي الجانب الثقافي تَدَخّل هذا المشروع في عالم المسلمين لتدمير ثقافتهم وحضارتهم بكل الصور فالتاريخ الإسلامي تم تزييفه وتدمير معالمه فقد تم تدمير اثار الإسلام المهمة في المدينة ومكة بحيث ضاعت علينا خرائط مسير الرسول وبيوت المسلمين القدماء ونمط عيشهم، وتم حرق مخطوطات الشيعة والزيدية والاشاعرة بمئات الألوف (يكفي ما حدث للمخطوطات الشيعية من سرقات وشراء وحرق، وفي اليمن فقد حدثني امناء مكتبة الجامع الكبير الزيدية في صنعاء بانهم فقدوا أهم واغلب الكتب الزيدية وغيرها من كتب السنة والشيعة بواسطة عملاء وهابية وقد وصلهم نبأ حرقها)، وقد اسسوا لثقافة هلامية مبنية على الكذب والتزوير والتقلب ورفض الثوابت الإسلامية.

واما في الجانب السياسي فقد أُسس كيانهم الديني على كيانات مرتبطة بالاستعمار البريطاني ومن ثم في سنة ١٩٥٦ ميلادية تحوّل ملفهم إلى المخابرات الأمريكية وهم يعيثون في الارض الفساد، فما يقومون به انما هو لا يقاف نمو الإسلام في العالم الغربي وزعزعة الكيانات الإسلامية التي تحاول الاستقلال من أجل ايقاف أي امكانية للتقدم العلمي والسياسي والعسكري، وقد سعت الحركة الوهابية بالتناغم مع الصهيونية العالمية لأن تجعل الهاجس الداخلي للحاكم هو التقرب من اسرائيل ونيل رضاها بحجة ان اعداءه الداخليين يهددون وجوده لأنه لا يقبل بالتحارش باسرائيل، فهكذا توضح حقيقة ضرب الوهابية للغربيين انما هو لمنع انتشار الإسلام في الغرب، فقد كان الدين الإسلامي هو الاسرع نموا في اوربا والغرب على العموم، ولكن بعد حركات الوهابية اصبح الإسلام الدين الاقل نموا في الغرب وقد فاقه الدينان البوذي ثم الهندوسي في اعتناق الغربيين لهما وهما دينان خرافيان لا

يتقاربان مع الديانة المسيحية الغربية كالإسلام. واصبحت حركات الوهابية هي الداينمو الحقيقي لتثبيت كيان اسرائيل ولتمشية المخططات الغربية من الناحية السياسية ولفقدان العالم الإسلامي أي قدرة على المناورة أو المبادرة من أجل الخلاص من القبضة، وكل هذه الاعمال السياسية والحزبية التي تقوم بها الوهابية مغلفة بخلاف ديني كاذب، ومخترع لا اصل له في الإسلام.

واما من الناحية الاقتصادية فقد راقب المراقبون الدقيقون بان حركات الوهابية هي التي تدمر في البنية الاقتصادية للعالم الإسلامي وتوقف عجلة التقدم الاقتصادي. وهي من اخطر الاخطار الاقتصادية التي تواجه امة الإسلام التي ظهرت فيها الثروات العظيمة والكبرى.

وماذا نقول عن التأثير الاجتماعي في الامة الإسلامية؟ فقد انتشرت الكراهية والاحقاد والقلاقل الاسرية في كل مكان دخلته الوهابية سواء في مصر أو لبنان

أو الجزائر أو باكستان أو السعودية أو أي بلد في العالم دخلت فيه الوهابية فقد تحولت مجتمعاتها إلى مجتمعات بهيمية لئيمة كارهة لنفسها واصبح التآمر بين الاخ وأخيه من المألوفات في المجتمعات التي اثّرت فيها الوهابية سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، بواسطة رعاية حركات مستقلة عنها ظاهرا ولكنها مدعومة منها باطنا.

فماذا بقي للاسلام بوجود هذه الحركة المدمرة؟

ان أي مسلم سني اذا لم يلتفت لما تفعله به الوهابية فانه يكون قد خسر دينه وخسر وجوده لصالح الكفار والصهاينة.

وهل يكفي ان يضحك علينا وهابي يدعي انه يعرف بعلم الرجال وسند الحديث كذبا وتزويرا أن يدمر اسلامنا من الداخل؟

فما قيمة علم الحديث اذا دمر كيان المسلمين من الداخل؟

ثم هل المذاهب الإسلامية السنية خالية من علم الحديث ليأتي الوهابي فيصيطر على المسلمين السنة لكونه قد تعلم بعض سلاسل الحديث المزورة؟

انها عمليات دجلية للعب في الفراغ في قلوب شباب السنة، الذي قد يكون قليل القديمة اتجاه ما هو اهم، مثل: عقيدة التنزيه التي بدأ العالم الإسلامي يفقدها بواسطة اليهودية الوهابية.

قال لي احد علماء السنة: ان الوهابية غلبونا لكونهم يدرّسون اتباعهم العلوم بطريقة غريبة وهي طريقة تدريس كل سؤال محتمل وجوابه الجاهز، فقد أُعجب شبابنا بتوفّر الاجوبة لكل محتمل من الاعتراضات. ولهذا نحن نخسر الساحة لصالحهم، باعتبارهم يقنعون الشاب الفارغ من المعلومات بانهم يملكون كل الحقيقة، وذلك لواقع عجز شبابنا عن مجاراتهم، وهم لا يدرون أن هذه الطريقة بسيطة ومحدودة وسهلة التعلم لأنها عبارة عن حفظ

بحدود ٢٠٠ سؤال وجوابها فيكون الوهابي في فترة قصيرة عالما امام نظر من هو فارغ من المعرفة الدينية من ابنائنا السنة.

فقلت لصاحبي هذه الطريقة معروفة وهي نفس طريقة الكنيسة بالتبشير وهي تسمى عندهم طريقة الرجوع إلى (الاسئلة الشائعة) ويؤلفون لها قواعد بيانات معروفة وقد ألف محمد بن عبد الوهاب نسخة ثانية عن هذه الداتا بيس في كتابه الاجوبة والأسئلة الإسلامية فهي كلها عبارة عن داتا بيس لتعليم التزوير والكذب بطريقة مفهرسة، تعتمد (اذا قيل لك كذا) (فقل كذا)، وهي طريقة ناجحة في التبشير الكنسي لسد الابواب سريعا امام السائل الجاهل الذي يرى الخطأ ولا يفهم تفسيره. ولكن ادراكك ياشيخنا لهذه القضية يعني ان رجال الدين السنة مقصّرون في ايقاف هذا السوء بطريقة معاكسة فيمكن ان تصدروا أجوبة لكل شبهاتهم وردودا على كل اجوبتهم.

إذن فان كشف هذه الحركة هو من الايمان بالإسلام بغض النظر عن الخلاف المذهبي بين المسلمين فان هذه الحركة تستأصل وجودهم الإسلامي، وهي ليست فهما مجردا للدين أو مذهبا فقهيا أو عقديا انما هي حركة سياسية تدميرية بغطاء ديني قذر.

فمن يؤمن بالله ويخاف مقاما رهيبا يوم القيامة عليه ان يكافح هذه الحركة في داخله، في بيته، وفي كل منتدى، وكل مركز ثقافي وسياسي واقتصادي، من أجل ان يخرج من هذه الدنيا وقد قام بالجهاد الحقيقي في محاربة الكفار واذنابهم ممن يكيدون لأمة الإسلام.

العلاقة بالله لها جانبان الاول قلبي والثاني عملي وكشف الوهابية لها علاقة بالايمان بالله بالجانبين: ففي الجانب القلبي فان غليان الحقد الذي يصنعه المذهب الوهابي في قلب المسلم لا يمكنه من اقامة أي علاقة بالله. ثم ان نظريات التجسيم والجبرية وغيرها تمنع المسلم من الصلة الحقيقية بالله فان

من يعبد مجسما فهو لا يعبد الله وانما يعبد صنما بكل تأكيد فكيف يدعي عابد الصنم بانه على صلة حقيقية بالله المطلق الواحد الأحد؟ واما من الناحية العملية فان العمل يتبع العلم بالفرائض. وهذا ما نقطع بانه محط تزييف وتدمير الوهابية. والوهابية تحاول ان تدمر فرائض الانسان بكل صورة. وكل من فهم الشريعة باي مذهب كان يعلم مقدار ما يقوم به الفكر الوهابي من تدمير للشريعة، وفي جانب اخر فان الجانب العملي دائما ينظر إلى الواقع والنتائج. فان من يرى نتائج تدمير الوهابية للكيان الإسلامي والحضارة الإسلامية يجد انه ملزم بالقناعة بان افضل الاعمال للتقرب إلى الله هو محاربة وكشف هذه الحركة الصهيونية المستوردة بريطانيا والمقادة امريكيا.

لهذا ادعو احبتي من الشيعة ان ينتبهوا لحركات الوهابية فهم يتلبسون اللباس السني ويناقشونكم باسم السنة من أجل ان يصطف معهم السني

باعتباره يرى من يدافع عنه ويستميت في اخفاء الحقائق وايجاد الاعذار الغريبة له ولعوار فكره، وكذا احذر اخواني الشيعة من دخول الوهابية متلبسين بالاباضية وغيرها من المذاهب من أجل اذكاء الصراع ليكونوا هم مجرد محركين للصراع ويتحول الصراع السني الشيعي والسني الاباضي والسني الزيدي والسني السني أو الشيعي السني والشيعي الزيدي والشيعي الاباضي والشيعي الشيعي إلى صراع قطيعة وعدم تفاهم واستلال السيوف وقبول فكرة التصفيات الجسدية. وهذه هي اهم مهمات الحركة الوهابية وهي تدمير المجتمع الإسلامي. فعلينا جميعا ان نتحد ضد هذه الحركة الخطرة على عالمنا وعلى اسرنا ومستقبل ابنائنا سواء في صعيد مصر أو غابات الهند أو قرى لبنان أو بساتين ايران أو مدن وقرى الجزائر والمغرب فان هذا الخطر الذي يحدق بنا سيدمر حاضرنا ومستقبلنا اذا لم ننتبه لخطورته.

كما انبه الاخوة السنة بانه عليهم قبول النقاش الشيعي السني على انه نقاش معلومات وليس حرب اديان كما يدعيه الوهابية، وعليهم ان يتخيلوا بان الكثير ممن ياتيهم باسم الشيعة لسب رموزهم أو اثارة النعرات في الحوار بما لا يخدم الحوار انما هو وهابي متلبس أو متاثر بالوهابية بطريقة خفية حيث يمكن ان تكون قيادات ذاك المحاور السيء الأخلاق مدعومة من الوهابية بطريقة تمويلية وتحريضية ولا يعلم الاتباع هذه الحقيقة. فعلى كل سني أن يلتفت إلى ان الخطر الاكبر هو الوهابية، وليس الخطر هو معرفة من يسب أو لا يسب الصحابة كما يغشه الوهابية، فهذا امر ليس من الدين بشيء وليس من اسس وجود المسلمين الان، فالإسلام كحضارة مهدد بالانقراض نتيجة سيطرة الحركة الوهابية على العالم السني (وسأعرض خاطرة حول هذا الامر) فالتسنن حين يهزم امام الوهابية ويتحول السيف السني بدل التوجيه إلى الكفار واعتبارهم اصدقاء وحلفاء إلى المسلمين الاخرين فسوف لن يبقى اسلام

لامكانية ان يدافع كل مجموع عن نفسه، وسوف تدخل شعوب المنطقة بحروب ضروس وسوف ينصر الغرب فيها التسنن باعتباره انهزم واصبح وهابيا ومن ثم اسقاط كل الإسلام بطريقة فنية وبالضربة القاضية نتيجة حركات الوهابية بنشر الكراهية والحقد وتزوير الدين. والانتصار الغربي بالطريقة الخفية على الإسلام بتفتيته من الداخل.

نسأل الله نصر أهل السنة على اهل الضلال والدجل الوهابية وايقاف شرهم عن المسلمين

ونسأل الله أن يجعل الحوار السني الشيعي حوار تفاهم واخوة رغم حدته وحرجة ومشكلة الزاماته بالدليل.

التخنّث الفكري

كنت دون العشرين من العمر حين كنت مصغيًا إلى أحد علماء البلاغة يشرح لي بعض أسرار البلاغة، وبين كلماته العذبة سألته عن مقولة لكاتب عرف بانحرافه الفكري، فأجابني بما هالني من جواب فقال لي: اترك عنك كلام المخنثين.

الحقيقة أنني صدمت إلى درجة الانفجار. كيف يصف هذا العالم كاتبا مهما اختلف معه بالتخنيث. ولكن تبين بعد ذلك أنه لم يكن يختلف معه بل له معرفة به دقيقة جدا.

فضحك الرجل وقال: يا بني التخنث لا يقتصر على السلوك الشاذ، بل هو حالة فكر شاذة، واخطر ما نواجهه من الوصوليين والمنافقين هو التخنث الفكري.

وحاول ان يشرح لي وقد بدا عليه الحرج من الموقف فأنا ذاهل عنه منزعج من وصفه، وهو يحاول أن يقنعني بأن الكلمة ليست كما أراها من القباحة لأنها تتعلق في الجانب الفكري وهو أمر خطير يجب الانتباه إليه.

وبعد مرور الزمن، بدأت افهم أنني كنت اجهل حقيقة خطيرة في داخل التركيب العقلي للإنسان، وهي حقيقة كون الاستقامة الفكرية والسلوكية لهما قوانين متقاربة ويمكن أن يستفاد من طرف لفهم الطرف الآخر.

فأخذت أترصد أفكار المخنثين وسلوكهم الفكري و أطبقه على أفكار أهل الباطل ودعاة الفرقة ودعاة تدمير المجتمعات، فوجدت حالات من التطابق عجيبة جدا، دعتني إلى الاعتقاد بأننا في الحقيقة نجابه مخنثين فكريين ولسنا بوارد في حوار علمي مع طلاب علم فضلا عن العلماء.

قد يقول لي البعض هلا شرحت اكثر؟

فأقول إن الشرح والتنظير لهذه الفكرة سهل جدًا ولكن ما هو أسهل منه هو إجراء مقارنات بسيطة يقوم بها المتأمل فسيجد هناك عوامل مشتركة للتخنث وأن التخنث الفكري هو واقع عملي يمارسه الإنسان في مجال الفكر.

١- من مظاهر التخنث عدم الحياء والخجل من فعل أي شيء:

وهذا نواجهه يوميًا فأنت ترى بعض المحاورين يأتيك يوميًا بفكرة أو رواية لينقض عليك فكرك وأنت تثبت له يوميًا بأنه على خطأ وأنه يكذب، وتستخرج له الكذب بالأرقام والمستندات، فلا يدعوه ذلك لخجل أو أي وقفة مع الذات بل يستمر، ويستمر، ويستمر.. وكأنه فاقد لكل معاني شرف الذات والحس بالعزة الشخصية، فلا تسبب له الاحراجات أي مشكلة أبدا، فلا يحرج بكشف كذبه، ولا يحرج بكشف جهله، ولا يحرج بكشف عدم لياقته في مجابهة الخصوم المتمكنين.

وحين تقول له هذا سلوك من كشف عورته في صفين فيجيبك بلصق ابتسامة!

فهل هناك تخنث اكثر من هذا؟

وهذا يذكرني بشخص كان في منتدى هجر ينزل يوميًا نصوصًا يكتشفها بعبقريته في كشاكيل الشيعة وحينما يثبت له الأخوة خطأه فيصر على الخطأ ولكن في الأثناء يوميًا أو بين يوم ويوم ينزل مثله وقد راقبته طيلة سنة ونصف تقريبا لم ينزل موضوعا إلا وقد رُد وبان خطأه وسوء تقديره للأمر فلم يكن منه أبدا إلا التكرار، بشكل شككني به لأن أخنث المخنثين لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور الممل المخجل الذي لو صدر من إنسان كامل لقرر الانتحار من ثاني مرة أو ثالث مرة يقوم بمثل هذه المغامرات السخيفة. ولهذا فمثل هذا النصف رجل من حقه على المجتمع الإنساني أن يعطى شهادة المخنث الفكري الثقيل من الدرجة الأولى.

٢- من مظاهر التخنث رمي الغير بعيب النفس:

وهذا أمر معروف عن المخنثين، ونحن يوميًا نواجه تهم ما انزل الله بها من سلطان ولا واقع لها، ولكن المشكلة انها تهم ممن يمارسها فعلا وعلنا، فبعض المخنثين الفكريين يطرح موضوعاً مبني على الباطل وحين يجيبه المثقفون ويعلنون بأن هذا بنفسه موجود عندهم، يقوم بتوزع الابتسامات وكلمات السخرية وسوء الأدب ويثبت للجميع انه منحدر من قلب البارات والكابريهات ويعرف مصطلحاتهم ويحاور بها.

وفجأة يتوقف ليقول لك، ما هذا الخروج عن الأدب؟

وكيف ترد علي بخشونة؟

بل يطور الأمر لشتم أئمة المسلمين بناءً على اكتشافه المفاجئ لسوء خلقك معه!

وهو لم يدع شيئا من البذاءة إلا مارسها. ولو شئنا أن نسرد الأمثلة لهذه الحالة لاحتجنا أن نسرد ٨٠ ٪ من حوارات هؤلاء في الانترنت. وكلها تقع تحت عنوان (رمتني بدائها وانسلت).

(ملاحظة مهمة جدا: وهي أن الفرقة الوحيدة التي تصف غيرهم ممن يخالفهم بالمخنثين هم نفس من يناقض الشيعة في تفكيرهم ويهجم على التشيع بدون مبرر معقول، وهؤلاء وصفوا الأشاعرة بأنهم مخنثي المعتزلة وقالوا عن المعتزلة بأنهم مخنثي الخوارج، وقد ترى منهم لمناسبات كثيرة وصف مخالفيهم بالتخنث، مع أن سلوكهم وعملهم الفكري كله مبني على التخنث (رمتني بدائها وانسلت) وقد يأتيك مخنث فكرٍ ليقول لك ألم يرد التخنث وذمه على لسان رسول الله ص وعلى لسان عقلاء البشر فنقول هذا الجواب عين التخنث لأنه من غير جنس النتيجة ولا علاقة له بها.

فالكلام في وصف المخالفين بالتخنث كما هو حال المخنثين سلوكيا حيث يصفون كل الناس بالتخنث والخنا حتى للأشراف

وليس الكلام في ذم التخنث أو السخرية به كحالةٍ كما قال أحد الكتاب عن جمعٍ خارج المنطق اللغوي فوصفه أنه (جمع مخنث سالم)..

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/٢٥٨-٢٦٠): ويقولون إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة والأشعرية مخانيث المعتزلة. وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الإناث.

وقال: فالمعتزلة فى الصفات مخانيث الجهمية. وأما الكلابية، فيثبتون الصفات فى الجملة، وكذلك الأشعريون، ولكنهم ـ كما قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصارى ـ: الجهمية الإناث، وهم مخانيث المعتزلة. ومن الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة. وقد ذكر الأشعري وغيره هذا؛ لأن قائله لم يعلم أن جهماً سبق هؤلاء إلى هذا الأصل، أو لأنها مخانيثهم من

بعض الوجوه، وإلا فإن مخالفتهم للفلاسفة كبيرة جداً. وقال: فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية، وأما الكلابية في الصفات. وكذلك الأشعرية، ولكنهم كما قال أبو إسماعيل الأنصاري: الأشعرية الإناث هم مخانيث المعتزلة، ومن الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة؛ لأنه لم يعلم أن جهما سبقهم إلى هذا الأصل، أو لأنهم مخانيثهم من بعض الوجوه، مجموع الفتاوى المجلد الثامن (١٦٠ من ٦٤٥)

وقال: وهذه حال كثير من أهل الكلام المعتزلة؛ ولهذا قيل: هم مخانيث الفلاسفة. مجموع الفتاوى المجلد التاسع (١٨١ من ٦٤٥)

وقال: ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثًا، ويسمون الرجال / المغنيين مخانيثا، وهذا مشهور في كلامهم. مجموع الفتاوى المجلد الحادي عشر (٢٣٧ من ٦٤٥)

وقال: وقدم تقدم أن أهل الكلام المبتدع في الإسلام هم من فروع الصابئين، كما يقال: المعتزلة مخانيث الفلاسفة. فظهرت هذه المقالة في أهل العلم والكلام، وفي أهل السيف والإمارة، وصار في أهلها من الخلفاء والأمراء، والوزراء والقضاة، والفقهاء ما امتحنوا به المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الذين اتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم، ولم يبدلوا ولم يبتدعوا، وذلك لقصور وتفريط من أكثرهم في معرفة حقيقة ما جاء به الرسول واتباعه، وإلا فلو كان ذلك كثيرًا فيهم لم يتمكن أولئك المبتدعة لما يخالف دين الإسلام من التمكن منهم. مجموع الفتاوى المجلد الثاني عشر (٢٤٤ من ٦٤٥)

وقال في معنى التخنث والفروخ واصفا الفكر الأشعري في مسألة قدم القرأن والكلام النفسي: (وفروخ [اللفظية] المثبتة الذين يقولون: إن القرآن ليس إلا الحروف والصوت، تحكي عن منازعيها : أن القرآن ليس محفوظًا في القلوب. ولا متلوًا بالألسن، ولا مكتوبا في المصاحف، وهذا ـ أيضًا ـ ليس قولاً

لأولئك، بل هم متفقون على أن القرآن محفوظ في القلوب متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، لكن جهالهم وغاليتهم إذا تدبروا حقيقة قول مقتصديهم ـ أن القرآن العربي لم يتكلم الله به، وأنه ليس إلا معنى واحد قائم بالذات، وأصوات العباد ومداد المصحف يدل على ذلك المعنى، وأنه ليس لله في الأرض كلام في الحقيقة، وليس في الأرض إلا ما هو دال على كلام الله، ولم يقل إلا ما هو دال على كلام الله، وكلام الله إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وهو معنى واحد لا يتعدد، ولا يتبعض، ولا يتكلم الرب بمشيئته وقدرته، إلى / أمثال ذلك من حقائق قول المقتصدين ـ أسقطوا حرمة المصحف، وربما داسوه ووطؤوه، وربما كتبوه بالعَذِرَة أو غيرها.

وهؤلاء أشد كفرًا ونفاقاً ممن يقول الجلد والورق كلام الله؛ فإن أولئك آمنوا بالحق وبزيادة من الباطل، وهؤلاء كذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله،

فسوف يعلمون؛ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.

وأما أهل العلم بالمقالة وأهل الإيمان بالشريعة، فيعظمون المصحف ويعرفون حرمته، ويوجبون له ما أوجبته الشريعة من الأحكام؛ فإنه كان في قولهم نوع من الخطأ والبدعة، وفي مذهبهم من التجهم والضلال ما أنكروا به بعض صفات الله وبعض صفات كلامه ورسله، وجحدوا بعض ما أنزل الله على رسله، ((وصاروا مخانيثا للجهمية الذكور المنكرين لجميع الصفات))، لكنهم مع ذلك متأولون قاصدون الحق.

وهم مع تجهمهم هذا يقولون: إن القرآن مكتوب في المصحف مثل ما أن الله مكتوب في المصحف، وأنه متلو بالألسن مثل ما أن الله مذكور بالألسن، ومحفوظ في القلوب مثل ما أن الله معلوم بالقلوب، وهذا القول فيه نوع من الضلال والنفاق والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله ما فيه، وهو الذي

أوقع الجهال في الاستخفاف بحرمة آيات الله وأسمائه حتى ألحدوا في أسمائه وآياته. مجموع الفتاوى المجلد الثاني عشر (٢٥٧ من ٦٤٥)

وقال عن أهل الإعتزال من المسلمين: فالمعتزلة فى الصفات مخانيث الجهمية. وأما الكلابية، فيثبتون الصفات فى الجملة، وكذلك الأشعريون، ولكنهم ـ كما قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصارى ـ: الجهمية الإناث، وهم مخانيث المعتزلة. ومن الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة. وقد ذكر الأشعري وغيره هذا؛ لأن قائله لم يعلم أن جهماً سبق هؤلاء إلى هذا الأصل، أو لأنها مخانيثهم من بعض الوجوه، وإلا فإن مخالفتهم للفلاسفة كبيرة جداً. والشهرستانى يذكر عن شيوخهم: أنهم أخذوا ما أخذوا عن الفلاسفة؛ لأن الشهرستانى إنما يرى مناظرة أصحابه الأشعرية فى الصفات ونحوها مع المعتزلة، بخلاف أئمة السنة والحديث؛ فإن مناظرتهم إنما كانت مع

الجهمية، وهم المشهورون عند السلف والأمة بنفى الصفات. مجموع الفتاوى المجلد الرابع عشر (٢٨٨ من ٦٤٥)

و حتى في المواعظ لا ينسون التخنث مما دل على انه حالة لصيقة بالنفس والفكير العقلي: .... قال ابن القيم: يا مخنث العزم! الطريق تعب فيه آدم، وناح نوح، وألقي في النار إبراهيم، وتعرض للذبح إسماعيل، وأوذي فيه موسى، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح فيه السيد الحصور يحيى ... إلى آخر ما قال.

وهكذا المخنثون الفكريون يصفون غيرهم بالتخنث بمناسبة أو بدون مناسبة كما هي هذه الأمثلة التي لا مناسبة فيها، فما معنى مخنث العزم؟ وكيف يكون؟

٣- من مظاهر التخنث التمسك بما لا دليل فيه لتبرير حالة التخنث والشذوذ:

إذا أردت أن ترشد مخنثا للطريق القويم فسيقول لك فورا: بما أن فلان يشرب الخمر فلا مانع أن أقوم أنا بما أقوم به، أو بما أن فلان يضرب زوجته وهذا يعني أنه يشك بها فإذن يجوز لي أن افعل ما أشاء.

وكذا تجد بعض المحاورين الاشاوس يبرر خطأه بما لا علاقة له بالموضوع شكلا أو مضمونا، واضرب لذلك أمثلة:

المثال الأول: تحجج بعضهم لسوء أخلاقه مع الشيعة ومع أهل البيت بالذات لأنه وجد رواية تقول (ابهتوهم) [وهي تعني بكل تأكيد بيان بهتانهم]، ولكنه كمخنث فسرها بمعنى (اكذبوا عليهم) ولهذا فهو يرى أن لا داعي لالتزام الأدب مع الشيعة ومع آل البيت لأنه عثر على مثل هذا النص

وهذا يكفيه بأن يكذب ليل نهار ويزور الحقائق، وهذا سلوك المخنثين بأدق التفاصيل.

والمثال الثاني: سب بعضهم أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب علنا، وحين صاح عليه الناس قال لأن الشيعة سبوا الشيخين فأنا اسب علي ابن ابي طالب، وهذا كما ترى من أجلى مظاهر التخنث. ناسيا دعواه أنه على دين الصحابة وتقديسهم، فكيف جاز له أن يكسر تقديس الصحابة ويسب سيد الصحابة لأن فاسدا كما يحسب قد كسر هذه القدسية.

لا تفسير إلا التخنث الفكري.

المثال الثالث: نرى بعض المخنثين الفكريين يدور بين الناس يستعطي فكرة اثبات أن الخليفة عمر تزوج بنت علي [عليه السلام]، يستدل بذلك على حسن العلاقة مما يدل عنده على صحة مخالفة نصوص رسول الله ص، وكأنه نسي أن المصاهرة الثابتة مع رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو أشرف من علي عليه السلام بما لا يقاس، لم تكن مصححة لسلوك خاطئ أو معذرة للخروج عن الشرع.

ولكن التخنث الفكري يريد أن يجعل من غير الدليل دليل كتسمية الأولاد والتزاوج وما شابه ذلك.

وأن هذا الحدوث عنده دليل صحة الخلافة والشرعية، ونسي هذا المفكر أن خلافةً تأخذ شرعيتها من المصاهرة عندهم والقرابة هي خلافة باطلة ودكتاتورية لا تصح من اي كان، كما يحاورون وويقولون مجرد الفضائل لا تدل على شرعية أمامة الإمام علي مع انها نصوص بالإمامة فيحولنها إلى مجرد فضائل، وهي غير دالة عندهم، ولكن فضيلة الصاهرة بين عمر وعلي دليل الرضا بينهم والرضا دليل الشرعية وإلا كفر علي لكونه صاهر كافرا كما يقولون ويبرمجون حسب تخنثهم الفكري.

ولكن طبعا هذا إذا تعلق بمدح زواج علي من فاطمة الذي هو الحالة الوحيدة من المصاهرة التي ورد فيها هذا القدر من التكريم بنصوص صحيحة. بينما لم يرد لرسول الله أي مدح لمصاهراته

ولو كان كذلك لكان اليهود أهل حق في الخلافة لأن رسول الله تزوج اثنان منهم وتسرى بواحدة.

ولكان النصارى أهل حق لأن رسول الله تسرّى بمارية.

قد تزوج بنت زعيم الشرك وقائد قوات بدر ضد رسول الله ابو سفيان فهل يدل هذا على إمامة ابي سفيان وهو يقود جيوش بدر وأحد والخندق؟.

ثم نسي هذا المفكر الخنثوي أن عمر نفسه قد صاهره رسول الله ص وهو غير محتاج لتحرير مصاهرة ثانية فاشلة كما يعتقد بأنه عطش لمصاهرة رسول الله.

كما أن من أخنث ما رأيت انه يستدل على وقوع المصاهرة وقيمتها العملية من الرواية المتكلم فيها: (ذاك فرج قد غصباه) فهل رأيتم كم حجم المصيبة التي يقع فيها هؤلاء؟ يستدل بهذا على انه كلام معصوم على وقوع المصاهرة وأنها فضيلة تصحح الخلافة وتصحح العلاقة الحميمة بين علي وعمر رغم

بعض الاضطرابات في أول الأمر كما يقول بفكره الثاقب. يا سلام على هذا الفكر الأرتوازي العميق!.

٤- من مظاهر التخنث عدم الالتزام باللوازم والاصرار على تغافل ذلك:

لو قلت لمخنث بما إنك تدعي حب الشرف فلماذا لا تلتزم بكلامك؟

فسيكون كلامه ضحكة مجنونة... ثم يقول لك: سألتزم وبعد ذلك يضحك، ولن تستطيع ان تلزمه بشيء أو تأخذ منه شيء.

وهذا السلوك نواجهه يوميًا مع اشاوس الحوار من عمق التمسلف، فلا ولن تستطيع الزامه بمبدأ يدعيه فكلما تلزمه بمبدأ يدعي التزامه به تجده يفر منه مراوغا وكأنه ليس من مبادئه وإنما من مبادئ جيرانه وهو الآن في حالة عداوة معهم فلا يمكن أن يلتزم بلوازمهم.

فلو ألزمته بلوازم علم الحديث ستجد نفسك في دوامة عدم القدرة على الإمساك برأس الخيط فلا الصحيح مطلوب عندهم ولا هناك حرمة لحديث بل هو حذاء بال، مع أنهم يدعون بأنهم عباد سند فيتحولون إلى أعداء السند لمجرد كونه يخالف هواهم ويوافق هوى الله ورسوله.

مثلا يأتيك دافعا صدره بعلم الحديث ويقول لك اثبت لي فضائل علي فإنها غير ثابتة عندي و انا لا اعمل إلا بالصحيح، وبالصحيح فقط، ولكن حين تسأله من قتل مرحب اليهودي يقول لك فورا انه محمد بن مسلمة فتطالبة بالدليل؟ فيقول لك أنه من كتب السيرة وان كتب السيرة افضل من كتب الحديث لأن هذا الموضوع سيرة وليس حديثا ويأخذ يبرر لك بكل تخنث فكري ترك الصحاح وعلم الحديث في هذا الباب.

فتجده يعتمد على ما يقولون عنه متروك لمجرد انهم لا يحبون ان ينسبوا انتصار المسلمين لعلي بن ابي طالب عليه السلام في تلك الواقعة، ويبررون

عدم التزامهم بعلم الحديث وبما يدفعون صدروهم له بأنهم يرون ذلك الطريق اصح لأن السيرة اقصر سندا واقرب للرسول من البخاري ومسلم.

فهل تعجب من مثل هذا التخنث؟

وهكذا يأتيك دافعا صدره ينادي بالإلتزام بظاهر الألفاظ ويطالب بحمل ألفاظ التجسيم على حقيقتها ويستميت من أجل هذه المهمة المستحيلة عقلا.

وبمجرد أن يبدأ معك حوارا حول وصايا رسول الله فيتبين ان كلام رسول الله كله يجب أن يحمل على غير الحقيقة ويستحيل ارادة الحقيقة..... (فالوصية) معناها عدم الوصية، و(ولاية) امور المسلمين تعني المناصرة والتأييد لمجموعة القتلة و(العترة) تعني اللا شيء و(آل البيت) تعني كل العشيرة حتى الرضع وحتى الزوجات وقد يضاف الحيطان والخيطان اذا اعجبهم ذلك، و(أنت خليفتي) يعني الجلوس مع النسوان، و(أعلمكم علي) يعني انه لا يؤخذ منه العلم، و(أنت مني بمنزلة هارون) تعني عدم الخلافة لأن هارون

مات قبل موسى كما يقولون مع أن موسى لا يعلم كيف مات ومتى مات؟ و (علي إمام كل تقي) لا تعني شيئا فهي مجرد ترضية وتطييب خاطر مكسور، و (لا ينال عهدي الظالمين) تعني وجوب طاعة الفاجر الظالم وإن تجاهر، وهكذا بتأويل أو ببلطجة المهم يصبح الظاهر غير مطلوب والفهم السليم من الممنوعات ويجب لي الكلام وتحطيم الجمل ونكران المواقف.

فهل هناك تخنث فكري أكبر من هذا؟

قلنا أن من مظاهر التخنث عدم الالتزام بما هو ملزم.

وهذه ظاهرة عامة عند المخنثين الفكريين، وتراهم لا يستحون ولا يخجلون من عدم الالتزام بشكل يدعو للدهشة.

وسوف نأتي ببعض الأمثلة الإضافية على التخنث الفكري في باب – عدم الالتزام بما هو ملزم–.

المثال الأول

الكل يعلم بأن الخلاف الحقيقي بين المسلمين إنما هو حول معاوية وحكم بني أمية العضوض.

وأما الخلاف حول الشيخين أو غيرهم فهو مما يعتبر خلافا على تفسير السلوك وقبول المبررات، وهذا يختلف عن الاختلاف حول معاوية بالخروج عن ربقة المسلمين.

فالاختلاف حول الشيخين أو الثلاثة يمكن الأخذ فيه والرد وسنأتي إلى موضوع ثان فيه، ولكن الخلاف حول معاوية إنما تحدده النصوص الصحيحة عند من يدعي الالتزام بالصحيح، بأنه خلاف بين الإسلام والكفر ولا علينا من رأي الشيعة في ذلك.

بل لنأتي إلى موضوع الإلزام باللوازم اللازمة المحكمة.

ونأتي بمثال على موضوع الإلزام بضلال معاوية الذي تمسكوا بولايته ومسألة حرب الإمام علي عليه السلام

يدعون أنهم يتبعون صحاح الأحاديث كما يلتزمون أو يدعون الالتزام به.

وصحيح الحديث يقول أن عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار

وهذه صراحة ما بعدها صراحة

ودعوتهم إلى النار هي الدعوة إلى الكفر كما قال مفسروهم في قوله تعالى (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إلى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إلى النَّارِ (غافر: ٤١)

قالوا ان الدعوة إلى النار هي الدعوة إلى الكفر.

وهذا قولهم لا قولنا.

فانظر أولا إلى النصوص وبعد ذلك فكر في تخنث المخنثين الفكريين وعدم التزامهم بما يلزمون به أنفسهم.

– صحيح البخارى – البخاري ج ١ ص ١١٥ :

حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى ابى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم انشأ يحدثنا حتى اتى ذكره بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول ((ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)) قال يقول عمار اعوذ بالله من الفتن

– صحيح البخارى – البخاري ج ٣ ص ٢٠٧ :

حدثنا إبراهيم ابن موسى أخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة أن ابن عباس قال له ولعلي بن عبد الله ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين فمر به النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عن رأسه الغبار وقال ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار))

وهذا من كتاب البرهان للزركلي في تفسير يدعونه إلى النار.

– البرهان – الزركشي ج ٢ ص ٢٦٠ :

وقوله تعالى مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وهم لم يدعوه إلى النار إنما دعوه إلى الكفر بدليل قوله تدعونني لاكفر بالله لكن لما كانت النار مسببة عنه اطلقها عليه وقوله تعالى فاتقوا النار أي العناد المستلزم للنار

يا مخنثي الفكر المعوج هذا صريح قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بأن عمار يدعوا قاتليه إلى الجنة وهو الإيمان ويدعوهم إلى النار وهو الكفر ومقولته.

فهل تلتزمون بهذه الصحة والصراحة؟

أم يعمل التخنث فيكم عمله الشديد فتأخذون بالضحك وتوزيع أيقونات الابتسامات.

شكرا لكم على الابتسامة الصفراء.

وهكذا تنظرون إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيح نظرة المخنث الذي لا يلتزم بما لا يعجبه.

وأي التزام هو هذا؟

فهو تركُ طريق بني أمية الضال والانتكاس الكلي وتبديل المذهب الفاسد.

فهل تستطيعون أن تحددوا موقفكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فموقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العدائي تجاه من يدعو إلى النار واضح جدًا فما موقفكم يا أنصار من يدعو إلى النار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ عدو اتجاهكم.

سيكون موقفهم مثل موقف من طلبنا منه أن يتبرأ من أعداء رسول الله فطلب التبرؤ من أعداء الصحابة ويقصد بهم أعداء معاوية الصحابي الجليل عنده.

فقد بان تخنثه لأنه يدعي الإسلام وهو يتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يعلم علم اليقين وبصحيح الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدو معاوية كما هو صريح بصحيح حديث عمار كما يرويه البخاري.

فهل من الضروري أن يعالج هذا الإلزام؟

وموقف عمار يشكل معضلة حقيقية

فهو قد بيّن أن وقوفه إلى جانب الإمام علي، هو وقوف مع اللّه وشريعته ومن يحارب الإمام علي إنما هو حرب للّه وشريعته.

ولهذا فعمار رض حين اقدم على اقتحام الحرب رغم عمره الذي لا يسمح له بقتال، فسلوا أي مخنث لعله يجيبكم هل يحسن أن يخرج شاب لقتال شيخ عمره يناهز التسعين عامًا؟ فأي تخنث هذا؟ وأين الذوق العربي والإسلامي؟

المهم لنتأمل نقل البخاري في الصحيح في من يقاتل علي ابن أبي طالب ونرى مدى التزام المخنثين بالصحيح.

تأمل:

– صحيح البخارى – البخاري ج ٤ ص ٢٢٠:

حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن الحكم سمعت أبا وائل قال لما بعث على عمارًا والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال إنى لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة (ولكن الله ابتلا كم لتتبعوه أو اياها)

هذا ما يرويه في الأثر الصحيح. رغم إقحام كلمة (والآخرة) التي تجعل من كلام عمار متناقضا كما هي أمانة بني أمية وحزبهم ولكننا سنغض الطرف عنها ونلزمهم بالتزامهم بالصحيح عندهم.

والحديث يدل بلا أدنى شك بأن عمار يرى أن اتّباع علي إنما هو اتّباع لله وهذا امتحان من الله بين أن يطاع هو جل جلاله وبين طاعة السيدة عائشة كطاعة ضد الله.

فما يقول أخوة الخناثى؟

فعمار يزج نفسه بالحرب ويضع نفسه في المقدمة لأنه يعلم أين طاعة الله و أين الكفر وطاعة أضداد الله.

وبشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وهذا بالحديث الصحيح الملزم

فهل ترون تخنثا اعمق من هذا يا اخوتي؟

المثال الثاني

يعرّفون عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنها الامتناع عن الكذب والمعاصي، ولا يشملون بذلك الخطأ ولا الجهل ولا المعصية الصغيرة ولا حتى الكبيرة مع الاستغفار. وبعضهم يجامل الرسول فيقول يمتنع عليه الكبائر. ويستميتون في الاستدلال بعتاب الله وتوعده بالعذاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأنبياء بطريقة لي عنق الكلام.

وبالنتيجة تكون العصمة هي العصمة في التبليغ والعصمة من الكذب في أداء الرسالة. وما عداه ممكن.

هل يلتزمون بهذا المعنى؟

لننظر؟

عدالة الصحابة ما هي؟

هل يكذب الصحابة؟

الجواب لا مطلقا وحديثهم يؤخذ به به وهم من رتبة فوق رتبة التوثيق.

هل يعمل الصحابة الكبائر؟

الجواب بالنسبة للثلاثة لا مطلقا وبالنسبة لغيرهم سكوت وعدم جواب.

هل يمكن أن يعملوا الصغائر أو الكبائر مع الاستغفار؟

الجواب نعم

هذا رأيهم وقولهم على الإطلاق.

هل يلتزمون بالقولين؟

الجواب: يستحيل الإلتزام.

فلا يلتزمون بتعريف عصمة الرسول حين يطلب منهم الالتزام بلوازمه فقول رسول الله لعمار يحدد معالم الطريق أن بني أمية ودولتهم إنما هم كفرة ودولة كافرة بتحديد ما صح عن رسول الله عندهم. ولا يلتزمون بكل لوازم العصمة من وجب اتباع قول المعصوم الذي لا يبلغ كذبا في أمر الدين ومستقبله. ويجيزون الاجتهاد مدعين إنما صدر من السابقين لعدم إتعاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورأفة به.

لكن هل يلتزمون بمعنى عدالة الصحابة ومطابقتها الكلية للعصمة عندهم؟

الجواب لا.

لأن لفظ عصمة مما يشتموه فكيف يقولون به؟

ولكنها العصمة بحذافيرها عندهم و بأدق التفصيلات.

فأين أعداء العصمة والقائلين بكفر من يقول بعصمة علي ابن أبي طالب وباقي المعصومين؟

فنحن نقبل تعريفكم للعصمة، وعليه فكل الصحابة ومن على منوالهم من المعصومين.

فلماذا (الحيدة)؟

فهل رأيتم تخنثا أعظم من هذا.

فإلى تخنث فكري آخر.

القشور واللباب في تفكير المخنثين فكريًا

إعدام صدام مثالاً

لقد عرفنا سابقا ظاهرة التخنث الفكري كظاهرة ميوعة، وتهرب، وتهجم، ولصق عيوب هي عين عيوب قائليها، وقلب للحقائق، وادعاء عدم الفهم بعد الانقلاب على ادعاء الفهم بسرعة البرق حين يحصر بالزاوية الحرجة، وما شابه ذلك من سلوك المخنثين الذي يمارسه إخوان الشيطان وعبدة أبليس. يأتيك من يقيم الدليل على عدم نسبته لأبيه بسن ضاحك ليتمنى نحرك يوم العيد تقربا إلى الله وتشبها بالمخنث الرسمي الذي كان يلبس ملابس النساء ويدخل عليهم، الأمير الأموي المسيحي البطل خالد القسري حين نحر المؤمن العدلي الجعد بن درهم في يوم العيد مدعيا أنه سب إبراهيم الخليل، فلم يجد له إلا قضية لا علاقة لها بأي موضوع حياتي سياسي يختلف فيه الجعد بن درهم مع الدولة الأموية. هذا المخنث الفكري الذي يتمنى أن ينحر

محاوريه الملتزمين أخلاقيا يوم العيد تأسيا بالمخنث خالد القسري، يستنكر إعدام المجرم القاتل المعترف بجرائمه ضد الانسانية يوم العيد استنكارا دينيا؟ إذا كنت تستحرم إعدام المجرم يوم العيد فلماذا تتمنى أن تعتدي على المسلمين المؤمنين يوم العيد وبطريقة بشعة وهي النحر مع السخرية التخنثية وتسميها نحر الأضحى. فما هو فعل المخنثين إذا لم يكن هذا؟ وهل أعدم صدام يوم العيد؟ وهل تنفيذ الحد يوم العيد ممنوع شرعا؟ سنعرف الجواب، ولكن من ابتلي بالتخنث لا يستطيع إلا الضحك والسفاهة.

وسيأتيه الجواب بالتفصيل ثم يقول أنه ارتاح ضميريا لأن صدام نطق بالشهادتين قبل الإعدام. ولا يدري أن هذا لا يقدم ولا يؤخر أبدا من الوعيد للقاتل بالنار الأبدية مهما كان مسلمًا مؤمنا، فكيف إذا كان مولعا بقتل المؤمنين من سنة وشيعة لمجرد شهوة القتل وقد أوجد مؤسسة كاملة تقوم بذبح الناس يوميًا طيلة فترة ثلاثين عامًا وأكثر، وقد استمرت مؤسسته للآن

بالقتل الهرب ورمي التهمة على الشيعة من منظمة بدر أو جيش المهدي. إن القاتل (مسلمًا كان أو كافرا) مخلد في نار جهنم بنص القرآن الكريم ولا يوجد ما ينفي أو ينسخ هذا النص مطلقا. ولكن هذا المخنث لا يستطيع فهم النص القرآني رغم أنني اعطيته هذا النص ونقلت له رأي احد اعلام الأشعرية الفاضل فبقي كمخنث فكري يحاول التهرب من خلال نصوص شيعية لا تنفع في المقام واتكأ على فهم زميل لنا لا دراية له بنصوص المتخصصين العلماء. يأتيك مخنث آخر ليقول لك بأن كل ما عمله الشيعة طيلة عقود خسروه بلحظة واحدة وهي لحظة الهتاف اثناء اعدام صدام. أو لكونهم اعدموا صدام؟ ويدعي بأن التشيع خسر المناصرين لأن الحكومة العراقية اعدمت مجرما قاتلا معترفا بجرمه امام الناس؟ وكأن الحكومة العراقية هي التشيع؟ فمن هذا الذي خسرناه وهو لا يقبل اقامة حد الله؟ المسألة بكل بساطة هي ان الله كشف أن هؤلاء إنما هم عباد أصنام يسمون حكام الجور

والظلم، ويبكون على الظلم ولا يريدونه أن يزول من حياة الناس، ويقلبون الحقائق. لب القضية هو إقامة حد القتل على القاتل المجرم السفاح الذي قتل الملايين. صدام حسين دخل محاكمة علنية واضحة لكل متشرع وقانوني، الأدلة قائمة بأنه وقّع بنفسه على إعدام وتشريد وتجريف ممتلكات مجموعة يعترف أنهم لا علاقة لهم بالحدث وإنما لمجرد الانتقام من قرية أطلقت النار، وتبيّن حسب نص تقرير مخابراته أن الاطلاقات موجهة إلى السماء مما يعزز نظرية أنها اطلاقات ترحيب ويكذّب من ادعى بأنه اشترك في اغتيال صدام وانما أراد الاستفادة من الحدث ليظهر نفسه بطلا أمام اصدقائه، ولم يستطع هو ومحاموه أن يدافعوا عن جوهر تهمته وانما استعملوا الشغب والصراخ والتشكيك غير المنتج وغير الدافع للأدلة، وكان كل دفاعهم الصياح والخطب السياسية السخيفة وتوزيع الاتهامات إلى الإيرانيين بحجة أنها كان دولة في حالة حرب مع صدام ولها مصلحة

باغتياله، وهذا لم يستطيعوا إثباته وإثبات علاقته بالموضوع، وهم يستخدمون المناخ العام كدليل على قضية جزئية وهذه لا تمرر على أغبى قاضي في الدنيا.

وغاية ما استخدموه من دفاع بأنه رئيس جمهورية تعرض لمحاولة اغتيال ومن حقه أن يعاقب، فرد" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " فقال: هذا هو في الحرم فقال: " لا عدوان إلا على الظالمين " فُردت دعواهم بأن المحاكمة ليست على العقوبة لمن قام بمحاولة الاغتيال، وإنما الابادة البشرية لعدم معرفة الفاعل، فهل اذا شك زعيم بأن في بلدة ما قاتلا له فهل له أن يقتل أهل البلدة جميعا؟ فهذا هو جوهر القضية، ثم أن محاكمتهم صورية، وتبيّن أن الأحكام غير دقيقة وفيها تلفيق، فقد حكمت محكمة الثورة البعثية على مجموعة بالإعدام بينما قسم منهم مات بالتعذيب أصلا، وقسم استبدلوا وقسم كانوا دون السن القانوني للإعدام وهو عشرون

عامًا، والانكى أن المحامين يدعون أن قسما منهم موجود حي وهذا يثبت تهمة التساهل في الدم وفي الأحكام بما يصل إلى حد الجريمة، وقد حاولوا نقض الأدلة الثبوتية فما أن بدءوا بشهود النقض حتى تبين أنها تمثيليات رخيصة مدفوعة الثمن وقد اعترف شهود النقض بالتزوير وأن هناك عمليات تمثيلية لنفي الشهادة، وقد فاتهم أن هذه الشهادات لا تساوي في القيمة الثبوتية المكاتبات الخطية بين الجهات التي اتخذت قرارات الإبادة التي ثبتت باليقين أنها ثابتة بخط أصحابها المدانين في المحكمة. فكان الحق أبلجاً والبرهان ساطعا ولا يستطيع أي قاضٍ إلا الحكم على هؤلاء القتلة بالقصاص العادل الذي أمر به الله سبحانه وتعالى. فتبين إن هذا الحاكم الذي يزمّر له الناس قد استحق القصاص من أول قضية من عشرة آلاف قضية إبادة جماعية. وأن الحاكم الذي يصف نفسه بالمؤمن ما هو إلا شيطان جاهل ولا يعرف حتى الدفاع عن نفسه ويفتخر بقتل الناس ويفتخر بتحمل

مسؤولية قتل الأبرياء ويريد أن يبرأ أتباعه من التهم فينسب القتل والإبادة الجماعية لنفسه بالخصوص، وهذا أمر غير مقبول قانونا وشرعا، لأن لكل مكلف مسؤولية محدودة في القانون لا يمكن التنازل عنها.

ولكن المخنثين الفكريين يقرءون الحدث من زاوية ثانية وهي إن التنفيذ يوم العيد أو أن هناك من هتف بحياة الصدر، فإذن القضية ليست إقامة العدالة، وإنما هي قضية طائفية شيعية بدليل الهتاف بحياة الصدر. وحقيقة الأمر هو الاصطفاف الطائفي مع الظالم المجرم بل لنقل الحقيقة أكثر هي منظومة سيطرة الحاكم المسلم على العقيدة والمشاعر عندهم، متناسين قتل صدام السني الطائفي القومي لملايين العراقيين من شيعة وسنة، فقد قتل الشيعة بنفس طائفي وقتل السنة بنفس قومي، مدعيا العروبة، مع أن جميع النسابين يقولون بأن البيجات هم أتراك متحالفون مع القبائل العربية وقد جاء عمر بيك من تركية في زمن مراد الثاني أو بعده، كآمر حامية لحراسة

مراقد اليهود والأبرشية المسيحية في تكريت، وليس لهذه الأسرة أي اصل عربي. فهذا التركي قتل ملايين العرب القحطانيين والعدنانيين بحجة الفارسية لمجرد كونهم شيعة وقتل مئات ألوف الأكراد السنة لمجرد كونهم أكرادا فرسا يجب القضاء عليهم قوميا، وقتل التركمان الشيعة بالحجتين وقتل الأكراد الفيلية لكونهم شيعة وأكراد. فما يطالبون به إنما هو قشر لا علاقة له بجوهر القضية، ويتركون لب القضية وهي إقامة الحد الشرعي على من قامت عليه البينة والأدلة الشرعية على تحقق الجناية والجرم. إذن هم يتمسكون بالقشور ويتركون اللب متعمدين، لأنهم مخنثون ولا يوجد تبرير آخر لفعلهم. فإن من وهبه الله العزة والكرامة والعقل والشرف لا يقبل بالظلم والجناية ولا يصطف إلى جانب القاتل المجرم ولا يقبل أن يشوه الحقائق. حتى لو كان صاحبه في المذهب، فالشيعة تبرءوا من شاه إيران مع أنه لم يفعل عشر معشار ما يفعله المجرمون من الحكام الآخرين، وهو شيعي فلم

يصطف معه الشيعة بل أسقطوه بالقوة، ولكن من أين نأتي لهؤلاء بالشرف؟! باعتبار أن هؤلاء ممن لا يفرق بين الناقة والجمل، فعلينا أن نفهمهم أن ما يقولونه ويفعلونه هو مجرد نوع من أنواع التخنث الفكري، الذي ابتليت الأمة السلامية بتفشيه بين أبنائها،

وهذه هي الأدلة على شكل سؤال وجواب:

س– هل أقيم الحد على صدام يوم العيد؟

ج – الحقيقة أن الساعة التي اعدم فيها صدام لم تكن يوم العيد بل هي قبله بنصف ساعة تقريبا فلم يقتل يوم العيد أبدا، ولكن هل كان ذلك هو يوم العيد في العراق؟ لا أبدا، فالعراق كان عنده تلك الساعة من ليلة يوم عرفة فهي بعيدة عن العيد. مع ملاحظة أنه لو كان قد صدر من أتباع خالد القسري مثل هذا الفعل في يوم العيد فسيبررونه بشتى الطرق كما برروا قتل الموحد المخالف لبني أمية اللعناء الدعاة إلى النار على لسان رسول الله الجعد

بن درهم يوم العيد بعد صلاة العيد فنحره القسري أمام الناس بدعوى لفقها الأمير وحكم عليها وليس لديه شهود ولا محاكمة.

س – هل يحرم إقامة الحد في الشهر الحرام؟

ج – لا أبدا بل يجوز إقامة الحد في الشهر الحرام في البيت الحرام لمن ارتكب جناية فيه ولا تؤخر. وسيأتي تفصيل ذلك.

س – هل يعتبر الهتاف دليل بطلان الحكم على الجاني المحكوم؟

ج – لا أبدا بل كان المسلمون يهتفون حين يرجمون الزناة وحين يقتص من القاتل؟

س– هل كان الهتاف من المنفذين للحكم أم من المشاهدين؟

ج – لم يكن الهتاف من المنفذين وإنما من المشاهدين وهذا جائز في كل الشرائع.

س – هل كان الهتاف شيعيا أم كان إسلاميا؟

ج – كان إسلاميا بشكل عام مثل الله اكبر، و اللهم صل على محمد وآل محمد، و إلى النار يا مجرم وغير ذلك، عدا ما سيأتي من قضية الهتاف باسم الصدر وهي قضية غامضة. سنبينها.

س – هل كان الهتاف دليلا على التشيع؟

ج – لا أبدا لأن الهاتفين إما مدسوسون أو جهلة من اقل خلق الله فهماً وذلك للأسباب التالية:

١– قال المنادي (يعيش محمد باقر الصدر) بينما قد استشهد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه على يد صدام شخصيا ذبحا قبل ٢٧ سنة فكيف يهتف عاقل على ميت بـ (يعيش)؟

٢- قال المنادي (وألعن عدوهم مقتدى مقتدى مقتدى) فهل يقولها محب لمقتدى. أم يجب أن يقول و(احفظ ولدهم) مقتدى؟

٣- تبرأ التيار الصدري من هذا الهتاف ومن السلوك في إثناء إعدام صدام، ووصفه بأنه تصرف شخصي لا يمثل مطلقا التيار، لسببين الأول: أن التيار الصدري اعتبره إساءة ومساس بالسيد مقتدى الصدر حفظه الله لأنه قال (والعن عدوهم مقتدى مقتدى مقتدى) وقد بادر صدام بالسخرية من الصدر، وثانيا: لأن الصلاة المعروفة في التيار الصدري قد حرّمها السيد مقتدى ومنعها بشدة لأنها سببت مشكلة، وقد تفهم السيد الصدر هذا الموضوع وتم الانتهاء منه وتحريمه نهائيا ولم ينطلق من حنجرة صدري منذ أكثر من سنة، فلماذا يخالف هذا المردد للهتاف هنا ويقوله بشكل مقلوب؟ مع ملاحظة أن التيار الصدري يدافع عن تصرفاته علنا ولا يخاف وكان ممن نقم على الأمريكان لأنهم لم يسلّموا صدام حسين لإعدامه حتى قبل محاكمته لأنهم يرون أن

جريمة قتل الشهداء من آل الصدر جريمة كافية لإعدامه وهي لا تحتاج إلى محاججة باعتباره كان يتبجح في خطاباته بوصف الصدر بالمقبور وهذه قضية واضحة وضوح الشمس. فمن يطالب بالإعدام بلا محاكمة لا يخشى أن ينسب لنفسه تنفيذ الإعدام أو المساهمة فيه أو المتاجرة به إذا كان قد فعلها رسميا، ولكن يبدو أن التيار الصدري عرف أن هذه مؤامرة عليه، فشجبها وتبرأ منها.

٤- تبرأت الدولة بكل مكوناتها وأهمها مجلس الأمن القومي في العراق فقد استنكر هذا التدخل غير المهني في إجراء الإعدام. فلهذا لا يعتبر الهتاف أصلا دليلا على تشيع الحاضرين. بل لا يعتبر دليلا على فعل الدولة العراقية بكل مكوناتها.

س- إذن ما هي إشكالاتهم إذا كانت هذه القضية محسومة وأن المسألة في جوهرها إقامة الحد الشرعي على القاتل للألوف؟

ج – المسألة مجرد حقد على علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولعلاقة لاعدام صدام بالتشيع أو غيره وانما هو قاتل اخذ جزاءه، ولكن الجماعة يصطفون مع الشيطان لأنه حاقد على من هزمه في ذاته وفي مبادئه. فهذا صدام كافر عند زعمائهم حين يخالفهم ومؤمن حين يقتل الشيعة، ولأنهم مخنثون فكريا فهم يستخدمون أساليب غير غريبة على من يعرف الحق، فإن هؤلاء يتمسكون بالقش من أجل إثبات هشاشة الجبل، وما يريدونه في مسألة إعدام صدام هو مجرد إدامة لإراقة الدماء البريئة وجعل السنة في العراق مركبا لقتلهم وأذيتهم بإغراقهم في مشاريع إرهابية هم منها براء. ولا يحرصون على دم أي مسلم سنيا كان أو شيعيا بينما مراجع الشيعة حريصون على دم السني قبل الشيعي، لم يجوزوا اخذ الثأر من القتلة المعينين، فقالوا بوجوب اللجوء إلى القضاء ليتحقق العدل بلا فوضى واختراق للنظام. المسألة واضحة وضوح الشمس هو تمسك بالقشور وادعاء المحافظة على كرامة الأمة

وعدم هتك حرمة العيد وتقدير مشاعر المسلمين مع إن إقامة الحدود جائزة في أي وقت، وان زعيمهم هذا كان بقتل في العيد أضعاف ما يقتله في سائر الأيام بحسب اعترافات المساجين وحسب السجلات العراقية، بل قتل ابن خاله ووزير دفاعه في يوم العيد لأنه عارضه معارضة شديدة على إدارته الفاشلة للحرب على إيران. قتلوا الحسين في الشهر الحرام في اليوم الحرام وهو العاشر من محرم واخذوا يناقشون في قتل البعوضة. هذه الأمة لا تحفظ حرمتها بترك القتلة يسرحون ويمرحون، والعيد لا تهتك حرمته بإقامة القصاص العادل على من يهتك حرمته، ومشاعر المسلمين الحقيقيين لا تنخدش لإقامة العدل الإلهي على من قتلهم وعذبهم، وكان مثلا لكل حاكم سيئ يريد قتل الناس لأبسط الأسباب واختراع عداوات توجب القتل ما انزل الله بها من سلطان. إن امة تنخدش كرامتها لقتل مجرميها لهي امة من حقها أن تعيش في المزابل وتأكل منها، لأنها لا تريد لنفسها الكرامة وترى

كرامتها بحفظ قتلتها وتمجيدهم والبكاء عليهم. مثل هذه الأمة يجب أن تعيش مع نظائرها من بهائم وحشرات.

أمة الإسلام الحقيقية من شيعة وسنة تقول أن القضاء على الظلم والجور هو العيد الحقيقي عند المسلمين، وأن سعادة المجتمع المسلم في الدنيا هو العدل وفي الآخرة هو العدل، ويأخذ كل فرد ما يستحقه في الدنيا والآخرة وهذه هي السعادة. هل تتجاهل الأمة الإسلامية الكريمة والأبية أعمال الحكام الوحشية وخيانتهم لدينهم ومقدساتهم وبيعهم لأوطانهم؟ وبهذه المناسبة حتى تعلم الأمة التي تنخدش كرامتها بقتل زعيمها سأنقل لها صورة عن جرد لأنواع التعذيب في سجون زعيمها المؤمن صدام حسين نسأل الله أن لا يبتلي مسلمًا مؤمنا بها فإنها من البشاعة بحيث نقف عاجزين عن وصفها، هاكم اقرءوا يا من يدعون أن كرامة الأمة خدشت بقتل صدام، ولا تنسوا أنه بعد أن

تقرءوا هذا سأتلو عليكم آراء الفقهاء في إقامة الحد في الأشهر الحرم وفي البيت الحرام.

قابلية الاستعمار وقابلية الاستحمار... عند البشر

في الستينيات من القرن الفائت قرأت كتاب الأستاذ مالك بن نبي (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) ومالك بن نبي معروف بفكره المزيج بين التجربة الأوربية والفكر الإسلامي والعربي، وهو قد أضفى – بذكائه الخاص – صبغة خاصة على دراساته في الحضارة والنشوء الحضاري.

وفي كتابه المذكور كان يركّز على مفهوم غريب نسبياً، وكان هذا المفهوم موطن تندر من بعض العلماء، والمفهوم هو: (قابلية الاستعمار) وملخص فكرته بأن الشعوب الضعيفة والمتخلفة يتولد في داخل الفرد فيها رغبة شديدة بقبول حالة استعمار أمة أخرى له و لبلده، بحيث نرى أن الفرد يتبرع بنفسه ليدل المستعمر على ما لم يفكر به. وقد ساق صور و شواهد كثيرة جدا.

حين قرأت هذا الكتاب، اضطررت أن اقرأه مرتين، لأنه هزني بالفعل.

وبعد أن استوعبت الفكرة، بدأت الصور تتوارد على ذهني، سواء فيما أراه من تطبيق أو فيما قرأته لما جرى في التأريخ.

وبدأت الصور تتغير إلى موضوع آخر، فقد تبين لي أن الموضوع اشمل من موضوع الاستعمار.

ففي الواقع العملي نرى الناس يسارعون متبرعين لتقديم معلومات للحاكم أو أي قوي أو غني تجعلهم في موقف أضعف وتجعل القوي في موقف أقوى. مما يعني أن هذا الموضوع يرتبط مع حالة ضعف الإنسان بشكل مطلق، ولكن الضعف إنما هو بالدرجة الأولى ضعف فكر وضعف نفس قبل الضعف المادي أو الحضاري.

وفي نهاية السبعينات قررت القيام ببحث فقهي لموضوع غريب وهو موضوع الدعاية للسلع التجارية وحكم الشرع في صورها وجزئياتها. وبعد شهر من القراءات لما يتعلق بالموضوع من دراسات تبيّن لي بأن نظرية الدعاية قائمة

على فكرة (خلق الحاجة في نفس المستهلك المحتمل للسلعة) وحكم هذا التوجه يعتمد على واقع السلعة ولكن في الغالب إنما هو عملية كذب مبطنة تصنع حاجة ملحة في نفس المستهلك من أجل شراء هذه السلعة، وبعد أن يشتريها يكتشف انه مدعو لسلعة أخرى وهكذا دواليك.

وهنا تساءلت ما الذي يدفع الإنسان لهذا الانسياق؟

فجاءني الجواب من أحد الدراسات المعمقة للموضوع يقول:

بأن لدى البشر رغبة داخلية بأن يُكذب عليهم وهم يرتاحون نفسيا للكذب المزوق والمبالغات في المواصفات وأهميتها حتى لو لم تكن ذات أهمية فعلية خارج الوجود الذهني. ولهذا فإن الكثير من الشركات تقوم بزيادة المواصفات في المنتج بناءً على دراسات نفسية تربط بين المواصفة والبهجة النفسية التي تخلقها المواصفة بواسطة الدعاية لها، ولو فشل المنتج فذلك يعني أحد أمرين إما فشل الحملة الدعائية أو فشل التهديف للبهجة ومتطلباتها.

إذن نحن أمام قابلية لدى البشر لتصديق واستيعاب ألاعيب وأكاذيب الآخرين أو مبالغاتهم، وقد قمت بتقسيم هذه الحالة إلى مستويين:

الأول هو المستوى الطبيعي والمتلائم مع فكر وحضارة الإنسان، مثل الابتهاج بمواصفات براد أو سيارة أو ما شابه ذلك من بضائع أصبحت مكشوفة للمجتمع.

والثاني هو المستوى الوضيع وقد أسميته (قابلية الاستحمار)، وهذا له أمثلة لا تعد ولا تحصى، تبدأ من التصديق بمفعول أدوية عجيبة غريبة (كما هو حال دعايات السلفية للحبة السوداء وأنها تشفي السرطان والإيدز!!!) إلى التصديق بالأكاذيب الثقافية.

قابلية الاستحمار مرة تنبع من النفس ووضاعتها وأخرى بواسطة التربية، غير أن ما كان نابعا من النفس لا يشكل ظاهرة عامة.

ولكن ما كان بواسطة التربية يمكن أن يشكل ظاهرة عامة، فتربية شعب كامل على أن لا يفرّق بين الناقة والجمل هي بالتأكيد تربية على (قابلية الاستحمار) وطلب هذه الميزة علناً.

وقابلية الاستحمار تتجلى في صور كبيرة في مجتمعاتنا العربية فهي تتراوح:

بين تقديم ثقافة جاهزة ومعايير معلبة

وبين غلق باب الاجتهاد

وبين فتح الاجتهاد للجهلة أو بسطاء المثقفين.

وحسب رأيي فإن أخبث عملية استحمار قام بها الحكام ومدارسهم الفكرية في المجتمع الإسلامي هو إنشاء مشاريع الصحاح في الحديث. وتجهيز قوالب كاذبة يطبق عليها الحديث في سبيل تدمير الإسلام من الداخل.

أن وضع الحديث بقوالب مجهزة وتصحيحها والدعوة إلى الاقتصار عليها، هي دعوة صريحة لغلق العقول، ودعوة لتعويم ما يراد تعويمه وترسيخ ما يراد ترسيخه رغم كذب الحديث علنا وعيانا ولكنه يوصف بالصحة وبأنه عقيدة.

فهذا هو الاستحمار بعينه وعيانه.

ما رأيكم باسم هذا الكتاب:

(عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن).

تأليف الشيخ حمود التويجري وتقريض الشيخ عبد العزيز بن باز. وهو كتاب يعتمد على حديث كاذب أو محرف.

والتويجري يؤيد صحة هذا الحديث –المحرّف– بفهم اليهود فيقول في صفحة(٦٧): (وأيضا فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن

الأنبياء فإن في السفر الأول منها: (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها).) ويقصد بهذا الكلام ما هو موجود في التوراة المحرّفة التي بأيديهم.

هكذا الاستحمار وإلا فلا.

كتاب يصرح بأن عقيدة أهل الإيمان هي البناء على حديث غير موجود من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. والموجود في الحديث هو أن آدم خُلق على صورة من شُتم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس على صورة الله.

فأحاديث كاذبة أو محرفة يجبر المسلمون على اعتبارها صحيحة وتبنى عليها عقيدة، ولا يوجد معترض. فهذا استحمار تام.

فهنا تكمن خطورة المعلبات الحديثية، وهنا تتوضح لنا الإجابة عن السؤال: لماذا يراد وضع أطر عامة للتصحيح؟ وعلى الجماهير إغماض العيون المشي وراء الدجال.

حيث أن المقصود الأولي هو استحمار الناس تربويا.

وهذا النوع من التعتيم وسلب القدرة على الاجتهاد وترك تمحيص التراث على أسس إبداعية مخلصة يؤسس لحالة خطيرة هي سر تخلف المجتمعات الإسلامية التي بيدها القدرة والقوة الفعلية.

إن فكرة الصحاح مبنية أساسا على فكرة تجهيز معايير مصنّعة وطلب اتباعها بدون تفكير أو بدون تمييز، من أجل تمشية ما يراد من صورة محددة.

الحاكم واتباعه من وعاظ السلاطين لا شأن لهم بعدد ركعات الصلاة أو مفطرات الصوم، ولكن ما يهمهم هو أن يكون الإسلام طوع أمرهم باعتباره الدين الذي يحكم جماهيرهم.

ولهذا فهو العدو الأول الذي يجب أن يمسك من العنق، وهو من يمسك بأعناق الناس. فيكون من مسك أسس الإسلام مسك أعناق الناس، ولهذا نراهم يتدخلون في الصلوات والأعياد ورؤية الهلال وغير ذلك من أجل أن يكون الإسلام بشكله المادي بيد الحاكم وأتباعه. وعلى الجميع السمع والطاعة.

وهذه المنجزات تتحقق بصورة أفضل حين يسيطر على المعايير وعلى الحديث الشريف الذي هو مركز العلوم الإسلامية.

ولم يكتف من ابتلوا بأن خضعوا لهذه الكوارث، فأغلقوا عقولهم، بل اصبحوا يطالبون من برأهم الله من هذا الاستحمار أن يصححوا الأحاديث،

وبعضهم يطالب بنسب مئوية لصحة الحديث وكأن الحديث الشريف مادة كيماوية يقاس فيها نسبة الرطوبة.

هذه الدعوات الغبية نابعة من استحمار حقيقي لعقولهم بطريق تربوي طويل، ونحن محصّنون ضد الاستحمار بفتح الدراسات وإخضاعها لمعايير شخصية إبداعية بغض النظر عن ما وصلت إليه النتائج فقد قبلنا من قال بصحة الجميع وقبلنا من قال أن الصحيح أقل من ربع الموجود، ولا نجد في ذلك غضاضة لأن رأي أي منهم لا يعتبر مدرسة للآخرين من دون منع أن يكون مدرسة بالفعل ولكنه بلا طغيان على الفكر والبحث الحر.

أقول لهؤلاء الأغبياء المتورطين بصيحات المطالبة بالتصحيح العام:

لو أنني قمت بتصحيح ما يصح عندي في الكافي وطبعته كتابا، فما قيمة هذا العمل بالنسبة للباحثين الآخرين؟

طبعا سوف لن يكون له أي قيمة علمية غير طبع محط نظري فقط، لأن أي مجتهد لو اعتمد على معاييري وتحقيقي فهو مقلد لا قيمة له ولا يعرف كيف يستنبط الأحكام، وسوف لن يكون اكثر من الفقهاء الذين يقولون هذا صحيح لأنه على شرط الشيخين. وكأن شرطهما صحيح بنفسه!!!

ثم أن هناك مسألة أساسية وهي في نفس التقسيمات الحديثية والمصطلح، فقد يكون معنى الصحيح عند الخوئي غيره عند الحكيم وغيره عند اليزدي وهكذا دواليك.

هناك خلافات حتى في التقسيمات فقسم كبير من الفقهاء لا يؤمن بالتقسيم الرباعي ويراه تقسيما ثمانيا وقسم منهم لا يرى أصل هذه التقسيمات من أساسها، فبعض المفكرين لا يرى الفرق بين الصحيح والموثق لا من حيث المصطلح ولا من حيث القيمة المعرفية، وبعضهم يرى قسما من الضعيف

يدخل في الحسن بموجب نظريته في القرائن وبعضهم يدخل الصحيح في الضعيف بموجب نظريته في التصحيح.

فعلى أي أساس يمكن وضع معايير موحدة وقوالب استحمارية من أجل إنتاج أحاديث معلبة جاهزة للاستعمال؟؟

ما صح عند الخوئي قد لا يصح عند تلميذه وما ضعف عند الخوئي قد يكون صحيحا أو حسنا عند تلاميذه، فكيف بزملائه أو بمن لا يؤمن بمدرسته أصلا؟

فالخلاصة إن أعظم شاهد من شواهد قابلية الإستحمار أن يطلب أحد من الناس، تجهيز حزمة أحاديث يسميها بالصحيحة.

فهذا عمل تحقيري لقدرات الإنسان الإبداعية ولعمل الإنسان الاجتهادي.

وبهذا انتهيت من التصور بأن ما يسميه المفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي بـ (قابلية الاستعمار) إنما هي حالة عقلية نابعة من النفس المعقدة أو من التربية السيئة ويمكن وصفها بـ (قابلية الاستحمار). وكل من لا يلتفت إليها يخسر إنسانيته ويخسر قدراته العقلية.

هذه القابلية تعني بكل صراحة أن يطلب أحد منك أن تستغفله وتلغي عقله وتقدم له المعلبات الجاهزة مع فقد مواد الحس والتذوق لما يستلم.

هذه القابلية موجودة بالفعل ونحن نرى يوميًا من يلحّ علينا بأن نتحول إلى هذه الحالة عسى أن يرتاح نفسيا لأنه لا يرتاح إلا بأن يرى الجميع مثله. ويحاول أن يقنع نفسه بشتى الحجج، ومن أجمل حججهم هو أن توفير هذه القاعدة تريحهم وتجعل الأمور واضحة.

كيف تحاور حمارًا؟

بالرغم من انشغالي الدائم أراجع بعض ما يجري من حوار على النت.

فانقدح في ذهني برنامج تعليمي بعنوان (كيف تحاور حماراً).

إذا ابتليت باعتراض حمار عليك يريد ان يحاورك في عقلك ودينك وهو يهز ذيله وآذانه طالبا النزال في ميدان العلم والدين، فماذا تفعل؟

هذا أمر جديد جدي افرزه النت.

فلم يكن بمقدور كل حمار أن يجادل عالما، حيث إن العالم لا يجتمع به أصلا في العالم الواقعي.

ولكنك في النت والعالم الافتراضي تضطر أن تحاور اشكالا شتى (انسانا أو ذئبا أو حمار) ولا تدري من هو؟

وعليه يجب تأسيس علم جديد في المنطق وهو (مجادلة الحمير).

نبدأ بـ

الدرس الأول

حين يأتيك عاقل عالم ويسألك ما هو دليل تفضيل علي بن ابي طالب على الصحابة؟

تجيبه بأدلة نقلية وعقلية: منها عدم احتياجه إلى الكل واحتياج الكل إليه، ومنها النصوص الصحيحة الصريحة في تفضيله، ومنها كذب تفضيل الاخرين عليه، ككذبة عبد الله بن عمر حين ادعى انه في زمن رسول الله ص كانوا يفضلون ابا بكر وعمر وعثمان ويقفون وهو كذب شنيع مخالف للكتاب والسنة.

سيفكر العاقل في أدلتك العلمية فقد يخضع لها لوضوح العلم فيها، وقد يجد غموضا عنده في مطالب فيشكل ويسأل وأنت تفصّل الجواب حتى ينتهي إما

إلى التسليم أو إلى الهرب خوفا من القناعة التي تستدعي تغيير المذهب، وهذا مخيف له جدًا فيهرب منه.

هذا هو سلوك العقلاء.

ولكن حين يأتيك حمار فماذا يفعل؟

الدليل العقلي عنده مخالف لطبيعته وإلا لما كان حمارا. فهو مرفوض ابتداءً.

والدليل النقلي مبني عنده على أمرين أساسيين:

١- توحيد اللون

٢- وموافقة الاشتهاء

لقد كان احد الرواة الغشاشين يعلف حماره التبن، ويلبسه نظارة خضراء، فيأكل صاحبنا الحمار التبن بنيّة الحشيش، بالنظر لوحدة اللون.

فهذا أول علامات الحمير.

وحمار النت وضعوا له لونا خاصا للنقل، فما وافقه أصبح محتملا، فيتحول إلى المبنى الثاني، وما خالفه رفضه قطعا، من دون رؤية شاملة للوازم القبول والرفض.

فإذا وقع النقل في خانة الممكن فهنا يأتي دور التشهي، فما كان يكرهه فيرفضه حتى لو كان من مبدأ الحمير أنفسهم، وما كان يشتهيه يقبله حتى لو كان ضد مبدأ الحمير قاطبة. وهذا السلوك يمكن اعتباره (استاندرد) أصلي للحمير.

فإذا عرفت التشخيص هداك الله فقد بان لك نصف الحل.

وتمام الحل هو أن لا تنوي حواره فيما يريد، وإنما تكشف انه حمار، فيعرف حجمه. فيعلن النهيق والرفس والتمرغ بالتراب.

فعند ذلك يقع العلم على المعلوم والطلب على المطلوب.

الدرس الثاني

كيف تثبت انه حمار؟

الأمر بسيط جدا:

اقلب له الألوان والمشتهيات فسيعلن حماريته.

مثال بسيط:

يأتيك حمار يحاول مجادلتك في أفضلية علي بن أبي طالب عليه السلام على بقية الصحابة.

سله: ما هي الأفضلية المقصودة؟ فهل هي في قوة البدن وفتل العضلات؟ أم في التهجم على ابواب آل الرسول ص؟ أم في كثرة الأكل ومحبة المضيرة؟ أم في ترك العلم والفقه والإلتهاء بالصفق؟ أم بالفلتات؟ أم بالجهل؟ أم بالهروب

من الزحف؟ أم بالقعود؟ أم بالامامة المسلوبة؟ أم بالاجتهاد مقابل رسول الله ص؟ أم بالتآمر على قتل رسول الله ص في العقبة؟ أم بالنزو على منبر رسول الله ص، الخ. وهي مئات الأمور التي يتفرع منها فروع كثيرة.

وسله: ما هي الصحبة؟ وهل الصحابي الزاني صحابي يتفاضل مع التقي، وهل عفير رضي عنه من أجلاء الصحابة الذين يدخلون بالتفاضل. أم لا يمكن تفضيل صحابي عليه؟ وهل من الصحبة من سمع من رسول الله ص ولم يعي ما قيل له؟

وسله: كيف نثبت الافضلية؟ هل نثبتها بالعقل؟ أم بالنقل؟ وما هو النقل؟ وهل يمكن تكوين مذهب كامل موقوف على صحابي كذاب كذب كذبة مخالفة للكتاب والسنة في التفضيل؟ وما قول المفضلين في اختلاف نفس الصحابة في التفضيل؟

طبعا ستكون أجوبته ان هذه الاسئلة خارجة عن موضوعه كالعادة، لان الحمار يعرف لونا واحدا فإذا قيل له سل هذا السؤال واجب بهذا الجواب لا يستطيع ان يخرج منه يعتبر كل ما به إلزامه خارج مطلوبه.

ولكن عليك اخي الانسان ان تتمسك بمعرفة كل كلمة ذكرها في موضوع حواره ومكنون سؤاله، لأن لكل كلمة ألف معنى تام في علم الحمير، فلا تنفع القواميس ولا تنفع القرائن المحددة للمعنى، وأنت تحاور حمارا لا تدري ما المقصور الدقيق من كلامه، ويمكن ان يغير مقصودة بلمحة بصر وكأنه لم يفعل شيئا، وهذا مناسب لسنخه.

فإذن يجب ان نفهم كلامه قبل ان نجيبه والا اصبحنا جهلة اذا أجبناه، ونحن لا نعرف ما يريد بالضبط.

وأخيرا يأتي السؤال الكاشف التام للحميرية:

وهو:

ما هي معايير صحة الصدور؟

هنا سينهق ويرفس عاليا.

الدرس الثالث

إذا وصلنا مع الحمار إلى معرفة معاييره كما يريد هو، فأمامنا طريقان:

الأول: (وهو أرقى من مستواه) المناقشة في معاييره واثبات عدم صحتها.

الثاني: تطبيق معاييره على ما يقول. (وهو مما يناسب الحمير بالتأكيد).

مثلا إذا ذكر ان ضعف الرجل أو جهالته يسقط الحديث فأته بأحاديث الفضائل لمن يحب، وإته بأحاديث الصفات، واته بكل حديث مرفوض مرذول يتمسك به. فأما أن يولي وله ضراط كإمامه، أو ينهق ويتمرغ بالتراب.

واذا قال ان تعدد الطرق لا تصحح الحديث فطبقه على أحاديث الرؤية فستجد انه لا يفهم ما تقول ويثبت حموريته اللطيفة. وفي أثناء دمدمته حول احاديث الرؤية سيثبت لك ان الرؤية معناها الشم من بعيد لرؤيا في الأحلام. فتقول له ليس مطلبنا معناها! وإنما تطبيق معيارك عليها، فيقول لك بل هذا هو مطلبنا الأساس وقولنا المطلق. وهذا يعني انه حمار بامتياز يحمل شهادة عم البغل الذي خاله الحصان.

ملاحظة: قد يختار الحمار اسما يتصف بخلاف ما يريده من موضوع، كمن يسمي نفسه بمن أنكر الصحيح الجامع وضلل صاحبه.

وبقية الدروس تعتمد على ذكاءك ودقة ملاحظاتك لسلوك الحمير.

واعتذر عن الاختصار في تفصيل هذا الجانب من العلم، وكل أملي في الاخوة تطوير هذا العلم حتى يكون دليلا لكل من يعترضه حمار يريد مجادلته بطريقة الحمير.

الدرس الرابع

كنت انوي أن اكتفي بما قدمت من معنى يفهمه العقلاء ويمجه الجهلاء.

ولكن بدا لي أن أكمل المعنى بدرس رابع.

هذا الدرس يتعلق بنسبية النظر إلى الآخرين كما يتصور بعض الناس.

الحقيقة ان النسبية موجودة في الواقع الخارجي، ولكنني أتكلم عن امر آخر تماما.

كلامي هو عن معايير الحمرنة وكيفية معالجتها وكيفية التصدي لحمار يظن نفسه عالما.

اذا كان العلم لا معيار له فالحمار والإنسان على حد سواء. فتصح نظرة الحمير فيما يرون.

ولكن كل أهل العلم يعلمون ان هناك فرقا شاسعا بين العلم وبين الجهل، وبين العقل وبين الحمرنة.

ان اهم ضابطة للعلم هي اتباع طرق المعرفة المعتبرة عند العقول المحمودة.

وطرق المعرفة معروفة عندهم مجهولة عند الحمير.

وهذه اهم مشكلة.

مثلا هناك من يقول بان اجتماع النقيضين ونفي السببية أمور حاصلة وواقعة في العالم الحقيقي.

ان مثل هذا القائل لا يستطيع التفريق بين الوجود والعدم ولا بين الحمار والإنسان ويمكنه أن يقول إن ضوء الشمس نتيجة انجماد الثلج في وسط تنور الخباز. بلا أي شعور بالحرج.

هذه المقالة ليست للطرفة بل هناك مذاهب إسلامية تحكم عقول الملايين تقول بذلك. وتكفر من لا يقول بذلك.

ومثال آخر: كم تحدينا السلفية في إفهامنا قضية ان المسح على الخفين احد أهم ركائز عقيدة السلف الحشوي الذين يسمون أنفسهم أهل السنة ويقصدون بذلك سنة معاوية لاتباع مبادئه.

فلماذا يكون المسح على الحذاء جزء من العقيدة؟ بل جزء من أهم عشرة مقولات اعتقادية تميز اهل سنة معاوية عن غيرهم.

هل أصبحت العقيدة متعلقة بالنعال؟ فبئست العقيدة ونعم النعال الذي يشرفها.

طبعا حين يثار هذا الأمر أمام حمار تراه يستشيط غضبا ويقول لك إننا اتخذناها عقيدة للرد على القدرية الذين لا يقبلون المسح على الحذاء.

وهنا يتولد سؤال بكل استرخاء ويسر:

اذا كانت ردود أفعالكم تتحول إلى عقائد فلماذا لا تحولون نظرياتكم في النكاح وبيت الخلاء إلى عقائد أيضا؟

فحصر العقيدة بعشرة فوارق ظلم لعقيدتكم.

ثم إنكم تسمون أي فتوى عند مخالفيكم بالعقيدة: ألم تقولوا عن الشيعة بان لديهم عقيدة التقية وهي فقه، وعقيدة السجود على التربة وهو فقه، وعقيدة المتعة وهي فقه.

فاذا كنتم تقبلون ان يكون المسح على الخف من العقيدة الحذائية المقدسة، وتقبلون وصف الفقه عند غيركم بالعقيدة، فلماذا لا تتكرمون على اتباعكم وتوسعون من مفاهيم العقيدة عندكم، فتكون عندكم عقيدة الاكربنج، وعقيدة الزواج بنية الطلاق، وعقيدة الخروج من الصلاة بالضراط والفساء بدل السلام

على الملائكة وعلى عباد الله الصالحين وعلى النبي (وباختصار عقيدة الفسوة). فهذه اعتقادات مميزة حقا لكم، فيها الكثير من الخصوصية المناسبة لكم.

أظن أنهم في باطن أنفسهم يؤمنون بان هذه عقائد متميزة يتمسكون بها ولكنهم يهابون الناس في مجابهتهم، كما يستحون من الشاب الأمر بل يسخرون منه أمامنا وهم يعلمون انه إلههم المعبود الذي لا يعرفون سواه.

إذن نحن نواجه منهجا معرفيا لا يركب على رأس انسان عاقل.

بل هو من إبداعات من اشتروا رؤوس الحمير وركبوها على رؤوسهم.

فهذه المسألة لا نسبية فيها.

لأن لها معيارا علميا.

فمن يعتقد بمسح النعال لا يستطيع ان يرتقي إلى مستوى البشر قطعا.

فهذا في أصل تركيبهم.

واما حوارهم فكما قلنا انهم لا يلتزمون بلازم علمي. فيمكن لعبقريهم ان يطلب منك الدليل النقلي على وجود العصمة والدليل العقلي على تعيين المعصوم. بعكس العلم لان النقائض والاضداد عنده مجتمعة فعلا في عقله.

فعند ذلك ماذا نقول؟

ليس أمامنا الا ان نتبع دروس محاورة الحمير حتى نثبت لهم أنهم حمير، وهذا غاية الحوار معهم. لان غير القابل للانتفاع ليس لك إلا ان تثبت انه فاقد القابلية، وليس العجز في الملقي..

إن آلاف الحوارات في النت لو تم تحليلها لما تعدت كلمات هذا المقال القصير.

ولهذا يمكن للإخوة تطوير هذا العلم بالسبر والتقسيم وزيادة الأمثلة، عسى أن يقرأ احد الحمير فيرى صورته فيه فيعرف نفسه وهذه المعرفة البسيطة جزء مهم من اجزاء العلم وبداياته، حيث ان الحمار حين يكتشف حماريته يعرف ان جميع أفكاره وحركاته هي من سنخ لا ينتمي للمجتمع الذي دخله عنوة. فعسى ان ينزع عنه مخ الحمير ويتأمل في حاله أو يرضى بما ينكشف للناس من حقيقته.

سفرة سياحية مع رب السلفية على ظهر بعوضة

أخيرا عثرت على رب الوهابية متجولا في رحلة سياحية مستقلا بعوضة طائرة.

أعجبني منظره الرهيب، فطلبت منه السفر معه عسى أن أدرك سبب التخلف العقلي لأتباعه السلفية.

أوصافه على الإجمال قبل السفر معه:

هو شاب أمرد قطط طوله ستون ذراعا، له رجل واحدة، ويدين اثنين كلتاهما يمين، وله يد ثالثة خفية على اليسار تظهر بعض الأحيان. وله عشرات العيون (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) موزعة على قدمه ورأسه وظهره، واصابعه الخمسة قوية العضلات يقبض بها ويبسط، وله فم كالحقنة، ويلبس لباس فلاّح مغربي (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)، وله تجاعيد المعذبين (نُعَذِّبْ

طَائِفَةَ)، اصلع بلا كيف، وليس له لحية بلا تكييف، وليس له انف بلا كيف، ويسمع من فمه. وله إذن واحدة، وله إصبع كالمنقار من جهة ظهره.... حتى يكون بلا كيف ولا تكييف.

لم تكتمل لوحة جمال إله الوهابية إلا بشكل عورته ولكن لا يقبل الوهابية أن يكشفوها لنا وقد قالوا سلونا عن كل شيء فيه إلا اللحية والعورة.

ما أجمل هذا الإله المهرول الضاحك؟

الرحلة السعيدة جدا:

قلت: يا إله ابن تيمية هل تسمح لي أن ازور البلدان معك على متن هذه البعوضة الطائرة زنة معشار خردلة.

فقال بكل كرم: تفضل يا رجل فأنت افضل من اتباعي السلفية لأنهم يهربون مني في بيت.... حيث يعرفون أنني لا أستطيع الدخول عليهم. يتهربون مني يا صديقي.

قلت: إذن اردفني خلفك على الحصان الطائر.

فقال: تمام، على ظهر البعوضة متسع من المكان تفضل.

حاولت الركوب، ولكن المكان يمنعني من الرؤية لاختلاف أبعادنا الطولية.

فقلت له: أغير مكاني وأجلس على رقبة البعوضة حتى أرى العالم.

فوافق بسرعة مدهشة.

جلست معه على رقبة البعوضة.

هل تصدقون؟

لم اسمع لها أطيطا.

عجيب يقولون أن الكرسي على عظمته له اطيط من ثقل الرب، ولكن البعوضة الصغيرة لا أطيط لها. إن هذا لأمر عجاب.

عجائبه لا تنقضي.

تحركت بنا البعوضة طائرةً بزاوية منفرجة، تحط مرتكزا شاقوليا من جهة الوتر على طول الضلع الخلفي لمحيط الدائرة.

تعجبت في كيفية جلوسه على ظهر البعوضة فهو برجل واحدة.

ما هذه العظمة؟

هل تعلمون كيف جلس؟

انه جلس على جناح البعوضة جلسة القرفصاء برجل واحدة.

منظر خلاب ساحر.

أعترف أنه سريع في الهرولة. وقوي في القهقهة.

قلت له خذني إلى جنتك ونارك لنرى.

فوجدت النبي محمد والحسين بن علي في النار ويزيد بن معاوية مع الغلمان والنسوان في الجنة. فجلسنا وتسامرنا طويلا. والقصة تطول لها مجلس آخر أفضّل أن تروونه أنتم.

وحين عدنا هل تعلمون ماذا رأيته يخفي في حزام خاصرته؟

هل أقول أم لا؟

سأقولها.... فلا أستطيع أن اخفي عليكم هذا الاكتشاف.

رأيته يخفي الاكربنج التيمي.

فترحمت على الشيخ ابن تيمية رحمه إلهه الراكب على بعوضة وقدس نفسه الزكية.

وتقبل إلهكم صلاتكم له وصومكم وحجكم يا سلفيتنا النسور الأشاوس.

واستيقظت من النوم، فلا تسألوني عن الكيف؟ فالكيف عندنا مرفوض.

سبحانك ربي فقد حدوك وحادوك.

بينما كنا طائرين على ظهر البعوضة المبجلة، سألت رب الوهابية: لماذا تضع محمدا والحسين في النار وتضع يزيدَ في الجنة.

فانقلب بطنه ظهراً (ليس كمثله شيء) (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)

وظهرت لي يد من رجله لأنه يملك أكثر من يد (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

وظهر لي من يده عين باصرة ببصر.

ومن بؤبؤ العين قفزت لي حقنة نافحة تبيّن لي أنها فمه (فتذكرت رأي العارف بالله العلامة النسر حين وصف فمه بالحقنة والمنفاخ).

فقال رب الوهابية: سل علماء السلفية فهم سيفهمونك المعنى. فاستحيت وسكت.

ثم طرنا فوجدنا غيمة في البحر فتبيّن لنا انه الجراد فسألته عن الجراد

فقال ألا تعلم أنه من طعام البحر أي مخلوق بحري.

فقلت: عجيب كنت اقرأ هذا ولا اصدق.

لكن المشكلة إنني رأيت الجراد مكبرا جدًا فعرفت أن رجل الجرادة كرجل رب الوهابية لأن رب الوهابية له رجل واحدة يقفز عليها كالجراد فهرولته في الحقيقة هرولة شطارة كقفز الجراد.

ولكن حين وصلنا إلى كرسي العرش مد رجلين اثنتين على الكرسي.

عجيب ليس كمثله شيء هو برجل واحدة حين المشي والهرولة ولكنه برجلين اثنين حين يجلس على الكرسي!

فقلت له: يا رب الوهابية أشرت عليَّ أن اسأل أئمة الوهابية عن سبب دخول محمد النار ودخول يزيد الجنة فلماذا أحلتني إليهم.

فقال: هل أنا قلت ذلك؟

فقلت له نعم أنت قلت ذلك

فقال: بسيطة إذن فقد نسيت.(وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ).

فقلت: كيف تنسى وأنت رب ومعبود الوهابية؟؟

ضحك ضحكة أصدرت رعدا في السماء

قلت: أتستهزئ مني وأنت رب السلفية؟

فقال: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قدير.

ففهمت جوابَ السلفية عند ذلك. أي أن قدرته على الظلم لا يجوز تقييدها بقانون العدل. (فقه استنباطي)

عظماء....هؤلاء الذين يفكرون من باطن أقدامهم!!! علماء البدوان البوالون على أعقابهم.

وهنا ظهر التعب على البعوضة فطلبتْ النزول الاضطراري في أحد الحقول للتزود بالعلف الدموي.

وهنا عرفت سبب حب السلفية لدماء المسلمين وقتلهم!

لأن مركوب ربهم يحب ذلك وهم مقلدة البعوض الحامل للرب والحمد لله.

اصبح حب البعوض من الإيمان. كما لا يخفى على مؤمن. لأنه يحمل ربهم في سفراته التفقدية

مشكلة الأعور الدجال

عند منتقدي فكرة بقاء المهدي عجل الله فرجه الشريف

الدجال أو المسيح الدجال: صحابي ولد في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشارك في الفتح الإسلامي وغاب وسيخرج في زمن المهدي في آخر الزمان وهو صائد أو صاف بن صياد.

هذه القضية ، معضلة حقيقية ، لمن ينكر إمــكان غيبة المهدي عليه السلام ، فضلا عن وقوعها[1]، وذلك لأنه يؤمن – بلا أدنى مجال للشك – أن المسيح الدجال ، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وصَحِبه، وأسمه صائد بن صياد ، ويسمى – أيضا – صاف بن صياد. وكان النبي

---

[1] لابأس أن نذكّر – هنا – بما ناقش به القرطبي ، في مجال رد دعوى عدم بقاء الخضر عليه السلام ، لما نسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث، حيث قال عنه: إنه عام ، قابل للتخصيص ، بالمسيح ، وبالدجال ، الذي هو من المتيقنات ، ببقاء شخصه حيا ، لمدة طويلة غير متعقلة:

تفسير القرطبي: ١١: ٤١ – ٤٥: > لأن العموم ، وإن كان مؤكد الاستغراق ، فليس نصا فيه، بل هو قابل للتخصيص. فكما لم يتناول عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ، ولم يقتل ، فهو حي بنص القرآن ، ومعناه، ولا يتناول الدجال ، مع أنه حي بدليل ، حديث الجساسة، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام ، وليس مشاهد للناس

صلى الله عليه وآله وسلم يحذّر منه، وقد اختلط بالمسلمين ، وشارك في الفتوحات ، وقد فتحت مدينة (سوس) على يديه[٢] ، وبقي مع الأحداث، وقد اعتبر حديث صائد ابن صياد من الصحاح ، كما اعتبر حديث الدجال المعروف ، بحديث الجساسة – أيضا – من الصحاح ، ولهذا فقد اخذ حيزا في الحديث ، وفي الملاحم والفتن، وفي توصيف أشراط الساعة ، وآخر الزمان ، وزمن المهدي ، والمسيح عليهما السلام ، وغير ذلك ، وقد قامت دراسات على هذا الموضوع ، كلها تؤكد التسليم اليقيني ، بشخصية الدجال، وكونه موجودا ، وحيا ، في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو باق إلى زمن ظهور المهدي ، ليحارب المهدي عليه السلام ، ويُقتل على يد المسيح عليه السلام ، ومن جملة هذه الدراسات ، دراسة الأستاذ سعيد أيوب ، وهي دراسة ضخمة ، بعنوان: (عقيدة المسيح الدجال) تقع في ٥٩٦ صفحة ، يبحث فيها ، خبايا قضية الدجال ، وقد حاول ربط واقع ما عليه رسول

[٢] تاريخ الطبري: ٣: ١٨٦ – ١٨٧

الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في زمنه وبيّن ارتباط حركات صائد بن صياد، مع قضية الجساسة بنفس تفسير ابن حجر للظاهرة الغريبة ، بأن الدجال في حديث الجساسة ، هو نفسه صائد بن صياد ، رغم اختلاف المظهر ، والمكان ، والزمان ، باعتباره ساحرا ، شيطانيا ، يتمظهر بمظاهر متعددة ، وقد ربط الأحداث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بما ورد في حديث الجساسة ، حيث ربط بين من قابل الدجال – ببلاهة – في رحلة تميم الداري ، وبين كونهم أنفسهم ، أعوان معاوية ، والحجاج ، والظلمة المزورين للإسلام، وربط بين كون الدجال ابن صياد في جيش أبي موسى الأشعري ، وبين كون أبي موسى الأشعري يرتكب مخالفة النصوص الصريحة ، التي بين يديه ، ليقول نتركها لهوى الناس ، فيتحكم الهوى ، بما يدمر رسالة الإسلام ، من الجذور [٣] وقد ذهب سعيد أيوب ، إلى أن

[٣] ذلك في حادثة التحكيم الشهيرة ، في صفين ، حين رفض النصوص ، التي اطلع عليها شفاها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال أخلع علي بن أبي طالب المنصوص عليه ، وأتركها لهوى الناس ، بينما قال خادعه ، عمر بن العاص: إنه يثبّت معاوية،

عدم استجابة لخم ، وجذام ، الموصوفتان بالعنجهية ، والغباء ، لدواعي الفتك بالمسيح الدجال ، حين قابلهم بصحبة تميم الداري[٤] ، جعلتهم قادة ، وجنود معاوية ، كما قرره في الصفحة: ٤١٩ ، من كتابه (عقيدة المسيح الدجال).

ويبقيه على الناس ، ولم يكن معاوية – أصلا – متعرضا للخلافة ، أو طالبا لها ، إنما حارب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، للاستئثار بالشام والبقاء واليا عليها ؛ ولأن الإمام عليه السلام لم يقرّه على باطله ، وتسلطه على مقدرات المسلمين ، وما كان بعد ذلك ، أثبتت صحة ما يراه أمير المؤمنين عليه السلام ، من أن معاوية لم يكن إلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن يدعو إلى نار جهنم ، وممن خرب النظام الإسلامي ، وأحدث الشرخ الأكبر في الإسلام ، وحوّل الدولة الإسلامية إلى قيصرية ، وملك عضوض

[٤] صحيح مسلم: باب خروج الدجال ومكثه في الأرض: ٨: ٢٠١. وفيه خبر الجساسة ، التي أخبرت تميم الداري ، والمسافرين معه ، من لخم وجذام ، بوجود الدجال في دير وحده... الخ.

أقول: حديث الجساسة لا يثبت عندنا ، وهو حجة على من يثبت عنده، وقد واجه المحدثون مشكلة ، في كون حديث الجساسة ، يقول: إن الدجال رجل كبير ، موجود في جزيرة ، مربوط في دير، بينما حديث صائد بن صياد يقول: إنه طفل في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنه صحابي ، وقد أكدوا إنه شارك في الفتوحات. واحتمل العسقلاني ، في فتح الباري ، أن يكون الدجال شيطانا ، يتشكل بأشكال الناس، ولكن روايات صائد بن صياد – كما هو معلوم – تقول: إنه بشر منا ، من لحم ودم ، له قدرات خارقة ، ولد زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أمه عن حمله ، وولادته. بينما رواية الجساسة ، تقول: إنه رجل كبير ، في نفس الفترة الزمنية، معدّ للخروج على الإسلام، ويخبر بالمغيبات ، وهو محتجز في جزيرة، وفرض إنه شيطان متشكّل – كما احتمل العسقلاني – يفتح الباب للادعاء بالقول: إن كل باطل هو الدجال نفسه، بينما الظاهر إنه شخصية معينة، ولهذا نرى إن معالجة سعيد أيوب ، فيها بعض التغاضي عن موضوع الجساسة ، إلا أن يكون قد اقتنع بتحليل العسقلاني. حيث قال في فتح الباري: ١٣: ٣٢٨:

أقرب ما يجمع به ، بين ما تضمنه حديث تميم ، وكون ابن صياد هو الدجال: إن الدجال بعينه ، هو الذي شاهده تميم موثوقاً، وإن ابن صياد هو شيطان ، تبدّى في صورة الدجال ، في تلك المدة، إلى أن توجه إلى أصبهان ، فاستتر مع قرينه، إلى أن تجيء المدة ، التي قدّر الله تعالى خروجه فيها <. انتهى. مع العلم إن سعيد أيوب ، أورد هذا التحليل للموقف ، من قبل العسقلاني ، ولم يرده.

وبقي الدجال – بحسب مروياتهم – حتى اختفى في موقعة الحرة ، التي استبيحت فيها مقدسات المسلمين ، وشرفهم ، وشرف بناتهم العذارى العفيفات ، اللواتي فقدن عذريتهن ، بهجوم من يسمون أنفسهم بالمسلمين ، بينما كان يقودهم المسيح الدجال ، بالاتفاق مع أمير المسلمين[٥].

ولعل من يقرأ كتاب الأستاذ سعيد أيوب ، يراه غارقا في الخيال ، ولكن هناك حقيقة مهمة جدًا ، وهي التقاء الأسماء الواردة في الروايات بشكل محير ، فلخم وجذام هم من كان مع تميم الداري ، حين قابل الدابة الجساسة ، وقابل الدجال فلم يتأثر أهل لخم وجذام ، لا بمنظر الجساسة،

---

[٥] عقيدة المسيح الدجال: ٤١٨: وفيه > فأهل لخم وجذام ، شاهدوا المسيح الدجال ، في أول الزمان ، وكانوا في داخل الدير كعدد الجنود. وبعد المسيح الدجال ، دخلوا في رغيف معاوية، فصلى بهم الجمعة ، يوم الأربعاء، وبعد معاوية خدموا يزيد، فضربوا في الحرة ، وبالت خيولهم بين الروضة والمنبر، وحاصرت البيت العتيق، ورفعوا رأس الحسين على أسنة رماحهم، وبعد يزيد خدموا الحجاج بن يوسف ، فكانوا يلتفون حوله، ويسمعون منه القرآن ، ويهتزون لصوته طربا (البيان والتبيين ٣: ١٤٧) ، وبعد الحجاج صاروا خداما للايين الحجاجيين ، حتى يومنا هذا، يدافعون عن شرف السلطان ، بهتك أعراض ألف عذراء ، من المهاجرين والأنصار، فكان هذا هو معسكر معاوية ! وكانت هذه بصمات المسيح الدجال على جماجم بعض أفراده

ولا بمقالات الدجال ، بينما تأثر تميم ، وأسلم (يبدو أن سعيد أيوب يبني على صحة رواية الجساسة).

وبعيدا عن هذه الرواية ، فان لخم وجذام ، هم مَنْ غدرَ برسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في معان ، وبعد ذلك تحالفوا مع الروم ، لتكون معركة مؤتة الدامية للمسلمين ، ثم شن عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حربا ، في غزوة تبوك ، فهربوا مع الروم ، ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيدا ، فعاد ، ثم جهز لهم جيش أسامة بن زيد وبعث به ، ولم ينفذه المسلمون ، بحجج واهية ، حتى انتقل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، وقد وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أولاد سبأ ، ممن (شأموا) وقلّ حظهم في الدين ، ومن ثم تحولوا إلى أنصار معاوية يقاتلون الحق ، ويدافعون عن الباطل ، وقد أسسوا أسس الخلل الإسلامي، من الأخذ بالقشور ، وترك اللباب ، فهم من اخترع

الطرب على صوت الحجاج ، حين يقرأ القرآن ، بينما لا يكادون يفهمون من كلام الله حرفا ، ويقتلون عباد الله المخلصين ، ويفضحون أعراضهم بلا سبب حقيقي ، إلا نصر القوة الغاشمة. فهذه الوقائع موجودة بالفعل ، وهي تترابط بينها ، وبين كون الدجال يقابلهم في قصة الجساسة ، وكون صائد بن صياد ، الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كان في نفس الجيش ، وفي نفس الاتجاه ، فهذه الوقائع ، لعلها جعلت من ربط المفاهيم ، عند سعيد أيوب ، أكثر وضوحا عند من لم تتوفر له[٦].

ولعلنا نظلم الأستاذ سعيد أيوب ، إذا لم نقف مع الكثير من وقفاته المهمة بالفعل ، فالربط بين كون الدجال في جيش أبي موسى الأشعري ، وإن أهل الكتاب طلبوه بالاسم ، والصفة ، وبرهن لهم أنه الدجال ، وفتح السلاسل ،

---

[٦] يمكن مراجعة هذه الأحداث ، في كتب الحديث ، والتأريخ ، بشكل مفصل ، فإن البحث غير مخصص الآن لهذا الموضوع، وعلى سبيل المثال ، يمكن مراجعة الأنساب للسمعاني ١: ٢٩ ، وعبد الله بن سبأ للعلامة الشيخ علي آل محسن الفصل الثالث ، (سبأ والسبئيون) ، وتفسير التبيان: ٨: ٨٨ ، والبحار: ١٤: ١١٧ ، و ٣٣: ٢٥٩ ، وإعلام الورى بأعلام الهدى: ١: ٢١٢ ، وغيرها الكثير من المصادر التاريخية ، والحديثية ، ومصادر السيرة

بمجرد غضبه ، وبين إن أبا موسى الأشعري ، هو نفسه من سلّم الحُكْم ، إلى من يدعو المسلمين إلى نار جهنم بصريح النص النبوي ، وكون هذا الجيش ، الذي يدعو إلى النار ، والفتنة ، يتكون من نفس القبيلتين ، اللتين قابلتا الدجال في حديث الجساسة ، ببلاهة وتقبّل ، فهذا الربط لقضايا مبثوثة في كتب التاريخ ، والحديث ، لهو ربط عقلاني ، ومهما ابتعد خيال الأستاذ سعيد أيوب عن الواقع في الكثير من الروابط ، ولكنه لم يبتعد – هنا – فهذه وقائع ، تحـــتاج إلى تأمل شديد ، وهي ارتباطات تتبين بنتائجها أكثر مما تتبين بوقائعها ، ولكن الوقائع تفسر هذه النتائج المترابطة ، بشكل عجيب.

ويبدو إن مشكلة الدجال ، شكّلت معضلة فكرية ، فقد تجاذب رأيهم بين أن يكون الدجال ، هو صائد بن صياد ، وبين أن لا يكون هو المسيح الدجال نفسه ، وإنما الدجال هو ما ورد في حديث تميم الداري ، من أمر الجساسة ، وهذا الاختلاف يعود لسببين ، الأول: هو غرابة الترابط بين الشخصيتين.

والثاني: هو محاولة التخلص من قضية أساسية، وهي كون الدجال – دائما – في جند الباطل ، وبما إنه مع أبي موسى الأشعري ، الذي سلّم الحكم لمعاوية ، وهو في جند يزيد يوم الحرة ، والدجال قابل قيادات جيش معاوية ، لخم وجذام ، في زمن النبي ، وبشرهم بانتصاره على الإسلام ، وانتصار الباطل ، فهو في الجانب الذي يراد تلميعه ، وتغطية مساويه ، بينما الدجال معهم — دائما–.

ونحن لا يهمنا هذا الاختلاف ، فكلاهما سواء ، إن كانا رجلا واحدا ، أو رجلين ، فهما أحياء في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم – كما تزعم الروايات الموثقة في الصحاح والمسانيد – وقد غابا عن الأنظار ، فأما الذي في خبر الجساسة ، فقد كان غائبا في زمن النبي نفسه ، وأما صائد بن صياد ، فقد غاب بعد موقعة الحرة ، الفظيعة ، التي هتكت حرمة الصحابة ،

وأحباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على يد حاكم يدعي الإسلام ، ويأتم به المسلمون من أهل الأهواء.

اختلاف الشخصيتين – إذن – أو اتحادهما ، لا يعني شيئاً بالنسبة لقضية الغيبة ، وكذا قضية طول العمر ، فكلاهما يشتركان بهذا من دون نكير ، عند من ينكر قضية الإمام المهدي ، الذي تواتر الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مع فارق بسيط ، هو – وبحسب قصة صائد بن صياد – إن هذا الرجل أطول عمرا من المهدي عجل الله فرجه الشريف بأكثر من ٢٥٠ سنة. بينما رجل الجساسة ، أطول عمرا بكثير، فقد يكون الفارق أكثر من ألف سنة ، ولكن الموازين العلمية ، تقتضي أن يعتمد حديث صائد بن صياد ، ولا يعتمد حديث الجساسة لأسباب تتعلق بالسند ، وحديث ابن صياد ، مجمع على صحته.

والغريب في الاختلاف ، هو إن من يصر ، على أن صائد ابن صياد ، هو الدجال ، إنما هم الصحابة أنفسهم ، خصوصا ، خاصة أحباب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعض من يأخذ عنهم من الصحابة ، بينما من يصرُّ على أنه ليس الدجال نفسه ، بل هو دجال من الدجالين ، هم من متأخري المتأخرين ، من المقلدة والمتمذهبين المتعصبين ، الذين يتبعون جيش من يدعو إلى النار ، وقيادات لخم وجذام.

وللتنوير ، بخصوص اعتماد الصحابة ، لكون ابن صياد هو الدجال بنفسه ، بالإضافة إلى ما تقدم ، من قصة فتح السوس ، التي يعتمدون روايتها ، نورد – هنا – مجموعة من أحاديث صحيحة، تبين إن الصحابة ، يصرون على أن صائد ابن صياد ، هو الدجال بعينه:

من ذلك ما أخرجه الشيخان ، البخاري ، ومسلم ، في صحيحيهما: قيل لجابر بن عبد الله: إنه أسلم. فقال: وإن أسلم. فقيل: انه دخل مكة ،

وكان في المدينة. فقال: وإن دخل. فقد أخرج الشيخان ، عن محمد بن المنكدر ، قال: رأيت جابر بن عبد الله ، يحلف بالله إن ابن الصائد الدجال. قلت: تحلف بالله؟! قال: إني سمعت عمر ، يحلف على ذلك ، عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم[٧].

وأخرج أبو داود ، بإسناد صحيح ، عن ابن عمر ، أنه كان يقول: والله ما أشك إن ابن صياد ، هو المسيح الدجال[٨].

ومما أخرجه الشيخان ، البخاري ومسلم ، في صحيحيهما ، عن ابن عمر ، إن عمر ، قال: دعني يا رسول الله أضرب عنقه – أي ابن الصياد. فقال

---

[٧] صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: ٨: ١٣٧، صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٨٩، سنن أبي داوود السجستاني: باب في الأمر والنهي: ٢: ٣٢٢ رقم الحديث: (٤٣٣١)

[٨] سنن أبي داوود السجستاني: باب في الأمر والنهي: ٢: ٣٢٢ رقم الحديث: (٤٣٣٠).

النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكنه ، فلن تسلط عليه ، وإن لم يكنه ، فلا خير لك في قتله[٩].

وأصرح من ذلك ، رواية ابن مسعود ، في صحيح مسلم ، بلفظ: > فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه ، فإن يكن الذي تخاف ، لن تستطيع قتله[١٠].

ومما أخرجه مسلم ، في الصحيح ، عن نافع ، قال: لقي ابن عمر ، ابن صياد في بعض طرق المدينة. فقال له قولا أغضبه ، فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابن عمر على حفصة ، وقد بلغها. فقالت له: رحمك الله ، ما أردت من ابن صائد ، أما علمت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها[١١].

---

[٩] صحيح البخاري: باب في الجنائز: ٢: ٦٩، صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٨٩.

[١٠] صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٨٩.

[١١] صحيح مسلم: باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٨: ١٩٤

ومما أخرجه مسلم ، في الصحيح ، عن أبي سعيد الخدري ، إن ابن صياد ، قال له: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو كافر؟ وأنا مسلم ، أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو عقيم لا يولد له؟ وقد تركت ولدي بالمدينة ، أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل المدينة ، ولا مكة؟ وقد أقبلت من المدينة ، وأنا أريد مكة. قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره.ثم قال: أما والله ، إني لأعرفه ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن. قال: قلت له تباً لك ، سائر اليوم[١٢]

وفي رواية أخرى ، عند مسلم في صحيحه: أما والله ، إني لأعلم الآن حيث هو ، وأعرف أباه وأمه. قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال لو عرض علي ، ما كرهت[١٣]

---

[١٢] صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٩١

[١٣] صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٩١

ومما أخرجه الشيخان – أيضا – عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال لابن صياد: تشهد أني رسول الله؟ فنظر إليه ابن صياد ، فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه. وقال: آمنت بالله وبرسله[١٤].

ومن ذلك – أيضا – ما أخرجه الشيخان ، عن ابن عمر: أن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال لابن صياد: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خُلِّط عليك الأمر [١٥]

ويلاحظ على الحديثين الأخيرين ، أنهما لا يدلان على تسميته بالدجال ، وإنما هما عرض لسلوك الدجال ، ومراقبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له

---

[١٤] صحيح البخاري: باب الجنائز: ٢: ٩٦. وكرره في باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي كتاب الأدب، صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٩٢، سنن أبي داوود: باب آخر في ذكر ابن صياد: ٢: ٣٢١: الحديث بالرقم: ٤٣٢٩، سنن الترمذي: باب ما جاء في ذكر ابن صياد: ٣: ٣٥٢. وقد ذُكر الحديث في مصنف عبد الرزاق ، وفي الأدب المفرد للبخاري ، وفي المعجم الكبير ، ومسند الشاميين للطبراني ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفي الإصابة لابن حجر ، وغيرها من كتب الأحاديث

[١٥] صحيح البخاري: باب الجنائز: ٢: ٩٧. وكرره في باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي كتاب الأدب، صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد: ٨: ١٩٢، سنن أبي داوود: باب آخر في ذكر ابن صياد: ٢: ٣٢١: الحديث بالرقم: ٤٣٢٩

، و يدلان على توقف صائد ابن صياد في إعلان إسلامه ، وإنه يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بلغة العدو ، في وقت لا يتسنى ذلك لصبي أن يواجه نبيا ، دانت له الجيوش ، والأمم.

وأما الأدلة النافية ، لكون صائد بن صياد ، هو الدجال ، فأغلبها من نوع التشويش ، وعدم وضوح الرؤية. ولعله من قبيل نسبة تهمة النسيان – والعياذ بالله – لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكما نسي ليلة القدر ، فقد نسي الدجال ، وحقيقته ، وهذا ما يلفقونه مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد روى الطبراني في معجمه فقال[١٦]: الفلتان بن عاصم ، قال: أتينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فخرج ، في وجهه الغضب... فقال: إني خرجت إليكم ، وقد تبينت لي ليلة القدر ، ومسيح

[١٦] المعجم الكبير للطبراني: ١٨: ٨٥٧

الضلالة ، فخرجت لأبينها لكم... فلقيت بسدة المسجد رجلين ، يتلاحيان، معهما الشيطان ، فحجزت بينهما ، فنسيتها.

ومن المحتمل إن قصة حضور الدجال ، في الفتوح الإسلامية ، إنما هي قصة مفتراة ، موضوعة، لا يخفى على المتعقل الغرض من وراءها ، فهي تفتح الباب على مصراعيه ، للتشكيك بأسس الرسالة الإسلامية المقدسة ، فما هو دفاعنا – لو سلمنا بما جاء في هذه القصة الكاذبة – أمام من يريد أن يطعن بالرسالة ، والرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم ، ويقول إنه هو الدجال – حاشاه – وإن جيوشه تفتح المدائن بالسحر ، وبغضب الدجال ، وضربه الأرض برجليه ، وما إلى ذلك؟ هذا مع علمنا إن النصوص التوراتية ، أو التلمودية ، لا تغفل ذكر الدجال ، بل تذكره على إنه هو السامري ، وإنه باق إلى يوم يقتله المسيح المخلص ، في القدس ، أو غيرها.

إن الاعتراف ، والتسليم بأن صائد بن صياد ، هو الدجال – حقا ، وإنه كان موجودا في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يعني – بالضرورة – صحة ما قيل ، حول مشاركته في الفتوح ، وإنه يفتح البلدان بالسحر ، ولو صحت هذه الرواية ، لوجدنا أنفسنا أمام إشكالين، ينبغي معالجتهما ، بشكل مقنع :

الأول: كيف يصح لأفراد الجيش الإسلامي الفاتح ، وهم – كما يفترض – خيرة المسلمين ، من أهل الجهاد ، والمرابطة ، أن يقبلوا بوجود الدجال بينهم جنديا ، يقاتل معهم؟

الرواية لم تسجل – في هذا الصدد – اعتراضا إسلاميا واحدا ، على مثل هذا الوجود ، غير المرغوب فيه – قطعا!

والثاني: إن السهولة ، واليسر ، الذين تم بهما فتح أسوار المدينة ، بتأثير الدجال ، وسحره ، ينبغي أن يشكلان ثقلا ، وأهمية عسكرية ، يستثمرها

القادة ، في فتوحات أخرى، أو يشكلان – في الأقل – دافعا للغبطة ، والسرور ، والفرح ، في صفوف أفراد الجيش الفاتح ، وهذا – أيضا – لم تسجله الرواية ، ولم تشر إليه!

لا نجد – إذن – في طيات هذه الرواية ، ولا في كتب التاريخ ، ما يفسّر لنا كل هذا ، بل على العكس من ذلك ، نجد إن ذكر صائد بن صياد – الفاتح ، والمستبسل في قتال الكفار ، والمجاهد في أفراد الجيش الإسلامي – توقف نهائيا ، حتى قيل إنهم فقدوا أثره ، بعد واقعة الحرة ، وهذا لا يتناسب مع ما حصل من تكسير سلاسل ، أسوار السوس ، وانتصار المسلمين ، بالسحر! كما يدعي سيف بن عمرو التميمي. ولهذا فهذه القصة ، لا تضفي أي بعد ذي قيمة حقيقية للإسلام. ولكنها – في الوقت نفسه – تعطي الأعداء فرص نمو الخيال ، وتزوير الحقائق ، بالتمسك بقشة.

هذا الادعاء الباطل ، أثار الأستاذ سعيد أيوب ، ومن أجله ، كتب كتابه (عقيدة المسيح الدجال) كما يصرّح ، عدة مرات ، فقد قال في المقدمة:

لقد قرأت ، وسمعت ، إن المبشرين النصارى ، يروجون في بلاد المسلمين ، أكذوبة تقول: بأن محمد ، نبي المسلمين ، هو المسيح الدجال! وبتتبعي لهذه الأكذوبة ، وجدت بأن لها جذورا، عند القوم ، ففي عام ١١٤٢ ، كلف بطرس المكرم ، بعض طلبته بترجمة القران الكريم ، ومن ترجمة لاتينية ، وضع بطرس موجزا لتعاليم الإسلام ، وكان يعتبر إن محمدا هو المسيح الدجال (منتجمري وات ١٠٠ – ١٠٥ – فضل الإسلام على الحضارة) وبطرس هذا ، هو أسقف دير كلوني (يوشع براور – عالم المصلين) الذي روج للحرب الصليبية ، وديره هو الذي خرج جميع الباباوات ، الذين قادوها ، وبعد قرنين من الزمان ، جاء كروتيش ليردد نفس المقولة (مونتجمري وات – ١٠٠ – فضل الإسلام) وبعد ثلاثة قرون ، وضعت ترجمة إنجليزية للقرآن

(إلكساندر روس عام ١٦٤٩ ، والترجمة الفرنسية – أندريه سور ، في نفس العام) من خلال ترجمة فرنسية ، قالوا في مقدمتها:

أيها القارىء الكريم ، ها قد وصل المسيح الدجال ، العربي الكبير ، أخيرا بعد ألف سنة ، عبر فرنسا إلى انجلترا] (عالم الفكر ١ / ١٩٨٤ ص٦٦) وفي عام ١٩٨٤ ، خرجت علينا كبرى المجلات القاهرية المصورة ، برواية تبشيرية ، تقول فيها المبشرة جين داكسون: بأن هناك دينا ، سيكون قبل ظهور المسيح الدجال. هذا الدين ليس الدين المسيحي ، بل نوع آخر من التوحيد ، بني على قوة الله العليا ، أو توحيد الله العلي القدير ، وإن هذا الدين هو دين المسيح الدجال ، ثم جاء بعد ذلك ، في أحد تفاسير أهل الكتاب ، إن بعض أساتذة الكاثوليك ، يعتبرون إن محمدا ، نبي المسلمين ، هو المسيح الدجال. (آخر ساعة ٢٦– ٩ – ١٩٨٤) وبدأت هذه المقولة ، تنتشر بين المسلمين في أفريقيا ، وفي الهند ، وفي بعض دول الخليج ،

وأندنوسيا. وكنت أتعجب أنهم يفعلون هذا. لو كان الجسد حيا ، ولكن الجسد قد مات! لا خطر منه. فالمسلمون قد انزووا عن حركة الحياة ، بعد أن عطلوا الأسباب عندهم ، وافتتنوا في الأسباب عند معسكرات الكفر الإلحاد. فلماذا يذبح القتيل إذن؟ (ولكنني دهشت ، عندما عرفت السبب. قالوا:

«إن هناك مدا إسلاميا يفور ، ولم يعد هناك من يؤدي ضريبة الذل كاملة! وعرف المسلمون إن للكرامة ضريبة باهضة ، فجنحوا إليها ، وكثيرا ما يؤدونها من دمائهم» ومن هنا ، كان لا بد أن أبحث لي عن معول! أكشف به الدجل في صوره ، وفي أي مكان كان. وفي البداية ، أقرر إن هذه الدعوى الضالة ، التي أطلقوها ، تقتلع من جذورها ، أمام أيسر تحقيق ، يقوم به أقل المسلمين شأنا ، وأنا من أقل المسلمين شأنا[١٧].

[١٧] عقيدة المسيح الدجال: ٩ – ١١

انتهى كلام الأستاذ سعيد أيوب.

وهنا أقول: إن أي عدو ، لا يشعر بالمسؤولية الضميرية ، والأخروية ، تجاه عدوه ، يمكنه أن يستغل أي ثغرة ، أو قصة ، ليضيف إليها الخيال ، فكيف إذا وجد قصة توافق هواه ، مثل كون المسيح الدجال يقود جيوش المسلمين ، ويفتح البلدان بسحره الشيطاني. ولهذا فإن في طيات الحديث ، والتأريخ الإسلامي المزور ، ما يساعد على دعاوى الكافرين ، ويفتح الأبواب الوهمية، للهجوم على الإسلام ، وليس هذا هو الباب الوحيد ، فصفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، التي تعرضها كتب الحديث ، تجعل منه صلى الله عليه وآله وسلم أضحوكة ، لو أردنا أن نتغافل ، ونصدّقها ، مثل كونه مسحورا لمدة ، لا يعرف ما يقول ، ومثل كونه غضوبا ، يقلب الله لعنه ، إلى رحمة للملعون ، ومثل كونه يحاول الانتحار ، لمجرد تأخر الوحي عليه ، ومثل خروجه بمشقص كالمجنون ، في طلب من اطلع على

شباك بيته ، وكذلك قضايا كثيرة ، تتعلق بظاهرة الوحي ، مثل قصة الغرانيق ، التي ينفونها تارة ، ويثبتونها أخرى ، ومثل دعوى غرامه بالنساء ، بعد أن كبر في السن ، وأشياء كثيرة ، هي مادة دسمة للهجوم على الإسلام ، يوجد من يوفرها لهم ، من داخل الكيان الإسلامي ، وهذا يدل على حجم الاختراق للفكر الإسلامي ، والمشكلة إن الدولة الإسلامية ، هي المسؤول الأول ، عن هذا الاختراق ، بل هي من صنعه من البدايات. وهذا يفسر مدى الهوة الحقيقية ، بين الحاكم ، وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث الحاكم يحكم ، باسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بينما يصنع أفكارا ، ومجاميع فكرية ، مهمتها الأساسية تدمير الإسلام من الداخل ، والإساءة لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد لا نبالغ، إذا قلنا بأننا ، لو جمعنا كل هذه السيئات ، التي ألصقت بالإسلام ، وبنبي المسلمين ، لكانت الصورة مشوهة ، لا تقبل التعديل ، ولا

تقبل أي تبرير ، بل سيكون الحكم – فورا – بأنه دين المجانين ، وأهل الباطل ، ولكن هيهات ثم هيهات ، أن تصلح الأدلة الكاذبة ، المزروعة داخل التراث الإسلامي ؛ لتكون هادمة لدين الله ، ولصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الرجل العظيم ، الذي لم يأت الدهر بمثيله – مطلقا ، وقد قيض الله – تعالى – من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، من دفع هذه الشبهات الملصقة بالإسلام ، فنفى تحريف المحرفين ، ومحا زيف المزيفين – بحمد الله.

إن بحث هذه القضية ، يحتاج إلى دراسات متكاملة ، ولكن هذه الإشارة ، كانت ضرورية ، لبيان مسألة مهمة ، وهي تفسير التخادم بين أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خارج الإسلام ، ومن داخله ، في تكوين صورة ، غير قابلة للإصلاح ، وهدم كل البنى الفكرية ، والقانونية ، الإسلامية ، بأحاديث ، وقصص خرافية ، ودعاوى زائفة ، وأكاذيب.

علينا – قبل أن نهاجم أعدائنا – أن ننقي ثيابنا من هذا الدرن ، وأن ننفي زيف المزيفين ، وأن نُخضع التراث الإسلامي للتقييم ، على أساس مقدار التخادم ، بين المطروح المدسوس ، وبين الهجمة ، التي يقوم بها أعداء الإسلام. ولكننا نعلم علم اليقين إن هناك فرقا إسلامية ، لا تقبل إعادة تقييم التراث ، على أساس نفي التزييف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم يقولون: بأنه سوف يسقط مذهبهم من الاعتبار ، حين ينفى هذا الكم الهائل من النصوص. فلا ندري ما فائدة بقاء مذهب ، إذا سقط أساس الدين؟

ولهذا ، فإن دفاع الأستاذ سعيد أيوب ، فيه خلل ، حيث لم يعزل الفكر المندس ، والنصوص المفتعلة لنفي التهمة. وإنما أثبت التهمة ، بإثباته للنصوص ، ولكن جعلها تهمة لمن خالف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحاربه ، وحارب أهل بيته ، طيلة حياتهم ، وهذا يحتاج إلى مقدمة ثانية

منه ، وإلى تحديد منهج ، إلا إذا كان قد قدّر ، إن عقول العامة ، لا تستطيع تصوّر هذه الجريمة ، ومصدرها. فأراد أن يعطي جرعات من التفكير ، عسى أن يصل القاريء إلى النتيجة الحتمية ، التي يقتضيها مسار التفكير. وهذا يحتاج إلى قرّاء أذكياء ، وما أقلّهم في العالم الإسلامي ، الذي لا يفرّق بين الناقة ، والجمل.

كارثة : المسيح الدجال صحابي مسلم مجاهد

وهو فوق الجرح والتعديل ، كبقية الصحابة العدول المجاهدين ، وابنه إمام أئمة الدين ، وشيخ الإمام مالك ، اتفقوا على توثيقه ، وكان لا يفضل عليه أحدا ، وقدموه على غيره.

حين يصنع الطغاة ، وأنصارهم دينا ما ، فإن تركيبة ذلك الدين ، ستكون تركيبة عجيبة غريبة؛ لأنه سيكون دينا مرقّعا ، مجتمعا من أوصال متناثرة

، لا جامع بينها. وهنا نقطة جديرة بالانتباه ، تتعلق بهذا الدجال ، وكيف إن الدين أصبح به ، مرقّعا بشكل عجيب!

والدجال ، أو المسيح الدجال صاف بن صياد ، مما لا شك في كفره ، وقد قال بعض الصحابة: إنهم لا يشكون في كفره ، وفي كونه الدجال ، حتى لو صلى وصام ، وإذا شك أحد في قصة الجساسة ؛ لإعراض البخاري عنها ، فلا يشكَّنَّ أحد – ممن ليس لديه إلاّ طريق الصحاح – بكون صاف ، أو صائد بن صياد ، هو الدجال.

ولكننا حين نطلع على ترجمته ، نرى العجائب ، والغرائب ، فقد شكك أعاظم رجال الجرح والتعديل ، في كونه الدجال ، ووصفوه بالإسلام ، والجهاد ، وأداء الفروض. وأعرضوا عن كل هذه الروايات الصحيحة.

ولما كان الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام[١٨]... وهذا هو تعريفهم للصحابي. وحكم الصحابي – عندهم –: العدالة المطلقة ، التي لا تقبل الجرح ، ولا التعديل[١٩]، فالصحابي عدل ، لا يحتاج إلى توثيق في رواته رواياته. ولما كان ابن صياد – كما نجده في ترجمته – قد لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اسلم ، وآمن به ، ومات على الإسلام ، وجاهد ، وحج، وهو عين المسيح الدجال ، فهو على هذا ثقة لا يحتاج إلى تعديل ، مطلقا!.

---

[١٨] ابن حجر الإصابة: ١: ٦ – ٨

[١٩] إلا إذا كان محبا لعلي بن أبي طالب عليه السلام متفانيا له. فقد جرح البخاري وضعّف أول رجل بالغ ، آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو هند بن أبي هالة ، ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وابن زوجته خديجة ، من أبي هالة ، وقيل هو ابن أختها، وكان عمره حين آمن عشرين سنة ، أو أقل بسنتين ، بينما كان عُمرُ عليٍ عليه السلام ثلاث عشرة سنة ، حين آمن ، وأسلم، ولم يضعفوه ويخرجوه عن القاعدة ، إلا لكونه متفانيا في حب علي ، وقد قتل بين يديه في معركة الجمل. كما ضعفوا صحابة أجلاء مثل حجر بن عدي ، وغيره ، من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام. ولو أخذنا بمعايير بن حجر للصحبة ، لوجدنا أنهم يضعفون صحابة كثر ، ليسوا على هواهم ، بخلاف مقولتهم في تعديل كل الصحابة، ومعيار ابن حجر ، أنه قال: > وقد قدَّمْتُ غير مرة أنهم كانوا لا يؤمَرون في ذلك الزمان إلا الصحابة < الإصابة: ١: ٤٤٥ و ٢: ٦٠٣ و ٢: ١٣٦. ويبدو إن ابن حجر ، استند في إثبات الصحبة – بهذا المعيار – حسب ابن أبي شيبة ، الذي قال: > كانوا لا يؤمرون في المغازي ، إلا الصحابة <. الإصابة: ١: ٩. ولكن هذا محذوف – الآن – من مصنف ابن أبي شيبة !!! وقد روى ابن كثير ، ما يدل على عرفهم ، بأنهم لا يؤمرون إلا صحابيا. البداية والنهاية: ٤: ٢٥.

هذه النتيجة الطريفة ، توصلنا إلى وثاقة الشيطان نفسه. ويا له من ترقيع عجيب! ولكن ، هل نقف عند هذا الحد؟ لا أبداً. فابن الدجال كان ثقة – أيضا – بل أكثر من ثقة ، وكان الإمام مالك بن انس ، لا يفضل عليه غيره!

ابن الدجال – إذن – أهم رواة المسلمين ، ولا يفضل عليه مالك ابن انس ، أيا ممن عاصره ، من العترة الزكية ، ومن التابعين المخلصين!

لقد أدرك مالك بن أنس ثلاثة أو أربعة من الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم هم: زين العابدين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم في آخر أيام مالك ، فهؤلاء ليسو عدلا لابن الدجال ، عند مالك. ولا أعرف كيف يمكن أن يحتاط إنسان لدينه ، وهو يرى إن من حارب الإسلام في بدر وأحد ، إماما يمكن يقتدي به ، وإن الدجال وابنه رجال تقوى ، وأهل علم ودين ، تؤخذ عنهم الأحاديث ولا يفضل عليهم أحد ، ولا يرقى إليهم الجرح؟

ولكي لا يكون كلامنا جزافا ، وبلا دليل ، ولكي لا نتهم أننا نلقي الكلام على عواهنه ، نقرأ معا هذه التراجم ، والحكم بعد ذلك للعقل لو رضينا به حاكما :

الحافظ ابن حجر[٢٠] :

الترمذي ، وابن ماجة ، عمارة بن عبد الله بن صياد الأنصاري أبو أيوب المدني ، روى عن جابر بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء بن يسار ، وعنه الضحاك بن عثمان الحزامي ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن ينعقد الغفاري ، والوليد بن كثير المدني ، قال بن معين ، والنسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث ، وقال ابن سعد: كان ثقة ، قليل الحديث ، وكان مالك بن أنس ، لا يقدم عليه في الفضل أحدا! وكانوا يقولون: نحن بنو شهيب بن النجار ، فدفعهم بنو النجار ، فهم اليوم حلفاء بني مالك بن

٢٠ تهذيب التهذيب: ٧: ٣٦٦.

النجار ، ولا يدري ممن هم! وعبد الله بن صياد ، هو الذي ولد مختونا ، مسرورا فأتاه النبي ، فقال: قد خبأت لك خبيئا ، فقال: الدخ فقال اخسأ. وهو الذي قيل: إنه الدجال ، وقد أسلم عبد الله ، وحج ، وغزا مع المسلمين ، وأقام بالمدينة[٢١]. ومات عمارة في خلافة مروان بن محمد ، وذكره بن حبان في الثقات ، له عندهما حديث واحد في الأضحية ، قلت: قول ابن سعد في عبد الله بن صياد ، يوهم أنه مات على الإسلام ، بالمدينة وقد ذكر غيره ، في ترجمته أنه خرج إلى أصبهان ، وأن اليهود تلقوه ، وقالوا هذا ملكنا ، الذي نستفتح به على العرب ، وأدخلوه البلد ليلا ، ومعه الطبول ، والشموع ، ثم لم يعرف له خبر ، بعد ذلك ، ذكر أبو نعيم في تاريخ أصبهان ، بسنده، وقد بسطت ترجمته في كتابي في الصحابة ؛ لأن صاحب التجريد ، ذكره مختصرا ، نعم، أخرج أبو داود بسند صحيح ، عن جابر ، قال:

---

[٢١] يعني ان الدجال عنده صحابي مسلم مجاهد في سبيل الله وقد أدى الفروض الشرعية واحمزها الحج والجهاد فهو من خيار المؤمنين. فماذا نريد بعد أكثر من هذا؟ يعني هو ممن لا يشك في توثيقه وهو القائد المجاهد! والصحيح يقول انه الدجال الذي سيظهر آخر الزمان بروايات متعدد كما أسلفنا. ولا ندري ما حكمه عندهم إذا خرج قبل خروج المهدي لنصرة اليهود؟

فقدنا بن صياد يوم الحرة ، ومن طريق بن أبي سلمة، قال شهد جابر أن بن صياد هو الدجال ، فقلت: إنه قد مات ، قال: وإن مات. قلت: فإنه قد أسلم ، قال: وإن أسلم. وقال الآجري: قلت لأبي داود: عمارة بن صياد ، من ولد بن صياد ، قال بلغني هذا ، عن ابن سعد. وسألت أحمد بن صالح ، عن هذا ، فأنكره ، ولم يكن له به أدنى علم. وذكر الزبير بن بكار ، في أول نسب قريش: إن بن صياد ، يعني عمارة هذا، وابن حزم ، يعني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، استبّا[٢٢]. فقال بن حزم ، لابن صياد: لستم منا ، وقال بن صياد ، لابن حزم: لستم من العرب ، فبلغ الوليد ، وهو خليفة ، فكتب: إن زعم بن حزم ، أنهم من ولد إسماعيل ، فحد له بن صياد ،وإن أنكر ، فلا ، فإنّا لا نعرف عربيا ، إلا من ولد إسماعيل. فزعم بن حزم ، من إنهم ولد إسماعيل ، فحد له بن صياد.

[٢٢] أي: تسابّا. سب أحدهما الآخر

أقول: لا ندري ، أنبكي ، أم نضحك ، من هذه الترجمة العجيبة ، المتناقضة ، التي لا يعرف لها أصل ، ولا معنى. إلا تبرئة ابن صياد ، من كونه الدجال ، مع وجود النقيض. فإنما هو صحابي مؤمن. ولم يعالج قضية كون اليهود تلقوه في أصبهان. وقالوا إنه ملكنا ، واختفى عندهم ، وهذا – قطعا – بعد حادثة فتح السوس[٢٣]، وانكشاف كونه المسيح الدجال اليهودي ، فعلاً.

وخلاصة ما نخرج به ، من هذه الترجمة: إن ابن صياد ، رجل مسلم ، ممن أدرك الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم ، مجاهد ، حاج للّه ، مجاور لمسجد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم ، وقبره ، فهو في قلب الإيمان ، ومن عناصر الدين ، وما شاء اللّه!.

[٢٣] فتحت السوس ، قبل أن تفتح أصبهان ، وهي أقرب للعراق ، من أصبهان ، بكثير

ومن ذلك – أيضا. قال الحافظ ابن حجر[٢٤]:

«عمارة بن عبد الله بن صياد ، أبو أيوب المدني ، ثقة فاضل ، من الرابعة ، مات بعد الثلاثين، وأبوه هو الذي كان يقال: إنه الدجال».

أقول: يعلم ابن حجر ، علم اليقين ، القيمة الحقيقية ، للصحاح المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وللصحابة بما فيهم الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي كان يحلف بالله ، إنه الدجال. فكيف تحوّلت عنده ، هذه الكمية من الصحاح المتفق عليها ، إلى (يقال) الدالة على التمريض ، وتضعيف الصحاح. أم أن هذا كله من أجل عيون الدجال؟

الذهبي[٢٥]:

[٢٤] تقريب التهذيب: ١: ٧١١

[٢٥] الكاشف: ٢: ٥٤

«عمارة بن عبد الله بن صياد ، هو ولد الذي ظن أنه الدجال ، عن جابر ، وعن ابن المسيب، وعنه مالك ، وجماعة ، وثقه ابن معين ، وقال ابن سعد ، كان مالك ، لا يقدم عليه في الفضل أحدا ، وهم حلفاء بني النجار ، مات زمن مروان الحمار».

أقول: الذهبي – هنا – كذّب ما في الصحيحين ، بشكل أصرح من تشكيك ابن حجر ؛ لأنه نسب القول: (إنه الدجال) بقوله: (كان يظن) وينبغي أن هذا الظن ، ذهب بثبوت العلم ، عنده، بحسب طريقة الفهم الإنساني. وهذا تكذيب للبخاري ، ومسلم ، من أجل أن يوثق الدجّال. حيث إنه عندهم صحابي ، مسلم ، مجاهد.

النووي[٢٦]:

[٢٦] الأسماء واللغات: ٢: ٥٧١

«ابن صياد ، الذي يقال له الدجال ، اسمه عبد الله ، ولقبه صاف ، وقد ذكره الحافظ عبد الغني المقدسي ، في ترجمة ابنه عمارة بن عبد الله بن صياد ، وعمارة هذا ثقة ، واتفقوا على توثيقه ، روى عنه مالك ، في الموطأ ، في كتاب الأضحية ، حديث أبي أيوب الأنصاري: (الشاة تكفي عن أهل البيت في الأضحية) يتمم من الإكمال للمقدسي».

أقول: النووي – أيضا – مرَّض القول ، بأنه الدجّال بكلمة: (يقال) فأين أصبحت الصحاح؟ حين يجمع هؤلاء العلماء على تكذيبها!.

ابن الأثير[٢٧]:

(عبد الله) بن صياد أورده ابن شاهين وقال هو ابن صائد كان أبوه من اليهود لا يدرى ممن هو وهو الذي يقول بعض الناس انه الدجال ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعور مختونا من ولده عمارة بن عبد الله بن

[٢٧] أسد الغابة – ابن الأثير – ج ٣ – ص ١٨٧

صياد من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب روى عنه مالك وغيره.

مشكلة انهزام التسنن أمام الوهابية والقاديانية والبهائية

.: تأملات في عجائب الانسان :.

كنت فتى يافعًا وطرق سمعي قصيدة جميل صدقي الزهاوي الفاسدة:

إسفري فالحجاب يا ابنة فهر *** هو داء في الاجتماع وخيم

اسفري فالسفور للناس صبح *** زاهر والحجاب ليل بهيم

فسألت احد العلماء عن هذا الرجل وفساده ودعوته الغريبة؟

فقال: يا ابني هذا رجل (بهائي) مهمته نشر الاباحيات والمفاسد في بلاد المسلمين.

فقلت له: مولانا هذا سني وهو (إما من اسرة كردية أو تركية متدينة) فكيف يكون بهائيا مع كونه سنيا؟ والبهائية نشأت في مجتمع شيعي. وهي فتنة داخل المجتمع الشيعي خلّص الله الشيعة منها.

فقال: يا بني البهائية الآن اغلبهم من أهل السنة ولا تجد من أصول شيعية الا قليل حتى في ايران التي هي مهدها الاول. واما في العراق فلا تجد الا ما كان من أصل سني فقط. (وذكر لي أنه اطلع على كتبهم وعلى شخصياتهم الكبيرة وكلهم من أصول سنية) فتعجبت جدًا من قوله في حينه.

وبعد فترة من الزمن حين انتظمت في ريعان شبابي في سلك الحوزة العلمية المباركة زاد الله شرف مؤسسيها وصائنيها، قررت أن اعرف ما هي البهائية؟ وكيف بدأت؟ وكيف انتشرت؟ وما هي خريطة تواجدها الان؟

وبعد عدة مطالعات في كتب التاريخ والرجال والأسئلة والاجوبة من اساتذتي بدأت تتوضح لي الصورة ثم وقع في يدي كتاب مذكرات (مكسيم دالغوركي)

فهمت القصة، ثم تعمقت في فهم القضية اكثر، واضطررت أن ادرس حياة وافكارالأستاذ الذي استغلت دروسه لكي تتولد فكرة هذه الحركة الضالة، خصوصا بعد اعتراف مكسيم دالغوركي بانه كان يستغل تلاميذه استغلالا بعكس ما يريد، وهو المرحوم السيد كاظم الرشتي رحمه الله.

ومجمل القصة التي توصلت اليها هي ما يلي: (واعتذر عن الاختصار المخل):

توجهت الدولة القيصرية الروسية للتأثير في الشارع الايراني كجزء من الحرب بين البلدين، فكلفتْ المترجم السابق في السفارة الروسية في طهران (كينيار مكسيم دال غوركي) بعمل فنتة والذي اضحى وزيرًا مفوضًا في الحكومة القيصرية، فادعى رغبته في الإسلام وإسلامه الفعلي، ثم انتحل اسم الشيخ عيسى اللنكراني ولبس العمامة ودخل الدراسات الدينية، وانتقل داخل ايران في عدة مدن وعند العديد من الاساتذة ثم انتقل إلى كربلاء لاكمال

الدراسة العليا ولم يظهر عليه أي مخالفة أو خروج عن الدين، حتى اتصل بشاب نزق اسمه علي بن محمد رضا الشيرازي الذي لقب فيما بعد بالباب وكان يدرس عند السيد كاظم الرشتي العرفان بدون رغبة منه كشاب نزق، وانما برغبة اهله الاغنياء، وكان هذا الشاب فاسقا في واقعه وغير مقتنع بطريقه الذي اختاره له اهله، وكان يعاقر الخمر فعثر دالغوركي في هذا الشاب على هذه الخلة –العجيبة في مدينة مقدسة لا تعاقر الخمر قط –، فأخذ يوفر له الخمور من المسيحيين في الحلة ومن تجار الامارة العثمانية، وبدأت فكرة ادعائه البابية واخذ يوزع الاموال فطرد من كربلاء فهاجر إلى ايران وكان الشيعة في ايران يرون أن الانتظار للامام المهدي عليه السلام من افضل الطاعات (وهو كذلك) فتلبس على الناس بالكذب والدجل والسحر وغير ذلك مما يحير عقول البسطاء، فانتشر صيته وكثر اتباعه بين الشباب والغوغاء وكان من اتباعه بعض الشباب النابهين الطالبين للدنيا من خلفه

كحسين علي بن عباس بزرك النوراني المازندراني وأخيه يحيى صبح ازل اللذين صارا فيما بعد قادة الحركة التي اخذت اسم ما لقب به نفسه محمد بهاء الله فسميت البهائية فيما بعد. وحدثت هنا مفارقة عجيبة وهي أن مجموعة الشيخ احمد الأحسائي وتلميذه السيد كاظم الرشتي قرروا محاكمة الدجال علي محمد الباب ومطارته مع اتباعه، فحاكموه، واجبروا الشاه على المحاكمة ورفض الضغوط الدولية لتخليصه، فاعترف علي محمد الباب بجرائمه أمام محكمة علنية اقامها تلاميذ الشيخ الأحسائي رحمه الله، وهرب دالغوركي واعدم الباب الذي كان قد ادعى فيما بعد دعواه البابية انه المهدي نفسه ثم ادعى انه الله نفسه. وبعد اعدام الباب جرت حملة تثقيف كبرى في الوسط الشيعي، وحملة ملاحقة لهؤلاء الجواسيس للدولة القيصرية الروسية، ولكن بعد تشتت جماعتهم في ايران واحتقارهم وانكشاف تجسسهم لروسيا استقبلتهم الدولة العثمانية السنية واعطت قادتهم اللجوء السياسي

وهم يحملون فكرة دمج الاديان السماوية الثلاث وفكرة ديانة عالمية موحدة وتفسيرا عجيبا للنصوص الإسلامية تنتهي إلى كونها نصوصًا يهودية وهي اصل الديانة الابراهيمية عندهم، فصار لهم اتباع داخل اسطنبول في المجتمع السني، ثم طالب بهم الشاه خصوصا محمد البهاء واخيه عباس صبح ازل فرفضت الحكومة العثمانية ولكن ابعدتهم إلى قبرص كما اتذكر، وهناك وفي اسطنبول اتصلت بهم الماسونية والحركة الصهيونية وتم ربطهم بالتاج البريطاني فتحوّلت الحركة لخدمة التاج البريطاني واصبح مجال عملها الجديد هو خدمة بريطانيا بعد ان كان لخدمة روسيا القيصرية، ثم بعد الضغوط الغربية انتقل الأخوان (حسين علي و يحي صبح ازل) إلى فلسطين في حيفا وعكا، وبدأت رحلة انتشار البهائية من اسطنبول وفلسطين داخل الجسد السني، فتقلص وجودهم إلى درجة مدهشة داخل المذهب الشيعي واصبح امتدادهم داخل الجسد السني بشكل مدهش.

فقد اصبح لهم معابد في فلسطين بشقيها الاسرائيلي والإسلامي وفي الاردن ومصر ولبنان ومختلف بلاد العالم السني (لقد كان لهم عدة معابد في العراق في العهد الملكي في بغداد وبعض المدن السنية، ولا اعلم ماذا جرى لهم بعد العهد الملكي، إلا ان الحكم البعثي في العراق حول اعادة إنتشار البهائية والبابية بدعم هائل، وما قصة جند السماءعنا ببعيد وهي جماعة مدعومة من هيئة علماء السنة ومن البعثيين). وبعد الثورة الإسلامية في ايران سافر منها اغلب اعضاء هذا المذهب المدعوم امريكيا وشاهنشاهيا إلى الغرب في الغالب، وقسم منهم سافر إلى اسرائيل وغيرها ولم يبق منهم الا من هو متخفٍ. بينما في العالم السني هم الآن اهم القيادات وافضل طبقات المجتمع المخملي وهم في تزايد وانتشار. فيكفك أن رئيس دولة فلسطين ابو مازن محمود عباس هو من زعماء البهائية في فلسطين وهناك وزراء وقادة من البهائية في العالم السني كما سمعت.

بعد هذه الخلاصة المخلة تقريبا، اتسائل لماذا هذه الحالة المدهشة لقبول انجس فتنة وقعت في العالم الشيعي وقد استئصلت من مجتمعهم، لتتحوّل إلى نمو سريع في العالم السني؟

فأعداد هذه الطائفة الان هي ٥٠ الف ايراني اغلبهم من اصول سنية و ٥٠٠ ألف من اصول سنية كردية وعربية وتركية وغيرها من القوميات!

أليس ذلك غريبا ويحتاج إلى دراسة.

هذه الظاهرة تحتم علينا أن ندرسها لأن الامر يمس العالم الإسلامي وسلامته من الفتن وتهديد حضارة المسلمين بشكل جدي.

وذلك لأن اغلب العالم الإسلامي هو من اهل السنة (ثلاثة اخماس العالم الإسلامي تقريبا) ومن خلال انكشاف هشاشة المجتمع السني وهزائمه الغريبة امام البهائية والقاديانية والوهابية البلاء الأكبر على أهل السنة،

وكلها حركات مصنعة من دول الكفار ومدعومة غربيا وهي الان مدعومة امريكيا بالذات.

فمن يفلت من اهل السنة من البهائية تتلقفه القاديانية ومن يفلت من القاديانية تتلقفه الوهابية، وكأن قدر المجتمع السني أن يتمزق بين هذه المبادئ الخبيثة. وأن يظهر هشاشته الغريبة، التي تمثل اكبر الخطورة على العالم الإسلامي. وتنذر بسقوط الحضارة الإسلامية من الداخل بواسطة هذه المذاهب الهدامة وغيرها من حركات مستوردة تنمو بسرعة.

إن عدم المناعة من قبول هذه الحركات المدمرة لهو مرض عضال يجب معالجته ويجب دراسة اسبابه وخطورته والحصول على دواءه الشافي.

ولست وحدي في العالم الإسلامي من يرى أن سبب الأسباب وعلة العلل في هذه الهشاشة داخل المجتمع السني هو السلطان المسلم الذي ربى الناس

على الاهتمام بشهواته وتهميش الدين ورجاله والابتعاد عن الحفاظ على كيانه.

قد استطيع تشخيص عدة اسباب لهذه الهشاشة وعدم المناعة، ولكن المسألة تحتاج إلى دراسة متخصصة وقادرة على تلمس الحقائق بشكل عميق. فلعل من الاسباب المعروفة هو امتلاء التراث الذي يقال للسني انه تراثك العتيد بالمشاكل الكبيرة منها الكذب والتناقض ونمو الافكار بزاوية منفرجة مع الإسلام، ومن الأسباب المحتملة الارتباط الفكري بالحاكم فكون شيخ الإسلام مجرد موظف عند الحاكم لا يمكنه الخروج على تعليماته لهو امر في غاية الخطورة على الدين على اسس الحضارة الإسلامية، ومنها انتشار الفقر الاقتصادي ومن ثم الثقافي الذي يفقد المناعة ويسمح لأي طارئ ان يقضم من المجتمع السني ما يشاء. ومنها فقدان المرجعية الدينية الحقيقية لتوفير المناعة، ومنها ايقاف الاجتهاد المشروط بالعلم الفائق ومن ثم السماح لكنّاس

الجامع ان يقوم بدور القائد والمفتي ليقود المجموعات فيحولها كما يشاء فكره العبقري، ومن طوام ايقاف الاجتهاد المقنن والمرجعية الدينية الحقيقية هو قفز شخصيات غير تخصصية على الفكر الإسلامي فاصبح المهندس والطبيب والعامل والسياسي رجالُ دينٍ لمجرد تطويل اللحية والانتماء إلى المجاميع الإسلامية بأي غلاف كان سواء كان وهابيا أو غير ذلك، فيصبح هذا البعيد عن علوم الدين قائدا عالميا يدير الشباب والمسلمين بحماس منقطع النظير بفتوى وفقهٍ لا يمت إلى الإسلام ولا إلى المذهب السني بصلة باعتراف كل الدارسين للمذاهب السنية من علماء السنة الحقيقيين فكلهم لا يقبل بافكار رجل الاعمال وتجارة المخدرات (بن لادن) أو الطبيب (الظواهري) الذي لا يعرف ان كل خطابته مليئة بالخطأ الفقهي والديني بل قل التجاوز على الفقه الإسلامي والمفاهيم العقائدية السنية بشكل سافر. وهذا نتيجة

انعدام المعايير الواجب توفرها والتي يجب ان يعرفها عامة المجتمع السني للقيادة والمرجعية الدينية.

المهم ما جال في خاطري هو ان المجتمع السني يقبل ما اجمع فقهاء السنة على اعتباره مخالفا للدين وحكَمَ بردتهم كالحركة الوهابية التي كانت إلى وقت قريب قبل اكتشاف النفط مما يحرم الانتماء اليها وهي حركة ضالة يجب حربها بالسيف والقوة، بينما نجد الان الحركة الوهابية تسيطر على اغلب مساجد العالم السني حتى مصر التي كانت حاملة الرسالة لبيان ضلال الوهابية وعمالتها، بل اصبح من الطبيعي أن يستغرب بعض المغرر بهم من قبل الوهابية إن كل ما يصدر من فتاوى فقهية صحيحة سنيا من اتباع الازهر ورجال الصوفية في مصر باطل وبعيد عن الدين، وقد اشيع بين الناس أن هؤلاء مسلمون تقليدون، بينما الوهابيون اصلاحيون متمسكون بالدين

لأنهم يحفظون بضعة احاديث طازجة التحريف واللعب وأجوبة ملفقة لمسائل مشكلة اشكل فيها اهل السنة عليهم.

وكذا الحركة القاديانية التي حكم المسلمون اجمع بكفرهم وردتهم ودجلهم وعمالتهم للانجليز، الان اصبحوا في قمة الفكر الإسلامي وقد انخرط فيهم المهندسون والاطباء الدعاة للاسلام وقد تحوّل قسم لا يستهان به من رجال حركات اسلامية مثل الاخوان المسلمين أو التحريريين أو الازهريين إلى الانتماء لهذه الحركة، فما ان فتحوا قناتهم الفضائية العربية حتى انكشفت نوعية وحجم المتحولين من أهل السنة إلى هذه الحركة المضحكة التي لا يمكن وصفها الا بانها حركات الحنقبازيين البهلوانيين الدجالين. فانني لأعجب من شخصيات اعرفها عينا تحولت لهذا الدين الجديد، وقد كنت اقول لبعضهم انكم مشروع تحول لأي شيء كان، لعدم تنسيق الأفكار وعدم

اسقرارها ولقرائتكم الإسلام بطريقة ذوقية لا علاقة لها بالقواعد الحصينة، وهذا ما يحدث بكل اسف.

وأما الحركة البهائية فامرها عجيب جدًا في نموها بالمجتمع السني ولا اقول اكثر من هذا، ولكن ماذا نقول لقبول فكرة دمج الاديان التي بدأ يؤمن بها مثقفون سنة ويدخلون البهائية عبرها سواء عرفوا ام لم يعرفوا، فقبل اكثر من عشر سنوات عرض عليّ احد الاصدقاء السنة مقالا من عشرين صفحة لأقول رأيي فيه، فإن الصديق بدأ يؤمن بمحتوى هذه المقالة، وكانت بقلم مهندس تحريري سابق الف كتبا اسلامية عديدة بطريقة اجتهاد غير المتخصصين في الدين. وهو المهندس جواد عفانة، فقرأت اغلب الأوراق في جلستي، فقلت لصديقي: هل تعرف فكر البهائية؟ فقال: لا! فقلت له: هذه الأفكار نسخة طبق الأصل للبهائية، فقال: عجيب ولكن صاحبي جواد ليس بهائيا وانما هو مفكر اسلامي معروف! فقلت له: وهل بقي كذلك بعد أن بدأ يؤسس

لنفس الفكرة ويقول بأن الدين الحقيقي هو دين ابراهيم وهذه الاديان الثلاثة هي مذاهب جائزة في هذا الدين ويجب الدمج بينها؟ فسكت ولم يعرف ما يقول!

هذه الحالة المزرية حقيقة واقعة وهي خطر كبير ينذر بسقوط جزء كبير من وجود الإسلام لا نقبل بسقوطه، وبسقوطه سيكون الإسلام في خطر، فنحن لا نفكر مثل الطائفيين حين يطلبون يدفعون بقوى الكفر للاجهاز على التشيع بتآمر خبيث معتقدين بانه بزوال التشيع يزداد عمرهم من دون أن يدركوا ان الضمانة الحقيقية لبقاءهم هي بقاء التشيع صامدا عزيزا ثابتا على العقيدة والفقه الإسلامي الحقيقي بدون تبرير لخروقات السلاطين وتجاوزاتهم الشرعية، ويا ليتهم الآن سلاطين اسلام وليسوا سلاطين كابريهات.

المشكلة ان هذه المذاهب أو الاديان المخترعة الثلاثة كلها ترعرعت برعاية بريطانية، والان برعاية امريكية مباشرة، ولكنهم يمتازون بالصراع بينهم

وتناقض اتجاهاتهم الفكرية، وكل واحد من هذه المبادئ يدّعي العداوة للمبدئين الآخرين، وهذا من المفارقات، ولعله لتنوع الاتجاهات لصيد كل اصحاب الرغبات المختلفة في المذهب السني.

وكل واحد منهم يعلن عن عدو وهمي يغري به أهل السنة، ليقول لهم نحن ندافع عن مذهبك بدلا منك، فالوهابية اختاروا اعدائهم من الشيعة والصوفية، والقاديانية اختاروا ان يكون اعدائهم المسيحيون والصوفية والشيعة، والبهائية اختاروا ان يكون عدوهم الشيعة والصوفية والتعصب، وكل يدعي التنوير والإصلاح في امة الإسلام.

هذه الاختيارات للعدو بالنسبة لهذه الديانات الدخيلة الثلاث ليس من باب الصدفة أو من باب الاعتباطية في اختيار العدو، بل هي حركات مدروسة والعدو المعلن لهذه المبادئ الثلاث في الحقيقة هو القاسم المشترك وهو الإسلام متمثلا بالشيعة والسنة باسم الصوفية، والمقصود بهذا العداء هو السنة

بالذات، فهم يعلمون علم اليقين ان الشيعة عندهم حصانة وقوة في العقيدة ولا يتأثرون بهذه الخزعبلات، ولم يحدث أي تحوّل تام حقيقي في الوسط الشيعي المثقف بعكس ما يجري في الوسط السني، فيبقى المقصود هم أهل السنة بدرجة كبيرة ومعقولة والنتائج واضحة فالاختراق كان في الجسد السني وعلى حسابه، وليس في جسد العدو الشيعي كما يدّعون. فالشيعة في صعود ونمو بينما السنة في تمزق واختراق وتحوّل إلى الاديان المخترعة من قبل وزارة الخارجية البريطانية. ولهذا نجد الوهابية يضطرون للقيام بتمثيليات التحول ثم يتبيّن ان المتحول ما هو الا وهابي حاول اظهار نوع من الانتصار الموهوم عسى ان يغطي على مشكلة التاثير الفاشل في العدو المعلن بينما هم يؤثرون ويدمرون فيمن يدّعون الانتصار لهم وهم اهل السنة.

والصفات المشتركة بين هذه الديانات هو عدم العمق في نقاش العدو من جهة والتأثير الميداني المدعوم بالمال والسلطة والجاه في الجسد السني، فالقادينية

تدعي الحوار مع المسيحية وتحاول ان تظهر نفسها كمدافع عن السنة بصخب شديد أمام المسيحية، ولكن كل من يراقب نقاشهم يجده نقاشا لا يغني ولا يسمن من جوع ولا يوجد أي حوار حاسم يُفرح المسلم بانتصارٍ حقيقيٍ. وكذا الوهابية الذين يتمتعون بقدر كبير من الكذب والتزوير في اختلاق التهم المزورة، يقومون ليل نهار باختلاق الملفات المزورة على الشيعة ولكنهم لحد الان لم يُفرِحوا السني بشكل حقيقي بانتصار واضح وانما حصل العكس حيث قد تحوّل عقلاء السنة إلى التشيع نتيجة خيبتهم وانكشاف اكاذيبهم، فقد قام بعض سفلة الوهابية بحوارات سطحية حنقبازية يدعون انها حوارات حاسمة فاذا بانصارهم ممن غُش بهم من اهل السنة يتحوّل إلى التشيع نتيجة انكشاف امرين وهما كذب الوهابي وسطوع الدليل الإسلامي الحقيقي لدى الشيعي، حتى لو كان النقاش يتسم بنوع من السطحية إلى حد ما، وهنا في هذه الشبكة عدة امثلة لذلك، فاذا لم تخني ذاكرتي فان الدكتورة

امينة المغربية المشاركة في هذه الشبكة المباركة كانت نتاج مثل هذا الحال. وهناك الالاف ممن يتصل بي وبغيري من طلبة العلوم الدينية الصغار امثالي يقولون بان حوارات الوهابية وانكشاف كذبهم فتح عيونهم على مذهب اهل البيت عليهم السلام وكانت سببا مباشرا لاستبصارهم.

وكذا حال البهائية فهم لم يؤثروا فيمن يدعون عدائهم الا في الجسد السني.

والطريف في الموضوع ان هذه الديانات المستوردة الخادعة قد كُفّرت من قبل المسلمين لما فيها من مبادئ خارجة عن ثوابت الإسلام فضلا عن ثوابت السنة أو الشيعة، ولكنهم ثلاثتهم يقتبسون ويسرقون الأمور العقلانية والاختيارات التفسيرية المعقولة من الشيعة فهذا ابن تيمية قد كانت احدى تهمه في محاكماته الثلاث التي حُكم فيها بالردة بأنه اخذ اكثر من ثمانين مسألة فقهية من الشيعة مثل بطلان الطلاق بالثلاث وغير ذلك من احكام فقهية في الاحوال الشخصية وغيرها، ولم يكن علماء اهل السنة يعلمون ان

تقسيم ابن تيمية للتوحيد إلى توحيد صفات وتوحيد افعال هو من خصائص التشيع وقد سرقها ابن تيمية ليعيد دبلجتها ضد التوحيد، فاستنكارهم لها لأنها ليست سنية اصلا، فانطلق ابن تيمية من توحيد الافعال –الذي ركّز عليه ائمة أهل البيت عليهم السلام كمدخل للتوحيد العملي– ليكفّر به المسلمين بعكس ما يريده اهل البيت عليهم السلام، فادعى ان الوساطة والتوسل تدخل ضمن الشرك العملي مقابل التوحيد العملي، وقد لبس على المسلمين هذه الكذبة.

لقد ادرك الانجليز تراث هذا الرجل المغمور والمكروه سنيا ليأمروا محمد بن عبد الوهاب ان يتبنى افكار هذا الرجل المنسية ويظهرها من دون أي تفكير في اصل هذه الافكار، فتقسيم التوحيد لا يوجد له أي شاهد سني حتى يدعي انها دليل سني وهناك ما لا يدانيه في الفضاعة كتجويز التشبيه على الله التي لا يقول بها مسلم اطلاقا.

واما القاديانية فان اغلب تفسيرهم الصحيح انما هو اختيار الشيعة ومن تقرّب منهم مثل المعتزلة السارقين افكارهم من الشيعة وبالاخص من امام الشيعة علي بن ابي طالب خصوصا الافكار التنزيهية التي علّمها رسول الله لتلميذه النجيب امير المؤمنين علي بن ابي طالب، بينما الافكار التجسيمية اخذت من رواسب الشرك وهبل واللات والعزى المتمركز في دماغ معاوية.

وعلى هذا فمبادئ البهائية وطريقة تكوينهم قد شرحناها و أما الوهابية وخروجهم على التسنن معروف ومشهود، وألاعيبهم معروفة للخبراء، ولكن عندهم طريقة تدليسية وهي ادعاء قربهم من السنة النبوية. وقد شرح الكثير من الباحثين طريقة تكوين هذه الفرقة الضالة و ان شركة الهند الشرقية كونت هذه المجموعة الاجرامية وقد غلبت مكتب القاهرة على توجهها في وزارة الخارجية البريطانية فهو خلاف بين مكتبين داخل وزارة الخارجية

البريطانية في سبيل تدمير العالم الإسلامي، وقد غلب مكتب الهند على مكتب القاهرة. وهذا المكتب هو نفسه الذي اوجد القاديانية.

وقد وجدت من المناسب ان انقل طريقة تكوين القادياني وبعض افكاره من مقدمة السيد محمد حسن الطالقاني النجفي رحمه الله لكتاب (القاديانية – لسليمان الظاهر العاملي — من صفحة ٣٠ وما بعدها) وساعقب بعد هذا التعقيب بتوضيح بعض افكار القاديانية العجيبة كما وقع في مناظرة بين ابن غلام احمد المسيح القادياني وبين السيد محسن الامين رحمه الله حتى يعي اخي السني ماهية هذه الحركة التي غزته:

القاديانية – سليمان الظاهر العاملي: المقدمة: ص ٣٠ — ٣٧

(عمالته المكشوفة للانكليز:

كانت أسرة القادياني على وئام وعلاقة صميمة مع " السيخ " أيام حكمهم على " البنجاب " – على العكس من المسلمين المضطهدين – وما أن دخل الانكليز وسيطروا على البلاد حتى بادرت إلى إنشاء الصلة بهم وانضمت إلى صفوفهم، وكانت من أتباعهم علانية بسبب أن جد القادياني " الميرزا غلام محمد " كان من الإقطاعيين الكبار في ولاية " البنجاب " ولذلك أعلن ولاءه للانكليز وللتاج البريطاني منذ بداية الاحتلال، فنال الحب والعطف والرعاية من الولاة، وخلفه ولده " غلام مرتضى " فعزز ذلك بوقوفه إلى جانب الانكليز عندما ثار الشعب الهندي عليهم ثورته المشهورة عام ١٢٧٣ هـ = ١٨٥٧ م ومدهم بخمسين مقاتلا فوجهوا له كتب الشكر، كما ساندهم في كل الحركات التي قامت ضدهم، وقبل التوظيف في دوائرهم. ولما جاء دور ولده " الميرزا غلام أحمد " سار على نهج أبيه وجده في الاخلاص والولاء، فتوظف في دوائرهم وحافظ على صحبتهم، ولما ظهر على الساحة وتبلورت شخصيته

وبدأ بادعاءاته التجديد فالمهدوية فالنبوة، كانوا وراء ظهره سندا في مختلف المراحل، وإلا لما استطاع أن يفوه بكلمة واحدة، فقد أعلن دعوته بصراحة في بلد فيه عشرات الملايين من المسلمين، وخرق إجماع مئات الملايين من المسلمين الذين أجمعت كلمتهم على ختم النبوة، وتحدي علماءهم وشتمهم، وشبههم بالقردة والكلاب والشياطين [مواهب الرحمن للقادياني / ١٢ و ٦١.].

وما شابه ذلك من النعوت، وظل يواصل دعوته وينشر مزاعمه بدون اكتراث، وحقق نجاحا في بلاده وفي البلدان الإسلامية الأخرى، وظل على قيد الحياة متمتعا بالحرية والحصانة مع المشايعين لفكرته، ولم يجرأ أحد على إخماد فتنته بالقضاء عليه، بل كان الاغتيال نصيب الزعيم الهندي " غاندي " الذي تمزق جسمه النحيل بالرصاص، لأن الانكليز كانوا ضده.

ولو لم يصرح " القادياني " بعمالته للانكليز، لما كانت تخفى على أحد من ذوي البصائر، لأن العمل الذي قام به مما لا يقوي عليه رجل بمفرده كل بضاعته الكذب والدجل والافتراء وإنما كان له رصيد قوي ودعم كبير، من جهة عليا تحميه وتسدده تسخر إمكانياتها لدعمه، وبذلك استطاع الاستمرار في دعوته مبلغا وخطيبا وناشرا، وتمكن أن يجمع حوله زمرا من السذج والمنتفعين والمنافقين...

أقول لو لم يصرح بعمالته [لما] غمض على أحد أمره، فكيف وقد ملأ كتبه بالاعترافات الصريحة والاعلان المكشوف، وفيما يلي نموذج من تلك التصريحات [قال القادياني]:

" فقد ساعدهم (الانكليز " والدي مساعدة كبيرة في قمع تمرد ١٨٥٧ (يقصد ثورة الشعب الهندي على البريطانيين الغزاة) ومدهم بخمسين فارسا مسلحا لضرب الثورة، لذلك تدفقت على والدي رسائل الشكر والامتنان من قبل

الحكام، وكذلك ساندهم والدي في المعارك الأخرى التي خاضها المتمردون (يقصد الوطنيين الأحرار) ". [كتاب البرية / ٣.]

" ولما توفي والدي ناب عنه أخي الكبير ميرزا غلام قادر في خدمة الحكومة البريطانية، فشملته هو الآخر بعنايتها، ولما توفي هو الآخر اقتفيت آثارهما وسلكت مسلكهما في إعلان الحب والولاء للحكومة والطاعة لها، وقد عاهدت الله منذ ذلك الحين على أنني لن أكتب شيئا ضد هذه الحكومة ". [نور الحق ١ / ٢٨.]

" أقول مدعيا: أنا أكثر المسلمين إخلاصا للحكومة الانكليزية، لأن هناك ثلاثة أمور جعلتني أحتل الدرجة الأولى في الاخلاص لها.

١ – تربية المرحوم الوالد.

٢ – أيادي الحكومة البيضاء.

٣ – إلهام من الله تعالى ". [ترياق الفاروق / ٣٠٩ و ٣١٠.]

وقد خاطب أتباعه قائلا: " اسمعوا: إن السلطة الانكليزية رحمة لكم وبركة عليكم، وهي الحصن المنيع الذي أقام الله لوقايتكم، فعليكم أن تقدروها حق التقدير من سويداء قلوبكم، والانكليز خير لكم ألف مرة من هؤلاء المسلمين الذين يحاربونكم ". [تبليغ الرسالة ١٠ / ١٢٣.]

وهو يعترف بصراحة بأنه لا يستطيع ترويج بضاعته الزائفة، وإعلان دعوته الكاذبة ومزاعمه الفاسدة، في أي بقعة إسلامية من العالم، لأن ذلك يؤدي إلى دق عنقه وإراقة دمه، فهو يقول:

" لا يمكن أن أحقق دعوتي كل التحقيق في مكة، ولا في المدينة، ولا في الروم – يقصد تركيا – ولا في الشام، ولا في فارس، ولا في كابل، إلا في كنف هذه الحكومة التي أدعو لها دائما بالازدهار والانتصار ". [تبليغ الرسالة ٦ / ٦٩.]

ويقول أيضا: " لقد بسطت هذه الحكومة – الانكليزية – أياديها البيضاء علينا لحد أننا إن خرجنا من هنا لا تؤوينا مكة ولا قسطنطينية، فكيف يجوز لنا إذن أن نضمر في قلوبنا أمرا ضدها ". [الملفوظات الأحمدية ١ / ١٤٦].

وبعد أن أعلن ولاءه المكشوف بهذا الشكل عاد يستجدي العطف عليه وعلى أتباعه، ويرجو من الحكومة الانكليزية أن تنظر إليهم نظر رأفة ورحمة وتحميهم من المسلمين، فقد وجه كتابا إلى الحاكم الانكليزي في المنطقة يقول فيه:

"... القصد من وراء ذلك الطلب الذي تقدمت به إلى حضرتكم، والذي يحتوي على أسماء أتباعي أيضا، هو أنني وأن كنت أستحق رعاية خاصة من الحكومة الانكليزية نظرا للخدمات الخاصة التي قمت بها أنا وأسلافي نحو الحكومة الموقرة بصدق وإخلاص وتجرد وبتحمس قوي، أرجو من

الحكومة السامية أن تجعل هذه الأسرة – يعني أسرته – التي عرفتها وفيه موالية لها مؤمنة بها مستميتة في سبيلها بعد تجارب استمرت خمسين سنة مضت، هذه الأسرة التي شهد لها أركان الحكومة الموقرة بأنها أول المخلصين لها والقائمين على خدمتها، أرجو من الحكومة السامية أن تجعل هذه الأسرة التي هذا شأنها، والتي هي عبارة عن غرسها نفسها، أن تجعلها موضع رعاية خاصة... ". [تبليغ الرسالة / الجزء السابع / تحت عنوان: رجاء الأحقر غلام أحمد القادياني إلى حضرة الحاكم دام إقباله.]

بهذه الحقارة والوضاعة يستجدي هذا الدنئ عطف الغزاة المحتلين لبلاده، والهاتكين لحرمته، والمريقين لدماء أبنائه البررة، بهذا الأسلوب الذي يدل بصراحة على تفاهته وهوانه على نفسه، ثم يدعي أنه نبي، والأفظع أن يدعي أن الله ألهمه الولاء للمحتلين، ويأمر الناس بتصديق أقواله ويلعن من خالفه واستخف به.

والحقيقة إن هذه الرسالة وثيقة إدانة وعمالة لا غبار عليها، فليس أكثر من أن يدعي أن هذه الطائفة من غرس يد الانكليز، وإذا ثبت ذلك – وهو ثابت – فنحن في غنى عن إيراد الأدلة والاستشهاد بالأقوال.

سبب احتضان الانكليز للقاديانية:

لقد قوبل الانكليز وغيرهم من القوى الاستعمارية الكافرة عند دخولهم البلاد الإسلامية فاتحين بضراوة وعنف وتحطيم وتدمير، وتلقوا من المسلمين ضربات ماحقة أطارت صوابهم وأرتهم العجب في التضحية والاستبسال، وتقارير ضباطهم إلى قياداتهم ومذكراتهم التي كتبوها خلال أيام احتلالهم ونشرت تراجمها أكبر شاهد على ما نقول، فقد صرح الجميع واتفقت كلمتهم على غيرة المسلمين على أوطانهم ودفاعهم المستميت عنها، وعن حميتهم على غيرة المسلمين على أوطانهم ودفاعهم المستميت عنها، وعن حميتهم

وتضحيتهم بالغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على أرضهم من دنس الغاصبين.

ومرجع ذلك إلى أن الجهاد في سبيل الله من الواجبات الدينية بإجماع المسلمين، وحكمه حكم فروع الدين الأخرى كالصلاة والصيام والزكاة والحج كما نص عليه فقهاء الأمة قديما وحديثا، وهو كما تفصله المصادر كافة نوعان، أحدهما للدعوة إلى الإسلام وإعلاء كلمته في بلاد الله وعباده، والثاني للدفاع عن الإسلام والمسلمين وبلادهم، وكذلك عن النفس والمال والعرض.

ويشترط فقهاؤنا – معاشر الشيعة الإمامية – في النوع الأول وجود الإمام أو نائبه الخاص أما الثاني فلا يشترط فيه ذلك. وقد نص القرآن الكريم على ذلك في العديد من الآيات، ومنها: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا

في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم).

ومنها: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدون درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما).

كما حثت عليه السنة النبوية، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " من ترك الجهاد ألبسه الله ذلا وفقرا في معيشته ومحقا في دينه " وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): " الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء.. ".

ومن أجل ذلك كان المسلمون يعلنون الثورة على العدو الكافر إذا غزاهم في عقر دارهم، ويهبون للجهاد في سبيل الله في مقاومته ودحره، وكان على رأس الداعين إلى الجهاد علماء الدين، فإذا ما أفتوا بوجوبه وضرورة حفظ البلاد من الغازين لم يتخلف عن الامتثال لأوامرهم أحد إلا الشيخ الهرم والمريض العاجز.

ولا يزال العهد بثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠ قريبا إلى الأذهان، فقد هاجمه الانكليز فاتحين، وأفتى زعيم الثورة الكبير الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي وبقية زعماء الدين بوجوب الجهاد والمحافظة على البلاد، فهب الشعب العراقي هبة واحدة ولقن الانكليز درسا لن ينسوه إلى الأبد. وقد جاء في " مذكرات مس بل " قولها:

" رجال الدين من العلماء في النجف وبغداد وكربلاء والكاظمية وسامراء... كان هؤلاء العلماء شديدي التعصب للإسلام وشديدي الكره لبريطانيا... كان

لهم حتى الآن أثر كبير على السكان المتدينين في المدن المقدسة.. ". [نقلا عن " مذاكرات مس بل " المطبوعة بالانكليزية.]

ولم تكن حال المسلمين في الهند لتختلف عنها في سائر بلادهم الأخرى، فقد قاوموا التسلط الانكليزي والاحتلال الغاشم، وحرضهم علماؤهم على الجهاد في سبيل الله، فضاق الانكليز بذلك ذرعا وظل القلق يساورهم دوما، وحاولوا التماس وسيلة توقف تلك الانتفاضات عند حدها، وتخنق أصوات الأحرار الذين يطالبونهم بالجلاء عن البلاد، ووجدوا ضالتهم عند " القادياني " فقد جند نفسه لتلك المهمة وبذل كل وسعه وطاقته في إيقاف المد الثوري بفتاواه المتوالية في عدم جواز الجهاد ضد الانكليز، وملأ الآذان بصخبه في إرشاده وخطبه ومؤلفاته وسائر الوسائل الممكنة الأخرى، وأمده الانكليز بالمال وجندوا في خدمته الرجال، وهو يواصل مسعاه الخبيث وجهده الخائن، لكن ذلك لم يجده ولم يجدِ أسياده فتيلا، إذ لم يكن لفتواه سميع غير قومه، وهم

أقل من القليل إذا ما قيسوا بعدد المسلمين في مقاطعة البنجاب وحدها، فضلا عما سواها من مقاطعات شبه القارة الهندية. وكان يفسر الآية الكريمة: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) [السناء: ٥٩.] بحسب ميوله الضالة، ويؤكد على أن الانكليز هم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وحذر من مخالفتهم، لغرض إسقاط فكرة الجهاد الإسلامي ضد الكفار، وقد ذكر ذلك مباهيا وافتخر به في غير واحد من مؤلفاته، وكان من جملة تصريحاته الوقحة قوله:

" إني منذ الصغر إلى أن بلغت ستين سنة من عمري كنت أحاول في محاضراتي ومقالاتي أن أخلق الحب والولاء للانكليز في قلوب المسلمين، وأن أحملهم على التخلي عن الجهاد ضد المحتلين الانكليز "، [تبليغ الرسالة ٧ / ١٠].

وقوله:

" وجب على كل مسلم ومسلمة تقديم الشكر إلى هذه الحكومة، وحرام على كل مؤمن مقاومتها بنية الجهاد، وما هو جهاد بل هو أقبح أنواع الفساد " [مواهب الرحمن / ٢٥.]

وقوله :

" لقد خطوت أكبر مرحلة في حياتي في نصرة الدولة البريطانية والدفاع عنها وألفت كتبا كثيرة أحرم فيها الجهاد ضدها، لو جمع كل ما كتبته في هذا الصدد لبلغ خمسين كتابا، ووزعت هذه الكتب كلها في جميع أقطار العالم مثل الجزيرة العربية والشام، وكابل ومصر، وبلاد الروم – يقصد تركيا – " [ترياق القلوب / ١٥.]، إلى غير ذلك مما يصعب استقصاؤه.

فهل يحتاج الإنسان – بعد هذه الصراحة والصلافة إلى ما يوضح له أسباب احتضان الانكليز له وتعلقهم به في حياته؟ ودعمهم وتمويلهم لاتباعه بعد وفاته؟ ومساعدتهم على الانتشار لتخريب العقائد والديار؟

فالمسألة في غاية الوضوح، والمساجد والجمعيات الدينية التي يشيدها القاديانيون في مختلف البلاد – ولا سيما في الغرب – بؤر جاسوسية ومراكز هدم، والواجب على الغيارى من أبناء المسلمين محاربتها وتقويض أركانها، لا سيما في أوروبا وأمريكا فإنها أشد ضررا، لأنهم في البلاد الإسلامية وديار الشرق معروفون ومعزولون من قبل معظم أهلها، لكن الغربيين لا يعرفون أسرارهم ونواياهم وإنما يأخذون فكرة مشوهة عن الإسلام بواسطتهم، إذ يدسون السم في العسل ويفسرون القرآن حسب مشتهياتهم ووفق رغباتهم، مما يضر بتفاهم الأمم والشعوب ورسل الأديان، كما مرت الإشارة إليه في التقديم.)

انتهى ما اخترناه من مقدمة السيد محمد حسن الطالقاني رحمه الله.

وساضع بعد ذلك الحوار بين السيد محسن الامين وبين زعيم القاديانية، ليعرف الاخ السني ما يثير العجب باختراق هذا المذهب الانجليزي للوجود السني.

وهنا ادعو جميع الاخوة الشيعة لأن يقيموا اتحادا مع السنة غير المتلوثين بالاستعمار والجريمة لكشف هذه المبادئ الهدامة، وتحويل الحوار السني الشيعي إلى حوار تفاهم وبيان الكذب والتدليس على الإسلام الحقيقي وكيف فعل السلاطين ما فعلوا لتدمير الكيان الإسلامي سواء كان بدافع شهوات الحاكم أو بالتخادم مع الغربيين.

لقد وعدت ان اضع المناظرة هنا بين السيد محسن الامين رحمه الله وبين زعيم القاديانية في وقته نجل القادياني نفسه من أجل أن يتوضّح للمسلم كيفية عرض هؤلاء لآراءهم وافكارهم وطريقة نقاشهم، وسأفعل الان هذا ولكن قد رأيت أن اكتب لها مقدمة عامة.

اكرر القول: أليس غريبا أن ينتشر مذهب بين اهل السنة يدّعي اصحابه انه اسلامي مع ان قائده يدّعي النبوة ثم يدّعي تلبس شخصيات متغايرة مثل كونه المهدي المنتظر وكونه المسيح وكونه المجدد للدين على رأس كل مائة.

فلا يحق لمسلم أن يؤمن بنبوة غير النبي محمد ص، ولا يحق لأحد ان يكذب ويدعي بأنه المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا ويعم حكمه الارض، ولا يصح أن يدعي المدعي مع كونه من امة محمد أنه المهدي من دون ان يكون من ذرية محمد من ولد فاطمة، وإذا كان هو المهدي فلا يصح أن يدعي بأنه المسيح للتغاير القطعي بين الشخصيتين، ولا يصح أن يكون المسيح ليس عيسى بن مريم وانما احمد القادياني الهندي. فهذه مختلفات لا يصح معها قبول أي قول مهما كان في لسان صاحبها من عسل يسرقه من الآخرين.

وللاسف هذا هو جوهر دعواه.

وتبريره بالحديث المكذوب بأن ليس المهدي الا المسيح وهو حديث باطل موضوع. أو أنه لا بد من وجود مجدد على رأس كل قرن مع انه لم يكن على رأس قرن لا هجري ولا ميلادي، وهو لم يجدد شيئا لا في الفقه ولا في الدين ولا في العلوم وانما خلط الاشياء وسرق اقوالا وافكارا شوّهها ودفعها بعكس اتجاهها. فأين التجديد؟

كل أدلته اما احاديث مكذوبة أو تفسيرات للقرآن مضحكة وخلاف اصول اللغة والتفسير. ولكنه يلبس على الناس دعاوى مثل أن اللغة كذلك أو المقصود الرباني هو ذلك، من دون دليل قطعي.

وهنا سأطرح سرقتين لهذا النبي المزعوم:

الأولى: هو العلم اللدني وصحته وعلاقته بالنبوة.

والثانية: هي عدم الرضا على تفسير المفسرين بمحتملات تضيّع النص القرآني وتبعده عن الفائدة اصلا.

هذان قولان يقول بهما المسلمون الاوائل وهما صحيحان على الاجمالي، وقد قال اهل البيت بأن العلم اللدني موجود لعباد الله، وهو منحة الهية يهبها لمن يشاء، كما ان علوم الغيب بمعنى قراءة الافكار وغير ذلك لا شك بوجودها سواء بالرياضة أو السحر وهذه لا تحتاج إلى علم لدني وانما هي ظاهرة كونية وشيطانية يمكن التعامل معها.

القادياني اكتشف المكتشفات الواضحات من القدم، حين قال بأن تحديث الملائكة والعلم اللدني لا يستلزم ادعاء الرسالة! فهذا من المسلمات في مذهب الشيعة وهم يحاربون اهل الضلال عليه منذ زمن رسول الله ص وقد أمن اصحاب رسول اللخلص بملكات علي وعلمه اللدني وهو ليس بنبي قطعا.

ولكن المشكلة في الاستدلال بهذه الحقيقة على كون القادياني نبي، وهذا من المضحكات، وفي الحقيقة ان جوابه بعدم استلزام ادعاء الإلهام والحديث مع الله بدعوى الرسالة هو جواب تخلصي حين رأى ان المسلمين اجمعوا على ردته فاخترع هذا الجواب الصحيح في حد ذاته، ولكن ما علاقة هذا الجواب بادعائه انه نبي يوحى اليه وانزل عليه كتاب مقدس، اختلق هو كتابا مقدسا؟

فهذا اول مظاهر الدجل.

لو كان ادعاءه للنبوة لا تعني انه النبي كما ادعى مؤخرا ان نبوته ظلية أي نبوة داخل نبوة الإسلام التي لم يسمع بها احد من الاولين والاخرين، فلماذا يجهد ويجاهد لاثبات عدم خاتمية النبي محمد واثبات نبوته هو نفسه؟

انه يصر ويؤكد عدم خاتمية النبي محمد ص ويأول كلمة الخاتمية بالزينة من الخاتم بمعنى المحبس الذي هو زينة في الاصبع.

أليس هذا الاصرار يدل على انه يريد من نبوته عدم توقف النبوة وأنه نبي حقيقي جديد، ولكن الظرف الأمني حين وقف حائلا دون نموه في المجتمع انقلب فبلع افكاره، وادعى أنه لا يقصد بالنبوة النبوة المستقلة وانما يقصد الظلية مع توفر كل خصائص النبوة والرسالة خصوصا التوصية بجمع اموال المؤمنين له من الله، وانه لا يقصد بالنبوة الرسالة وانما يقصد بها الإلهام وما شابه ذلك بينما هو قد اوجد احكاما وأمورا جديدة لا يعرفها السملمون وعلى اقل تقدير أهل السنة انفسهم، بينما هذا كله دجل وكذب وهو يريد انه نبي من الله وان عنده كتابا من الله وان النبي محمد لا يكون اخر الأنبياء وانما هناك انبياء بعده، وهو من هؤلاء الأنبياء فاتحا الطريق في الإسلام امام الدجالين ليكذبوا بما يشاءون من دعاوى النبوة والتفسير المنحرف.

فلماذا يسمي نفسه نبيا اذا كان هذا تفسيره للنبوة؟

فهو اذاً ولي من الاولياء كما يقبل هذا التعبير كل المسلمين تقريبا عدا من يدعي المادية منهم ومن لا يقبل الا الحس.

ولماذا يؤكد على عدم انتهاء النبوة؟ ويحرف معنى الخاتمية ويغفل ويتناسى تفسير الرسول نفسه للخاتمية بقوله: (لا نبي بعدي) بشكل متعمد مع أنه من صحاح الأحاديث؟

كلما يريد ان يرقّع فكرته يفتق فتقا جديدا لا يستطيع رتقه، لأن دعواه دجلية واضحة، وافكاره تقلّب لطيف من قِبَل ذكي يلعب بعقول البسطاء والجهلة.

والنقاش في موضوع نبوته وتقلباتها لا ينتهي لكثرة فروعها وكثرة عجائبها واكاذيبها.

والآن نأتي إلى سرقته الأخرى التي اعجب بها الجهلة من المسلمين من حملة الشهادات وغيرهم.

ادّعى أن كتب التفسير باطلة لأنها تضيّع معاني القرآن، ولا بد أن المراد واحد أو متقارب وليس المراد هو المتناقضات من المعاني للنص الواحد.

هذه الدعوى صحيحة وهي مذهب اهل البيت ع وهم القائلون بحرمة التفسير بالرأي، ولهذا فان الشيعة لا يعترفون بالتفاسير حتى التي يكتبونها، وانما يحيلون التفسير إلى قائليها ولا يعتبرونه تفسيرا حقيقيا وانما هو استظهار من اللفظ أو دعوى صاحب التفسير مثل ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير ذلك عدا ما يثبت من المعصوم كالنبي نفسه أو المعصومين من ذريته. والباقي انما هي احتمالات منسوبة لقائليها لا يمكن تسميتها بالتفسير الحقيقي وانما قد تسمى التفسير بالرأي وهي من المحرمات عند الشيعة أو أنه تفسير الفاظ وفق معطيات اللغة، وهذا هو تفسير ما لا يفهمه اغلب الناس من سلوك كتب

التفسير الشيعية، فإنها تكون في العادة كما لو كانت تفاسير سنية تروي عن عكرمة ومجاهد وقتادة والحسن البصري وغيرهم وذلك لأنه من التفسير بالرأي المحرّم بنصوص أهل البيت ع، وعلى المفسر الشيعي ان ينسب القول إلى اصحابه أو قائلية ولو كانوا مجهولوين كما في قولهم (وقيل) وغيره للتخلص من المسؤولية الشرعية لأن التفسير بالرأي محرم عندهم، المهم عند المفسر الشيعي هو نفي ما يراه من باطل ظاهر أو اثبات ما لم يثبتوه من كلام المعصوم. وهذا الامر لا يعرفه حتى بعض المثقفين الشيعة في الغالب وهو تفسير هذه الظاهرة.

ولعدم الاسترسال في البحث التخصصي نرجع إلى تصرف القادياني فأن كل ما قام به هو اختيار التفاسير المقبولة خصوصا ما كان من اختيار الشيعة والمعتزلة مع رفض المحتملات الأخرى، وادعى انها هي مقصود الله بالذات، وفي الغالب انه اختار المعاني التي اختارها الشيعة والمنزّهة من

المسلمين، وكانت الوجه المشرق لتفسيره المزعوم، ولكن بقية التفسير ما هو الا لعب بالالفاظ، وتفسير مضحك بشكل عجيب غريب، كما سمعت بنفسي امامهم الحالي يفسّر معنى (مرج البحرين) بان المقصود به قناة بنما وقناة السويس وهذا عنده من المعاجز وادعى ان هذه المعجزة وقعت في زمن القادياني فهي اشارة إلى نبوته، وحين سؤل عن قوله تعالى المتمم (هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج) و قيل له: هناك تأكيد على معنى البحرين بمعنى الماء العذب والملح الاجاج بقوله (ما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) قال: هذه ليس لها علاقة بالاولى والمقصود أن ملوحة البحر الاحمر غير ملوحة البحر الأبيض المتوسط ولكن طعم سمكهمها واحد لا يتغيّر وهذا من المعاجز الدالة على عظمة القرآن وعلى نبوة القادياني لأنه انتبه لهذه الحقيقة الكبرى (صلوا على محمد وآل محمد لهذا العلم العجيب).

فبكل سهولة فكك النص وادعى دعاوى لا علاقة لها بالتفسير وادعى انه تفسير الله لكلامه. وهذا عين الفسق بل الكفر حيث انه تقوّل متعمد على الله.

على ان تفسيره اقرب إلى الطرافة والمهزلة منه إلى التفسير، رغم الوقار الذي يتسم به النبي أو خليفة النبي بسلوكه وحديثه. فيمكن لكل من يريد ان يتفكّه ان يراجع تفسيراتهم القريبة من هذا، فقد كنت مرة اسمع تفسيرات نبيهم الحاضر فكان جل وقتي هو الضحك على المفارقة بين الخرط وبين الوقار المصطنع.

فمن كان بهذا المستوى من الدجل كيف يُقبل في المجتمع المسلم وينمو بشكل كبير بين أهل السنة وبين مثقفيهم واساتذتهم والدفاع عنه بشكل مستميت؟

ان من يرى دفاع المستجدين بالايمان به وكأنهم كانوا في زمنه والذابين بين يديه، خصوصا الدفاع عن اكاذيب القادياني حين كان يدّعي المباهلة مع النصارى وحين ادعى مرة ان القس النصراني سوف يموت خلال السنة ولم يمت في تلك السنة، فقال ان الله اخبره بان النصراني تاب في قلبه ولا يستطيع الافصاح عن توبته امام الناس فلهذا اخر الله موته، وبعد سنة أو سنتين مات القس فقال القادياني ان موته بسبب مباهلته، ونسي أنه تاب ومن تاب تاب الله عليه، فقد حضرت برنامجاً بحدود الساعة لتحليل هذه المعجزة وتبيان سبب المشكلة التي وقعت في تأخير موت القس النصراني بعلوم إلهية عجيبة وعلم مباشر من الله بما جرى، وكلها تبريرات لأكاذيب، وكلها جمل وكلمات متناقضة، لا يمكن ان تصدر من عاقل فكيف وهؤلاء من المثقفين المعروفين باصولهم السنية؟ واغلبهم من الاحزاب الحركية الإسلامية

وبعضهم كان مرتدا اصلا من التسنن إلى الوهابية فانقلب تنويره الوهابي إلى تنوير قادياني والعياذ بالله من العاقبتين.

بعضهم يبرر ذلك بقوة المال، وهذا يصح في الوهابية الملطخين بالسحت، ولا اعتقده يصح بشكل تام في القاديانية في العالم العربي. فالوهابية يستمليون كل فاقد دين ومنغمس بالشهوات إلى الوهابية من أي مبدأ أو دين كان بالمال بعد الحثور على البترول سواء كان المائل سنيا أو شيعيا أو مسيحيا وقد رأيت بعيني نماذج منهم من الساقطين اخلاقيا الذين تحوّلوا بقوة الريال والدولار إلى وهابية متعصبين لا يعرفون شيئا عن اصولهم بل هم وهابيون من الاساس لأنهم منغمسون بالفسق والفجور ولم يذوقوا حلاوة الإسلام قط. وبعض النساء يستميلونهن بقوة الحركة الجسدية وقد حدث امامي ورأيت من المشاكل ما لا يمكن الافصحاح عنها. ولكن لا اعتقد ان هذه هي نفسها الطريقة للقاديانية في العالم العربي وان كانوا متهمين بها في اوربا وفي الهند.

لأن اموال القادياني من الدول الغربية وهي محدودة إلى حد ما وليس من السؤقات لبترول المسلمين الذي يؤخذ بغير حساب ولا كتاب.

وعلى كل حال فمن بنى سلوكه على الدجل لا يبعد منه شيء كهذا لو كانت مصلحته به، ولكن الغرابة في الدفاع المستميت من قبل مثقفين سنّة عن دجل وكذب لا يحتاج إلى عقل عبقري ليتمكن من ادراك هذه الأكاذيب والسرقات والافكار الدجلية.

والكلام عن عجائب وتفسيرات وعقائد القاديانية لا ينتهي لكثرة الكتب والكلام الذي يخلطون فيه الحابل بالنابل.

وقبل أن اورد المناظرة وجدت قصيدة لطيفة وطريفة وساخرة للمرحوم مصطفى صادق الرافعي تحت عنوان (مسيح الهند) منقولة عن مجلة المنار – المجلد السادس من الصفحة ٦٠٧:

عثرت في سيرها الأيام *** أم هو الدهر هكذا والأنام

أهله بين ذي هدى وضلال *** ولياليه ذو سنا وظلام

وأرانا بمدة العمر نشقى *** وعدو المسومات اللجام

ليس كل الذين تبصر ناسا *** إن بعضا من الطيور الحمام

ولكل الوري رؤوس فإن لم *** يكن العقل كانت الأوهام

إيه (يا هند) عن مسيحك ما *** زالت وزالت ببيتك الأصنام

كان في جسمك الوباء فقد دب *** إلى العقل بعد ذاك السقام

ضلة للفتى ومن تبعوه *** أشرق الصبح والقبور نيام

مسحته الجنان أم مسخته *** وتولاه جلجل أم عزام*

* جلجل وعزام اسمان من أسماء الشياطين

وأتته الأقوام تترى ولا غر * * * و على الجرح للذباب ازدحام

وإذا كان في الرؤوس ضلال * * * وقفت عند قصدها الأقدام

نسخ السيف ذلة ورياء * * * وجدير بناسخيه الحسام

أيهذا المسيح إن الليالي * * * في نبيها من الزمان سهام

وأرى الدهر كالوغى وقديما * * * كان بين الأنام هذا الخصام

فارفع الأرض فوق قرنيك وأمر * * * يملأ الأرض بعد ذاك السلام

أو فعد للسماء إن الشياطين * * * عليهم باب السماء حرام

وتحد الوري بسخفك أو * * * سجعك إن الكرى له أحلام

المناظرة مع أتباع المسيح المهدي

نص المناظرة التي جرت بدمشق بين غلام أحمد قادياني الهندي والعلامة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي رحمه الله، وقد نَشَرَتْ هذه المناظرة مكتبة الرشاد بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م:

بسم الله الرحمن الرحيم

(المهدي المسيح القادياني)

قد كان ظهر في بلدة قاديان من بلاد الهند رجل يسمى غلام أحمد قادياني ادعى أنه المسيح، ثم مات، وبهذه الأيام جاء إلى دمشق نحو من اثني عشر رجلا من الهنود بينهم رجل يسمى (بشير الدين بن غلام أحمد) المذكور يدّعي أنه خليفة أبيه الذي هو المهدي والمسيح معا، فزرناهم في فندق سنترال يوم الجمعة سابع المحرم سنة ١٣٤٣ واجتمعنا بثلاثة منهم هم المشار إليهم، بينهم أحدهم خليفة المهدي والمسيح، والآخر يقولون إنه كان مجوسيا وأسلم، وهما يلبسان عمامتين كبيرتين بيضاوين، والثالث مكفوف يرى

بإحدى عينيه قليلا يسمى روشن علي حافظ يلبس عمامة زرقاء، وهو معلم مدرسة الارشاد عندهم ويحفظ القرآن أو أكثره عن ظهر القلب، وكان الخليفة يسأله عن الآية التي تغيب عن حفظه فيجيبه،

فاجتمعنا أولا بالذي قالوا إنه كان مجوسيا وأسلم، وفي أثناء ذلك خرج وقال: قد دعيت وهذا يقوم مقامي وأشار إلى الأعمى.

وأخيرا اجتمعنا بالخليفة وهم يتكلمون بالعربية الفصحي بكل هدوء وسكون على نسق واحد لا يتغير، ولكنهم يطيلون المقدمات، وإذا ظهرت عليهم الغلبة انتقلوا إلى مطلب آخر، فلما حضرنا.

قال أحدهم: ماذا سمعتم عنا؟

قلت: سمعنا أنكم تدعون إلى شئ جديد، فجئنا لنظر إن كان حقا اتبعناكم عليه.

فقال: لسنا ندعو إلى شئ جديد إنما ندعو إلى دين الإسلام والعمل بالكتاب والسنة، والإيمان بأن ميرزا أحمد قادياني هو المسيح والمهدي الموعود به في آخر الزمان، والمشار إليه بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) " إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " فالمجدد مرة يكون نبيا كمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومرة يكون عالما، ومرة يكون مهديا ومسيحا كأحمد، وتفرقت كلمة المسلمين بعثه الله لإصلاح ذلك، وهو يوحي إليه كما يوحى إلى الأنبياء.

أما خليفته الحالي فكنا سمعنا ممن معهم في الفندق أنهم يقولون يوحي إليه أيضا، فلما سألناهم أنكروا ذلك.

وقالوا: لا يوحي إليه وإنما الوحي إلى أحمد قادياني الذي هو المهدي والمسيح، وأن تفسير القرآن والحديث هو كما يفسره مهديهم ومسيحهم لا كما يفسره الناس، وأن عيسى قد مات ولم يرفع إلى السماء، وإلا لصحت

حجة النصارى بأن عيسى أفضل من محمد، لأن عيسى رفع ولم يمت ومحمد مات ولم يرفع.

(فقلنا) له: الفضيلة لا تنحصر في هذا، مع أن مجرد طول العمر ليس فضيلة وأن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) عرج به إلى السماء.

فأنكر الخليفة أن يكون أسري به إلى السماء.

وقال: إن القرآن لا يدل إلا على الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

فقلنا له: قد ثبت ذلك بالسنة.

(وقال) الخليفة: إن إحياء الموتى في الدنيا لم يقع أصلا لنبي ولا لغيره، واحتج لذلك ببعض الآيات كقوله تعالى: (قال رب ارجعوني – إلى قوله –

كلا) [المؤمنون / ٩٩] وغيرها وأن مثل (أو من كان ميتا فأحييناه) [الأنعام / ١٢٢]. وغيره يراد فيه من الموت الجهالة ومن الإحياء الهداية.

فقلنا له: يجب حمل اللفظ على حقيقته، ولا يجوز العدول إلى المجاز بدون قرينة، فلم يقدر على إثبات القرينة.

قال: وكذلك ما ورد في القرآن في حق عيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص يراد به ذلك، وإلا كان عبادة لعيسى كما قال تعالى: (ما نعبدهم إلا ليقربونا) [الزمر / ٣] قال: ذلك خليفة المهدي.

فبيّنا له الفرق بأنا لا نقول أن عيسى هو أحيى الموتى بل الله أحياها كرامة له، وأين هذا من السجود للأصنام لتقربهم إلى الله.

واحتج الخليفة لذلك بقول عمر عند موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن محمدا لم يمت وأنه رفع إلى السماء وسينزل ويقتل المنافقين، وقول أبي

بكر: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، فبيّن أن ادعاء رفعه إلى السماء عبادة له، وإلا فما كان عمر يعبد محمدا، ولذلك قال له أبو بكر ما قال (فانظر واعجب).

فبيّنا له خطأه في ذلك، وأن المراد من كان يعبد محمدا على سبيل الفرض والتقدير

(وقال): إن قوله تعالى: (أو كالذي مر على قرية) [البقرة / ٢٥٩] الآية لا يراد بالإحياء فيها الإحياء الحقيقي.وأنكر أن يكون عزير مات ثم أحيي.

وقال: إن كل إحياء في القرآن يراد به الهداية بعد الضلال.

فاعترضه بعض الحاضرين بقول إبراهيم (عليه السلام) (رب أرني كيف تحيي الموتى) [البقرة / ٢٦٠]

فقال: وكذلك هنا المراد الهداية.

(فقلت) له: وهل كان إبراهيم مبعوثا لهداية الطيور؟؟ فلم يحر جوابا.

(وقال) الخليفة: إن محمدا لم يكن خاتم الأنبياء بمعنى آخرهم بل بمعنى زينتهم من الختم بمعنى الطبع، واحتج لذلك بحديث نقله عن بعض الكتب، أن عائشة قالت: قولوا: خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده، وفرق بين خاتم بفتح التاء وخاتم بكسرها.

فاعترضنا عليه بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " [تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ١١]

فقال: معناه لا نبي في حياتي كما كان هارون نبيا في حياة موسى، وهذا حتى لا يتوهم الشيعة أن عليا نبي بعد محمد.

فقلنا: لا يصح استعمال بعدي بمعنى في حياتي في لغة العرب، فلم يكن عنده جواب مرضي.

وسألناهم: عن دليلهم على ما يدعونه من أن أحمد قادياني هو المهدي المسيح.

فاستدلوا بأشياء:

(منها) أنه كان من أول عمره صادقا لم يكذب، فحينما ادعى ما ادعى وجب تصديقه، كما أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لما بعث قال: لقريش: " أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم وممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ". [مجمع البيان، ج ٧ – ٨ / ٣٢٣ (سورة الشعراء، الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين))]

فقلنا له: (أولا) من أين لنا العلم بأن مهديكم كان صادقا في أول عمره؟

قال: نحن نخبركم بذلك ألا يكفي هذا لكم ونحن عدد كثير؟

فضحك الحاضرون.

(وقلنا): لا يجوز في قانون القضاء أن يكون الخصم شاهدا.

(وثانيا) هذا على فرض صحته لا يفيد إلا الظن، وكم قد رأينا من يكون في أول أمره صالحا فيفسد في آخره أو بالعكس.

(ومما استدلوا به) أنه قد ظهرت المعجزة على يده، فإنه كان لا يعرف العربية فدعا الله تعالى فعلمه إياها في ليلة واحدة، فصار يتكلم بالعربية الفصحي، فكان حال هذه الحجة حال ما تقدم.

وقال أحدهم: بما تستدلون على نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقلت له: بالمعجزات.

فقال: وهل رأيتموها؟

قلت: نعم.

قال: ما هي؟

قلت: القرآن.

قال: والمهدي قد جاء بكلام معجز من إنشائه (فيكون أقدر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن القرآن المعجز من كلام الله تعالى لا من كلامه).

قلت: أسمعنا شيئا منه لننظر هل هو معجز.

فتلا علينا من حفظه ما يلي:

(من الفتن العظمى والآفات الكبرى، صول القسوس بقسي الهمز واللمز كالعسوس، وكل ما صنعوا لجرح ديننا من النبال والقياس بنوه على المكائد كالصائد لا على العقل والقياس، نبذوا الحق ظهريا وما كتبوا في ما دونوا إلا أمرا فريا، وقد اجتمعت هممهم على إعدام الإسلام، واتفقت آراؤهم لمحو

آثار سيدنا خير الأنام، ويدعون الناس إلى اللظى والدرك ناصبين شرك الشر، فما نالوا جهدا إلا بذلوه، وما وجدوا كيدا إلا استعملوه، واستحرت حربهم، وكثر طعنهم وضربهم، وجالت خيولهم وسالت سيولهم، حتى جمعوا عساكر الالحاد ورفعوا رايات الفساد، وصبت على المسلمين مصائب، وخربت تلك الربوع وأهديت لسقياها الدموع، فحاصل الكلام أن الإسلام ملء من الآلام وأحاطت به دائرة الظلام، ورأى الزمان عجائب في نقض أسواره، وأسالت (هكذا بتاء التأنيث) الدهر سيولا لتعفيه آثاره، وأكمل القدر أمره لاطفاء أنواره، ولما كان هذا من مشيئة ربانية مبنيا على المصالح الخفية، فما تطرق فما تطرق إلى عزم العدى خلل، ولا إلى أيديهم شلل، ولا إلى ألسنتهم فلل، فكان من نتائجه أن الملة ضعفت، والشريعة اضمحلت، وكثر اللغو وذهب المعارف (وههنا أراد الكتاب تصحيحها وذهبت بالتاء فقال لهم ليس فيها تاء) حتى أنكرها العارف بأخت أضوائها، وناءت أنواؤها وديس الملة (وهنا

أيضا أرادوا تصحيحها وديست بالتاء فأبى عليهم) وطالت لأواؤها، فكان هذا جزاء قلوب مقفلة وآثام صدور مغلقة، ترى أكثر المسلمين فقدوا تقواهم، وأغضبوا مولاهم، وملك فؤادهم حب الأملاك والعقار والنسوان).

وتلى علينا من الوحي الموحى إلى المهدي المسيح ما يلي:

(إني أنا الرحمن ناصر حزبه * ومن كان من حزبي فيعلو وينصر كل بركة من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتبارك من علم وتعلم، يأتيك من كل فج عميق ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء، وحان أن تعان وتعرف بين الناس.)

وقال: قد أنزل عليه أيضا وحي بالفارسية والهندية (لسان أردو) وأرونا مجموعة مطبوعة فيها أشعار أوحيت إليه بالفارسية.

وكان معنا أصحاب الجرائد وكلهم أخرجوا أقلامهم وجعلوا يكتبون الكلام المعجز والوحي المنزل.

فقلت له: إن هذا الكلام ركيك ولا يبلغ حد الفصاحة والبلاغة فضلا عن الاعجاز.

فقال: قد قالت قريش في حق القرآن لو نشاء لقلنا مثل هذا.

قلت: نحن عرب قد أتقنا العلوم العربية ومارسنا كلام فصحاء العرب، ونرى هذا الكلام ساقطا، وهؤلاء محررو الجرائد قادرون على أن يكتبوا أعلى منه بطبقات، فنحن الآن ننشئ لك ما هو أحسن منه وقريش وإن قالت ذلك فإنها عجزت عن المعارضة وأرادت أن تعارض (في القصاص حياة) فقالت: القتل أنفى للقتل فكان بينهما تفاوت كثير.

فقال: ومن ذكر هذا.

قلت: ذكره علماء المسلمين ومنهم صاحب المطول.

ومن أدلتهم على أنه المهدي المسيح قوله تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) [الحاقة / ٤٤] الآية دلت على أن من يتقول على الله يهلكه الله ولا يتم له مراده، وهذا لم يحصل له ذلك.

فقلت لهم: المذاهب الباطلة في الدنيا كثيرة وكلها تقول على الله، وقد دامت ولم يهلك أصحابها.

قالوا: هذا خاص بمدعي النبوة.

فقلت: لا تخصيص بل يعم كل متقوّل.

(ومما استدلوا به) ما قالوا أنه رواه ابن ماجة (لا مهدي إلا عيسى) فيدل على أن عيسى والمهدي واحد وهو أحمد القادياني.

فقلت لهم: إن صحت الرواية دلت على عدم وجود المهدي، لا على اتحاده مع عيسى، ولا أنه أحمد القادياني.

وقلنا لهم: إن المهدي إذا ظهر يملأ الأرض قسطا وعدلا وأنتم تقولون أنه ظهر مهديكم على رأس مائة سنة لإصلاح الإسلام، ونحن نرى أنه من يوم ظهوره للآن قد تأخر الإسلام ولم يتقدم، وكثر ترك العمل بأحكامه ولم يقل.

قالوا: قد اهتدينا نحن بالمهدي وصلحت حالنا.

قلنا: فهل المهدي المسيح مبعوث إليكم خاصة، أو أنتم عبارة عن المسلمين، أو عن العالم كله؟ وسألهم بعض الحاضرين إن من يتبعكم ما يجب أن يصنع.

فتلوا علينا (صورة البيعة التي يأخذونها على من يتبعهم). وهي الإقرار بالشهادتين والتوبة من كل ما سلف منه، وأن يفدي نفسه وماله في سبيل

الإسلام، وأن يصدق بكل ما جاء به المسيح المهدي، ومعهم كتب من تأليف المسيح المهدي الذي قالوا أنه ألف ثمانين كتابا عرّب منها أحد عشر والباقي أردو (لسان الهند).

وقلنا لهم: إن عيسى بن مريم اسمه عيسى وأمه مريم وليس له أب، وهذا اسمه أحمد وأبوه فلان وأمه فلانة من أهل قاديان.

قالوا: إن عيسى ابن مريم قد مات وهذا على قدم عيسى، كأنهم يعنون أنه قائم مقام عيسى وبمنزلته، أو أن روح عيسى حلت فيه.؟؟

ومما قاله الخليفة احتجاجا على أن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم النبيين وليس آخرهم قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) [الأحزاب / ٤٠] وقال في مقام آخر (إن شانئك هو الأبتر) [الكوثر / ٣] والأبتر الذي ليس له عقب، فهذه دلت على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بأبتر أي أن له أولادا، وتلك

دلت على أنه ليس بأب لأحد ولكن خاتم النبيين، فيكون المراد أنه ليس بأب لأحد بالولادة ولكنه خاتم النبيين الذين يأتون بعده فهو بمنزلة الأب لهم.

فقلنا له: هذه الآية نزلت في واقعة خاصة بالنسبة إلى زيد بن حارثة الذي كانوا يقولون إنه ابن محمد.

فقال: أنتم لا تفهمون كلامي ثم تردون علي.

فقلنا له: قد فهمنا كلامك، ولكن أنت حينما ترى أنه لا جواب لك تراوغ.

والذي ظهر لنا أنهم يضارعون البابية في تسويلاتهم.

فالبابية يقولون بظهور المهدي وبظهور صاحب الزمان نظير قول هؤلاء بظهور المهدي المسيح.

والبابية يتشبثون ببعض الأخبار والآيات التي يؤولونها وهؤلاء كذلك، سوى أن البابية يجاهرون بتغيير الشرع السابق محتجين بحديث أن المهدي إذا ظهر جاء بشرع جديد، وهؤلاء يقولون نحن على دين الإسلام وعلى الكتاب والسنة سوى أنه يجب أخذ التفسير من المهدي، فيغيرون الشرع بهذه الحيلة مستترين بقولهم: أولا إنا لم نأت بدين جديد وإنما نتبع شريعة الإسلام، والبابية يهولون على الناس بأنه اتبعهم خلق كثير وملايين من أمريكا. وهؤلاء قالوا: إنه اتبعنا مليونان في أمريكا وغيرها وكل ذلك تهويل.

نسأله تعالى العصمة من تسويلات الشيطان ومن اتباع الأهواء المضلة وهو ولي التوفيق.)

انتهى نص ما ذكر من المناظرة. وفيها صورة واضحة لهذا الدين الحنقبازي البهلواني.

والحمد لله رب العالمين.

النظرة العوراء

القومية والشعوبية وجهان لعملة واحدة

أراد أن يفحمني – حين أشرت إلى خطأ الفكر القومي — فقال لي: يظهر إن الفكر الشعوبي أصبح مسيطرا على الساحة العربية.

فقلت له: مع اعتزازي بعروبتي، إلا إنني انبذ كل فكر عنصري، مهما كانت تسميته قوميًا أو شعوبيًا.

كل الدارسين يعلمون أن القيادات العسكرية منذ دولة سومر حينما كانت تريد تجنيد الناس، تنادي بالعنصرية بشتى أنواعها أو بالإقليمية من أجل خداع البسطاء للانخراط في سلك الجندية لخدمة الزعماء وتنفيذ حروبهم الشهوانية.

فالفكر العنصري بأي تسمياته لم يكن حديثا، وانما هو قديم بقديم تنظيم المجتمع على أساس سرقة الحكم من الشرعية، وهو خدعة كبيرة للبسطاء من أجل شحذ هممهم وترويج روح القتال في المجتمع بناء على الكرامة القومية أو الإقليمية.

وفي الإسلام بدأ الفكر القومي قبل وفاة الرسول حين تعصب بعض الصحابة لكرامة أبي سفيان لكونه زعيم قريش التي هي زعيمة العرب. وقد نهى رسول الله عن ذلك، وبين انه إثم، إذا لم يعتذر المتحرك بهذا الاتجاه. ولكن هذا الاتجاه لم يكن سياسة قومية بالكامل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في زمن بني أمية. حيث بدأت فكرة تفوق العنصر العربي في إدارة الدولة وإقصاء كل المسلمين الآخرين إلا من يزور نسبه بالولاء للقومية العربية، بل اخترع بنو أمية بعد ذلك الصراع العربي الأضيق بين العدنانيين والقحطانيين.

ثم دار الزمان فجاء العباسيون بمبادئهم الهلامية، فأداروا صراعات قومية متعددة ونشروا الكراهية بين المسلمين من مختلف القوميات، حتى صدرت لامية العرب ولامية العجم، إنها طريقة عجيبة في نشر الكراهية على أسس عنصرية.

وهنا قال الأعاجم العنصريون عن العرب العنصريين أنهم قوميون عروبيون، وقال العرب العنصريون عن الأعاجم العنصريين أنهم شعوبيون. ويقصدون أنهم قوميات أعجمية مختلفة القوميات.

فالمشكلة التي يدعيها البعثيون والقوميون العرب الجدد بان من لا يؤمن بهم فهو شعوبي، إنما هذه خدعة وكأنهم مقياس الحقيقة، فالكل يحمل أفكارا عنصرية، إذا كان يرى شرار قومه أفضل من خيار الآخرين، وإذا كان يميز الناس على أساس القومية وليس على أساس الكفاءة والتحضر وسلامة الحكمة وغير ذلك.

ان الفكر القومي الذي أقام الشوفينيون والنازيون دولهم عليه، هو نفسه القومية العربية أو الشعوبية الأعجمية لا فرق إلا أن يقول قائل بأن القومية معناها الاعتزاز بالقوم.

وهذا القول ليس هو القومية، فكل البشر إذن قوميون لأنهم يحبون أقوامهم ينتمون إليهم. فلا حجة لقومي في المطالبة بالقومية لأنه سيكون تحصيل حاصل.

المقصود هو إقامة نوع من العنصرية البغيضة المليئة بالكراهية للآخرين والاعتقاد بالتميز العنصري..

اليوم في هذا العالم الواسع الإطراف والمتقارب الحدود، من خلال التقدم التقني في التواصل والانتقال. ينبغي ان نستمتع بخصائص الشعوب المختلفة ونتائج تجاربهم وأفكارهم في تنظيم حياتهم.

ان اختلاف الشعوب في الخبرات والتجارب في الحياة نعمة كبرى على البشرية، وعلينا أن نستغل هذا الاختلاف احسن استغلال. فنحن نرى بأم أعيننا بان جميع المدن ذات الطابع العالمي المتنوع، تمتاز بالرقي وكثرة فرص العمل. وانك ترى المدن المتنوعة في عالمنا العربي هي أفضل بكثير من المدن التي ذات الطيف الواحد. فهذه القاهرة وبغداد والنجف الأشرف وكربلاء لمقدسة وبيروت ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة وطهران واسطنبول أفضل من غيرها ثقافة وقدرة على الإبداع بسب تنوعها العرقي، وانتقال أسر من مختلف بقاع الأرض والقوميات لتعمل وتندمج في المجتمعات المدنية الراقية.

فان اعتماد الفكر القومي يشل مجتمعاتنا التي تمنحنا التنوع الثقافي وأصول الجنس البشري المختلط بالمصاهرات. حتى أن أشكال العرب في المدن المتنوعة أصبحت هجينة وجميلة بما يؤسس لسعادة أسرية مبنية على حسن الشكل

البشري، فلو نظرت في أشكال أبناء المدن التي ذكرناها ستراها مختلفة تماما عن محيطها العام..

ان الطعام والملبس والصناعات والحرف منقولة من مختلف الحضارات البعيدة والقريبة، في العصور التي يصعب فيها التنقل. فعلينا أن نكون أذكياء، ومجردين من روح الكراهية والعنصرية لنكون أكثر قدرة على التقدم. خصوصا وقد أصبحت الشعوب متقاربة حتى قيل ان العالم أصبح قرية واحدة،

فلا مجال للقومية في قرية واحدة.

هل يوافقني القوميون العرب فيما أقول؟

على أنهم ليسوا بعرب أكثر مني، لا نسبا، ولا حسبا، ولا انتماءً.

(ملاحظة اغلب دعاة القومية العربية في العالم العربي أعاجم واغلبهم من القومية التركية والفارسية)

قبل كل شيء نبدأ هنا بقضية حساسة وهي رفض العنصرية والتمييز.

فهذا أمر مرجوح عقلا وشرعا.

ويبقى هناك عدة قواعد نذكر بعضها:

١- لا يجوز التنازل عن الثوابت الحقيقية (وليست المفتعلة)، فما يسمى بالانصهار الحضاري أو الوطني أو الثقافي ليس له محل في أي فكر يحترم نفسه ويحترم حدود الاخرين.

٢- كل مسلم عليه ان يفرق بين التمايز الإسلامي الذي عليه مدار الإخوة الحقيقية وهو التقوى، بين التمايز على أساس احترام العلماء والمتقدمين في

الإصلاح والصلاح العام، وهذا يقدره المسلم باعتبار تقدير المعاني الثانوية المقدرة شرعا وعقلا كتقدير العلم والإصلاح في المجتمعات.

٣- فقه أهل البيت يمتلك المرونة التي تجعل المكلف يتعايش مع عالمه مهما خالفه ذلك العالم في الاتجاه والهدف، بل حتى لو كان ظالما له. فعلى المسلم ان يطلع جيدا على فقه أهل البيت ليتمتع بهذه المرونة.

٤- حين فقد الدولة الإسلامية يتمسك الفقيه بالمجتمع الإسلامي، وحين فقد المجتمع الإسلامي الحقيقي ويبقى المجتمع الصوري، فالامر له معالجة واسعة، ولكن لو فرضنا انتفاء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية معا، كما يرى بعض التكفيريين، فيكون العالم كله على حد سواء من جواز العيش فيه واحترام جميع مكوناته، ولهذا فان إشكالنا على حزب التحرير وغيره ممن يقول بانتفاء الإسلام دولة ومجتمعا، فإنهم يقولون نحن في عصر جاهلي يجب ان نحارب، بينما الفقه الإسلامي للسنة والشيعة يرى انه في هذه

الحالة يجب مسالمة الجميع ويجب الاشتراك في جميع الحكومات عملا وتفاعلا لحفظ حقوق المسلمين بدل أن يطغى عليهم الطغاة، فأين هذا الحكم المجمع عليه من تلك الأفكار الرديئة التي يتبناها تكفيريون ينفون عن نفسهم تهمة التكفير؟ وعنصريون ينفون العنصرية عن انفسهم كذبا وزورا؟؟

٥- علينا ان نفرق بين (حب الوطن من الإيمان) وبين اعتبار الإقليم مبدأ تمييز، فكم نرى القوميين ينفعلون لخدش اسم وطني عندهم كما يهيج الفرس من تسمية الخليج العربي ويهيج العرب من اسم خليج فارس الذي هو اصل تسميته، فتثور الثورات وتهيج المجتمعات لكلمة هنا وكلمة هناك بحجة الانتماء للوطن والوطنية، بينما يقتضي حب الوطن تجميله وتطويره وتقديمه أحسن تقديم من كل فرد مواطن. بدل هذه الترهات.

٦- علينا ان نفرق بين الانتماء للقوم وحب المجموعة البشرية التي ننتمي اليها، وبين الدعوة إلى كراهية الآخرين بحجة القومية، وقد اختصر علينا

الإمام سلام الله عليه القول بقوله: (ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم). وفي نص آخر مشابه ولكنه في اتجاه اخر قوله عليه السلام " ليس من العصبية أن تحب قومك ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيرا من خيار غيرهم "، وهذا فارق أساسي ومهم جدا.

٧- اساس الحضارة الإسلامية أخلاقي حقوقي، وأساس الحضارات الأخرى مختلف بين نظرية القوة وبين نظرية السلطة. ولهذا فان الحضارة الإسلامية لم تر النور الا في فترات قصيرة جدا، تعتبر لمحات خاطفة. فلا تعتبر تجربة الدولة الإسلامية السلطوية تمثل الحضارة الإسلامية الحقيقية، فهي في الغالب سلطوية ولكن في فترات معينة كانت تعتني بالقوة مثل فترة المأمون حيث طوّر العلوم وفترة الناصر لدين الله وفي فترته بداية الارتقاء بالعلوم الطبيعية، والفترة الالخانية التي زخرت بالعلوم الطبيعية والرياضية لخدمة

الحضارة وهي قوة كبرى وهناك فترات قصيرة اخرى لا تذكر، فهي فترات قوة واستجماع مصادر للحضارة، لكنها لا تمثل الحضارة الإسلامية المبنية على الاخلاق وعلى رأسها حفظ الحقوق. ومن وجهة نظرنا فان فترات البناء الحضاري هي فترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبناء الحضارة الاخلاقية الحقوقية، وفترة علي عليه السلام الذي علّم المسلمين فقه إدارة الخلاف وفترة الامام الحسن الذي علمهم الخيارات الفقهية الحقيقية حين يضعف المجتمع عن التمسك بمبادئ الاخلاق وحفظ الحقوق، وحين يكون المجتمع سمّاع لكل شبهة أو فتنة ولا يميز بين الحقيقة والخطأ.

وهناك الكثير من المقدمات العلمية والقواعد الأساسية التي تحيط بقرار المسلم الحقيقي، فلهذا حين نقول بأننا نرفض العنصرية والعصبية الجاهلية، لا يعني اننا نتبنى خطأً آخر. وإنما علينا ان نتأمل في كل حدث وقول وشخصية وننسبها للحق والصواب، فان وافقتهما فهي حق، وان خالفتهما

فهي مخالفة، ولا ينبغي الالتفاف حولها، حتى لو كانت الفكرة أو الشخصية براقة المظهر أو تستخدم ما يرغبه الناس ويثقون به، مثل الدين والتقوى والعلم وغير ذلك، فهذا لا قيمة له اذا ثبت عند العاقل وجود مخالفة قطعية للصواب.

وهنا نركز على خطأ الدعوات للالتفاف على اساس قومي من أجل دفع النفوس نحو التوحد ضد العدو الوهمي الذي قد يكون مظلوما وليس عدوا اصلا.

إن من يقرأ قصة توجه جنكيز خان إلى بلاد المسلمين يرى العجب من سوء التقدير عند القوميين والظلمة المسلمين، فقد كان جنكيز خان يكره الصين ويُعد الحروب لها، وفي نفس الوقت يحب المسلمين ويعتبرهم القدوة في التقدم والقوة (بشهادة ابن ابي الحديد المعاصر للحدث)، ولهذا وجه قوافله للمتاجرة الكبرى مع المسلمين ولكن حماقة حكام المسلمين دفعتهم لقتل

التجار والغدر بهم وسرقة أموالهم في قلب السوق الإسلامي بقوة الجند، وبعث الحاكم المسلم اثنين من تجار المغول رسلا لتبليغ الاهانة لجنكيز خان الذي كان محبا للمسلمين ولم يكن عدوا لهم، وكان يخاف منهم ويهابهم، فكشفت الحادثة خسة افعال المسلمين على ضعفهم وعدم انضباطهم وسهولة اختراقهم لأنهم لا يلتزمون بدين ولا خلق ولا حقوق للآخرين. فقام جنكيزخان باصطناع حرب سريعة اختبارية لقوة الحضارة، فتبين له أنها دولة نخرة ومنهارة وهشة جدا، فغيّر مساره من بلاد الصين إلى اخذ بلاد الثراء والتجارة والسلطة الغاشمة.

فكما ترى فان التحركات القومية تصنع من الصديق عدو مدمر. وهكذا نراها دائما تفعل ذلك.

في احدى الندوات في بيروت تسائلت: لماذا نحارب اسرائيل على أساس قومي، وهم يحاربونا على اساس ديني؟ مع ان شعبنا متدين بطبيعته.

فاذا بالجواب باننا لا نفهم في تلك الحرب ونفهم بهذا النوع من الحروب.

وبعد مدة اصبحت هناك مقاومة فتسائلت في مجلس ضم المقاومين الكبار: لماذا نحارب اسرائيل على اساس حقوقي بينما تحارينا على اساس ديني؟

فكان الجواب: بأن هذا القدر هو ما يفهمه الناس، فقلت إذن علموا الناس غير هذا، فاعترض احد الاصدقاء بان الحرب مع اسرائيل على اساس ديني قد يجلب لنا تهمة معاداة السامية، فقلت واقول: إذن حينما تحاربنا اسرائيل على اساس ديني يكون مسموحا لها؟ وممنوعا علينا؟

المهم ان بوصلة الصراعات تاهت في مجتمع رُبيَّ تربية معوجة، فهو لا يعرف اين مصدر الصراع الحقيقي. فهذه الدول العربية حتى الدينية منها تطالب بحقوق العرب، بينما اليهود يطالبون بحقوق الدولة اليهودية. وفي مثل هذا الاختلاف في المنطق لا يمكن ان يكون هناك تحكيم عقلائي في

القضية، فالعرب يطالبون بحقوق السكن في فلسطين وبالكرامة العربية، بينما اليهود يطالبون بالحق الإلهي في ارض فلسطين لبني إسرائيل.

وهذا لم يتم الرد عليه دينيا وحقوقيا في المجتمع العربي نفسه، قبل ان يتم عرضه على المجتمعات الدولية. فان الحق الالهي المزعوم لا اصل له ولا يمكنهم اثباته، ثم انه لو سلمنا جدلا بدعواهم المزيفة فانه من الناحية الدينية لا ينطبق على المسلمين ولا المسيحيين، وقد ينطبق على الوثنيين، وهم لا وجود لهم في ارض فلسطين، فان احتلال يهودي بولندي لأرضي في فلسطين بحجة صحة نبوة موسى، منطق مفلوج، ولا يمكنه ان يزيل ملكيتي لا شرعا في دين موسى نفسه ولا في القوانين التي تعارض اليهودية (سماوية كانت أو وضعية).

إن من ينظر في تصرفات القوميين العرب، والتضاد بين حماسهم ضد إسرائيل وبين عدم تقديم أي حل فعال وناجح ضد إسرائيل، يجعل الإنسان إما

متحيرًا في أمرهم أو متهمًا لهم بالتعمد لاختيار الطريق الخطأ لمعالجة قضية فلسطين واحتلال اليهود الأجانب لها.

وقد بدا على كثير من الدارسين اتهام الفكر القومي العربي المعاصر، بأنه وسيلة لإيقاف نمو الشعوب العربية لصالح إسرائيل والغرب.

ولهذا فان المسلم غير ملزم بالتمسك بمعيار لا وجود له في الواقع، وهو يعمل ضد بناء حضارة المسلمين وقيمهم السامية.

والحركات العنصرية هي حلول خطأ لقضايا الشعوب، وهي لعب بدماء الإنسان المحترم.

ودعوى التقدم بالحركات العنصرية مثل النازية وغيرها، غير صحيحة، والعبرة بالنتيجة والمآل لا في الحال.

إعادة صياغة مشكلة قميص عثمان

ضياع الوعي الاجتماعي العربي

نقرأ الأحداث المتسارعة في منطقة الشرق الأوسط، فنعجب أحيانا، ونحير أحيانا، ونحزن أحيانا، ونفرح أحيانا.

في الشهور الماضية، جرت في منطقتنا أحداث كثيرة ومثيرة، كان يمكن أن تكون محركا للوعي العربي الإسلامي، لو استفاد المسلمون منها، وحركوا عقولهم في تحليل الأحداث وفهمها، سواء الأحداث الصغيرة المفتعلة، أو الأحداث الكبيرة والإستراتيجية. وليس من المنطق ترك تحليل أي حدث مهما كان صغيرا، كما انه ليس من المنطق أن نترك تحليل القضايا الكبيرة باعتبارها خارجة عن قدرة أي من المجتمعات الصغيرة.

في لبنان يجري حراك سياسي معروف، يمثل جانبين في لبنان، وكلاهما يستقوي بالغير في الغالب، ولكن نرى حالات غريبة ومريبة، وهي أن مكوّن احد الفريقين ينتمي إلى الجانب السني ويستقوي بالكفار ويثير الفتن الطائفية مدعيا أنه ضد الطائفية، وقد رأيناه خلال عدة سنوات أنه كلما أراد أن ينهض أو يخلّص نفسه من خسارة سياسية، يستخدم الدين والخطر على الطائفة، ليتخلص من مشاكله بإثارة مشاكل داخل مجتمعة، من اجل تجميع الأصوات والعضلات، نفخا في الدخان لتضييع الحقيقة.

الحدث: اجتماع بعض أفراد الطائفة السنية في مجلس الإفتاء، ليخرجوا لنا بقرار عجيب، هو ن كل سني لا يمثل الحريري لا يمثل الطهر والنقاء السني، فميقاتي ليس من حقه أن يشكل حكومة لأن أهل السنة لا يقبلون إلا أن يكون حريريا، ثم أن أهم قضية هي الانتقام من قاتل الحريري، بدون سعي حقيقي لمعرفة من هو القاتل الحقيقي. بل لا يجب معرفته أصلا.

ثم قام الشيخ قباني بزيارة قبر (الشهيد) الحريري وقال: (أن الحريري هو رجل كل العالم، فلا بد من أن ينال قاتله جزاءه سواء عرف أم لم يعرف!)، فإذا كان لا يعرف القاتل إلا الله وسينال جزاءه في الآخرة، فلماذا يطلب شيخنا القباني التعاون مع محكمة الكفار لمحاكمة من لا يُعرفون، أو لا علاقة لهم بالحدث على اقل تقدير، إلا لصق التهم وتغيير الخرائط السياسية لصالح إسرائيل.

إن أبسط نظرة لمسار المطالبة بقتلة الحريري، تبيّن أنها قضية جاهزة لكل فتنة، ولن تقف عند حد، مع إنها قضية هلامية يعترف أصحابها أن فاعلها غير معروف، ولكن لا بأس باستغلالها سياسيا باسم الدين والوطنية.

فالشيخ قباني الذي يطالب بالقصاص من قتلة الحريري المجهولين، ويتعاون مع محكمة كافرة اتهمت أولا سوريا بعد اتهامها شعبيا وحكوميا وإخراجها من لبنان، وتبين إن الشهود مزورين والتهمة مفتعلة، ويتعاون الآن مع

المحكمة الكافرة ليطرد الشيعة من لبنان، وبعد ذلك سيتعاون مع كل الشياطين لطرد المسيحيين من جبل لبنان، ليبقى هو وقتلة الحريري الحقيقيين يتمتعون بالسلطة وسرقة المال، وتلقي الفتات من السرّاق الكبار.

ما أشبه هذا الحدث بحدث المطالبة بقميص عثمان، فقد كاد أن يكون استنساخا عصريا لهذه الحادثة المشينة:

الحدث القياسي:

قتل الخليفة عثمان من قبل المسلمين والصحابة الكرام ولم يصلّوا عليه ودفنوه في مقبرة اليهود (حش كوكب)، بالإجماع، وهذا يعني حكمهم بعدم تطبيق حكم المسلم عليه حيث يجب أن يصلى على المسلم ويدفن في مدافن المسلمين كما يصان دمه.

لم نعثر لحد الآن على دليل عملي على تسمية قاتل عثمان مباشرة، إلا تهما لأعداء الحاملين لقميص عثمان، وليس هناك أي دليل على القاتل، ولحد هذا اليوم القاتل مجهول، وقصص القتل متناقضة وهزيلة، لا تصلح أن تكون اتهاما قضائيا، ليحقق فيها قاض. وقد أشار الإمام علي عليه السلام لذلك، حيث يرى أنه هو ولي الدم وانه لم يعثر على تهمة معقولة لأحد بعينه. هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار إن اغلب النصوص تقول بان المباشر للقتل رجل مصري مجهول الحال والشخصية.

فهل يجوز أن يقوم ثلاثة من الصحابة (المحرضين على عثمان والمشاركين بقتله) بالطلب بدم عثمان من الإمام الذي دافع عن عثمان وصان دمه؟ ويقومون بحرب الجمل ليسببوا في قتل ٢٠ ألف مسلم بعضهم أفضل من عثمان عند الله، وهم من المجاهدين الذين لم يفروا في الزحف.

ثم فشلت هذه المحاولة.....

وابتدأت محاولة معاوية (الذي خذل عثمان بل قد يكون ساهم في تصفيته لأنه أراد أن يرفع امتيازات بني أمية بعد اعتراض المسلمين عليه)، وهي محاولة فاشلة، ومحجوجة، وليس من حقه أن يطالب به، وهو ليس ولي دم الخليفة، وإنما ولي دم الخليفة هو الخليفة بعده، وعليه أن يعثر على الأدلة، ورافعو قميص عثمان يضيعون الأدلة عن عمد.

لقد استمر بالمطالبة الكاذبة بدم عثمان، فحارب الخليفة الشرعي، ثم اغتاله بمساعدة الأشعث بن قيس، وبعد ذلك غير دين الإسلام بتحويله إلى اتجاه عثماني كما اسماه ليناقض الاتجاه العلوي الذي لم يسلم قتلة عثمان الذين لا يعرفون من هم؟ فخالف الإسلام جوهريا، غير ان معاوية في كل فترة يتهم احدا وحين يقتله يتهم آخر.

أولا: اتهم آل أبي بكر، مع إن السيدة الناشطة من آل أبي بكر هي أول من اخترع الطلب بثأر عثمان. فقتل محمد بن أبي بكر ومثّل به مُثلة الكفار

بتهمة قتل عثمان، وجعله في جوف حمار وحرقه.، مع أنهم يصرحون بان قاتله مجهول، ولم يستطيعوا إثبات أي تهمة ضد محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه.

ثم اتهم عمار بن ياسر، وهو ميزان من يدعون إلى الله مقابل من يدعون إلى النار، فقتله في صفين مستهزئا برسول الله وتنبؤاته. ولم يقف الطلب بقاتل عثمان. و:إن كل الدنيا اشتركت فيه ويجب قتل كل البشرية التي يكرهها الطالب.

ثم اتهم مالك الأشتر وطالب به، فقتله بسم في عسل، وقال: إن لله جنودا من عسل.

وأسس مبدأ الاغتيالات الواسعة في الإسلام بعد أن كانت محصورة.

ثم اغتال الإمام علي نفسه وهو الإمام الوحيد الذي نال الشرعيتين الدينية والدنيوية...

ولم تنتهي قضية قميص عثمان المحمول للمطالبة بقاتله.

حتى صار الأمر دينا..

يقوم به الخليفة الماجن شارب الخمر ومدمر الإسلام معاوية بن أبي سفيان ويستلمه الفاسق القاتل لآل الرسول والصحابة الكرام وهاتك عرض الصحابة الكرام في المدينة المنورة يزيد بن معاوية.

واستلم هذا الدين الجديد سارق أموال المسلمين وقائد مفاسد حاشية الخليفة عثمان. مروان بن الحكم، وسار على هذا الدين أبناءه الفسقة الفجرة الخونة لأقرب المقربين منهم. وكان ألطفهم يزيد بن الوليد ممزق القرآن الذي أمر

راقصته السكرانة المجنبة من الزنا أن تلبس جبته وعمامته وتصلي بالمسلمين صلاة الصبح وفيهم من يلبس جبة شيخ الإسلام وحافظ الدين.

فهذا المسار لقضية قميص عثمان يتكرر في قميص الحريري.

انه دمار واضح للمجتمع الإسلامي.

انه استغلال حقير لعواطف بسيطة للمجتمع السني، بدون أن يعلم هذا المجتمع أن أصل هذا المشروع هو لا إسلامي، وصيغ في الغرب على أيدي رجال المخابرات العالمية.

إنه أداة حقيرة لإيقاف نمو الشعوب الإسلامية المتحررة. لتدمير بنية الدولة إلا إذا كانت مبنية على الفساد وسرقة أموال عموم المسلمين، وهتك أعراضهم وحقوقهم.

ثم لماذا هذا التكالب على شخصية لم يثبت نزاهتها في لبنان.

فقد كان متكالبا على ديون الدولة وإدانتها، فكان كلما انشأ وزارة يزداد الدين العام، وتزداد ثروته بالقابل. فدخل الوزارة وهو يملك ٣٠٠ مليون دولار، وخرج منها وهو يملك بحدود ستة مليارات وقيل أكثر من ذلك. ان مشروعين في بداية مشواره لو دققا لكانا كارثة وطنية، أحدهما مشروع طريق بيروت صيدا الذي كلف تسعة مليارات دولار وهو لا يكلف اكثر من مائتي مليون دولار (٤٠ كيلو متر مضروبا في ثلاثة ملايين دولار للكيلو متر الواحد يساوي ١٢٠ مليون دولار والبقية هدية من الشعب اللبناني)، و المشروع الثاني هو مشروع الاتصالات الذي يصب الذهب المصفى في جيب الحريري.

فأين؟ النظافة والنقاء والطهر السني في سلوك الحريري الشهيد؟

بل أين النقاء والطهر في سلوك الابن الداعر راعي هيفا ونانسي؟

إن المليارات الجديدة التي اختفت من الدولة اللبنانية على يد النقاء السني الخالص، لا يستطيع أي باحث الوصول إلى حقيقة مصرفها.

إن هؤلاء المطالبين بدم عثمان الحريري، لا يقبلون أي شك خارج من يكرهون، حتى لو كانوا يعلمون أنهم هم القتلة.

إن الوثائق الصوتية التي عرضتها شبكة (الجديد) الإخبارية، حيث تم تسريب محاضر جلسات التحقيق الدولي، يصرح فيها الحريري الابن بأنه متأكد من أن فلان وفلان قتلة أبيه، وقد يعلم بعلاقة حراس أبيه بالقضية، وبالذين فروا من لبنان وهم على علاقة بمحيط والده، والآن يغيّر الاتجاه ١٨٠ درجة، وهو يطالب بالتحقيق مع من تكرههم إسرائيل عسى أن تكون قضية والده مفيدة لهذا الحدث الاستراتيجي الهام. وهو التخلص من أعداء إسرائيل باسم: النقاء، والطهر السني، وقميص عثمان الحريري.

هذا الحدث الذي تمتزج فيه ألاعيب السياسي وخسة رجل الدين التابع للسياسي القذر ورجل المخابرات الخبيث مع رجال الأعمال الذين لا دين لهم إلا الشهوات، يحتاج إلى تأمل من الشعوب الإسلامية، والى وقفة ضمير

وتعقّل لما جرى ويجري ويتكرر من دون أن نعتبر ونستفيد من الماضي لحصانة المستقبل.

إنها حادثة تستحق أن نسلط عليها الأضواء من دون شتائم، وإنما فقط وفقط من أجل كشف استغلال قضايا هلامية تستغل حادثة واقعية لا يعرف لها قرار أو سبب حقيقي. من اجل خراب المسلمين وبأيد المسلمين أنفسهم وقناعتهم بشكل مغلوط في مسار القانون والحقيقة.

التخريب الداخلي وأسباب الخسارة

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

في الحقيقية أن هذه الخاطرة فيها شيء من التميّز والمغايرة، والسبب انني كنت افكر في الوضع العالمي وموقع المسلم فيه ومدى تأثير قوى الكفر فيه، فانتهيت إلى بحث في التفسير، ثم جرني ذلك إلى التفكير في القدرة على تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما هي مسؤوليتنا لتصحيح تلك الصورة الرهيبة. وهذا تحولٌ عجيب في مسار الخاطرة، فرضه نوع المعالجة للدمج بين المفهوم الديني والمفهوم الاداري لادارة المجتمعات، حيث تبين أن المفهوم الديني كان اقل مستوى وادراكا من النص الديني الذي سبق بحوث ادارة المجتمعات في الصواب والتشخيص.

هذه الدورة من التطوّر في البحث جعلتني اتراجع قليلا لاعتبار هذه الخاطرة جاهزة فعلا، وانما اطرحها كمجرد فكرة أولية تدعو المثقف المسلم إلى التفكير بعمق للخروج من بعض المآزق التي يعيشها نتيجة توجيه الاحداث ودلالاتها واماكنية الاستنباط منها.

لنبدأ من أين بدأت خاطرتي ونتسلسل في طرح الافكار، وكل مثقف على قدر مدراكه سيتعامل مع هذه الخاطرة.

بعد الحرب العالمية الثانية اعيدت جمعية عصبة الأمم بإسم (منظمة الأمم المتحدة) على مبادئ جديدة اغلبها مبادئ إنسانية قد لا يختلف عاقل على قبولها. غير أن جوهر هذه المطالب الانسانية قد تستبطن تكريس الاستعمار بطرق فنية خفية. وهي في الحقيقة اخطر بكثير من الوضع السابق لأنها يمكن ان تكون ذات نتائج مدمرة اذا سعت الدول المتقدمة إليها.

مثلا هناك في قوانين الامم المتحدة ما ينص على وجوب التدخل الانساني اذا كان شعب يقع تحت الجريمة وهناك قوانين تنص على وجوب التدخل لحفظ الاستقرار اذا وقعت دولة عضو في مأزق الفوضى وعدم الاستقرار السياسي أو الاجتماعي.

هذه المبادئ جميلة بحد ذاتها ولكن ما حصل عمليا خلال الستين سنة الماضية هو أن الدول المسيِّرة لمنظمة الامم المتحدة، والتي تمتلك الموارد الكبرى اذا ارادت احتلال بلد تنشر فيه الفوضى بلا مبرر حقيقي، ثم تتظاهر بالانصاع للضغط العالمي الانساني من اجل ايقاف الجريمة في ذلك البلد فيتم احتلاله بناء على طلب الاحرار في العالم، فيتم الاحتلال نتيجة فعلٍ هم يقومون به مسبقا ويحضرون له بطريقة فنية محبوكة.

نحن لا نتكلم الان عن اهداف وحركات دول الاستعمار الحديثة باسم الانسانية، ولكن يجب ان ندرس سلوك أهل البلد الذين يستجيبون لاحداث الكارثة في بلدانهم والى مدى حقيقة نجاح عمليات التدخل الانساني.

حدث مثل ذلك في الصومال والكونغو وسيراليون وساحل العاج وناميبيا والبوسنة وكوسوفو وافغانستان والسودان في منطقة دارفور (وأما العراق فقد كان الهجوم عليه لسببين معلنين الاول اسلحة الدمار الشامل والثاني التدخل الانساني لتدارك مساوئ الدكتاتورية الاجرامية وهذا لم يكن بقرار دولي من الامم المتحدة. وانما اعطي صفة لاحقة بقرارات الامم المتحدة لمعالجة الوضع على الارض، وبالنتيجة اصبح الاحتلال الان نوعا من التدخل الانساني بموجب التفويض اللاحق الممنوح من مجلس الامن)، وهذا ما اذكره لحد الآن فقد يكون هناك بعض بلدان دخلتها القوات الدولية لاسباب انسانية لم اتذكرها، وهناك تدخل ليس من صفة (التدخل الإنساني) وانما لها صفة حل

التنازع الدولي مثل القوات الفاصلة بين المتحاربين هذا قريب من ذاك حيث ان سبب تلك الحروب أيضا مدفوع من الخارج.

لو نظرنا لكل هذه المجتمعات التي تم فيها التدخل الانساني بسبب حروبها الأهلية لاسباب داخلية (عشائرية، طائفية، حزبية)، فانها لم تستطع بناء مجتمعاتها وبناء الدولة فيها بعد ان بدأت بها الفوضى بل ازدادت تخلفا، و بعضها ازداد جريمة وضياعا كما هو حال الصومال المثال الاوضح لهذه الحالة النشاز. فالنتيجة أن كل تدخلات الحل الانساني بالقوة لم يكن ناحجا في اعادة النظام والقانون الا بصيغته الدنيا. ويستمر الحال في التدخل مع كونها تدخلات فاشلة وغير معروفة الاهداف والاغلب ان هدفها ليس لصالح تلك الدول نتيجة عدم نجاح التدخل.

ولكن هذا الحال يدعونا لنفكر ليس في اهداف القوى العظمى التي تريد ايقاف نمو الحضارات والدول الاخرى والصراع معها بالطريقة المريحة، فإن

تفكك الدول من الداخل لا يكلّف الدول الكبرى جهدا كبيرا في احتلالها أو الاشراف عليها والتحكم في منطقتها بالقوة.

الكلام هنا مع قادة الدول التي تفككت، هو انهم قاموا بشكل متعمد سواء كان مقصودا أو غير مقصود بتفكيك بنية دولهم وادامة الصراع والفوضى بحجة اظهار القوة الحزبية أو الطائفية أو العشائرية حتى لا يضيع حق مجموعتهم امام المجاميع الاخرة. وبالنتيجة لا يوجد متعلق الحق حتى يحصل عليه طرف فالفوضى والقتل وتدمير المجتمع لا يبقي ثروة حتى يتعلق بها الحق ولا يبقي بهجة أو نظام حتى يفرح بها المنتصر أو من يريد حفظ حقه، فهذه الصومال في هذا الحال منذ عشرات السنين وهي من سيء إلى اسوء ومن فقر إلى افقر ومن مرض إلى وباء ومن جزع إلى كارثة.

ان تفكيك النظام الداخلي للدولة وعدم القدرة على بنائها هو جريمة بحق الانسانية من جهة وهو جريمة بحق الوطنية لأن كل المتصارعين الداخليين

يعلمون ان البلد اذا وصل إلى فوضى عارمة سيطالب جميع احرار العالم بوجوب التدخل ويضغطون على حكوماتهم لاقناع الدول الكبرى بالتدخل (وهو ما تريده هذه الدول) فتفقد دول الاضطراب استقلالها وتفقد السيطرة على انفسها، لان الدول الكبرى سوف لن يكون تدخلها لبناء الدولة وانما للايقاف الوقتي للجريمة (وقد يكون لتوفير السلاح للمتقاتلين لاطالة امد الحرب الأهلية والتخريب الداخلي) ثم تنسحب قوى الدول الكبرى دون اتمام مهمة اعادة بناء الدولة مدّعين أن شعوبهم تضغط عليهم بعدم التورط في وحل هذه الفوضى، وبهذا يمنحون المتقاتلين بهجة الانتصار لطرد المحتل الذي جلبوه بقرار انساني نتيجة جريمتهم انفسهم وكأن لم يحصل إلا تقوية قوى الشر الداخلية أو لنقل ترسيخ الرعب لكل جهة من الجهة الاخرى فيزداد الصراع مرارة وقوة ولا يمكن التوصل لحل مطلقا.

هذه المفارقة واقعة فعلا.

هل يمكن وصف مبررات الحرب الاهلية والخلافات المسلحة واخلال النظام بالصحيحة؟

ان النتائج الواضحة تقول: لا يمكن وصف مثل هذه المبررات بأي شكل من الأشكال بالصحة، لأنها تخريب من الداخل وتهديم حضاري واجتماعي لا يمكن بناءه في الظروف الحالية نتيجة العولمة. فالوضع ليس كوضع بابل وروما وغيرها حيث يمكن تدمير حضارة سومر لتظهر حضارة بابل ويمكن تدمير حضارة بابل لتظهر حضار آشور في نفس البلد وكذا حال الدولة الرومانية وغيرها، ولكن الان بوجود متطلبات العيش الحديث الذي تحوّلت فيه الكماليات إلى اساسيات واقتربت فيه البلدان وامكن السيطرة على الحدود، وجدت نظم الاقامة والسفر الدوليين التي تحاصر الانسان الذي يساوي وثائقه فقط فلا مجال لمن تسقط حضارته ان يستعيدها الا في بلده نفسه، ولا يمكن له ان يعيدها في بلده في حال استمرار الفوضى ورجال

الحرب، اذ لا امل من الحل بين القوى المتصارعة وقياداتها التي لا يمكن مطلقا ان تلتقي أو تثق في بعضها لانهاء النزاع. فاصبح الدخول في دوامة اخلال النظام يمكن الخروج منها – مهما كانت مبررات الفوضى – اذا كان الفاعل غير قادرٍ على حسم الامر، فهو يجرم في حق مجموعته قبل ان يجرم في حق الآخرين.

لا نريد ان نغرق في الامثلة ولنتكلم بشكل عام، فما يهمنا الان هو العالم الإسلامي. فان كل الصراعات في العالم الإسلامي غير مبررة خصوصا من البادئ بالصراع والذي يجر الآخرين للصراع. فلا الصراع العشاري مسموح شرعا ولا الصراع الطائفي مسموح شرعا ولا الصراع الحزبي مسموح شرعا (هذا هو الفقه الإسلامي عمومًا عدا تفكير العقل التكفيري فانه يجيز الصراع المسلح حسب شرعه مع كل من يخالفه بالقتل والجرائم حتى لو كان الامر

مع اخيه مثل الوهابية وغيرهم من التكفيريين، وهؤلاء ليسو من المسلمين بشيء).

يجب على كل فرد في العالم الإسلامي ان ينظر إلى هؤلاء الذين يدعون إلى قتل اخوانهم في الوطن بحجة الانتصار لقضيتهم، ما هم الا مخربون لمجتمعهم من الداخل سواء قصدوا أو لم يقصدوا (وان كان من البعيد ان تكون تدفق الاموال والاسلحة من الخارج من دون قصد وانه كان لله في الله)، فمن لا يستطيع ان يحسم المعركة خلال شهر أو شهرين فقد ادخل بلاده في دوامة العنف وعليه ان يعالج مأزقه بطريقة سلمية وسريعة مع ابناء وطنه والا دخل بلده بالتخريب، ومعنى ان الطرف البادئ لم يستطع انهاء المسالة يعني أن الطرف الاخر ليس له أي ميزة وانما هو كذلك لا يستطيع انهاء المأزق وعليه حله. والبقاء على القتال بالمكابرة نتيجته خراب البلدان الإسلامية. والان هناك بلدان مرشحة في العالم الإسلامي لهذه الفوضى

تختلف من حيث حجمها وخطورتها، فمن البلدان المرشحة بشكل قريب السودان والباكستان وبنغلادش واليمن وفلسطين ولبنان وسوريا، واغلب الصراعات المحتملة تدور حول الحزبية والطائفية والعشائرية. ولم تستفد القوى في العالم الإسلامي من كل تجارب الصراعات المحلية الفاشلة في العالم الإسلامي التي لم تستطع ان تحسم أي صراع حتى بين قوة كبيرة وقوة صغيرة جدًا اذا كان هناك امداد للصراع خارجي.

ففي افغانستان لم تستطع قوة طالبان (٤٥٪ من شعب افغانستان) من السيطرة على الطاجيك (اقل من ١٠٪ من الشعب الأفغاني) وذلك لكون كل من طرفي الصراع مدعوم خارجيًا ويوجد حالة توازن في القوى مدروس خارجيا رغم الفارق العددي.

وهنا اخاطب قادة الحروب ودعاة الانتصار بالقوة داخل المجتمع الإسلامي:

اذا عرفنا ان عدونا يريد منا الفوضى فلماذا نصنع الفوضى بحجة محاربة الاعداء وهي مطلب الأعداء؟

واذا كانت الفوضى تؤدي إلى الاستعمار فلماذا بعد ان تصنعون الفوضى تلعنون الاستعمار؟ ثم تدعون حربكم على الاستعمار وانتم من ينفذ ما يريدون بعلم أو بغير علم.

أليس من الاجدى ان نلعن انفسنا حيث قدمنا بلداننا ومجتمعاتنا ذبيحة ميتة للاعداء وبقينا نلعن الاعداء لأنهم اكلوا الذبيحة؟

لماذا حين قررت بلدان مهزومة الانتصار بطريقة عدم الفوضى وحفظ النظام ففازت وارتفعت إلى اعلى مقامات الدول مثل المانيا واليابان وهي الان تعتبر ثاني وثالث قوة في العالم الاقتصادي على التوالي، بينما قررت اغنى البلدان بالثروات والطبيعة الكفاح بالفوضى فما كان منها الا التأخر بعد التأخر والهزيمة بعد الهزيمة والمرارة بعد المرارة.

الذين فازوا باستخدام الكفاح بطريقة حفظ النظام والتحرك نحو التقدم قاموا بمعرفة الجانب الايجابي من معادلة النصر بينما الذين قرروا الكفاح بالفوضى قاموا باستخدام الجانب السلبي من المعادلة. وكانت النتائج لا تقبل الخطأ الفوز لمن ترك معادلة الخسارة والخسارة لمن اتبع معادلة الخسارة.

اننا مشلولون فكريا تماما ونسير بالاتجاه المعاكس لحضارتنا ونعيمنا وامننا وسلامة بلدانا. وذلك لان كل قائد معاصر يعلم انه في حال نشوب فوضى في أي بلد فسوف تتدخل القوى الاجنبية لمساعدة الاطراف جميعا ولن تنتهي الفوضى حتى لو كان متفوقا بالقوة الكبرى لأن هناك سياسة ابقاء النزاعات كما هي، لفائدتها للدول الكبرى، ولو كانت النزاعات ضد مصالح الدول الكبرى لأنهيت بسهولة وبالحسم السريع سواء بالقوة أو بالتفاهم.

كانت هذه الخاطرة قد ذكرتني بقوله تعالى: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم

مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبواوقذف في قلوبهم الرعبيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنينفاعتبروا يا أولي الأبصار).

الآية تتحدث (بشكل عام بغض النظر عن اسباب النزول): عن التحذير من المصير الذي حصل لاهل الكتاب (اليهود) حيث ظنوا انهم اقوياء لا يهزمون ولكن انتشر بينهم الرعب وخرّبوا ديارهم من الداخل بينما تم الاجهاز عليهم من الخارج بأيدي المؤمنين، وهذا التحذير كأنه يقول إن الخسارة الحقيقية للمدينة أو المجتمع حين يُخرب من الداخل فيسهل الاجهاز عليها من قبل القوة الخارجية، وهذا اهم مواطن الاعتبار وهو يعني خسارة الحضارة كما يعني خسارة القرية في مثال الآية.

فمعادلة انتشار الرعب ومن ثم الفوضى التابعة لذلك الذي يساوي سهولة الهزيمة لأي قوة مهما كانت متمكنة من التحصين والتسليح. هي معادلة اثبتت صحتها التجارب والحقائق التاريخية، وهي من الاسلحة الخفية جدًا

التي بدأت القوى الاستعمارية باستعمالها بدل الحروب المكلفة وبدون خسائر بشرية تذكر على من يريد تدمير عدوه بهذه الطريقة، وقد هدى الله اليها نبينا صلى الله عليه وآله وقد قال بصراحة بانه ينتصر بالرعب. وتشخيص هذا الرعب بالنسبة للنبي محمد ص يعتمد الوحي لسبب بسيط وهو إن مفتاح الرعب لأي مجتمع لا يمكن أن يعرف الا بالمعلومات الدقيقة التي تحتاج إلى جهاز استخبارات متقدم يملك محللين قادرين على تشخيص مفتاح الرعب، وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله يفتح باب الرعب بضربة واحدة بدون أي جهاز متقدم أو متخلف لجمع وتحليل المعلومات وانما هو اخبار الله فقط، وفي الآية تصريح بقوله (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) حيث ان الله منح النبي محمد ص القدرة على فتح باب الرعب بضربة واحدة فانتشر التخبط والتخريب الداخلي بحيث لم يستطيعوا الا الفرار وعدم الاستقرار.

فمن يتصور إن قتل مجرم واحد بعينه يفكك مجتمعا كاملا ويشتته في الأرض؟ بطريقة فقدان التوازن وانتشار الفوضى المؤدية إلى التخريب الداخلي، ومن ثم فقدان كل شيء بما فيه التحصين نفسه الذي ارادوا زيادتة بطريقة تخريبية من دون ان يشعروا.

فالآية تطرح امران مهمان: هما المعادلة الحياتية للخسارة والنصر وفيها من التحذير ما ينبغي للعاقل الاعتبار بها، والامر الثاني طريقة اختصار حلقات تحقيق التدمير بالتدخل الالهي بمعلومة بسيطة تكون مفتاح الحل بأقل من ثلاثة ايام.

وقد حدث هذا بدون حرب حقيقية كما هو واضح في قضية بني النضير التي هي سبب نزول الآية كما يبدو. وفي تدخل الله (اعتبار) ايضا يجب ان يعتبره الكافر فإن الله يمكن يغيّر الصورة على الارض، بتحرك بسيط وفق معادلة اساسية حاكمة وقادرة على تفتيت كل قوة مهما كانت عظيمة.

وهذا الجوهر لهذه المعادلة أصبح مفهوما اكثر في العصور المتأخرة لتوفر امكانية قراءة الاحداث وسهولة وصول الاخبار. ولهذا فان الآية الكريمة تعبّر عن معادلة وعبرة عظيمة بنتائج هذه المعادلة الصادق والتامة، وتمثل قانونا في بناء القوة الانسانية وطرق الخسارة يضاف إلى القوانين المهمة، ولكن ما نغفل عنه في العصر الحديث هو ان هذا القانون قد اكتشفه المتكبرون كحل ناجح لتبديل مفهوم الحرب وقد اوجدوا له آليات ودراسات في الاستراتيجية والتنفيذ يفوق التصور، وقد اعتمدوه في تدمير العديد من الدول لحد الان، بينما المسلمون يمتلكون المعادلة وقد اخبرهم الله بها ولكنهم لا يعتنون بها مطلقا ولا يعرفون كيفية ايجاد مقدماتها في عدوهم كما لا يعرفون طريقة التخلص من مفعول هذه المعادلة نفسها في انفسهم بالاجماع على رفض حالة الفوضى والتخريب الداخلي. ولهذا فان المسلمين الآن اسرى معادلة الخسارة

بملئ ارادتهم لجهلم الحقيقي بما يفعلونه بانفسهم بواسطة ادخالهم في معادلة الخسارة المحققة.

هذه النظرات في مفاد الآية الشريفة، نابعة من الفهم العام للآية، ولكن كم سيتملكك العجب حين ترجع إلى تفسير الآية، فتجد امورا معكوسة وقراءة مشوشة.

فسوف تجد اضطرابا في سبب النزول وفي صورته وفي اسباب نفس المعركة واخلاقياتها.

وقد تجد من اطرف ما طرح في تفسير هذه الآية أن اليهود اتبعوا سياسية الارض المحروقة حين الانسحاب حتى لا يستفيد المسلمون من مساكنهم فدمروها، وانسحبوا، فاذا كان كذلك فهذه سياسة مهمة في الحروب وهي خسارة للمهاجم وليس للمنسحب فكيف يعتبر نصرا الهيا وفق هذا التفسير؟ ثم اذا كان هذا قرار اليهود فهو ضد مصلحة المسلمين فلماذا اخذ المسلمون

بتدمير القرية نفسها كما يروون؟ ثم أليس عجيبا إن رسول الله ص الذي يأمر بعدم قطع الشجر وتدمير الحجر أن يأمر بذلك في هذه المعركة؟

إن هذه الأسئلة ستختفي تماما لو كانت الصورة غير مشوشة، ولهذا فالامر يحتاج إلى ازالة التشويش، وذلك باعادة قراءة القصة وتفكيك عناصرها واعادة تركيبها بصورة معقولة حتى تتلائم مع منطق الصواب. وهذه مهمة صعبة وليست مهمة خاطرة سريعة، وقد وجدت افضل من حاول اعادة صياغة القصة هو آية الشيخ مكارم شيرازي حفظه الله، حيث حاول ان ينقّي القصة من تناقضات وخرافات ولكنه وقع اسير قصة سياسة الارض المحروقة. ولعل ابسط طريقة لفهم الحدث هو الخلاصة التالية التي استنبطها من تفكيك واعادة تكوين القصة وفق القرآن:

بعد ان اصبح مجتمع المسلمين مجتمع يمتاز بالقوة والمنعة، حدث حلف بين المسلمين وبين اليهود، وكانت عشيرة بني النضير هي احد ثلاث قبائل

يهودية تم التحالف معها على ان لا يغدروا بالمسلمين ولا يكلفهم المسلمون الدفاع عنهم، ولكن بعد انكسار المسلمين في معركة أحد وجد اليهود انفسهم في موقع يسمح لهم بنقض العهد والغدر بالمسلمين ليكونوا مع القوي العنيد للخروج بجزء من الغنيمة بالاجهاز على المسلمين، وقام بهذا الدور المهم احد زعماء بني النضير وهو كعب بن الأشرف فقد سافر إلى مكة باربعين رجلا وعقد حلفًا سريًا مع المشركين للقضاء على مجموعة محمد ص. وعاد بالترتيبات والمخططات الخبيثة، فكان ظاهر موازين القوى معهم بكل القياسات العسكرية فعندهم الحصون والرجال والسلاح والخطط السرية والمعونة الخارجية من المشركين، ويقابله هزيمة المسلمين وضعفهم وارتباكهم وفقرهم، وهنا حدثت مفاجئة غير متوقعة عسكريا وهي ان الله سبحانه اخبر النبي محمد عن طريق الوحي بكل المؤامرة وتفاصيلها.

ولسبب ما قرر الرسول اختبار نواياهم، فحصلت حادثة قتلٍ، وكان ينبغي ان يشارك اليهود في الدية، فذهب الرسول مع مجموعة من الصحابة للتفاهم حول الدية فرفض اليهود باستعلاءٍ المشاركة في الدية بحسب الحلف بينهم وبين القبيلة المسلمة التي وقع عليها الدية، ثم اتفق اليهود على استغلال فرصة وجود النبي محمد ص تحت حائطهم فقرروا رميه بحجر ثقيل قاتل، وفجأة قال الرسول ص للمسلمين ابقوا وانا ذاهب لحاجة فدخل المدينة وحين استبطأ المسلمون الرسول جاءوه فاخبرهم بالجريمة وبتدبير كعب بن الاشرف وانه مفتاح الشر ومفتاح النصر بالنسبة للمسلمين، فقرر قتل كعب بن الأشرف فانتدب له جماعة من المسلمين فقتلوه في تلك الليلة، وهنا حل الفزع عند بني النضير حيث انكشفت نواياهم وخيانتهم للعهد وفقد مصدر تدبير الامر بعد ان استسلم اليهود له، فحدثت اضطرابات في الرأي واعتقدوا ان المسلمين سيدخلون عليهم فورا فحاولوا اقامة المتاريس بتهديم اجزاء من

دورهم من اجل بناء عراقيل في ازقتهم تمكنهم من الفوز بالمعركة، فحدثت فوضى في التخريب وفي الترتيب للمتاريس بحيث جعلوا القرية متاهة مغلقة عليهم، وحين هجم المسلمون وجدو قوة اليهود مشتتة خلف المتاريس العديدة فتمكنوا بصورة بسيطة من وحي نفس تصرف اليهود بخرق حيطان الدور للوصول إلى كل مجموعة صغيرة واعتقالها من خلف المتراس، وكذلك قطع بعض الاشجار التي اتخذت متاريس ايضا لكونها تعيق الوصول إلى مجاميع اليهود المبعثرين، فسقط جميع اليهود بالأسر من دون حرب حقيقية بل بنفس الطريقة الهندسية التي ابتكرها وتعّثر بها اليهود وارتكبوا فيها الخطأ القاتل حيث فقدوا السيطرة على انفسهم وشتتوا قواهم. فلم يكن بايديهم الا الإستسلام لحكم الرسول الذي امرهم بالرحيل والجلاء إلى بلاد الشام وتركهم يأخذون ما يشاءون من حاجياتهم ولم يتعرض لهم بالقتل أو الأسر.

هذه الصورة ليس من السهل قراءتها من كومة القصص والخرافات والاقوال العجيبة والتداخل بين المعقول وغير المعقول. ولكن بعد عدة مرات من القراءة واعادة ترتيب القصة تبيّن لي هذه الصورة التي طرحتها باختصار ولا ادعي انها الصورة الاصح.

وبهذه الصورة يمكن تطبيق الآية الشريفة على الحدث ويمكن فهم موضوع الاعتبار وموضوع النصر والهزيمة ومتعلقاتهما في القصة.

وأما بالقصص التي وردت مبعثرة في التفاسير فمن الصعب جدًا فهم الآية الشريفة وتطبيقها بصورة معقولة، فكما قلت بان القصة التفسيرية غير واضحة الاعتبار ولا يعرف من المعتبر وعلى ماذا يعتبر؟ فاغلبهم ينص على ان المعتبر هو العقلاء أو الكفار منهم وان الاعتبار هو في نصر الله للمسلمين على بني النضير. وهذا تحجيم للحكم وتقليل من مفهوم الاعتبار فلا نستبعد أن يكون التدخل الإلهي تحديدا مصدرا من مصادر الاعتبار وهذا للكفار

والمسلمين على حد سواء، ولكن النص يؤكد على وقوع اليهود في معادلة الهزيمة والانكسار بالتخريب الداخلي والرعب الذي اربك مسيرتهم وهذا مهم للمسلمين قبل الكفار. وهو مصدر من مصادر الاعتبار لا يمكن اغفاله. وعليه فان الإعتبار يجب ان يكون مزدوجا الاول في التحذر من الوقوع في معادلة الخسارة وهو نشر الفوضى وفقدان التوازن الاجتماعي والاداري واختلال النظام الذي يؤدي إلى الهزيمة. والثاني هو الحذر من قدرة الله على التنبيه للثغرة القاتلة فيسقط كل حسابات من يعتقد بالنصر فعليه أن يلتزم رضا الله لئلا يهلكه من حيث لا يحتسب. فهذا هو مقتضى الاعتبار العقلائي، ونِعمَ ما قاله الشيخ الطوسي بشكل متميز في الاعتبار بقوله (معناه اتعظوا وفكروا فلا تفعلوا كما فعل هؤلاء فيحل بكم ما حل بهم.)، اما ما يفترضونه من عدم تحديد الاعتبار الا في جانبه العام وهو عدم الكفر بالله فهذا لا يتفق مع نص الآية.

كذا فرضهم أن تخريبهم الداخلي لبيوتهم هو لأجل اخذ نفائس اموالهم من الخشب وغيره وترك البلد ارضا محروقة لا ينتفع بها المسلمون، الذي صوره الطبرسي بقوله: (أي: يهدمون بيوتهم من داخل ويخربون ما يستحسنونه منها حتى لا يكون للمسلمين) فهذا يصح لو كانوا قد اخذوا ذلك وفروا من المسلمين، بينما الصحيح هو انهم اخذوا ذلك بعد ان اجلاهم رسول الله وسمح لهم باخذ ما يشائون من اموالهم فحملوا معهم الخشب وغير ذلك.

فالصورة ستكون جد مشوشة اذا كانت غايتهم هذه قبل بدء المعركة ونيتهم الهرب، بينما في الحقيقة لم يكن هذا هو الواقع، وكان نيتهم القتال داخل القرية، خلف المتاريس فجائهم المسلمون واسروهم داخل المتاريس بطريقة فتح الفتحات في الجدران. وهم لم يهربوا في جنح الليل بل طردهم رسول الله ص بعد ان ظفر بهم وأسرهم وسمح لهم بنقل اموالهم كما يشاءون.

وعلى كل حال فالصورة مشوشة ولا تخدم الحقيقة وقد حاولت ان استعيد الصورة من هذا الركام الكبير، ومن اراد ان يتأكد من تشوش الصورة عند المؤرخين واصحاب السيرة والمفسرين، فعليه ان يراجع مصادرهم فسيرى ما اقوله بكل تأكيد وسيتفاجأ بما سيجده من انعدام المنطق في القصة المعروضة، وسيجد ان القصة التي استنتجتها لعلها اقرب قصة تستنتج من نفس النصوص. ولو طلب مني الاخوة أن اضع النصوص لهذه الحادثة وللتفسير من اجل قراءة الصورة المشوشة، فسافعل بكل سرور.

وهنا عندي ملاحظة وهي: يبدو ان بعض المفسرين وجد أن القصة غير مترابطة بشكل جيد وفيها امور غير اخلاقية وغير لائقة بالنبي محمد مثل كونه أمر بقطع الشجر وتهديم الجدران انتقاما وما شابه ذلك، أو ان القصة لا تنسجم مع النص القرآني. وقد انتبه الشيخ مكارم شيرازي حفظه الله

لوجود تشويش في تفسير الآية فقال (والعجيب أن جمعا من المفسرين ذكروا إحتمالات للآية لا تتناسب أبدا مع محتواها)

وقد احتمل بعض المفسرين أن أصل مسألة التخريب والتقطيع كناية عن تدمير الذات، وهذه النتيجة هي للتخلص من تشابك القصة بين المعقول واللا معقول. فقد احتمل الشيخ مكارم شيرازي حفظه الله هذا المعنى فقال: (أو يقال إن لهذه الآية معنى كنائي، وذلك كقولنا: إن الشخص الفلاني هدم بيته وحياته بيده، يعني أنه بسبب جهله وتعنته دمر حياته.) ولكنه نفاه بعد ذلك لوجود نصوص في عينية التخريب.

وكذا فسرها السلمي في تفسيره العرفاني: (قال بعضهم: * (يخربون بيوتهم بأيديهم) * أي قلوبهم بجهلهم وغفلتهم).

والحقيقة أن المراد بالتخريب ابعد من هذه الكنايات وانما هو تخريب حقيقي نابع عن رعب واضطراب في التصرف، ولهذا يجب أن نقف على ما نقله

الطباطبائي عن بعضهم بقوله في الميزان (وقيل: المراد بتخريب البيوت اختلال نظام حياتهم فقد خربوا بيوتهم بأيديهم حيث نقضوا الموادعة،) فهنا فرضَ ان انخراط عقد المعاهدة والموادعة قد جر قهرا إلى الهزيمة، وهذا في الحقيقة ليس دائما فليس كل نقض للعهد يؤدي إلى الهزيمة الفورية، وانما هو الاضطراب والرعب الذي ادى إلى تشتيت قواهم خلف المتاريس وتدمير مساكنهم لتكون متاريس فاوحوا هم للمسلمين فكرة اختراقهم من نفس بيوتهم بفتح الفتحات فيها.

ويجب أن ننبه إلى أن احد المفسرين نفى اصلا وقوع التخريب من اليهود وانما يصفهم بترك ديارهم فورا، وهذا خلاف صورة الواقعة، فقد نقل الرازي (وكان أبو عمرو يقول: الإخراب أن يترك الشيء خرابا والتخريب الهدم، وبنو النضير خربوا وما أخربوا، قال المبرد: ولا أعلم لهذا وجها).

وهذا الكلام يدل على حجم الاضطراب في تناول الحدث.

الخلاصة: أن القرآن والعقل يدلان على صحة معادلة الخسارة التي تقول إن من يرتعب ويخرّب بيته من الداخل هو مهزوم حتما ولا بقاء له في ارضه.

وهذا ما يفعله المسلمون في كثير من البلدان الإسلامية الان. ولا يفهم المجتمع الإسلامي خطورة تفكيك الأمن وزرع الفتنة، وعليه فان قيادات الفتنة الكبرى في العصر الحديث كالوهابية الذين يثيرون الصراعات الدموية بين المسلمين هم اكبر المسؤولين عن سقوط هذه الحضارة وتدمير دين الإسلام كليا، وهناك قوى اخرى تساعدهم في هذا التوجه الذي يؤدي إلى دمار الإسلام من الداخل. فعلينا جميعا ان نقف بوجه هذا التحرك المرعب، وان نعي بان عدم استقرارنا هو زوالنا المحتم. وهذا هو جوهر نظرية الامامة عند الشيعة ومن اراد التفصيل فعليه ان يقرأ مفهوم الامامة ومبرراتها عند الشيعة.

هذا هو جواب الفتاوى..

١

مقدمة: لا بد منها للمسلم ليعرف أخطر ما يدور حوله.

إن هذه الاعتراضات مبنية على جملة أمور:

١ – تأسيس مصدر جديد من مصادر التشريع لا يعرفه المسلمون.

٢ – تسويق استعراض الموروث الشعبي على أنه قانون.

٣ – المداخلة بين العقيدة الفقه.

٤ – المراهنة على جهل الناس بالفقه، وعدم مراجعة المطروح بعد القراءة (نظرية [التلقي المجرد] السياسية).

٥ – استخدام مبدأ التشويش في المراجعة من خلال تغيير أرقام الصفحات في المراجع، ومن ثم الاقتطاع الفني للنص والكذب في التوصيف.

وسأشرح باختصار كل نقطة عل حدة ليكون مجموع الشرح مقدمة للجواب التفصيلي.

أولاً: تأسيس مصدر جديد من مصادر التشريع لا يعرفه المسلمون:

كل التعليقات وطريقة التوليفة للانتقاد يدور حول معيار مقبول عند الناس – لسر سنتكلم عنه في النقطة الثانية – وهو معيار « الغيرة » على العرض

وإعطاءه صفة التشريع أو الباعث إلى التشريع أو كما يسمى فقهيا ملاك التشريع.

وهذا معيار لا وجود له في الفقه الإسلامي ولا أي فقه وقانون في العالم و إنما هو من خزعبلات ذوي الأهداف السياسية للتأثير على عقول العامة والدهماء.

إن « الغيرة » هي حالة من حالات النفس لا ضابط لها ولا ميزان وهي بالأساس تأخذ قسماً كبيراً من مشروعيتها من القانون نفسه بمعنى أنه هو مصدرها، فإذا زادت عن الحد تحوّلت إلى مرض عقلي وقد يؤدي إلى المخالفة القطعية للشريعة كما هو حال غيرة النساء المفرطة.

وأما الغيرة المحمودة فهي ما أمر بها الشرع الشريف، ومفادها: « الغيرة من كل مخالف للشرع » وهذا قد تركز في نفوس المتشرعة من كل الشرائع والأمم، ولكن ما حدث في هذه الورقة إنما هو العكس تماماً، حيث بنى على أن « الغيرة » هو المحرك للحكم الشرعي وهو الأساس للتشريع وإن أي حكم شرعي ينافي هذه « الغيرة » المدعاة سيكون باطلاً وتسقط أهليته مهما تكن هناك من أدلة شرعية.

وهذا خلاف أي تشريع بل هو من وجهة نظر إسلامية عين " الجاهلية و أحكامها " التي تحركها النوازع النفسية البعيدة عن الحق والعدل والقانون، فالشرع الإسلامي يتقيد بالنصوص الشرعية وبالقواعد الشرعية ولا علاقة له بمسائل مثل « الغيرة » وغيرها وعلى « الغيرة » أن تتابع الشرع الإسلامي.

فالقانوني والفقيه لا يعرف مصدراً من مصادر التشريع اسمه « الغيرة » و إنما يعرف الأدلة الشرعية من نصوص وإجماع وقواعد شرعية وأصول عملية، فالأدلة هي الحكم..

والذي يريد أن يناقش حكماً شرعياً عليه مناقشة دليل الفقيه وقواعده التي بنى عليها حكمه، وبخلاف ذلك فهو من عفاط العيارين وكلام أهل الرذيلة حيث ينتقدون القانون الإسلامي بمعاييرهم العامية وفكرهم المنحط.

ثانياً: تسويق استعراض الموروث الشعبي على أنه قانون:

هناك توجه سياسي يقوده اليهود سراً، لأجل تدمير البنية الأساسية للتشريع الإسلامي وغيره من التشريعات التي يريدون تدميرها في المجتمع، وهذا المبدأ يستند إلى تشخيص الموروث الشعبي وتحويله تدريجياً إلى قانون موازٍ للقانون المراد ضربه كالتشريع الإسلامي، وذلك بدفع العادات والتقاليد النابعة من التطور الاجتماعي، وتطور الامتثال للأحكام الشرعية، بنفس الاتجاه، ولكن بقيم غير موجودة أساساً في ذلك التشريع، حتى تتحول العادات والتقاليد المنافية للإسلام إلى أنها هي القانون الذي يتحاكم عليه الناس، وهي العرف الذي يسود تفكير الإنسان، وبالتدريج يجد الإسلام والقرآن نفسه خارج حياة الناس، وهو مجرد تحفة فنية معلقة على الجدران.

إن خطورة تسويق استعراض الموروث الشعبي تتمثل في استبدال تشريع بدل تشريع، واستبدال دين حقيقي بدين مزيف قد يسمى بنفس التسمية ولكن لا علاقة بينهما.. ومن قلة فهم الناس أنهم لا يستطيعون تمييز هذه اللعبة وفك

دورتها فهي في دائرة محكمة غير منتجة منطقياً ؛ فالتقاليد السليمة هي ما أخذت من الشرع في الأساس، ولكن التسويق للتراث الشعبي يريد أن يجعل الشرع تابعاً لهذه التقاليد، فدار الأمر دورة عجيبة فأيهما يأخذ من الثاني؟

وما هو المقبول؟!

وما هو الخطأ؟!

في ظرف كهذا لا يمكن معرفة رأس الخيط الذي يفرّق بين الحقيقة والخطأ، وها نحن في عالمنا قد تحوّلت الكثير من التقاليد إلى دين يخالف دين الإسلام فمثلا الأعياد الإسلامية أصبحت تدريجياً أياما للفساد الأخلاقي والعادات الغريبة عن جوهر الإسلام، ويقابلها تحويل العادات والتقاليد البدوية الخشنة تجاه الأموات إلى دين يعادي الأموات والقبور. له خصائص دينية عجيبة غريبة لم يسمع بها الفقه الإسلامي وما هي إلا عادات بدوية جاهلية بدأت تتحوّل إلى دين شديد الخطورة وشديد العداء لرموز الإسلام بسبب

العداء لقبورهم. وهذا كله لا علاقة له بالفقه الإسلامي بكل اتجاهاته. وكل التكيفات والتبريرات إنما هي في ربط ما لا علاقة له به.

حتى الاتجاه والمذهب الذي يُدّعى بأنه الأصل الذي يعتمده الهاجمون على الإسلام وهو المذهب الحنبلي. و الذي يتشدق به المعادون للإسلام، على اعتبار انه متشدد. ليس فيه أبداً مثل هذا التوجه أو التوجيه للعادات الشعبية الجلفة ففي المذهب الحنبلي كتب ودراسات عن عظمة قبر إمام المذهب أحمد وكرامات القبر وبركات زيارة قبر ابن حنبل والتبرك بجثمان ابن تيمية، إلى آخره مما لا يجوز التطويل فيه.

وها نحن نواجه قضية أكثر خطورة وهي اختراع أسس جديدة للتشريع على الطريقة الأمريكية حينما بدأ الفاسقون منهم بالضغط على الكنيسة للتخلي عن شروط الطلاق في الكنيسة حيث أوجدوا مقاييس مكونة من مجموعة من الأهواء والمنطق اللا ديني لفرضه على الدين وإعطاء صبغة الدين لفسقهم،

فلوريا صوفين تمكنت من تحصيل أمر بأمومتها لبنتها من الزنا بعد اثنتي عشر سنة بحكم أن تكوّن الطفلة كان من صداقة وحب، وهذا ما يقبله المجتمع الأمريكي فوافقت الكنيسة اخيرا على هذا القرار، وهنا الخطورة من إيجاد أسس للتشريع من خارج حدود الشرع.

وكاتب هذه الصفحات يريد منا هذا بالضبط... فهنا يطالبنا بالغيرة لتغيير أحكام الله وهناك يطالبنا بكره الرموز الإسلامية وتحويل عداءه القبور إلى عقيدة وتشريع وغيرها، من التلاعب بالمعايير ومصادر التشريع بما لم ينزل الله بها سلطاناً.

وهذا تسويق خطير لأفكار لابد للمسلمين عموما أن يلتفتوا لها ويجدوا حلاً لهذا التخريب للشريعة باسم الشريعة.

ثالثاً: المداخلة بين العقيدة الفقه:

عادة حينما يتحاور أصحاب المذاهب والديانات يكون أول بحثهم في مسائل العقيدة ونواحيها ولا يتطرقون إلى مسائل فقهية لأن ملاكات الفقه تنحدر من العقيدة.

ابتداءً من نظرية المعرفة وانتهاء بنظرية التكليف وكيفية براءة الذمة، فتكون كل أبحاث الفقه فضلة بالنسبة للباحث عن الديانة وعن المبدأ.

ولكن لأن المسألة هنا فيها غش وفيها مسائل لا علاقة لها ببحوث الدين و إنما هي بحوث شغبية تؤمن بقاء المسلمين لا يفرقون بين الناقة والجمل..

فأصبح من المألوف أن يقول لك أحدهم أنت كافر لأنك تقول بالتقية!!..

أو لأنك تصلي على الأرض وما انبتت عدا ما يؤكل ويلبس!!..

أو لأنك تقول بالمتعة وما شابه ذلك!!..

والحقيقة أن قوله « أنت كافر » يعني مخالفة العقيدة

والأسباب التي يدعيها (مثل التقية والمتعة..) هي فقه ولا علاقة لها بالعقيدة من قريب أو بعيد فيقوم بالمداخلة بين العقيدة والفقه ويحكم بكفرك بناءاً على المخالفة مع رأيه الفقهي الفطير، وهكذا يتم التحكم بمعايير لا عقلائية لتمشية أمر التكفير والتفسيق وإهانة الإسلام والمسلمين.

وهذه القضية لا يعانيها الشيعة وحدهم من هؤلاء، بل حتى السنة بمختلف اتجاهاتهم يتعرضون لهذه الهجمات.

بل حتى رؤوسهم من سلفية عتيدين، أنفسهم يتعرضون لنفس الجزاء في بعض الأحيان.

فهذه مسألة زواج المسيار والزواج بشرط الطلاق بعد ساعة التي قال بها شيوخهم (وهي صحيحة بحسب الفقه السني).. تجد في هؤلاء وبكل وقاحة من يصفها بأنها باطل وكفر وفسق وخروج على الإسلام! فقد تم تكفير علمائهم بسبب فقهي!! (من حفر حفرة لأخيه وقع فيها).

ومسألة خلط الفقه بالعقيدة مسألة في غاية الخطورة لأنها تدل على عدم القدرة على تصنيف المواضيع وعدم استيعاب فكرة تقسيم الإسلام لحدود التزاماته الفكرية والقانونية والعبادية، وهذا أخطر ما يواجه المسلم في الحقيقة وتفصيله ليس هنا.

رابعاً: المراهنة على جهل الناس بالفقه وعدم مراجعة المطروح بعد القراءة (نظرية [التلقي المجرد] السياسية).

إن مما يساعد هؤلاء المندسين في الإسلام معرفتهم بالتسطيح الثقافي عند المسلمين، فالمسلم في الغالب لا يقرأ، ولا يقبل أن يتحقق من معلومة قرأها، ولا يستثنى من ذلك الباحثين، فهذه البحوث الإسلامية كأنها استنساخ لمقالات ليس إلا...

فما أن يكذب أحدهم في بحث، فستجد البحوث كلها قائمة عليه، سواء ذُكر ذلك البحث كمصدر أم لا، وتبنى عليه بنايات من البحوث الكاذبة،

من دون تحقيق وليس ببعيد عنا الدراسات التافهة الكاذبة التي تربط بين التشيع والمجوسية أو عبد الله بن سبأ الشخصية المختلف في وجودها، ولكن من غير المختلف على أسطورية تأثيرها في العالم الإسلامي.

وكل ذلك مبني على التأكد من عدم الرغبة في التحقق من المعلومة عند المثقف العربي، والمنظور الفعلي هو لنظرية التلقي المجرد وخلق مبدأ الاستهلاك، بدل الإنتاج، لضمان تلهي الشعوب بثقافات مجهزة مسبقاً في الكواليس ومصاغة بشكل يساهم باتجاهين مزدوجين: الأول: الإلهاء والتحييد. والثاني: التحديد الفكري بالأطر الجاهزة.

وقد ثبت أن المسلم العادي يمكن تلّقيه لأي نظرية فقهية من دون أن يلتفت إلى ثوابته، وهنا كان مبدأ مثل هذه الاعتراضات، على المسائل الفقهية، وتزييف المعايير ومصادر التشريع، لأن المسلم ليس من عادته أن يسأل: من أين لك هذا؟!!

فثقة المسلم بطول اللحية، والتأشير بالمسواك عالية جداً، ولا يستطيع أن يتخيل بأن وراء ذلك كارثة حضارية ودينية..

وإذا بدأ يشك بالمظهر الديني فهذا أيضاً مطلوب من تلك الدوائر التي تختلق هذه المعايير حيث إن الشك بالمظهر الديني سيحوّل الشاك إلى (لا ديني) وهذا من أعظم انتصاراتهم، فهي ضرب عصفورين بحجر واحد.

فإن هذه الانتقادات للفتاوى لها أكثر من سنة، وقد أجيب عليها بشدة، ولكن فاعليها يعيدونها بلا خجل أو حياء.

لتشخيصهم لطبيعة المجتمع وعدم إجراء تفحص لما يقولون وأن الشعوب العربية لا تسأل عن معايير الحكم الذي جاء به صاحب الورقة، ما دامت فيها شبهة القبول بمواد مثل الغيرة والشرف والكرامة، وهم يعلمون علم اليقين بأن الدوائر اليهودية حينما بدأت تسرب عبر الأفلام السينمائية فكرة كرامة المرأة حتى اعتقدتها النساء المسلمات، كجزء من حق تشريعي، وباتت

معضلة فكرية لم يفكر حتى القضاء في معالجتها كمعيار خاطئ، وكهذا أصبحت المرأة المسلمة ترفض الزواج المتعدد نهائياً، وهي مستعدة حتى للكفر في سبيل عدم مس « كرامتها »!

هذا المعيار المفتعل والذي يحيّر حتى القوانين الوضعّية في طلب الزوجة الطلاق بسبب زواج الزوج من ثانية.

وهذه التجربة وغيرها، منظورة لصانع هذه الورقة، فهو يعرف بأنه يستطيع خلق الخطأ بطريقة التلقي المجرد، من قبل المستهلك.

خامساً: استخدام مبدأ التشويش في المراجعة من خلال تغيير أرقام الصفحات في المراجع ومن ثم الاقتطاع الفني للنص والكذب في التوصيف.

وهنا نأتي إلى تقنيات التشويش على عقل من يريد التأكد من المعلومات..

فإن صانع هذه الورقة يعلم علم اليقين أنه ليس بمقدوره دائماً إيجاد معيار جديد يتحكم به في عقول الناس حيث يحتاج في كثير من الأحيان إلى مادة ليستشهد بها ويجعلها مركز بحثه..

ولكن ماذا يفعل إذا لم يجد بالطريقة التي يريد؟!

سيقوم عند ذلك بعمليات تحريفية وتزوير في الوثائق (تدليس) بحيث يوجه النص كما يريد، ويعمد قبل كل شيء إلى نص يرى أنه أكثر النصوص قابلية لتطبيق معاييره، ويهجم عليه بصورة كبيرة ويجعله أول النصوص، ليخلق حالة نفسية لتقبّل التطبيق للمعايير على التي بعدها، وإن كان نفس معياره لا ينطبق على تلك النصوص بدقة.

فمثلاً ما علاقة « غيرة » المسلمين في مسألة النظر إلى السافرات المتعريات في الشوارع بدون شهوة؟!!

فهو يعرف إن معياره إذا طبقه على حياته فعلاً ينبغي عليه أن لا يجوّز السكن أو المشي في المدن التي ينتشر فيها السفور.

بينما نجد إن أصحاب هذا المعيار أنفسهم في حركة مكوكية في بلدان الغرب بين العراة (بحسب الفقه الإسلامي) فكل المجتمع كاشف عن عورته لأن المرأة كلها عورة ما عدا الوجه واليدين وهن شبه عاريات في بلاد المسلمين!!.

فأين « الغيرة » وتطبيقها وهل يمكن أن يكون هناك ضحك على الذقون كهذا؟!!

ومن هنا يقوم بعملية تزوير وإعطاء أوليات فنية ولكن يمكن أن ينكشف التزوير فماذا سيعمل؟!

سيقوم بتزوير ثان، وهو تعمية أرقام الصفحات وتغيير المواقع فالباحث حينما يريد التأكد من مثل هذه الفتيا لن يجدها فيقول لعل هناك خطأ في

الطبعة أو لعل المؤلف رفع هذه الفتوى ويبقى في شك من نفسه ولا يكمل البحث. لعدم وجود المادة المشار إليها في مكانها!!

وسآتيكم بمثال من هذه المقالة فقط على مسألتين من كتاب السيد الخميني رحمه الله.. مثلاً يقول صاحب الورقة ما هذا نصه:

(يقول الخميني في كتابه تحرير الوسيلة ص٢٤١ مسالة رقم ١٢)

وكذلك المسألة الثانية:

(يقول الخميني في تحرير الوسيلة ص٢٤١ مسألة رقم ١١)

وتحرير الوسيلة مكون من جزأين، الأول في العبادات والثاني في المعاملات، فلم يحدد في أي جزء!!

وحينما تبحث في الجزأين لن تجد النتيجة، فما المشكلة إذن؟!

سيقول لك خطأ طباعي!!.

ولكن حينما نرى الاقتطاع والتزوير نعرف بأنه ليس لخطأ طباعي و إنما لتصعيب عملية المتابعة والتحقيق.

بينما تجد الفتوى في الواقع في الجزء الثاني ص ٢١٦ المسالة ١١ والمسألة ١٢!!!

وهي في ملحقات الوطء من باب النكاح ولا علاقة لها بالمتعة بالصغيرة وما شابه ذلك!!!.

و أما ما أورده من الزواج بالزانية فاختلاف الصفحة غريب حيث أنه أوقعها خارج باب النكاح فقال (تحرير الوسيلة ج٢ ص٢٩٢) والحال أن هذه الصفحة في كتاب الطلاق، بينما المسألة هي في ج ٢ ص ٢٦١ وهذه أمثلة للتضييع والتشتيت المتعمد، وذلك يعتمد إستراتيجية واضحة في تضييع

القدرة على المتابعة والتحقيق فيما يقول وإعطاء صفة الموثوقية لنقده ومن ثم يتمكن من مقصده المزدوج بشتم الشيعة وتحطيم مباني الإسلام سنيه وشيعيه.

وهناك مسألة المداخلة بين الموضوع الفقهي وبين كتب الأحراز! وحساب الجمل!! في مقابل الفتوى!!!

سنبيّن مدى الخيانة في التناول.. وسنبين الاقتطاع للنص حين دراسة النص المبتور.. وهذا كله يبين مدى الولع بالحقد والكره تجاه الفقه الإسلامي وتجاه أهل البيت خاصة بحيث يقرءون بلا عقل مفهرس فيداخلون ما لا يتداخل.

وعلى كل حال فإننا سنشرع ابتداء من الحلقة الثانية في دراسة كل فتوى أوردها على حدة لنرى مدى علم ومصداقية صاحب المعايير الجديدة...

٢

في هذه الحلقة سنشرع بدراسة إحدى الفتاوى التي أوردها صاحب المعايير المختلقة ونستشف من خلال ذلك الهدف الحقيقي لأمثال هؤلاء...

أولاً: الفتوى الأولى التي طرحها.. هكذا يقول صاحب الملف:

الخميني يبيح التمتع بالبنت الرضيعة:

يقول الخميني في كتابه تحرير الوسيلة ص٢٤١ مسالة رقم ١٢ (وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة)!

انتهى قوله....

وما هي الحقيقة؟!

يجب أن ننقل كامل النص ثم نعلق:

تحرير الوسيلة في ج ٢ ص ٢١٦ وهي على النحو التالي:

مسألة ١٢ – لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دواماً كان النكاح أو منقطعاً، وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة، ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى... الخ.

وهنا ملاحظات:

أولاً: الفتوى ليست في باب المتعة إنما هي في باب النكاح عموماً.

ثانيا: الفتوى ليست في صدد إباحة التمتع أو عدم إباحته، وإنما بصدد بيان لواحق الزواج بالزوجة الصغيرة، وهل يجوز وطؤها أم لا، فالجواب لا يجوز قبل إكمال التسع كما هو واضح.. هناك سؤال ثاني يسأل إذن هل يجوز الاستمتاعات غير الوطء، الجواب نعم.

ثالثاً: بيان حد الصغر، أجاب بأن لا حد للصغيرة في الزواج حتى الرضيعة فهي يصح عنها زوجة بموجب العقد.

رابعاً: لو عبث بها لما دون الإفضاء – وهو اتحاد الموضعين – هل عليه حد أو غرامة؟!. الجواب: لا حد عليه ولا غرامة.. ولكن عليه إثم شرعي.

خامساً: أراد أن يؤكد بأن هذه الأحكام هي لعموم النكاح بكل صوره فقال: دواماً كان النكاح أم منقطعاً، وهنا نقول:

١ – تبيّن كذب وتحريف هذا الكاتب حين صورها بأنها في « المتعة » وأنه يجيز التمتع بالصغيرة!.

٢ – أوردها مورد الشتم، والحقيقة إن هذه الفتوى مما أجمع عليه المسلمون، وإني أتحدا أي فقيه أن يقول إن هذه الفتوى خلاف الفقه بكل المذاهب.. فعلى صعيد المذاهب الأربعة، يرون بالتسليم واليقين فتوى بل يرونه من عمل

رسول الله ص وأن رسول الله ص فعل ذلك بالسيدة عائشة، فتزوجها بنت ست سنوات، ودخل بها بعد بلوغها التاسعة، وهذا يكشف عن جواز الزواج من الصغيرة غير البالغة وعدم جواز وطئها قبل التاسعة، وباقي الاستمتاعات مسكوت عنها ينطبق عليها عموم حقه في زوجته والأصل عدم التحريم فيما لا نص عليه.

٣ – يُشم من شتمه للفتوى، رائحة اليهود والنصارى في شتمهم لرسول الله ص بتجويز الزواج من الصغيرة، ورد هذا الاعتداء ليس تكليفنا فقط و إنما هو تكليف كل مسلم يدافع عن إسلامه ونبيّه أمام هذه الهجمة الكافرة غير المنطقية.. الذين لا يملكون الدليل على عدم صحة هذا الحكم غير التنطع والتكلم بكلام غير مفهوم وغير واقعي من قبيل ظلم البنت والوحشية وما شابه ذلك فأي ظلم؟ إذا كان على الزوج الإكرام والمحبة والنفقة، ولا يجوز

له العبث بها، فأي ظلم في تعلق الحق بالعقد وإعطاءها صفة القيمة العقدية كإنسان كامل.

ولو أن الكاتب كشف عن هويته النصرانية أو اليهودية لأريناه ما في كتبهم من جرائم وفضائح تجاه الأطفال والبشر والقوميات، مما يندى له الجبين، ولكنه متستر بستر الإسلام تحت لواء اللا هوية. والمشكلة أنه يتكلم باسم إخواننا أهل السنة بما هم براء منه.

٤ – فهذا الحكم عند جميع المسلمين من المسلّمات.. وللاختصار أورد بعض النصوص الفقهية من كتب أهل السنة — لأنه يتشدق بهم – ولا أستقصي لعدم الحاجة فهو من المسلمات الفقهية عند جميع المسلمين.

كلمبسوط، للإمام السرخسي: المجلد الثامن، الجزء ١٥، كتاب الإجارات.

(ولكن عرضية الوجود بكون العين منتفعاً بها تكفي لانعقاد العقد، كما لو « تزوج رضيعة » صح النكاح)

فهذا نص صريح بجواز الزواج من الرضيعة، وحلية تعلق الاستمتاع بالمنفعة، إذ لا معنى لعروض المنفعة على العين المعقود عليها غير الانتفاع بشكل من الأشكال.

وما تقول فيمن عنده زوجة رضيعة أرضعتها زوجته الكبيرة؟

المبسوط، الإصدار للإمام السرخسي: المجلد العاشر (الجزء ١٩)، كتاب تفسير التحريم بالنسب، باب نكاح الشبهة:

قال ولو أن رجلًا له امرأتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة وللكبيرة لبن من غيره ولم يدخل بها « فأرضعت الكبيرة الصغيرة » بانتا منه بغير طلاق

لأنهما صارتا أماً وبنتاً وذلك ينافي النكاح ابتداء وبقاء والفرقة بمثل هذا السبب تكون بغير طلاق.

أقول: ما سيقول حينما يجد حقيقة وهي افتراض أن الصغيرة ثيب أو حامل في الفقه السني وهل تكون ثيباً أو حاملاً إلا بما يلزم؟!!

وهل يكون حمل من دون رواج بالبواعث النفسية(والجسدية ليتقرب البلوغ البيولوجي؟!! أم لكم عقول لا تفكرون بها؟!!

اقرأ:

الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري " الجزء الرابع، مباحث العدة، مبحث انقضاء العدة بوضع الحمل:

- « عدة الزوجة الصغيرة الحامل » – عدة الحبلى بوطء الشبهة —٠أو....

المبسوط، الإصدار للإمام السرخسي: المجلد الثاني، (الجزء ٤)، كتاب النكاح.

وقوله: (والثيب تشاور) دليل على أنه لا يكتفي بسكوت الثيب فإن المشاورة على ميزان المفاعلة، ولا يحصل ذلك إلا بالنطق من الجانبين و بظاهره يستدل الشافعي على أن « الثيب الصغيرة » لا يزوجها أحد حتى تبلغ فتشاور، ولكنا نقول هذا اللفظ يتناول ثيباً تكون من أهل المشاورة، والصغيرة ليست بأهل المشاورة فلا يتناولها الحديث.

المبسوط للإمام السرخسي: المجلد التاسع الجزء (١٧)، كتاب الدعوى، باب الولادة والشهادة عليها:

قال: ((رجل طلق « امرأته الصغيرة ومات عنها فجاءت بولد » فهذا على ثلاثة أوجه: إما أن تدعي الحبل أو تقر بانقضاء العدة أو كانت ساكتة فإن

ادعت حبلاً ثم جاءت بالولد لأقل من سنتين منذ مات الزوج أو فارقها ثبت النسب من الزوج)).

ثم إذا كان قد اطلع صاحبنا على الفئه كان لابد أن يعرف بأن في كتب الفقه السنية أن الصغيرة لا عورة لها، فما الذي يضير من النظر إليها وغيره في غير الزواج حتى يضير في الزواج بناءاً على مبانيهم. فليقرأ:

فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني: المجلد التاسع، كِتَاب النِّكَاحِ، باب النَّظَرِ إلى المرْأَةِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ.

وقال أيضاً: في الاحتجاج بهذا الحديث للترجمة نظر، لأن عائشة، كانت إذ ذاك في سن الطفولية (فلا عورة فيها البتة)، ولكن يستأنس به في الجملة في أن النظر إلى المرأة قبل العقد فيه مصلحة ترجع إلى العقد.

المبسوط، الإصدار للإمام السرخسي: المجلد الخامس (الجزء ١٠)، كتاب الاستحسان. وجدت الكلمات في الفصل:

(وهذا فيما إذا كانت في حد الشهوة فإن كانت صغيرة لا يشتهى مثلها فلا بأس بالنظر إليها « ومن مسها » لأنه ليس لبدنها حكم العورة ولا في النظر والمس معنى خوف الفتنة.)

وهل الصغيرة إذا فعلت الزنى تكون زانية ليقرأ صاحبنا وليجيبنا بأيهما أهم الزواج من الصغيرة أم الزنا بالصغيرة ولا يعد زنى عندهم؟! فهم يجوزون الزنى بالصغيرات بلا حرمة ولا تبعة اخلاقية أو شرعية.

المبسوط، الإصدار للإمام السرخسي: المجلد الخامس (الجزء ٩)، كتاب الحدود، باب الشهادة في القذف:

وقوله زنيت وأنت صغيرة محال شرعاً ؛ « لأن فعل الصغيرة لا يكون زناً شرعاً. ألا ترى أنها لا تأثم به ».

وهل وطء الصغيرة في نهار الصائم يوجب الكفارة؟!!

اقرأ يا صاحبي الفهيم:

الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري: الجزء الأول، كتاب الصيام، ما يوجب القضاء والكفارة:

وأما وطء البهيمة والميت والصغيرة التي لا تشتهي فإنه لا يوجب الكفارة ويوجب القضاء بالإنزال.

ومعناه أنه لو لم ينزل لما وجب عليه حتى القضاء!! تحيـــاتي..

فأين دين فرويد يا نسل فرويد؟!!

٣

ثانياً: الفتوى الثانية.. يقول صاحبنا:

الخميني يبيح وطء الزوجة في الدبر:

يقول الخميني في تحرير الوسيلة ص٢٤١ مسألة رقم ١١ (المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة)!

قلت: نشكر الخميني على قوله (على كراهية شديدة)، ولا نملك إلا ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ملعون من أتى امرأة في دبرها)

انتهى قوله..

ما هي الحقيقة؟!

أولاً: ننقل المسألة من موقعها الصحيح وبنصها الكامل ثم نعلق عليها...

تحرير الوسيلة في ج ٢ ص ٢١٦ (وهي بنفس صفحة المسألة السابقة وقبل تلك المسألة بمسألة):

مسألة ١١ – المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة، والأحوط تركه، خصوصاً مع عدم رضاها.. انتهت المسألة....

فنبدأ بشرح لبعض المفردات في الفتوى:

١ – المشهور: يعني وجود فتويين وهذه اشهر من الثانية.

٢ – الأقوى: يعني وجود دليلين ودليل هذه المسألة أقوى من الأخرى.

٣ – على كراهية شديدة: يجتمع بين المنع ومنافي المروءة.

٤ – والأحوط تركه: يعني بأن السيد لم يركن إلى المشهور لخدش فيه ومال إلى الأصل العملي وهو الاحتياط، ومؤداه الترك.. ويعني عدم التأكد من توفر

المعذورية لمن فعله حيث لم يركن إلى دليل المشهور.. ويتأكد الاحتياط بحالة عدم رضاها.

(وهناك تفسير ثان لهذا الاحتياط وهو التردد في المسألة لتعارض الدليلين والركون إلى الأصل العملي الذي هو المرجع حين فقد الدليل أو اشتباهه فيكون الاحتياط هنا محمول على المبغوضية العامة خصوصاً بناءً على مصطلح الاحتياط المسبوق بفتوى)..

النتيجة عدم إطلاق اليد بالجواز والحكم بالكراهة المشددة والاحتياط... فأين ما فهمه صاحبنا الذي يقرأ بالمقلوب؟!.

وكيف دلس ورفع اعتراضه على المشهور بقوله « والأحوط تركه »!! الذي لم يكمل به النص ولا بما بعده!!.

فهذا ما يكشف سبق التحضير للتزوير لأجل الشتم وإثارة الفتن الطائفية، بما يوقف نمو الفكر الإسلامي وتمكين الغرب الكافر من السيطرة على المسلمين وتدمير الإسلام من أساسه.

التعليق:

هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها المسلمون قديما، في بداية الإسلام وفيها نصوص متعارضة عند الطرفين، وقد استقر الفقه السني المتأخر على التحريم.

ولكن المشكلة في الحقيقة هو في الاستقرار في الفقه السني بعد القرن الرابع أو الخامس هجري! .. وسوف نرى هل أن السنة الأوائل كانوا على رأيين أم رأي واحد!

ومن دراسة الموضوع فأن فقهاء السنة القدماء كانوا على رأيين، بينما ما اثر عن الصحابة لم يكن فيه اي نص على التحريم وسيأتي الكلام.

ويبدو بأن الفهم غير دقيق للأدلة بينما الأصل الأولي يقتضي الجواز لعموم صور الانتفاع والتلذذ بين الزوج والزوجة بمقتضى نفس الزوجية المزيلة للموانع الجسدية ما لم يخرج بدليل قطعي وأما العموم القرآني فلا شك فيه ولكنهم خدشوه برواية آحاد وظن شخصي بالتخصيص وكلاهما ليس بحجة خصوصاً إذا كان خبر الواحد معارضاً بمثله أو زيادة ولعل روايات سبب النزول رافعة لتخصيص خبر الآحاد.

وأطرف ما في الباب هو مناظرة الإمام الشافعي مع محمد بن الحسن في تخصيص الآية بالظن الشخصي.

وهنا سنبين بأن الفقه السني القديم فيه الاتجاهين، ودليل الجواز أقوى من دليل الحرمة، ولكن لأسباب مجهولة تبنى الفقه الدليل الضعيف في قرون متأخرة عن زمن التشريع.

ونأتي على الأدلة بالتفصيل:

أدلة الحرمة:

الدليل الأول:

رواية « ملعون من أتى امرأة في دبرها »

ونبدأ الرواية التي أوردها صاحبنا في ملفه بقوله: ولا نملك إلا ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ملعون من أتى امرأة في دبرها).

فهذا أولاً – وقبل كل شيء – مطعون سنداً، وهو غير مسلم بالصحة.

ولكن الأهم فإنه مطعون متناً إذ هو ليس في حال الزوجة وإنما في حال المرأة غير الزوجة ولأن نكاح الدبر في المرأة لا يسمى زنا (سيتبين فيما بعد) فيكون اسمه هكذا « إتيان المرأة في دبرها ».. فهذا أجنبي تماماً عن محل البحث، وهو نهي عن اللواط بالمرأة (مطلقا) وهذا مما لم يختلف عليه مسلم، وهكذا فهمها الإمام مالك (انظر التعليق على الرواية تحت في فيض القدير)، وقد أورد أحدهم للنص بـ (أتى امرأته) ولكن لم يتابعه عليه أحد لأنه تصحيف قطعي.

وهنا سنعرض لتصحيح هذا الحديث:

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي: الجزء السادس [تابع حرف الميم] الحديث رقم:

٨٢٠٤ – (ملعون من أتى امرأة في دبرها) أي جامعها فيه فهو من أعظم الكبائر إذا كان هذا في المرأة فكيف بالذكر وما نسب إلى مالك في كتاب السر من « حل دبر الحليلة » أنكره جمع.

(حم د) وكذا النسائي وابن ماجه كلهم في النكاح من طريق سهل بن أبي صالح عن الحارث بن مخلد (عن أبي هريرة) قال ابن حجر: والحارث بن مخلد ليس بمشهور وقال ابن القطان: لا يعرف حاله وقد اختلف فيه على سهل اهـ "فرمز المصنف لصحته غير مسلم"

هذا وقد ورد بلفظ آخر يدل على إرادة غير الزوجة، أنظر:

فتح الباري، شرح صحيح البخاري، الإصدار ٢,٠١ للإمام ابن حجر العسقلاني: المجلد الثامن. كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. باب نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ الآية.

وأخرجه الترمذي من وجه آخر بلفظ " لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر " وصححه ابن حبان أيضاً.

كشف الخفاء للإمام العجلوني، حرف الميم، الحديث رقم:

٢٣٣١ – ملعون من أتى امرأة في دبرها.

.. وقال المناوي رحمه الله تعالى ((وسنده صحيح ونوزع)).

أي نوزع في القول بالصحة لأن راويه مجهول والآخر مختلف فيه ولكن هناك رغبة شديدة بتصحيحه، فحتى لو صح فهو لا يدل على المطلوب أي في الحليلة، ولا يرتفع إلى مرتبة المخصص.

فهذا دليل ظني لا ينهض بنقض الأصل ولا بتخصيص العموم القرآني ؛ فهو منازع في سنده ومطعون في متنه حيث إن الأقرب إرادة غير الحليلة فيه، كما

يدل على ذلك عموم لفظ امرأة وحديث فيض القدير في أنه بالدبر المحرم كدبر الرجل والمرأة.

ملاحظة هامة جداً:

وهي إن الفقهاء القدامى لما قبل القرن الخامس لم يستدلوا مطلقاً بهذه الرواية في الموضوع لأسباب مجهولة، وكأنهم غفلوا أربعة قرون عن هذه الرواية!!!! وكان جل استدلالهم بالرواية الآتية ورواية ابن عباس النافية لرواية بن عمر، وبالاجتهاد في الفهم وسيأتي طرق ذلك.

الدليل الثاني:

حديث عمر هلكت حولت رحلي

يبدو أن أول من ثبته في كتب الحديث هو الإمام أحمد في مسنده كما تتبعت ذلك..

مسند الإمام أحمد، المجلد الأول، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسن حدثنا يعقوب يعني القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

– جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت قال: وما الذي أهلكك قال: حولت رحلي البارحة قال: فلم يرد عليه شيئا قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتقوا الدبر والحيضة.

(قالوا في تفسير حولت رحلي:

(قوله: « حولت رحلي الليلة »: كنى برحله عن زوجته أراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها لأن المجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلي وجهها فحيث ركبها من جهة ظهرها، كنى عنه بتحويل رحله، إما نقلاً من الرحل بمعنى المنزل أو من الرحل بمعنى الكور وهو للبعير كالسرج للفرس كذا في المجمع.

(أقبل) أي جامع من جانب القبل.

(وأدبر) أي أولج في القبل من جانب الدبر.

(واتق الدبر) أي إيلاجه فيه..

قال الطيبي رحمه الله: تفسير لقوله تعالى جل جلاله ((فأتوا حرثكم أني شئتم))..) تحفة الأحوذي.

والحديث يوصف بالغرابة والحسن وهو يعني خبر واحد تفرد به الراوي الأول له ؛ وفي بعض رواته ما لم يصل إلى حد الضبط، وقد نص المباركفوري بأن اثنين من رجاله قليلي ضبط (يهم) فأنتبه.

مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقاة.

نيل الأوطار للإمام الشوكاني: رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن غريب.

سنن الترمذي وشرح العلل للإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

تحفة الأحوذي للمباركفوري: ((قوله: (أخبرنا يعقوب بن عبد الله) بن سعد الأشعري أبو الحسن القمي بضم القاف وتشديد الميم صدوق « يهم » من الثامنة (عن جعفر بن أبي المغيرة) الخزاعي القمي ؛ قيل اسم أبي المغيرة دينار صدوق « يهم »، من الخامسة)).

والنص الذي أورده الإمام أحمد يختلف عن نص الطبراني في معجمه حيث لم يورد كلمة واتق الدبر والحيضة وإنما أورد أمراً آخر وهو: (اتقي الدم والحيض) ليشمل النفاس والاستحاضة بقوله الدم ؛ وهذا معقول جدًا لأنه من جنس واحد ولتكميل المنوع القطعي. وهو يدل على احتمال تصحيف في تلك الرواية لن هذه اقرب للفقه من اتقاء بقية الدماء غير الحيض.

معجم الطبراني الكبير، باب الظاء، أحاديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سعيد بن جبير عن ابن عباس.

حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني ثنا يونس بن محمد ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي فلم يرد عليه شيئا حتى

نزلت نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم يقول أقبل وأدبر « واتق الدم والحيض » (١٢/ ١١).

والتعليق على الحديث بشكل عام:

١ – الحديث ليس بالصحيح و إنما هو حسن غريب، فهو خبر واحد فيه شبهة عدم الضبط فلا يسلم من الخدش.

٢ – الحديث فيه شبهة التصحيف حيث رواه الطبراني بتبديل كلمة دبر بكلمة دم وهي أولى في المقام حيث إن الحديث بصيغة الدبر فيه سكوت عن دم النفاس و الاستحاضة وهذا مخالف للإجماع.

فتكون كلمة « دم » أولى من كلمة « دبر » من هذه الجهة.. وبهذا يخرج الاستدلال بهذا الحديث من المنع إلى الجواز.

٣ – لا تناسب بين مقدمة الحديث وبين تاليه:

فقول الخليفة عمر ((هلكت)): يدل على فعل غريب لم يفعله أحد وخشي أن يكون فيه حرمة..

فلو كان بالمعنى الذي ذكروه من تحويل الرحل وهو أن يأتيها من خلفها في قبلها فالروايات تنص على أن أهل مكة ومنهم عمر كانوا يفعلون ذلك جميعاً ولكن نساء المدينة اشتكين من ذلك!!

وفي روايات إنما استنكر ذلك اليهود ولا علم للمسلمين بهذا المستنكر!!

اقرأ النص التالي وهو يختصر صفحات من النصوص المشابهة للنص الذي نقلته من الدر المنثور للإمام السيوطي:

وأخرج ابن أبي شيبة عن مرة قال: كانت اليهود يسخرون من المسلمين في إتيانهم النساء، فأنزل الله {نساؤكم حرث لكم...} الآية.

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كانت الأنصار تأتي نساءها مضاجعة، وكانت قريش تشرح شرحاً كثيراً، فتزوج رجل من قريش امرأة من الأنصار، فأراد أن يأتيها فقالت: لا، إلا كما يفعل.

وأخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن علي حدثه: أنه بلغه أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يوماً ورجل من اليهود قريب منهم، فجعل بعضهم يقول: إني لآتي امرأتي وهي مضطجعة.. ويقول الآخر: إني لآتيها وهي قائمة، ويقول الآخر: إني لآتيها وهي باركة..

فقال اليهودي: ما أنتم إلا أمثال البهائم، ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة ؛ فأنزل الله ((نساؤكم حرث لكم...)) الآية.

فإذن قولهم بأنه أراد بتغيير الرحل ما ذكروه إنما هو فبركة واضحة وتصحيف وحرف للكلمة عن معناها وكذبة لم يستطيعوا الثبات عندها ؛ لأن

قولهم صريح بأنه فِعلُ أهل مكة فكيف يستنكر بعد عشرين سنة من إسلامه تقريباً؟!!.

٤ – بعد أن ثبت بأن التفسير لتحويل الرحل تبرع غير مناسب منهم، يتبين بأن الإضافة بكلمة « اتق الدبر » تعني إثم الخليفة وارتكابه الفعلي لهذا الإثم في هذه المسألة وهم يوردوها بغير هذا المعنى بل بمعنى تنزيهه ولا يكون له تنزيهاً إلا بما رواه الطبراني بقوله اتق الدم ؛ لأنه لم يتق الدبر قطعاً بشهادة كل الروايات التي تنص على أن هذا المستنكر إنما هو فعل القرشيين من أهل مكة فليس بوارد أن يشك هو في فعل بعد عشرين سنة من إسلامه وممارسته نفس الفعل.

٥ – في القول « اتق الدبر والحيضة » مشكلة في التخصيص لأن كلمة « أنّى » في الآية إذا كانت ((زمانية)) فلا معنى للتخصيص بالدبر لأنه مكان!

وهذا خارج موضوع العموم!!.

وإن كانت ((مكانية)) فلا معنى للتخصيص بـ « الحيضة » لأنها ((زمانية)) فهي خارجة موضوعاً ! !

ولكن لو كان القول هو « الدم والحيض » يكون منسجماً مع القول بالزمانية، وإن كان هناك رأي بأن « أنّى » تشعر بالعموم الاستغراقي كما يراه بعض المحققين فتكون غير قابلة للتخصيص ولذلك قال بعضهم بأنها مكانية ولا مخصص للمكان وأما الأزمان فهي محددة سلفاً ولا تعلق لها بـ « أنّى شئتم » فهناك أوقات الدم وأوقات الحيض وحين العبادة كالصوم والصلاة والحج وغيرها من الأزمنة والحالات التي لا تمثل المكان من جسد المرأة كثيرة في المنع ولا علاقة لها بشأن جسد المرأة نفسها.

وروى الربيع في ((الأم)) عن الشافعي قال: احتملت الآية معنيين أحدهما أن تؤتى المرأة حيث شاء زوجها، لأن « أنى » بمعنى أين شئتم)..فتح الباري، المجلد الثامن، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

وهذا هو فهم الأغلب بأن « أنّى » مكانية فلا يتناسب هذا العموم الاستغراقي بالتقييد كما لا يخفى.. وسيأتي الكلام.

الدليل الثالث:

رواية بن عباس في توهيم ابن عمر

والبحث فيها سيأتي في نفس رواية نافع عن ابن عمر وهي رواية نافية لرواية ابن عمر وقالوا بأن النافي لا يحج المثبت لجواز عدم إطلاعه على ما غاب عنه ؛ وهي في سبب نزول الآية والرواية مخالفة لروايات كثيرة تقابلها في الصحة تنص على سبب مخالف لما قاله بن عباس.. وعلى فرض الصحة للروايتين فيكونان متعارضتان متساقطتان.

وننتقل إلى:

أدلـــة الجـــواز:

١ – عموم النص القرآني.

٢ – الفتاوى الأولى للصحابة كعبد الله بن عمر.

٣ – عموم حق الزوج في الانتفاع وعدم سلامة المعارض.

الدليل الأول:

عموم النص القرآني

وقد استدلوا بالآية الكريمة وسبب نزولها، وهي قوله تعالى: ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين)) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

والآية بعمومها تدل على أن النساء كسبٌ والإنسان يفعل بكسبه ما يشاء، ونحن نفهم وجوب الاستثناء بالموانع الشرعية الثابتة، ولا يجوز الاستثناء بالظن والمظنونات كخبر الواحد والظن الشخصي غير الثابت من الدلالة.

وقد اعترضوا على دلالة الآية على العموم في هذا المورد بنوعين من الاعتراض:

الأول: مفاد الحرث.

الثاني: مفاد « أنّى » هل هي مكانية غير قابلة للتخصيص أم زمانية فتكون غير شاملة للتعميم.

الأول: لقد أشكلوا بأن معنى الحرث مضيّق وموجّه وهو الزرع لا الكسب مطلقاً. ومعناه طلب الولد ؛ فيكون المسموح إنما هو مكان طلب الولد!

وقد أشكل عليهم إشكالاً عظيماً بوجوب التزام تحريم ما عدا ذلك لأنه لا يشمله الإذن وهذا باطل إجماعاً وهو من الوضوح بمكان.. وأجمل ما ورد من

إشكال هو المناظرة بين الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن وهي تغنينا عن البحث في هذا الجانب وصحته أو عدم صحته، واليك نص المناظرة:

وروى الحاكم في « مناقب الشافعي » من طريق ابن عبد الحكم أنه حكى عن الشافعي مناظرة جرت بينه وبين محمد الحسن في ذلك، وأن ابن الحسن احتج عليه بأن الحرث إنما يكون في الفرج..

فقال له: فيكون ما سوى الفرج محرماً، فالتزمه.

فقال: أ رأيت لو وطئها بين ساقها أو في أعكانها أنى ذلك حرث؟

قال: لا.

قال: أ فيحرم؟!

قال: لا.

قال: فكيف تحتج بما لا تقول به؟!.

أنظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، المجلد الثامن.

وفي الختام أورد ما أورده الفيروزآبادي في القاموس المحيط من معنى كلمة حرث وهو يبيّن بكل وضوح بأن التضييق إنما هو تحكم تبرعي محض لا دليل عليه فالكلمة تعني هنا الكسب ويطبق على نفس النكاح وغيره.... أنظر:

الحَرْثُ: الكَسْبُ، وجَمْعُ المالِ، والجمعُ بين أربعِ نِسْوَةٍ، والنِّكاحُ بالمبالَغَةِ، والمحَجَّةُ المكْدودةُ بالحَوافِرِ، وأصْل جُرادنِ الحِمارِ، والسَّيْرُ على الظَّهْرِ حتى يُهْزَلَ، والزَّرْعُ، وتَحْريكُ النارِ، والتَّفْتيشُ، والتَّفَقُّه، وتَهْيئةُ الحَراثِ، كسَحابٍ، لفُرْضَةٍ في طَرَفِ القَوْسِ يَقَعُ فيها الوَتَرُ، وهي الحُرْثَةُ بالضم أيضاً، فِعْلُ الكُلِّ: يَحْرِثُ ويَحْرُثُ.

وهذا يكفي للعاقل أن يحكم بعدم جدوى هذا التضييق للمعنى: فلا اللغة تساعد ولا لوازم المعنى تساعد كما أشار الإمام الشافعي.

الثاني: النقاش في مفاد « أنّى » هل هي مكانية غير قابلة للتخصيص أم زمانية فتكون غير شاملة للتعميم؟!.

حسب ما توصلت إليه إن هذا النقاش على كلٍ من الوجهين لا يمنع من أي من الرأيين، ولكن لو تم الإدعاء بأن « أنّى » استغراقية وهي ((مكانية)) فتكون غير قابلة للتخصيص بالمكان وهو الدبر فتسقط روايات التخصيص، وهذا ما تشكك به بعض الروايات السنية والشيعية حيث تعد « أنّى » زمانية.

ولكن اللغة لا تأبى المكانية إلا أنه ما الفائدة؟ فروايات التخصيص السنية ساقطة سنياً أساساً، لأنها لم تصل لحد الصحة، ولم تصل إلى أكثر من كونهما روايتين مبهمتين متناً وموهنتين سنداً!

وهما من أخبار الآحاد المعارضة بغيرها، وهذه لا تنهض لتخصيص النص القرآني. وإلا لكان القرآن لا معنى له حيث يخصصه الفهم الخاطئ ورواية الآحاد المعارضة!.

الدليل الثاني:

الفتاوى والروايات وسبب النزول

والعمدة في هذا الموضوع هو الرواية الجامعة المسماة رواية نافع.. وقد رأيت أن العلامة ابن حجر العسقلاني قد أغنى الباحثين عن بحث رواية نافع عن ابن عمر وقد أوسعها بحثاً وأتى بكل التشكيك فيها وبما ينفيها وقد توسع

فيها بما لا يقبل الشك، ولكن بما أن بحثه طويل جدًا فسنأتي بمقتطفات مستوفية للبحث.. والعسقلاني يقرر ما يلي:

١ – إن البخاري قد تصرف بالرواية وحذف وحرّف في الرواية لسبب مجهول.

٢ – أن الرواية تم تكذيبها في وقتها وقد جرى الحلف باليمين على صحتها من أن نافع سمعها وأنها ليست مفردة بل لها ما يشابهها من بقية الصحابة والتابعين.

٣ – هناك محاولة لتحريف معناها تجدها غير سليمة وغير منطقية.

٤ – قد أثبت على العموم صحة الرواية وصحة مفادها وتلائمها مع عموم القرآن ولكنها رفضت فتوائياً.

وهذه هي الرواية و أهم مقاطعها وكل ما فيها هو من نفس الموضع من كتاب فتح الباري:

١ – الحديث: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، المجلد الثامن، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ الآية.

الحديث:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ حَتَّى انْتَهَى إلى مَكَانٍ، قَالَ: تَدْرِي فِيمَ أُنْزِلَتْ؟!

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: أُنْزِلَتْ « فِي كَذَا وَكَذَا » ((!!))

ثُمَّ مَضَى.

وَعَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي أَيُّوبُ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ « قَالَ يَأْتِيهَا فِي » ((!!))

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

٢ – تصرف البخاري فيها:

في موضعين:

أ – (قَالَ أُنْزِلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا)

ب – (قَالَ يَأْتِيهَا فِي)

قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى) هكذا أورده مبهماً لمكان الآية والتفسير...

وقد عاب الإسماعيلي صنيع البخاري فقال: جميع ما أخرج عن ابن عمر مبهم لا فائدة فيه، وقد رويناه عن عبد العزيز – يعني الدراوردي – عن مالك وعبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب ثلاثتهم عن نافع بالتفسير، وعن مالك من عدة أوجه ا هـ. كلامه.

ورواية الدراوردي المذكورة قد أخرجها الدار قطني في « غرائب مالك » من طريقه عن الثلاثة عن نافع نحو رواية ابن عون عنه ولفظه: « نزلت في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها، فأعظم الناس في ذلك فنزلت.

قال: فقلت له من دبرها في قبلها، فقال: لا إلا في دبرها ».

وأما رواية عبد الصمد فأخرجها ابن جرير في التفسير عن أبي قلابة الرقاشي عن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي فذكره بلفظ يأتيها في الدبر، وهو يؤيد قول ابن العربي ويرد قول الحميدي.

وهذا الذي استعمله البخاري نوع من أنواع البديع يسمى الاكتفاء، ولا بد له من نكتة يحس بسببها استعماله. (؟؟)

وأما رواية محمد بن يحيى بن سعيد القطان فوصلها الطبراني في « الأوسط » من طريق أبي بكر الأعين عن محمد بن يحيى المذكور بالسند المذكور إلى ابن عمر قال:

" إنما نزلت على رسول " الله صلى الله عليه وسلم (نساؤكم حرث لكم) رخصة في إتيان الدبر، قال الطبراني: لم يروه عن عبد الله ابن عمر إلا يحيى بن سعيد، تفرد به ابنه محمد، كذا قال..

ولم يتفرد به يحيى ابن سعيد فقد رواه عبد العزيز الدراوردي عن عبيد الله بن عمر أيضاً كما سأذكره بعد، وقد روي هذا الحديث عن نافع أيضاً جماعة غير ما ذكرنا ورواياتهم بذلك ثابتة عند ابن مردويه في تفسيره وفي « فوائد الأصبهانيين لأبي الشيخ » و « تاريخ نيسابور للحاكم » و « غرائب مالك للدار قطني » وغيرها. (؟؟)

قوله: (يأتيها في) هكذا وقع في جميع النسخ لم يذكر ما بعد الظرف وهو المجرور، ووقع في « الجمع بين الصحيحين للحميدي » يأتيها في الفرج، وهو من عنده بحسب ما فهمه. (!!!!)

ثم وقفت على سلفه فيه وهو البرقاني فرأيت في نسخة الصغاني « زاد البرقاني يعني الفرج »وليس مطابقاً لما في نفس الرواية عن ابن عمر لما سأذكره، وقد قال أبو بكر بن العربي في « سراج المريدين »:

أورد البخاري هذا الحديث في التفسير فقال: « يأتيها في » وترك بياضاً، والمسألة مشهورة صنف فيها محمد بن سحنون جزءاً، وصنف فيها ابن شعبان كتاباً، وبين أن حديث ابن عمر في إتيان المرأة في دبرها. (؟؟)

قوله: (رواه محمد بن يحيى بن سعيد) أي القطان (عن أبيه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر) هكذا أعاد الضمير على الذي قبله، والذي قبله قد اختصره كما ترى، فأما الرواية الأولى وهي رواية ابن عون فقد أخرجها إسحاق بن راهويه في مسنده وفي تفسيره بالإسناد المذكور.

وقال بدل قوله حتى انتهى إلى مكان " حتى انتهى إلى قوله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم "..

فقال: أتدرون فيما أنزلت هذه الآية؟!

قلت: لا.

قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن!.

وهكذا أورده ابن جرير من طريق إسماعيل بن علية عن ابن عون مثله، ومن طريق إسماعيل بن إبراهيم الكرابيسي عن ابن عون نحوه، أخرجه أبو عبيدة في « فضائل القرآن » عن معاذ عن ابن عون فأبهمه فقال في كذا وكذا.

٣ – توثيــق الروايــة:

وتابع نافعاً في ذلك على زيد بن أسلم عن ابن عمر وروايته عند النسائي بإسناد صحيح.. وتكلم الأزدي في بعض رواته ورد عليه ابن عبد البر فأصاب قال:

ورواية ابن عمر لهذا المعنى « صحيحة مشهورة » من رواية نافع عنه بغير نكير أن يرويها عنه زيد بن أسلم. » » » »(المشهور يقرب من المتواتر قيمة)

قلت: وقد رواه عن عبد الله بن عمر أيضاً ابنه عبد الله أخرجه النسائي أيضاً وسعيد بن يسار وسالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، وروايتهما عنه عند النسائي وابن جرير ولفظه " عن عبد الرحمن بن القاسم قلت لمالك: إن ناساً يروون عن سالم: كذب العبد على أبي!

فقال مالك: أشهد على زيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع!

فقلت له: إن الحارث بن يعقوب يروي عن سعيد بن يسار عن ابن عمر أنه قال أف، أو يقول ذلك مسلم؟!

فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن سعيد بن يسار عن ابن عمر مثل ما قال نافع!!

وأخرجه الدار قطني من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن مالك وقال: هذا محفوظ عن مالك صحيح ا هـ.

وإن كانت الرواية فيه صحيحة على قاعدته.

ولم ينفرد ابن عمر بسبب هذا النزول، فقد أخرج أبو يعلى وابن مردويه وابن جرير والطحاوي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري:

((أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها، فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: نعيرها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية))..

وعلقه النسائي عن هشام بن سعيد عن زيد، وهذا السبب في نزول هذه الآية « مشهور » وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه، فروى أبو داود من طريق مجاهد عن ابن عباس قال:

((إن ابن عمر وهم والله يغفر له، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يأخذون بكثير من فعلهم، وكان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فأخذ ذلك الأنصار عنهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون بنسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأمصار فذهب يفعل فيها ذلك فامتنعت، فسرى أمرهما حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) مقبلات ومدبرات ومستلقيات، في الفرج))..

٤ – محاولة تحريف المعنى.

ووقع في « الجمع بين الصحيحين للحميدي » يأتيها في الفرج، " وهو من عنده بحسب ما فهمه ".

ثم وقفت على سلفه فيه وهو البرقاني فرأيت في نسخة الصغاني « زاد البرقاني يعني الفرج » وليس مطابقاً لما في نفس الرواية عن ابن عمر لما سأذكره، وقد قال أبو بكر بن العربي في « سراج المريدين »: أورد البخاري هذا الحديث في التفسير فقال: « يأتيها في » وترك بياضاً..

٥ – إثبات صحة الرواية والعمل خلافها:

قلت: وقد رواه عن عبد الله بن عمر أيضا ابنه عبد الله أخرجه النسائي أيضاً وسعيد بن يسار وسالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، وروايتهما عنه عند النسائي وابن جرير ولفظه:

عن عبد الرحمن بن القاسم قلت لمالك: إن ناساً يروون عن سالم: كذب العبد على أبي، فقال مالك: أشهد على زيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، فقلت له: إن الحارث بن يعقوب يروي عن سعيد بن يسار عن ابن عمر أنه قال أف، أو يقول ذلك

مسلم؟ فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن سعيد بن يسار عن ابن عمر مثل ما قال نافع، وأخرجه الدار قطني من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن مالك وقال: هذا محفوظ عن مالك صحيح ا هـ.

وإن كانت الرواية فيه صحيحة على قاعدته.

ولم ينفرد ابن عمر بسبب هذا النزول، فقد أخرج أبو يعلى وابن مردويه وابن جرير والطحاوي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخضري ((أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها، فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: نعيرها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية)) وعلقه النسائي عن هشام بن سعيد عن زيد، وهذا السبب في نزول هذه الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه..

الفتوى بخلافه: برواية بن عباس.

وقال المازري: اختلف الناس في هذه المسألة وتعلق من قال بالحل بهذه الآية، وانفصل عنها من قال يحرم بأنها نزلت بالسبب الوارد في حديث جابر في الرد على اليهود، يعنى كما في حديث الباب الآتي.

قال: والعموم إذا خرج على سبب قصر عليه عند بعض الأصوليين، « وعند الأكثر العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا يقتضى أن تكون الآية حجة في الجواز »، لكن وردت أحاديث كثيرة بالمنع فتكون مخصصة لعموم الآية، « وفي تخصيص عموم القرآن ببعض خبر الآحاد خلاف » ا هـ.

وذهب جماعة من أئمة الحديث – كالبخاري والذهلي والبزار والنسائي وأبي علي النيسابوري – إلى أنه لا يثبت فيه شيء.

قلت: لكن طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به، ويؤيد القول بالتحريم أنا لو قدمنا أحاديث الإباحة للزم أنه أبيح بعد أن حرم والأصل عدمه، فمن الأحاديث الصالحة الإسناد حديث خزيمة بن ثابت أخرجه

أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان، وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان أيضاً، وحديث ابن عباس وقد تقدمت إشارة إليه.

ورواية ابن عباس هي رد على نفس هذه الرواية وهي تذيل لها ولكن اتهم بن عباس انه لم يطلع على ذلك:

فروى أبو داود من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: " إن ابن عمر وهم والله يغفر له، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يأخذون بكثير من فعلهم، وكان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فأخذ ذلك الأنصار عنهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون بنسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأمصار فذهب يفعل فيها ذلك فامتنعت، فسرى أمرهما حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فأنزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) مقبلات ومدبرات ومستلقيات، في الفرج "

وهذا التوهيم يشك في صدوره من ابن عباس لتضافر الروايات عن غير بن عمر في سبب نزول الآية الذي يخالف هذا السبب.. وهو يعلم أنه ليس من حقه النفي ما لم يعلم يقيناً بالواقعة، والأمر مشكوك فيه بالنسبة لابن عباس لصغر سنه فقد مات رسول الله وابن عباس عمره ست سنوات وقيل عشر وهذا عمر لا يساعد على حضور الواقعة فلا بد من وجود واسطة لشهود الحدث وهو منفي في الرواية.

والخلاصة بأن رواية ابن عمر ثابتة ومعناها واضح ولكنها متروكة لأسباب يقال عنها وجود المعارض الأقوى بينما الموجود هو العكس لأن الدليل هو

عموم الآية وسبب النزول نص صريح لتلك الحالة بينما الروايات المعارضة غير تامة المعنى والمتن بالإضافة إلى عدم التسليم بالحسن فضلاً عن الصحة.

الدليل الثالث على الجواز:

عموم حق الزوج في الانتفاع وعدم سلامة المعارض

هذا الموضوع لا يحتاج إلى مزيد كلام وتطويل بحث، فإن من المسلّمات إن أي عقد يجري على عينٍ يبيح التصرف فيها ما لم يدل نص على المنع وهنا القضية واضحة فالعقد على الزوجية يبيح تصرف أحدهما في الآخر والمنع مخدوش ولم يصل إلى حد اليقين التشريعي.

خلاصة مسألة إتيان الحلائل في الأدبار لا فرق بين السنة والشيعة في توفر الاتجاهين في المسألة.. واعلم بأن اتجاه الجواز بالنسبة لحاق الدليل عند السنة أقوى من المنع والتحريم ولكن الفتوى على خلافه ما عدا ما ينسب

للإمام مالك وما يبدو من تلميذه الشافعي بخلاف تلميذه الآخر محمد بن الحسن. حيث النص على الجواز صراحة.

وقد ذهب السيد الخميني في فتواه إلى ترجيح أدلة المنع على تردد وهذا يتفق مع الاتجاه السائد في الفقه السني والشيعي.. ولو ذهب للطرف الآخر من الدليل لكان معه حجة أيضاً خصوصاً على الموازين السنية ولكن قادته مبانيه وأصوله الاجتهادية للتوقف في أدلة الجواز والركون إلى الأصل العملي.

فلا مجال لهذا الصراخ الزائف وتغيير الحقائق واستغلال جهل الناس بالفقه الإسلامي للاعتداء على فقيه محترم لم يقل أصلاً في المسألة بخلاف ما يستسيغه الناس وما هو مقرر في الفقه السني... رغم جهل الناس بحقائق الأمور!!.

٤

الفتوى الثالثة: لننظر ماذا يقول صاحبنا ملفق الملف.. ونرى مقدار جهله بالفقه ! !

يقول:

((فضل الله يبيح النظر إلى النساء وهن عاريات!

يقول فضل الله في كتابه النكاح ج١ ص٦٦ (فلو أنّ النساء قد اعتادت الخروج بلباس البحر جاز النظر إليهن بهذا اللحاظ.) إلى أن قال (وفي ضوء ذلك قد يشمل الموضوع النظر إلى العورة عندما تكشفها صاحبتها، كما في نوادي العراة أو السابحات في البحر في بعض البلدان أو نحو ذلك)

قلت: أي دين وأي منطق هذا؟ لكنها مخرجات الحوزات التي ذكرنا في مقالة (ماذا يقول الخوئي عن المخدرات) أنها كانت مرتعاً للفساد! فإنا لله وإنا إليه راجعون)) انتهى نقله وقوله.

== التحقيق في الفتوى ==

ليس تحت يدي الكتاب الذي أشار إليه ولكن بقراءة النص المنشور الآن يتبين مدى جهل واضع هذا الملف بالفقه وأصوله فهذه فتوى مطابقة لكل أصول الفقه الإسلامي عموماً.. وليس فيها أي مخالفة فقهية من ناحية إجرائية كتطبيق للقواعد العامة.

رغم رغبتي بوجود شرط عدم تقصد النظر في نص الفتوى ؛ وان كان يفهم من المسألة ذلك ولكن التصريح ضروري.. وبما أن الكلام مقطّع الأوصال فلا يمكن تمني تغيير النص لجواز أن يكون غير خالٍ مما نرغب بوضعه فيه.. ولكن يد التحريف والعبث نالت من النص.

ولا ننسى أن صاحب الفتوى له منهج معروف في تبسيط الفتاوى مما يضطره إلى التنازل عن المصطلح الفقهي وإجراء العملية الفقهية على أصولها في الصياغة وإنما يصير إلى الصياغة الأدبية وذلك جائز في التبليغ، ويمكن لصاحب هكذا منهج أن ينفي قصده للجواب الفني الفقهي بدقته من ذكر الشروط والقيود الاحترازية.

غير أن حبنا للمؤمنين يجعلنا أن نتمنى منهم السعي إلى فهم المنهج الفقهي بدل أن نطلب من الفقيه تنازلا عن الصياغة العلمية لأجل التفهيم فما أحلى أن نفهم بدقة بدل أن نطلب التبسيط المخل في كثير من الأحيان.. وعلى المبلّغ أن يدرب اتباعه على مثل هذه الدقة في المصطلح والعرض.

ومع ذلك فان الفتوى المشار إليها – كما قلنا – لم تكن خارجة عن القواعد العامة للفقه الإسلامي، وليس من حق الجاهل بدقائق الفقه أن يعترض فيما لا يعلم وهذه المسألة بالنسبة للفقه السني لم تحرر في المجاميع الفقهية

بشكل واضح لغير المتخصص لأن الفقه السني لم يعالج موضوع النظر إلى غير المحترم شرعاً رغم توفر النصوص فيه وبعض الاجتهادات الدائرة حول المسألة.

وليس في ذلك عيب لأن الفقه غالباً وليد المواجهة للمشكلة ولم يكن الفقه القديم قبل إيقاف الاجتهاد قد واجه مشكلة حقيقية في هذا كالسفور والتعري والنظر إلى ما أبداه المنظور إليه متعمداً.. فهذه مشكلة متأخرة عن إيقاف الاجتهاد بمئات السنين وهي من المسائل التي نرجح أن تكون حافزاً لإخواننا من علماء السنة بفتح باب الاجتهاد وفتح باب المذهبية الفقهية من جديد أمام دراسات تحاول أن تستكشف حكم الله في المواضيع المستجدة كما يفعل علماء الشيعة من تكوين مناهج ومذاهب متجددة في الفقه بلا غضاضة.

نسأل الله التوفيق لرضاه وإحراز حكمه الشرعي.

وهنا نأتي إلى بيان جوانب في الصياغة للفتوى وإلى الحكم كما يفهم من المصادر السنية سواء بالنصوص الأساسية أو نصوص الفتاوى والأدلة الحاكمة في ذلك.

قوله: ((بهذا اللحاظ))..

يعني بلحاظ كونهن لا يرتدعن عن هذا اللباس وهن يقصدن هذا اللباس وقد اعتدن على ذلك وعودن الناس على النظر إليهن هكذا كما هو حال المتبرجات في أماكن عديدة من العالم الإسلامي وأما في غيره فأصبح هو الأصل.

لا إشكال في عـدم جـواز النظر إلى المسلمة أو المرأة المحترمة شرعاً لما عدا ما يجوز النظر إليه وهو الوجه والكفين ؛ ولكن المسألة حسب هذا الفرض لها موقع آخر سنبيّنه هنا

المسألة معروفة وهي مبنية على المسألة التالية: (هل يجوز النظر إلى اللواتي لا ينتهين إذا نهين عن إظهار العورة أو جزها)، والمرأة كلها عورة للأجنبي ما عدى الوجه والكفين؟!.

والجواب بكل بساطة أن النظر جائز إلى ما يكشفه غير المرتدع بشرط عدم الريبة لأنها خارجة تخصصاً عن موضوع النظر وهو المؤمن المحترم شرعاً، وكل ما ذكره ينطبق عليها.

وليس في الفتوى المذكورة ما يدل على جواز النظر بريبة حتى يخالف المجمع عليه إسلامياً من عدم الجواز، وهي مسألة يبتلى بها كثيراً خصوصاً في زماننا وخصوصا لمن يسكن أو يذهب إلى البلدان التي لا تعرف إلا التفاخر بتقليل الستر عن جسد المرأة..

فهل يمشي صاحبنا في أسواق أوربا والأمريكيتين وشرق أسيا وشمالها مغمض العينين؟!.

لأنه أين ما أعطى وجهه يرى عورة بل حتى في بلاد المسلمين أو البلاد المختلطة، بل أصبحت المسألة أسرية فكيف يعمل المسلم في القاهرة أو بيروت أو الدار البيضاء حين يذهب لزيارة بيت عمه أو خاله ونسائهم لا ينتهين عن السفور وإظهار ما يردن إظهاره من أجسادهن؟!.

أعتقد أن عليه أن يحمل معه عصابة يشدها على عينيه لأن صاحبنا الأستاذ العالم جدًا بالفقه واضع هذا الملف لا يقبل له أن ينظر إلى امرأة تكشف عن سترها بدون شهوة وريبة!!.

ما هذا الجهل بالفقه؟!!.

تنبيه هام: كل النصوص المعتمدة التي تحرم النظر إلى الأجنبية أو إلى العورة، هي مخصصة فيما يسمى فقهيًا « بالمحترم » وهي لا تشمل غير المحترم كاللذين لا ينتهون إذا نهوا، ولعل إشارة غض البصر وحفظ الفرج موجه إلى المؤمنين خاصة له هذا المعنى ؛ لأنهم أهل الاحترام في الشرع

وحسب المصطلح الفقهي ؛ ولهذا عبر بعض الفقهاء عن الذين لا ينتهون بأنهم أنعام وبأنهم بمنزلة البهائم وليس ذلك من باب القيمة الإنسانية وإنما من باب تجاوبهم مع الشريعة فكما لا يستجيب ((قـرد)) لطلب ستر العورة فكذلك لا يستجيب هذا أو تلك.

مع ملاحظة ثانية: وهي نص الفقهاء بأن هذه المسائل التي لا نص فيها كالنظر إلى العراة من الأمم أو الكفار فهو من باب القياس أو الاستحسان، وفي الغالب يطبق عليها قاعدة عدم التكليف بالمتعذر أو عدم انطباق الحكم عليها موضوعاً ؛ لأن موضوع حكم الغض والستر هو المؤمن المحترم شرعاً والمتعري ليس بمؤمن أصلاً.. وأما النصوص فهي تشير إلى لوازم الأحكام في الغالب.

== فما يقول صاحبنا في هذه الفتوى؟!..

نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٤٢:

(وحديث بريدة فيه دليل على أن النظر الواقع فجأة من دون قصد وتعمل لا يوجب إثم الناظر لأن التكليف به خارج عن الاستطاعة وإنما المنوع منه النظر الواقع على طريقة التعمد أو ترك صرف البصر بعد نظر الفجأة وقد استدل بذلك من قال بتحريم النظر إلى الأجنبية ولم يحكه في البحر إلا عن المؤيد بالله وأبي طالب « وحكي في البحر أيضا عن الفقهاء والإمام يحيى أنه يجوز ولو لشهوة »)..

وهذا الكلام في المحترمات أي النساء المسلمات اللاتي ينتهين عن الحرام فما قوله بمن لا ينتهين؟!!.

وهنا نأتي إلى مسألة « من لا تنتهي إذا نهيت » ومسألة تعريها..

الحق أقول بأن من أراد أن يتعمق في الفقه السني يجد أن هذه المسألة ملوح إليها وليست مهملة تماماً كما قد يبدو من جرد المسألة في أبوابها الفقهية ؛ فإن أبواب اللباس والنظر والعورة والتعري لم تصرح قط بهذه المسألة في حدود

معرفتي ؛ ولكن قد يجد الباحث في تلك الأبواب وأبواب الجهاد ما يشير إلى هذه المسألة التي تعتبر افتراضية لأنها لا واقع لها في حياة الفقهاء رغم إيرادهم لحادثة النظر إلى الحبش وحادثة وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي حادثة بروز امرأة في الطائف حينما حاصرها رسول الله فنزعت ثيابها وكشفت عن فرجها أمام المسلمين فقال رسول الله دونكم المرأة فأصابها رامي المسلمين في فرجها!!.

هذه الحادثة مهمة جدًا هنا وهي بيت القصيد في القضية ؛ لأن الفعل تعدى حالة ما هو ضرورة حيث أن الرامي لم يكتفِ بالتهديف إليها بالجملة بل هدّف على فرجها بالخصوص و أصابها فيه!!.

وهنا يسأل المتفقه هذا السؤال: لو كان جواز النظر إليها لضرورة الحرب فستبدو هنا تساؤلات مهمة..

== هل التعري بنفسه يوجب القتل؟!

ما قال بهذا فقيه ولا عرف من سيرة رسول الله!!.

فإذن هناك خصوصية لهذه المرأة في ذلك الموقف في مسألة طلب قتلها.

== هل طلب الرسول إصابة الفرج؟!.

النصوص لا تشير إلى أكثر من طلب أصابتها بالجملة!!.

فإذن هناك اجتهاد من المقاتل المسلم في الإمعان بأذاها و إصابة فرجها!!

ولعله لم يشأ قتلها كما فهم من أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، وإنما أراد معاقبتها في الموضع الذي أرادت السخرية به من المسلمين!! فتكون واقعة الرد عليها لهذه الخصوصية.

وهناك إقرار من قبل الرسول ص لفهم هذا المقاتل لعدم الاعتراض عليه، بالتركيز على الفرج وبعدم قتلها أو إصابتها في الأماكن الخطرة المميتة.

لو أن الرسول ص وصحبه الكرام مروا على الطائف في غير هذه الحالة وشاهدو امرأة تتعرى في حيها الكافر..

== هل سيقول الرسول دونكم المرأة؟!!

الجواب: لا يوجد لدينا ما يدل على مثل هذا الاتجاه!! وشواهد السيرة لا تساعد على الذهاب إلى مثل هذا القول.

إذن لم تكن الضرورة هي في مسألة النظر و إنما في مسألة الرد على السخرية التي قامت بها المرأة فجعلها في صف المحاربين بالوسائل غير القتالية فلذلك كان طلب إصابتها وتعطيل سخريتها، وهذا يجعل الباب مفتوحاً في مسألة النظر إلى هذه المتعمدة للتعري التي لا تنتهي إذا نهيت.. والذي يستكشف من الحديث أن لا مانع منه إذا كان بدون شهوة كما تقرره نفس الحالة الحربية.

وهنا قد يتشدق المتشدق بضعف طرق الحديث ؛ فأقول في حالة الضعف لا يزيد الأمر شيئا فتبقى المسألة خالية من النص فتجري الأصول الاجتهادية أو العملية الأخرى، ولكنه لا يستطيع أن يضعّف « الفتوى » فهي قد صدرت من الفقهاء.. ثم أن الحديث حتى لو كان ضعيفاً ولكن عمل الفقهاء به يجعله حجة عندهم وعلى مبناهم وليس كل ضعيف غير حجة في الفقه.. المهم هل يعتمده الفقهاء أم لا؟!.

وهذا نص الفتوى والحديث:

المغني لابن قدامة المقدسي الحنبلي ج ٩ ص ٢٣١:

(فصل ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصدا لما روى سعيد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها فقال ها دونكم فارموها فرماها رجل من

المسلمين « فما أخطأ ذلك منها »!! ويجوز النظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها لأن ذلك من ضرورة رميه)

كشاف القناع للبهوتي الحنبلي ج ٣ ص ٥١: (ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها والنظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها ذكره في المغني والشرح).

وقد استثنى الإسلام من حرمة النظر موارد أخرى غير الفجأة وحال الكفار مثل جواز النظر إلى المؤمنة إذا أراد التزويج بها..

وفي بعض الروايات قوله: (فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)!! فما معنى ما يدعوه إلى نكاحها؟!!

كما جاز النظر لضرورة كالتداوي أو شهادة بالزنا وغيره جاز التأكد في النظر إلى العورة.

== النظر إلى المخطوبة ==

ـ نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٣٨، باب النظر إلى المخطوبة:

في حديث الواهبة المتفق عليه فصعد فيها النظر وصوبه، وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما!

رواه الخمسة إلا أبا داود..

وعن أبي هريرة قال خطب رجل امرأة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً!

رواه أحمد والنسائي..

وعن جابر قال:

سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل!

رواه أحمد وأبو داود.

وعن موسى بن عبد الله عن أبي حميد أو حميدة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم!

رواه أحمد..

وعن محمد بن مسلمة قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

إذا ألقى الله عز وجل في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها!

رواه أحمد وابن ماجه..

ـ فتح الباري ج: ٩ ص: ١٨٢

(ونقل الطحاوي عن قوم أنه لا يجوز النظر إلى المخطوبة قبل العقد بحال لأنها حينئذ أجنبية « ورد عليهم بالأحاديث المذكورة »).

ليس من نيتي توبيخ جامع الملف على قوله هذا المخالف للفقه الإسلامي عموماً.. فليمشِ مغمض العينيين أو ليتلف عينيه أساساً كما تلف عقله ويستريح، فلا شأن لنا به.. ولكن أن يغشَ المسلمين بهذا الشكل فهذا تلاعب بالقانون الإسلامي وسمعته ولعب بعواطف المسلمين وحشمتهم في سبيل دفعهم لما هو غير موجود في الشرع الشريف.

وعلى كلٍ هناك نصوص من السيرة النبوية وغيرها تدل على نظر المسلمين إلى هؤلاء العراة بما دون السوءة بروايات أرسلت إرسال المسلمات كروايات الحمامات ودخولها.

وهناك رواية حيرت فقهاء أهل السنة فأخذوا يؤولونها ويجدون لها حلاً لعدم تعقلها وهي تنص على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم مكّن زوجه عائشة من النظر إلى العراة من الراقصين الأحباش.. وقد رأيت إيراد هذه الرواية وما قيل فيها فهي أبلغ في تطويل إذن جامع الملف.

فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: المجلد التاسع، كِتَاب النِّكَاحِ، باب نَظَرِ الْمَرْأَةِ إلى الْحَبَشِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ.

الحديث:

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ عَنْ عِيسَى عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ

الشرح:

قوله (باب نظر المرأة إلى الحبشة ونحوهم من غير ريبة) وظاهر الترجمة أن المصنف كان يذهب إلى جواز نظر المرأة إلى الأجنبي بخلاف عكسه، وهي مسألة شهيرة، واختلف الترجيح فيها عند الشافعية، وحديث الباب يساعد من أجاز، وقد تقدم في أبواب العيد جواب النووي عن ذلك بأن عائشة كانت صغيرة دون البلوغ أو كان قبل الحجاب، وقواه بقوله في هذه الرواية " فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن " لكن تقدم ما يعكر عليه وأن في بعض

طرقه أن ذلك بعد قدوم وفد الحبشة وأن قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة، فكانت بالغة، وكان ذلك بعد الحجاب).

والتعليق على الحديث بالتفكير في الأمور التالية:

١- من كلمة (من غير ريبة) يدل على خلاعة الأحباش وقلة سترهم.

٢- (يلعبون في مسجد رسول الله) وهذا له دلالته في التسامح بالأمر سواء بسترهم أو بلعبهم.

٣- يستر زوجه عائشة وعمرها ستة عشر سنة لتنظر إليهم وهم بتلك الحال كما فهمه.

٤- إذا كان القياس جائز فما المانع من قياس نظر المرأة إلى الرجل المتعري على العكس! وإذا كان الاستحسان يستكشف ذات الحكم في القضية فالملاك فيهما واحد فتكون النتيجة أن لا فرق بين نظر المرأة إلى المتعري بدون شهوة

وبين نظر الرجل إلى المتعرية بدون شهوة خصوصا إذا أضفنا قيد عدم الانتهاء حين النهي فهو يخرج المسألة موضوعاً عن حكم النظر للمؤمن – هذا كلام موجه للفقيه وليس لغيره –.

والبقية بدون تعليق....

وهناك نصوص بالعشرات اكتفينا بهذا لأنه يمثلها جميعاً.

وهذه المسألة كثيرة الابتلاء قديماً وحديثاً حتى في المجتمع الإسلامي الخالص، فمسألة دخول الحمامات وما فيها من كشف للعورات وعدم اعتناءٍ اغضب الكثير من الفقهاء وقالوا بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحمام لمن يكشف سوءته أو ينظر إلى عورات الآخرين بدون حائل بشرط عدم الضرر الراجع إلى الآمر..

وقد بالغوا في التغليظ على التعري في الحمامات ودخولها من الأساس، واعتمدوا على أحاديث يشهدون أنها ضعيفة أو لا تصلح متناً للاستدلال بل قال في كشف الخفاء للعجلوني في الخاتمة في باب الأحاديث الموضوعة: وباب النهي عن دخول الحمام لم يصح فيه شيء.

ولم يرد عندهم شيء في منع هذه الأماكن بل أفردوا له أبواب من قبيل جواز دخول الحمامات كما لم يرد أي إجراء رادع ضد التعري في الحمامات عدا الوعظ والتغليظ مما يدل على أن المسألة غير ثابتة عندهم بوضوح فقهي تام..

وقد حاولت أن أجد عقوبة من يدخل الحمام بلا مئزر (متعرياً) من المسلمين فلم أجد إلا انه لا تقبل شهادته في القضاء كما ورد في كتاب اللباب في شرح الكتاب للشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني كتاب الأيمان، كتاب الشهادات: (ولا تقبل شهادة مخنث، ولا نائحة، ولا مغنيةٍ، ولا مدمن الشرب على اللّهو، ولا من يلعب بالطيور ولا من يغني للناس، ولا من يأتي

باباً من الكبائر التي يتعلق بها الحد، « ولا من يدخل الحمام بغير إزار »، أو يأكل الربا، ولا المقامر بالنرد والشطرنج، ولا من يفعل الأفعال المستخفة كالبول على الطريق، والأكل على الطريق).

وهذا الكلام كله في مسلمين مؤمنين ليسوا من أصحاب التعري ولا من لابسي المايوهات على البلاجات ولا ممن لا يؤمن بدين أو بشريعة إسلامية الخ..

فهذا لا يلتفت إليه الفقيه باعتباره خارج عن اهتمام الفقيه في حينه، وهو أن يفكر في حل مشكلة العراة في بلاد الكفار!! ولكن في هذا الزمن فقد زحف إلينا التعري من قبل ممولي حركة التكفير والتفسيق في الغرب ؛ حيث ابتلي العالم الإسلامي بما لم يفكر به فقيه في السابق، و أصبحت القضية مشكلة معاشة فعلا في الحواضر الإسلامية.

والمشكلة الأكبر تشويش الصورة الفقهية أكثر مما هي مشوشة بما يقوم به هؤلاء المرتزقة الموكلين بتشويش عقول الناس بالكذب عليهم وتدليس المفاهيم والمعاني بمداخلتها بما لا يجوز مداخلته.

وهنا نقول له وبكل صراحة بأن هذه الحوزات العلمية التي تشتمها لهي فخر للمسلمين حيث الحفاظ على الثوابت الإسلامية والابتعاد عن أي تأثير أجنبي مهما بلغ من القوة، والتمسك بفقه الإسلام وعدم تضييع قواعده الدقيقة.

ولكن ليقل لنا الأخ المفكر ماذا أنتجت لنا مدارسهم المسماة بمدارس تحفيظ القرآن وغيرها من مواقع التدريب الإرهابي في البنجاب وغيرها التي تديرها المخابرات العالمية؟!

هل أنتجت غير الجهل والطائفية البغيضة المفرقة لوحدة المسلمين؟!.

هل أنتجت غير أشخاص مدربين على القتل والحقد؟!.

مع حظ من العلم لا يجاوز مقدار معلومات ابتدائية قاصرة وخاطئة مائة في المائة وهي معلومات إسلامية يستخدمونها ضد الإسلام، وبيانات تأكل البيانات الإسلامية وتدمر عقل المسلم.. وقد أعطيت بطريقة أكل السندويتش فيكفي عندهم تدريب سنتين ليخرج طالب علم قادر على السب والشتم والبذاءة الإسلامية الحديثة مع الامتلاء بالأمراض النفسية والعقلية المدمرة للحضارة الإسلامية.

ومن يقول أن هذا غير صحيح فليجرأ وليفتح على نفسه هذا الباب لنأتيه بالعجب العجاب والبيانات الدقيقة في شرح هذا الحال وتفصيله بدقة ابتداء من التدريس الأولي إلى التدريس العالي وكيف يتعلم الطالب فكرة « الغاية تبرر الواسطة » ؛ وبما إن غايتهم الإسلام كما يدعون فلا محرم في نصرته! وكل الممنوعات والمحرمات الإسلامية جائزة! في أذى من يعتقدون بأنهم

كفار من المسلمين!!وتخدير العقول عن الكفار الحقيقيين إلا إذا كان لسبب التأليب على الإسلام وتشويه صورته النقية.

فليتفضل صاحبنا ليقل لنا لنبحث في هذا الموضوع حتى يعرف مدى صحة شتمه للحوزات العلمية.. ومن هو؟!

وأين هو من الإسلام؟!

وما علاقته بالمسلمين؟!

وما علاقة معلوماته بالإسلام سنة وشيعة؟!.

٥

الفتوى الرابعة: يقول صاحبنا:

((الخوئي يبيح لعب الرجل بعورة الرجل والمرأة بعورة المرأة من باب المزاح!

سؤال ٧٨٤: هل يجوز لمس العورة من وراء الثياب من الرجل لعورة رجل آخر، ومن المرأة لعورة أخرى، لمجرد اللعب والمزاح، مع فرض عدم إثارة الشهوة!

الخوئي: لا يحرم في الفرض، والله العالم.

صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ج٣ (مسائل في الستر والنظر والعلاقات)

نصيحة أخوية صغيرة: أحذر من مجالسة مقلّد للخوئي يكثر المزاح! والله المستعان)) انتهى كلامه.

تبتني هذه المسألة على أمرين:

١ – عدم جواز لمس الرجل لعورة الرجل وكذا المرأة بغير حائل وجوازها بحائل بغير شهوة، وهذا متفق عليه فقهياً.

ولا يعرف سبب النقد الذي وجهه صاحب الملف هل هو للإسلام عموماً أم لكونه جاهل لا يعرف ما هي الأحكام، وهذا مرجح لأن كل ما وجدناه في هذا الملف هو من هذا القبيل.

٢ – والأمر الثاني هو تعريف العورة فإن صاحبنا تبادر إلى ذهنه معنى « السوءة » لأنها حاضرة في ذهنه مسبقاً بحسب طبيعة تفكيره..

والواقع أن السيد الخوئي عنده أن العورة من السرة إلى الركبة ؛ وهذا ما ولد هذا السؤال لأن من غير المعتاد أن يمزح الإنسان المسلم باللعب والمزاح بالسوءة ؛ بل هو الضرب على الفخذ أو الركبة.. وهذا كثير الابتلاء به بين المسلمين عموماً لمن يقول بأن العورة من السرة إلى الركبة.

والنصوص الفقهية في هذا الباب من الكثرة إلى حد عدم إمكان الإتيان بها جميعاً.. ولكن لا بأس بالإتيان بعينات مما يدل على المطلوب لمن لم يطلع نهائياً على الفقه كصاحبنا واضع الملف!! لأن المعنى المطروح مسلّم بين

جميع الفقهاء المسلمين، ولو التفت إلى تعميمات الفقهاء لوجدهم يتغافلون كثيراً عن موضوع الشهوة والريبة وما إليها من تعابير.. فيقولون إن بمجرد الحائل يجوز.

ولكن فرض السؤال الذي أجاب عليه السيد الخوئي هو مع عدم الشهوة فليلتفت إلى ذلك.

تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٤٢ ـ كتاب الاستئذان والآداب عن رَسُولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم. باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ مبَاشَرَةِ الرّجُلِ الرّجُلَ وَالمرْأَةِ المرْأَة:

٢٨٦٩ ـ حدثنا عَبْدُ اللّه بنُ أَبي زِيَادٍ، أخبرنا زَيْدُ بنُ حُبَابٍ، أخبرني الضّحّاكُ بن عُثْمَانَ، أخبرني زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ عن عَبْد الرّحْمَن بنِ أَبي سَعِيدٍ

الخدري عن أَبيهِ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "لاَ يَنْظُرُ الرّجُلُ إلى عَوْرَةِ الرّجُلِ، وَلاَ تَنْظُرُ المرْأَةُ إلى عَوْرَةِ المرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرّجُلُ إلى الرّجُلِ فِي الثّوْبِ الْوَاحِدِ، وَلاَ تُفْضِي المرْأَةُ إلى المرْأَةِ فِي الثّوْبِ الْوَاحِدِ ".

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ.

(وفي الحديث تحريم ملاقاة بشرتي الرجلين « بغير حائل » إلا عند ضرورة، ويستثنى المصافحة).

عون المعبود شرح سنن أبي داوود للآبادي: ٢٧ – كتاب الحمام. ١٤٩٣ – باب في التعري. الحديث رقم: ٤٠١٥

(قال في المصباح: أفضى الرجل بيده إلى الأرض مسها ببطن راحته، وأفضى إلى امرأته باشرها وجامعها، وأفضيت إلى الشيء وصلت إليه، وفيه النهي

عن اضطجاع الرجل مع الرجل في ثوب واحد، وكذلك المرأة مع المرأة سواء كان بينهما حائل أو لم يكن بينهما حائل بأن يكونا متجردين.

قال الطيبي: لا يجوز أن يضطجع رجلان في ثوب واحد متجردين وكذا المرأتان ومن فعل يعزر انتهى.

قال النووي: فهو نهى تحريم إذا لم يكن بينهما حائل، وفيه دليل على تحريم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان وهذا متفق عليه، وهذا مما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس باجتماع الناس في الحمام، فيجب على الحاضر فيه أن يصون بصره ويده وغيرها عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره ويد غيره من قيم وغيره، ويجب عليه إذا رأى من يخل بشيء من هذا أن ينكر عليه.)

الكلام صريح جدًا بأن شرط الحرمة إزالة الحائل وأما مع الثياب والحائل فلا حرمة.. بل أن العورة لا تكون عورة مع الحائل أنظر:

المبسوط للسرخسي: المجلد الخامس (الجزء ١٠). كتاب الاستحسان:

(ولأن بسبب الستر ينعدم معنى العورة)

معنى العورة عند السيد الخوئي:

كما قلنا فإن الفقه الجعفري فيه ثلاثة آراء في حد العورة:

الرأي الأول: هو ما بين السرة والركبة.

والرأي الثاني: هو السوءتين ورأي بتفصيل بين حكم العورة للتخلي وعورة حكم العورة للصلاة، كما يسمى بالفقه السني عورة مخففة وعورة مغلظة.. وهذا التفصيل نفسه عند باقي المذاهب والأمر فيه نقاش طويل عريض لا داعي لذكره بطوله ولكن نختار مقتطفات مما وافق رأي السيد الخوئي من أنه ما بين السرة والركبة احتياطاً ومما وافق غيره من فقهاء الشيعة.. بشكل نماذج من النقول والفتاوى.

قال السيد الخوئي: (وفي حكم العورة ما بين السرة والركبة على الأحوط) وهنا الاحتياط وجوبي. بمعنى عدم إحراز المعذورية بالترك. وهذا في أحكام التخلي وذكره فيها...

منهاج الصالحين ج١ صفحة ٢١..

قال هذا بعد أن نقل المشهور من معنى العورة في مبحث التخلي وهو مقام يختلف فيه الحكم عن غيره كستر العورة في الصلاة لأن في التخلي يجب ستر العورة المغلظة كما يذهب إليه أغلب الفقهاء هو (يجب حال التخلي بل في سائر الأحوال ستر بشرة العورة – وهي القبل والدبر والبيضتان – عن كل ناظر مميز عدا الزوج والزوجة..) ؛ وهذا الموجود في الفقه الشيعي هو كما يذهب إليه الفقه السني كما: (وستر العورة في الصلاة وغير الصلاة واجب – « وفيه عند الخلوة خلاف » – قاله الجزري في النهاية).. والخلاف هو في

حدها وليس في سترها أو عدم سترها لعدم القائل بعدم وجوب ستر العورة عند التخلي في الفقه السني.

== الرأي بأن العورة هي السوءة:

الدر المنثور للسيوطي: (وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله {خذوا زينتكم عند كل مسجد} قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة، والزينة اللباس، وهو ما يواري السوءة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع.)

صحيح مسلم ؛ الجزء الأول. ٣ – (كتاب الحيض). (١٨) باب جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة. وجدت الكلمات في الحديث رقم: ٧٥ – (٣٣٩)

(السوءة هي العورة، سميت بذلك لأنه يسوء صاحبها كشفها.)

فمما يقطع به المرء أن ما فوق الركبة أو الفخذ ليس مما يسوء صاحبه كشفه كما وردت أحاديث بكشف رسول الله فخذه.. وأعتمدها من يقول بأن العورة هي السوءتين من فقهاء السنة.

المبسوط للسرخسي المجلد الخامس (الجزء ١٠). كتاب الاستحسان.

وكان أبو بكر محمد بن الفضل – رحمه الله تعالى – يقول إلى موضع نبات الشعر ليس من العورة أيضاً لتعامل العمال في الإبداء عن ذلك الموضع عند الاتزار.

== الرأي بأن العورة هي ما بين الركبة والسرة:

المبسوط للسرخسي المجلد الخامس (الجزء ١٠) كتاب الاستحسان.

(لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – رضي الله عنهم – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (عورة الرجل ما بين سرته إلى ركبته)..

وفي رواية: (ما دون سرته حتى يجاوز ركبته) وبهذا تبين أن السرة ليست من العورة بخلاف ما يقوله أبو عصمظ سعد بن معاذ أنه أحد حدي العورة فيكون من العورة كالركبة بل هو أولى لأنه في معنى الاشتهاء فوق الركبة)

(فأما نظر المرأة إلى الرجل فهو كنظر الرجل إلى الرجل لما بينا أن السرة وما فوقها وما تحت الركبة ليس بعورة من الرجل وما لا يكون عورة فالنظر إليه مباح للرجال والنساء كالثياب وغيرها)

== الرأي بالتفصيل بين العورة الخفيفة والعورة الغليظة:

المبسوط للسرخسي المجلد الخامس (الجزء ١٠). كتاب الاستحسان.

(فأما الآية فالمراد بالسوأة العورة الغليظة وبه نقول أن العورة الغليظة هي السوأة ولكن حكم العورة ثبت فيما حول السوأتين باعتبار القرب من موضع العورة فيكون حكم العورة فيه أخف فأما الركبة فهي من العورة عندنا)

الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري: الجزء الأول. كتاب الصلاة. [مباحث عامة]. مبحث ستر العورة في الصلاة.

(المالكية قالوا: إن العورة في الرجل والمرأة بالنسبة للصلاة تنقسم إلى قسمين: مغلظة؛ ومخففة، ولكل منهما حكم، فالمغلظة للرجل السوءتان، وهما القبل والخصيتان، وحلقة الدبر لا غير والمخففة له ما زاد على السوءتين مما بين السرة والركبة، وما حاذى ذلك من الخلف، والمغلظة للحرة جميع بدنها ما عدا الأطراف والصدر، وما حاذاه من الظهر، والمخففة لها هي الصدر، وما حاذاه من الظهر والذراعين والعنق والرأس، ومن الركبة إلى آخر القدم، أما الوجه والكفان ظهراً وبطناً فهما ليستا من العورة مطلقا).

وقد حكموا بأن انكشاف العورة المخففة في الصلاة لا توجب الإعادة إذا فات وقتها وإذا كان في الوقت عليه الإعادة.. بينما إذا انكشفت العورة المغلظة بطلت الصلاة ويجب الإعادة سواء في الوقت أو خارجه.

ـ مفهوم الشهوة عند الفقهاء:

لم أجد تحديداً لمفهوم الشهوة عندهم ويبدو أنهم أخذوا بالقدر المتيقن من مظاهر الشهوة ولم يعتنوا بمجرد الإرادة والطلب لها فقد نقل الجزيري (وكان اللامس شهوياً – « فقصد اللذة ولكنه لم يجدها » – فإن وضوءه لا ينتقض بمجرد قصد اللذة...) بينما نقل عن الحنفية ما يلي: الفقه على المذاهب الأربعة: الجزء الأول. كتاب الطهارة. مباحث الوضوء. مبحث نواقض الوضوء. (القسم الثاني من النواقض بغير الخارج: لمس من يشتهي، سواء أكان امرأة، أم غلاماً).

وتكلم عن ذلك عند الأحناف (وبقيت صورة أخرى، وهي أن يتلاصق رجل مع آخر وهما عاريان، كما قد يقع في الحمام حال الزحام، وحكم هذه الحالة هو أن لا ينتقض وضوءهما – « إلا إذا كان اللامس منتصباً»)

فالانتصاب هو تمام الدليل على الشهوة عندهم.

فهل عند صاحبنا اعتراض على الفقه السني؟!...

وهذه الأحكام والتعاريف متفق عليها، ولا يوجد بين المسلمين اختلاف..

فعلى أي أساس وجه نقده وسبه وشتمه؟!

والاستهزاء بالتحذير من مقلدي الخوئي فما سيقول لمقلدي الفقه السني الذي يعتبر الحائل مغيّر لمعنى العورة ولم يذكر قيد بعدم الشهوة؟!

إذن عليه أن يحذر الناس من كل مسلم وهذا دليل صهيونية صاحب مثل هذا الاتجاه.

٦

وصلنا إلى:

الفتوى الخامسة:

يقول صاحبنا:

· محمد الحكيم يجوّز إعطاء فيلم يحتوي على صور نساء محجبات في حالة تكشف لرجل غريب أجنبي عن النساء لتحميض الفلم ولكن لا يجوز النظر بشهوة!

حواريات فقهية لمحمد سعيد الحكيم – الطبعة الأولى ص٣٢٤

لم يذكر صاحب الملف نص الفتوى. وهذا يقلل من قيمة المطروح لأن صاحبنا حين ينقل النص يخون خيانة متميزة فكيف بنقله المعاني والتصرف الواضح. وعلى العموم النص الذي ذكره مشوش وغير معتمد علميا. ومع ذلك وجدت أن ما نقله لا يمثل أي مخالفة فقهية. ولهذا سأبيّن مقدار جهله بالفقه.

هذا الحكم يبتني على جملة أمور:

١- إن العورة هي للإنسان بما هو إنسان وأن الصورة لا عورة لها أي العورة هي بشرة العضو المسمى عورة بصورة طبيعية. فتكون الصورة بما هي صورة غير مشمولة بأحكام وجوب غض النظر ووجوب الستر. ولكن استشكل الفقهاء في المرأة المعروفة لمن ينظر إلى صورتها. وذلك بسبب الفتنة وغيرها من الأسباب

٢- المسألة في فرض السؤال هو لنساء محجبات ويفهم منه أن المرأة محجبة في الصورة وهذا خارج عن إشكال الفتنة. ولا يتوجه إليه أي إشكال.

٣- في حالة بعث فلم فيه نساء لم يتحجبن في الصورة إلى مصور فإذا كان المصور لا يعرف المرأة، فلا إشكال من أمن الفتنة خصوصا وان المصور يقوم بعمل مهني محض. وإذا كان يعرفها ويخشى من الفتنة فقد أفتى الكثير من الفقهاء بالاحتياط في هذه المسألة. وإن كانوا يعلمون بان لا أثر شرعي على ذلك ما لم تتحقق أفعال تدفع بها الفتنة إلى فعل مخالف للشرع الشريف. لأن الفتنة ما هي إلا خيال والخيال لا حكم للشرع فيه. نعم هناك احتياطات لما قبل الوقوع في الخطأ. فهل عند صاحبنا اعتراض على هذا.

وهنا يجب التنويه بأن الفقه السني يرى عدم نشر الحرمة بالنظر إلى باطن فرج المرأة المحرمة إذا كان بواسطة المرآة أو انعكاس الماء ولو بشهوة. فلينظر صاحبنا الغيور جدًا جدا وليتعلم الفقه الإسلامي. فهذا ما ورد في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة. عبد الرحمن الجزيري: الجزء الرابع. كتاب النكاح. (ويشترط في النظر أمور:..... الثالث: أن يرى نفس الفرج لا صورته

المنطبعة في مرآة أو ماء، فلو كانت متكئة و رأى صورة فرجها الداخل في المرآة بشهوة فإنها لا تحرم، و كذا لو كانت كذلك على شاطئ ماء، أما إذا كانت موجودة في ماء صاف فرآه و هي في نفس الماء فإن الرؤيا على هذا تحرم لأنه رآه بنفسه لا بصورته.). فماذا سيقول إذا في الصور العارية؟، وهل يجوّز الفقه السني النظر إلى الصور والأفلام الجنسية بناءا على هذا. نحن لا نريد أن نشهّر ولكن هذا هو الفقه ولا شك في ذلك. إن صاحبنا ينتقد السيد محمد سعيد الحكيم لقوله بجواز تسليم فلم تصوير لنساء محجبات إلى مصور لا يعرفهن بدون شهوة!!!.. فماذا سيفعل مع الفقه السني الذي لا يمانع من النظر إلى فرج امرأة يعرفها بواسطة المرآة أمامه وبشهوة!!! تهانينا على ما وصل إليه صاحبنا الغيور جدًا جدا. ولو أردت أن افصّل له أسرار الفقه السني لشيبت رأسه في طفولته. ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم اللذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين. مع العلم أنني لا

زلت مقتنعا بان كل هذه الشتائم على الشيعة إنما هي سب للإسلام سنيّه وشيعيّه. وأنه اعتداء على التسنن قبل التشيع وانه عمل دائب لنشر الرذيلة بين المسلمين باسم التعصب الطائفي المذهبي وهذا يعني بان القائمين على ذلك إنما هم رجال المخابرات العدوة للإسلام. وعلى المسلمين سنة وشيعة أن يلتفتوا لذلك ويحاربوا هذه الخزعبلات والاتهامات الفارغة المخربة لصفو ود المسلمين. وان يحاسبوهم على كل كلمة يقولونها. لأن لا خلاص لنا جميعا ما لم نخلص من هذه الهجمة المفرقة لقوة المسلمين التي تدعو ليل نهار لتفريقهم وتشكك بأي فائدة لجماعتهم وتشكك بأي دعوة للتوحيد وتحاربها بكل قوة. فعلينا جميعا تعرية هؤلاء وبيان أهدافهم وأساليبهم القذرة لضرب الإسلام من الداخل وتدمير التسنن والتشيع على حد سواء.

أريد أن انبه الأخوة بان موضوع صور النساء والنظر إليهن ليس هو حالة جديدة وغير موجودة في زمن النص بل أن صور النساء موجودة قبل الرسالة

المحمدية بآلاف السنوات فالرسوم الجدارية وغيرها والتماثيل عارية وكاسية كلها موجودة في بابل ومصر وبلاد اليونان والرومان وبلاد فارس والصين والهند وغيرها من الحضارات القديمة. وحتى في الزمن المتاخم لبزوغ الرسالة المحمدية صلوات الله على من نزلت على قلبه. وهناك مدارس خاصة في الشام وروما لتصوير الإنسان بدقة عالية وكأنها صورة فوتوغرافية ففي زمن الأمويين هذه قصور الأمويين في الشام والفرات والأردن كلها تحتوي على حمامات فيها صور نساء عاريات وأوضاع مجامعة غاية في الدقة كما وصفها علماء الآثار وقد نُقل بعضها إلى أوربا وهي معروضة هناك كحمام الحلابات في الأردن الذي يقال انه اختفى قبل عشرين سنة وحمام قصر عمرة الذي يقال بأنه موجود فعلا الآن في الأردن وفيه صور نساء عاريات. وهذا كما ترون في زمن دولة إسلامية قريبة العهد من زمن الرسول. ولم تكن تلك الرسوم ناشئة عن فراغ و إنما هي نتيجة إفراز مدرسة فنية رعتها الدولة

الأموية. وهذا يدل على شيئين الأول هو شهوانية ونزق رعاة تلك الدولة التي قادت الفكر المعادي لأهل البيت. الدولة التي هي قبلة واضع النقد للفتاوى التي طرحت وناقشناها. والأمر الثاني هو عدم وجود الدليل عند الفقهاء في حينه على أن عورة الصورة هي عورة محترمة يجب غض النظر عنها فلذلك لم يشنع أحد على هذا الموضوع بينما تم التشنيع على أنواع الفجور والملاهي الباطلة والمستقبحة من بني أمية. ولو كان ملفق تلك الفتاوى ومزيفها بالباطل صادقا في إيمانه ويشعر بالغيرة الحقيقية لتناول سلوك ملوك بني أمية المشين في الفسق والفجور العلني كما فعل الوليد بن يزيد وخلفه يزيد بن الوليد بن عبد الملك. ونقد تلك الصور الموجودة فعلا في قصورهم المحفوظة من قبل الدولة في سوريا والأردن كتراث إسلامي رائع. صور الراقصات والعاريات وصور المجامعة الذي يدل عندهم على روعة الحضارة والتقدم الإنساني. فأين

هذا المتشدق بالغيرة والذي يريد جعلها قانونا؟ عليه أن يطبق غيرته على أئمته من بني أمية والعباس وغيرهم.

٧

الفتوى السادسة:

هنا نتعرض إلى ما طرحه ملفق هذا الملف من نقد لفتاوى لا غبار عليها فقهيا عند جميع المسلمين فقال صاحبنا:

الحكيم يجوّز تفكير الرجل في غير زوجته مما في ذلك التفكير بنساء الكفار بمعنى التخايل إذا صاحبه انتصاب لعضو الذكورة من دون إنزال للمني إذا لم ينته تفكير الرجل إلى محرم!

قلت: أعوذ بالله، أي فقه وأي دين هذا؟ إنه دين فرويد الذي لا يعرف إلا الجنس

انتهى ما أورده

هكذا أورد الأمر من دون توثيق أساسا ومن دون أن ينقل النص وسنتعامل مع ما نقله رغم ثبوت عدم أمانته وثبوت خيانته في التلاعب بالنصوص.

نسب الفتوى إلى دين فرويد!! فادخل وحاول أن تكشف أين تجد فرويد هذا؟ أفي الإسلام أم خارجه؟.

هذا النقد يكشف جهل جامع هذا الملف بالفقه بشكل عجيب فهذا حكم مجمع عليه فقهيا إذ لا عبرة بالتخيل ولا تبعة عليه ما لم يصحبه فعل يحاسب عليه القانون الإسلامي. والخيال والحلم لا يتعلق به حكم مطلقا بل لا تعلق على الإرادة فكيف بالخيال والأحلام؟

ليقرأ هذا الجاهل حتى يتعلم الفقه ومآخذه لينجو من نار جهنم: لأن من أفتى بغير علم أكبه الله على منخريه في نار جهنم... فإذا لم يكن يعلم بهذه الحقيقة فليعلمها الآن ويراجع مظانها.

اقرأ ما يلي:

مغني المحتاج، الإصدار ١,٠٣للخطيب الشربيني: كتاب الصيام. [الباب الأول]. فصل شرط الصوم الإمساك عن الجماع. (وكذا خروج المني " يفطر به إذا كان " بلمس وقبلة ومضاجعة " بلا حائل لأنه إنزال بمباشرة << لا فكر >> وهو إعمال الخاطر في الشيء << ونظر بشهوة >> إذا أمنى بهما أو بضم امرأة بحائل بشهوة وإن تكررت الثلاثة بها إذ لا مباشرة << فأشبه الاحتلام>>)

ما رأيه بهذا؟

الفقه على المذاهب الأربعة – الجزيري– كتاب الطهارة. مباحث الوضوء. مبحث نواقض الوضوء. (هذا ولا ينتقض الوضوء بفكر. أو نظر من غير لمس ولو قصد اللذة أو وجدها أو حصل له إنعاظ فإن أمذى (بسبب الفكر أو النظر) انتقض وضوءه بالمذي. وإن أمني وجب عليه الغسل بخروج المني.)

فأين التبعة على التخيل؟ ومن أين أتيت بها أيها المتخيل والآخذ بأحكام الله بالخيال؟ غفر الله للجميع وهدى الجهلة إلى معرفة أحكامه.

نسأل الله أن يوحّد شمل المسلمين ويحسّن في عينهم نور الأخوة والمعرفة الحقيقة للقواسم المشتركة والسكوت عن أسباب الخصام والابتعاد عن اللجاجة فضلا عن الافتراء وسوء النية والعمل.

هل رأيت يا صاحبي أي فقه هذا الذي تنقد وتسب؟ أنه فقه الإسلام العام.وهل رأيت فقهك من فقه الإسلام سنة وشيعة؟ هل اكتشفت مقدار جهلك بالفقه الإسلامي؟ أين اتهامك للفتوى بأنها دين فرويد؟

أخوتي الكرام إن هذا التجميع للفتاوى يهدف إلى تأجيج الطائفية ويعتمد مبدأ جهل الناس بالفقه الإسلامي وتنمية معايير يعتقد بأنها إسلامية بينما هي معايير اجتماعية ليست تشريعا إسلاميا. وهذا من جهة الجهل أيضا، فلولا الجهل لما تحولت المعايير الاجتماعية وسوء الفهم إلى قوانين مقبولة عند المسلم. فعلينا جميعا أن نتفقه في الدين وأن نتعلم طريقة الفقيه ولو بصورة إجمالية في تحديد الحكم الشرعي وكيف يصدر قراره الشرعي المبرئ للذمة. (أرجو قراءة المقدمة لأجوبة الفتاوى فإنها مفيدة في تحديد المشكلة وقراءة هذه الشواهد يزيد من قدرة فهم تلك المقدمة).

أرجو أن يفهم أخوتي الكرام أنه لا يوجد أحرص من الفقهاء الشيعة المؤمنين على تطبيق الشريعة وعلى تنمية الشرف والفضيلة ولكن حين يأتي السؤال في منطقة فراغ من النص الشرعي لا بد من تطبيق القواعد العامة التي أمضاها الشرع الشريف. وهناك الكثير من المسائل التي سكت عنها الشرع الشريف،

وليس كما يتصور البعض بأنها مسائل لم تكن موجودة في زمن النص فهذا خطأ، لأن هناك أشياء كانت تمارس في زمن النص وفي زمن رسول الله بالذات ولكن لا يوجد فيها نص محدد وقد مرت علينا بعض القضايا التي لم نجد فيها نص خصوصا عند السنة وهي قضايا معاصرة للرسول كما أن هناك قضايا مستجدة غير موجودة في زمن النص أصلا. والقاعدة العامة هي كل شيء حلال ما لم يرد فيه نهي أو تحريم. ولكن هذه القاعدة لا يتمكن منها الإنسان العامي الخالي من حلية التعمق بالفقه لأن موارد الفراغ يجب أن تكون من النصوص والقواعد والأصول العملية كالاستصحاب. وعليه لا يمكن لمن لم يعرف فن تناول الحكم بتطبيق هذه القاعدة فورا... ولكن لا يجوز لمن يرى تطبيقا للقاعدة بأصولها الشرعية أن يقال له بأنك متساهل في الشرع وما شابه ذلك فان الدليل هو الذي حكمه. فهو معذور مبرئ الذمة أمام المولى سبحانه وتعالى.

وهنا احب أن أشير إلى أمر مهم جدًا في اغلب الحوار الطائفي البغيض الذي تفرضه علينا دوائر التفريق ودعاة التمزيق الإسلامي. وهذا الأمر ينبغي أن تفرز له عناوين ومواضيع كثير انبّه لها الأخوة الكرام وهي موضوع التكليف. فأرجو من الأخوة زيادة الأبحاث في هذا الموضوع المهم الذي يراد له التضييع والتمييع. حيث يرسمون للأتباع أشياء يبدو عليها وجوب الاتباع بينما هي خارج حدود التكليف ولا يعطى للمسلم موضوع التكليف وتوابعه من براءة للذمة وغيرها.

حينما يتحاور المسلم مع أخيه المسلم لا بد أن يضع نصب عينيه مسألة مهمة جدًا وهي: ما هو تكليف المسلم في القضية المطروحة؟

ويكون الحوار على أساس تحديد التكليف الذي يريده الله منا وفق المنهج الإسلامي؟ وهذا الموضوع يشمل حتى مسألة الإمامة وغيرها بل حتى الأمور

الإعتقادية الغيبية حيث يمكن توجيه السؤال التالي: ما هو تكليفنا في ما يجب البحث عنه وما لا يجب في مسألة المعاد وغيرها؟.

فالمسلم إذا سعى لتحديد تكليفه الشرعي سيرى بأن أخيه المسلم الذي يسعى لنفس الهدف معذور حتى لو خالفه في النتيجة التي توصل إليها. وسيراه أخا يجب الارتباط به ويجب إعانته على فهم تكليفه الشرعي أكثر فاكثر لأجل النجاة للجميع من الحساب يوم القيامة، ولكن ومع كل الأسف هذا الطرح لا يتصدى له إلا الشيعة وهم يواجهون ردودا تبكيتية تستخدم الكذب والتزوير الرذيلين لتشويش البحث والابتعاد عن مسألة التكليف والدوران في فلك شبهات ساخرة على مواد صحيحة وثوابت عقلية ونقلية مثبتة عند الجميع وعليها الإجماع الإسلامي، بل إن بعض النقود توجه إلى فكرة مسلمة عالميا وعلمياً بنوع من السخرية والتهويل والتحريف. وهذا وإن دل على إفلاس العارض والمعروض ولكنه يدل بصورة أهم على سوء النية من قبل

العارض وسوء الفهم وضعف المبادئ من قبل المتلقي الساكت. المشكلة إنني لاحظت سكوتا ينتمي إلى "اللا أدري" تجاه معروض كهذا بل هناك في كثير من الأحيان تصفيق واستحسان فيما لو أشكل أحدهم على من يعارضه إشكالا يبدوا محرجا حتى لو كان الإشكال ينطبق على نفس المصفق والعارض. وهذا بالفعل ما نراه في الحوار بين الشيعة والمتهودين الذين ينسفون كل الثوابت السنية في إشكالاتهم على الشيعة فنرى الجهل يحرك البعض (وليس الكل) من شباب أهل السنة بالتصفيق والرضى لما يلحق الشيعي من إحراج بينما المشكلة هي عينها بل متعينة على الفكر السني كما هي على الفكر الشيعي، وخير دليل على ما أقول ما نناقشه من هذه الفتاوى التي تطابق الفتاوى السنية بل لم نجد في بعضها رأيا مخالفا لما ينتقده صاحب الملف. فالجهل في فهم الفقه السني (قبل جهل الفقه الشيعي) هو الذي يحرك هذه الحالة، ومنشأ الحالة نفسها هو الخطأ المنهجي في البحث حيث لا يكلف الإنسان

بتحديد تكليفه الشرعي في الفكر والسلوك و إنما يصار إلى التغذية المعلوماتية الجاهزة ويقال للمتلقي هذا ما يجب اعتقاده والتعصب له والتمسك به بنفس طريقة الكاثوليك من استخدام النصوص المبرمجة من قبل الكنيسة ولا تسمح الكنيسة الكاثوليكية بتفسير الكتاب المقدس من طرف الشخص أو أي جهة غير الكنيسة حتى لو كان تفسيرها بالقلوب.

فعلينا إذن الحث على مباحث التكليف ابتداء من حسن التكليف ومرورا بوسائل التحقق المنهجي من التكليف وانتهاء بالتكليف في الموارد المعينة.

ظواهر اجتماعية شيعية يساء فهمها

في هذه الفترة تشتد الصراعات المذهبية بشكل ملحوظ، فما أن تهدأ قليلا إلا ونجد أبطال السلفية يثيرونها من جديد وكأن هناك مخططا لعدم تهدئة الأمور بين المسلمين. ويبدو أن السكوت وعدم التوضيح أصبح بنفسه مشجعا لهؤلاء على التطاول وتأجيج الفتن.

وقد قررت أن أتبرع بتوضيحات مختصرة لبعض الأمور المستحدثة الهامشية التي شاءت السلفية وأتباعها أن تجعلها من أساسيات التشيع وتنتقدها وتشتم الشيعة والتشيع على أساسها.

فإن لقي تبرعي رضىً من الأخوة الشيعة فذلك بحمد الله ومنه وإن لم يلق ترحيبا فهذا رأيي ولا أطرح إلا ما أعرف.

بين الفترة والفترة وخصوصا قبل شهر محرم أو أثناءه أو بعده قليلا تندفع جيوش السلفية الآيلة للسقوط بإغراق المجتمعات بمواضيع مثل التطبير ومواكب العزاء والجنزير والحسينيات وما شابه ذلك من المواضيع فيتناولها المتناولون بكثير من التشويش والسطحية والإساءة.

وقبل أن أجيب أود أن اطرح فكرة ونصيحة للسلفيين ليفهموا ما أقول. فأقول لهم بأن هذه الهجمات على الشيعة بهذا الشكل سيقلب الموازين ليس عليكم فقط (فأنتم قيد الشطب العالمي ومِن أقرب ذوي القربى)، فإذا كنتم مخلصين لمذاهبكم فعليكم أن تحسبوا عواقب ما تفعلون للمستقبل. ولعلكم تجهلون (وهذا ليس عجيبا) أنه لحد هذا التاريخ لا يوجد هناك مؤسسات شيعية هجومية على المخالفين وكل ما هو موجود بضع مؤسسات دفاعية اغلبها شبه خامل ولا تقوم بالدفاع كما يجب. والبقية مجرد أشخاص عاديين مثلي و أمثالي غير متفرغين لمثل هذه الأعمال. وسلوككم شديد الحركة سوف

يجابه بردة فعل قوية قد تبدأ بعد عشر سنوات أو اكثر فيما لو استمر هذا النهج التخريبي منكم. وسيكون الوضع مؤلم وستكونون بحالة لا تعرفون رأسكم من رجليكم. وهذه ليست نصيحة عادية أو حبا بالسلام فأنا شخصيا أراكم تستحقون هجوما كبيرا ولهذا لن يضيرني أبدا زيادة مواضيعكم التحرشية وكثرة هذيانكم فهذا مما سيسرع من توقعي بإنشاء مؤسسات هجومية أقوى من مؤسساتكم ألف مرة وأنا اعرف ما أقول وليس هذا للدعاية وأسأل الله أن يهدي على أيدكم المسؤولين الشيعة ليقرروا بدء الهجوم الفكري وسترون المصائب. ولعل مثال العاملي حفظه الله خير دليل على ما أقول ، فهو من الواضح عليه غير متفرغ للدفاع فضلا عن الهجوم على فكر المتهجمين العدوانيين ولكنه بعد عدة سنوات من الحوار التبرعي على النت قد لا يتجاوز الخمس سنوات بدأ بمشروع شخصي للهجوم وهو يحضر لمشروع الألف إشكال الذي طرح بعضه في شبكة الميزان. وهذا لم يأتي من

فراغ إنما أنتم ضغطتم عليه ليتحول إلى الهجوم، ومشروعه هذا غاية في الخطورة حين يكون أساسا لقاعدة بيانات خطيرة ستخضع للتعديل والزيادة والنقصان حتى تستقر بمتانة لا ينفع معها ألاعيبكم المكشوفة وقد يتطور لعشرات آلاف الإشكالات. ولهذا إن كنتم تريدون البقاء الفكري فعليكم أن تفكروا بطريقة ثانية بعيدة عن الاستفزاز وأن تفكروا بطريقة لإصلاح مناهجكم ونفوسكم العدوانية فقد أصبحت غير مقبولة من أقرب المقربين لكم. وأن تبدلوا ثوبكم العدائي للشيعة وتحسنوا من نوع الحوار.وأن تثقفوا أنفسكم بعلوم تحصنكم من هذه الأخطاء السخيفة التي تقعون بها وأن تقرؤوا الفكر السني وزواياه قبل أن تحاولوا الخوض مع الفكر الشيعي الذي لا تفهمون منطلقاته ولا تعرفون مداخله.

وقد يعتب عليَّ بعض أخوتي الشيعة لهذه النصيحة ولهذه القراءة للأحداث –والحق معهم على العتب – ولكن هذه النصيحة ليست بسبب نجاتكم أو

تقليل الهجوم علينا فهذا غير منظور عندي و أنا أراكم منقرضين قريبا لانتفاء الحاجة منكم عند الأسياد. ولا خطر أبدا على التشيع، والخطر الحقيقي هو ما يحدق بكم.

ولكن الذي دعاني لهذه النصيحة هو حبي للمسلمين عموما سنة وشيعة وحب الوئام بينهم ولعل بعضكم ينتمي إلى الإسلام ولكنه يغفل عما يقوم به من شرور في قلب المجتمع الإسلامي، وقد تطاله يد الوعي الإسلامي لتنفيه، نتيجة قرار عالمي لنفي الشر المركب في هذه الشخصية العدوانية.

أقول نصيحتي هذه ولا يهمني أن لا تعوها جميعا فلعل هناك واحد يفكر بينه وبين نفسه وربه وهذا يكفي عندي.

نأتي الآن إلى بعض المظاهر الشيعية المتأخرة ونبحث فيها. وسأبدأ بموضوع متشابك جدًا حتى عند بعض الشيعة، حيث أن له مؤيدين ومعارضين

بالإضافة لكونه موضوعا لشتم الشيعة من قبل أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إنه موضوع التطبير:

وهو موضوع يستحق التوضيح من وجهات نظر متعددة. وعلى إخوتي الشيعة مؤيدين ومعارضين أن يفهموا ما أقول فإنه في غاية الأهمية لهما بلا استثناء، وهذا ما سأبحثه اختصارا وعليكم الفهم والتفكير العميق. ودعونا من مهاترات الموضوع والتي لا تقوم على معرفة حقيقية للأمر.

التطبير:

التطبير لفظ عامي مأخوذ من طبر الشيء بالسكين واللفظ مستخدم في العراق وما جاوره من عرب الجزيرة الشمالية والجنوبية والخليج والأهواز فيقولون طبر الخشبة أو العظم بالطبر (الفأس أو القدوم أو الساطور في الشام) ويقصدون

الضرب بالساطور وغيره من الأدوات الحادة، ولكنه بهذا المعنى لم أعثر عليه في كتب اللغة، ولعله لفظ تركي أو من أصول بابلية آكدية لأن طَبَرَ في العربية بمعنى قفز واختبأ. والله أعلم.

ويقصد به فصد أو شرط جلدة الرأس بآلة حادة كالموسى. وهو ما يقوم به بنسبة واحد مما يزيد عن مائة ألف من عدد الشيعة تقريبا.(ففي كل العالم الشيعي يمارس التطبير بضع مئات وقد يصل إلى بضع ألوف من أصل أربعمائة مليون) والذي يحاول أعداء التشيع تصعيده إلى الصدارة والى حد العقيدة، كما أن بعض الشيعة المتأخرين يعتقدون أن محاربة هذا الأمر يعد من باب الحرب لأسس التشيع اشتباها منهم. بينما يحاربه بعض الشيعة اعتقادا منهم بأنه عمل مضر بالتشيع ويجلب سمعة سيئة.

وقبل كل كلام أقول بأن هذه الظاهرة هي ظاهرة طارئة لم يُسمع بها قبل ١٣٠ سنة. فليس لها علاقة بالفكر الشيعي من قريب أو بعيد بل ليس لها

علاقة بالممارسة الشيعية وقد انتقلت إلى الشيعة عبر حركة صوفية تركية إبّان الحكم التركي وهي سنية المنشأ والرعاية إلى حد ما.

وقبل الكلام عن حكمها وتصويرها بدقة في واقعنا الحالي اقدم نبذة عن أصلها عبر أوثق المصادر الشيعية والروايات المحفوظة.

بعد أن انتشرت دعوة الحاج بكتاش (تركي تبريزي المولد درس في خراسان وأصبح داعية إصلاح في عموم بلاد الأتراك). ووصل انتشار دعوته أن التزم بمبادئها السلطان العثماني السلطان الغازي مراد خان الأول الأشعري ابن السلطان أورخان الغازي وأسس الجيش الإنكشاري في سنة ٧٣٦ هجرية وفق تعليمات السيد محمد الرضوي التبريزي المعروف بالحاج بكتاش. وأسماهم الجيش الجديد (يكي جري) الذي صحف فيما بعد بـ (إنكشاري) وكان وفق تعليمات الحاج بكتاش تأسيس (تكية –صالة) في كل ثكنة عسكرية للتوجيه المعنوي والديني. وبقيت هذه التكيات مرتبطة بالجيش الإنكشاري مدة ثم

انفصلت عنها وتحولت إلى صالات مستقلة للتوجيه الديني (الصوفي في الغالب سني وشيعي) في طول وعرض البلاد العثمانية. غير أنها من جهة ثانية لم تنفصل عن الجيش العثماني حتى بعد انحراف الإنكشارية والقضاء عليهم فقد بقيت التكايا البكتاشية في كثير من ثكنات الجيش خصوصا الجحافل الشرقية والتي قاتلت مئات السنين للجيوش الروسية في القفقاس.

ويبدو أن هذه الثكنات حسب رواية الأتراك عانت في القرن الثالث عشر الهجري من مشكلة عويصة بعد انتشار الأسلحة النارية وهي أن التدريبات بالسلاح الناري الحي تستدعي وفاة بعض الأفراد وهذا مسموح به في الجيوش حسب العرف العسكري الحديث المعمول به لحد الآن. وقد أشكل هذا الأمر على المتدينين في التكايا العسكرية في الجهات الشرقية والتي تحوي على الجنود الشيعة والسنة، وجرت بينهم مداولات أدت إلى ما يلي:

بما أن التدريب العسكري للقتال الحقيقي يستدعي رؤية أشد ما يرعب الإنسان وهو الدم والموت حتى يكون المقاتل جاهزا وغير مبال بما يراه حين المعركة لشد عزيمته فإن الجهات الدينية في التكايا اقترحت أن يقوم بعض الجنود بنوع من حجامة الرأس المكشوفة (الفصد) لأنها غير محرمة وقد فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدة مرات وفيها أحاديث عن الاستطباب بها. ويكون ذلك بمناسبات دينية فاختاروا أن يكون يوم قتل الحسين عليه السلام وهو يوم عاشوراء. وقد نجح هذا الأمر فعلا في تقوية قلوب الجنود وإزالة بعض عوائق الإقدام في الحرب وهي العوائق النفسية. وهكذا بدأ الانتشار تدريجيا من تكية إلى تكية حتى وصل إلى تكيات خارج حدود الجيش العثماني وهي التكيات الدينية الشعبية المنفصلة عن الجيش الإنكشاري من مدة طويلة. وقد كان الأمر محصورا في تكيات القفقاس وأذربايجان وتبريز وفي نهاية القرن الثالث عشر وصل إلى تكية البكتاشية في

كربلاء وبعده بقليل في النجف الأشرف في العراق أي بحدود سنة ١٨٩٠ ميلادي أو أكثر قليلا. ولكنه كان في تكيات البكتاشية في مصر قبل ذلك ببضع عشرات السنين وكان التطبير موجودا في مصر قبل سنة ١٨٧٠م ويتم في باحات مسجد رأس الحسين عليه السلام. ويبدو أنه كان موجودا إلى ما بعد سنة ١٩٠٠م بشهادة بعض المعمرين في مصر لأحد العلماء في النصف الأول من القرن العشرين وقد اخبرني بذلك شخصيا.

المهم لقد فاجأت هذه الحركة علماء الشيعة في وقتها فاستدعوا الأتراك من هيئة إدارة التكية البكتاشية وسألوهم فشرحوا لهم الأمر بأن هذا الأمر إنما وجد لتقوية القلوب وهو لا يحتوي على اكثر من الحجامة ولكن بدون كاسات (فهو فصد) والمقصود به ربط الوجدان الشعبي بحب أهل البيت عليهم السلام مع الفائدة الأساسية وهي تقليل النفرة من منظر الكوارث وبشاعة الحروب. بالإضافة إلى المعاني المرتبطة بها مثل الاستعداد للفداء

والتضحية وبذل الدم رخيصا للعقيدة كما هو لبس الأكفان وإجراء الدماء والهتاف بالتضحية والمحبة لمبادئ الإسلام التي قدم الحسين نفسه من أجلها. فاقتنع الفقهاء بعدم وجود دليل على التحريم وعلى فائدة مهمة جدًا وهي تقوية القلوب وإزالة الخوف والمعاني الرمزية فيها. ولهذا سكتوا عنه.

الحقيقة لقد اثبت سلوك التطبير كفاءته في تقوية القلوب وفي التزويد بالشجاعة في مواقف تاريخية كثيرة. ويبدو بأن هذا هو ما لتفت نظر قوى الاحتلال الفرنسي والإنجليزي فقد حاربت هذه القوى هذا الموضوع بكل ما أوتيت من قوة، وصل إلى حد الإعدامات في العراق ولبنان لأجل إيقاف هذه الظاهرة وكلما ازداد المنع ازداد الإصرار وازدادت القناعة بأن المحتلين يخافون من هذه الظاهرة وهي ذات مغزى عسكري يفهمه العسكريون بصورة إيجابية ويعتبرونه من مصادر المانعة الشعبية والمقاومة العسكرية الشعبية. وقد استخدم الفرنسيون أسلوبا آخر غير المنع وهو أسلوب التشنيع وتهمة

التخلف للشيعة نتيجة هذه الحالة ونشروا صور ومقالات للسخرية والسب والشتم. وقد وصل هذا التشنيع لبعض الفقهاء الذين لا يعرفون خلفيات الأمور فاستفظعوا التشنيع وقالوا بالحرمة بعنوان ثانوي لأنه يؤدي إلى الشنعة. ولكن بقية العارفين لم يلتفتوا إلى هذا الحكم لوجود قصور في مقدمات الحكم ظاهرة فإن المشنعين وهم من المسيحيين الذين لديهم كنائس رهبانية يقومون فيها بتعذيب أنفسهم بما هو مستبشع وينتشر بينهم رجال السيرك الذين يدخلون السيوف في وجناتهم ومنهم من يدخل الشيش في البلعوم.

وكذلك فأنهم يهيجون بمقالاتهم رجال السنة... والسنة عندهم في وقتها التطبير في تركيا ومصر والقفقاس وبنفس المناسبة وبنفس الشروط وعندهم بعض الحركات الصوفية التي يعملون بها الأعمال السحرية وتعذيب النفس وغرز السكاكين في البطون وغير ذلك ولا يستنكره منهم أحد. فالقضية إذن

تتعلق بالتفكير العسكري من هذا التطبير الذي استمر رغم سقوط الدولة الراعية للتكية البكتاشية.

واليوم نحن نعرف أهمية التطبير جيدا، حين واجهنا العدو الصهيوني الخبيث. حين عرفنا ونظرنا بأم أعيننا بأن خير من يقدم على الإنقاذ أو القتال هم من يعيش حالة التطبير سواء كان ناظرا أم فاعلا. وقد حارب الصهاينة التطبير حربا شبيهة بحرب السلفيين له بل قذفوا قنابل على مواكب التطبير وقتل بعض المؤمنين ولم يؤثر ذلك إلا إصرارا على طرد اليهود وقد تم بحمد الله.

وقد جرت أمام عيني حوادث عجيبة في جنوب لبنان أدهشتني مما جعلني أؤمن بعبقرية مخترع التطبير حيث جرت أمامي حوادث قصف وقتل من العدو الصهيوني وكان أشجع الرجال وأسرعهم للإنقاذ وللرد هم أهل التطبير ومشاركيهم. بينما مثلي ممن لا يستطيع النظر إلى المتطبرين لا أستطيع نفسيا

النظر إلى الأجسام المقطعة والبيوت المهدمة على أهلها. ولهذا عرفت أن لا مفر في هذه الزمن الصعب المليء بالشرور أن أنظر للمتطبرين بعد أن كنت لا أستطيع النظر وقد أمرت أولادي أن يأمروا أنفسهم وأولادهم بمشاهدة التطبير بل المشاركة إن رغبوا. لأجل أن يبنوا عقولا قادرة على المقاومة ويزول منهم الخوف ويسارعون في إنقاذ المحتاجين بسخاء نفس وقوة قلب.

وتعسا للذين يريدون للإنسانية الموت وينشرون الرعب والدمار على الآمنين.

ورغم أنوف السلفية (وليدة الشبهات والتكفير وحب المجازر والجرائم.) يجب أن ننظر إلى المتطبيرين لتقوى قلوبنا ونصنع من نفوسنا مقاومة حقيقية للباطل. ونصنع من مجتمعنا مجتمعا لا يهاب الموت ولا يخشى من مجازر الوحوش. وله ممانعة الأبطال في رفض ما لا يقتنعون به. حتى لو كنا غير مقتنعين بالتطبير.

حكم التطبير:

لولا شبهة الشنعة التي آمن بها بعض الفقهاء فهو لا يحتوي على أكثر من عمل عمله رسول الله عدة مرات بشهادة أحاديث الفريقين بل جوّز بعض أهل السنة الحجامة للمحرِم. والحجامة تكون في الكاهل والأخدعين (عرقان في جانبي العنق) والرأس وهي مندوبة حسب بعض الروايات وقيل فيها فوائد صحية. وقد قلنا أن الشنعة إنما هي لمنعنا مما فيه منفعة الأمة الإسلامية وضرر القوى الكافرة المهيمنة. ولهذا فمثل هذه الشنعة غير معتنى بها عقليا. ومن اعتنى بها وقال بأنها لازمة ملزمة فهو يوجه نصيحته لمقلديه حسب قواعد سلوك الفقهاء بتوجيه نصائحهم الثمينة بحسب ما يتوصل إليه بنظره الشريف.

وما تمسك به بعضهم للضرر فذلك مردود فهو من قبيل لا يجوز إجراء عمليات جراحية لأن بعضهم تضرر بها؟ وهذا واضح البعد، ووجه الشبه هو النص على كون الحجامة علاجا و التطبير نفس الحجامة في حقيقتها فهو

من باب العلاج أيضا. وقد أعتبر بعض فقهاء السنة مجرد التشريط بالموسى هو بديل للحجامة فقال فيما لا يفطر الصائم: (فأمور منها الفصد ولو خرج دم، ومنها التشريط بالموسى بدل الحجامة للتداوي) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري. الجزء الأول. كتاب الصيام. ما يوجب القضاء دون الكفارة وما لا يوجب شيئاً

ولا أريد هنا أن اشرح أحكام الضرر وحدودها. ونحن نطالب المشنعين من السلفيين وأمثالهم أن يأتونا بدليل فقهي على المنع أو عليهم أن ينتهوا من شتائمهم الحيوانية. ومن لا يستطيع أن يأتي بدليل حرمة فعليه أن يلزم بيته ويسكت.

وفي المقابل فهناك من حاول الاستدلال على استحباب التطبير بما فعلته مولاتنا زينب عليها السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب رواية ضرب رأسها بالمحمل وشج جبينها. وهذا الفعل لا يستفاد منه

أكثر من الإباحة وعذر من وقعت عليه مصيبة بهذا الحجم كما وقع للسيدة زينب عليها السلام بمصابها بريحانة رسول الله وثقل أهل الإسلام.

وأعتقد أن لا حاجة لهذا الاستدلال في حلية نفس الفعل لأن نفس الفعل وهو الحجامة والفصد مباح ومحبوب بذاته في الشريعة الإسلامية ولا خلاف في ذلك، ولكن يمكن أن يستفاد من الحديث صحة الربط بين التطبير وبين حب الحسين وإظهار الجزع عليه و هذه الحادثة كاشفة بنفسها عن واقعية إظهار الجزع على الحسين، وقد صدر ممن قال لها الإمام زين العابدين عليه السلام: يا عمة أنت عالمة غير معلمة. وهي صحابية جليلة وراوية عظيمة وفقيهة أهل البيت عليها وعليهم السلام.

وقد يتساءل بعضهم كيف يصوّر المتطبرون الربط بين التطبير وبين ولائهم للإسلام؟

هذا أمر بسيط يراه أبسط الناس، فإن نفس إظهار مظاهر الاستعداد للتضحية والفداء من لبس الكفن واستخراج الدم الذي يصور لنفس الفاعل فضلا عن الناظر بأنه حالة استعداد تام لبذل الغالي والرخيص من أجل مبادئ الإسلام التي ضحى من أجلها سبط رسول الله وريحانته بمهجته وعياله بالغالي والنفيس ولم يهن ولم ينكل لمبادئ الإسلام. إن هذا الربط ليس ربطا بعيد التصور وليس خيالا، ففي هذه الأزمان يعبّر في كثير من الأحيان بلبس الكفن وتوقيع وثيقة بالدم عن الاستعداد للتضحية أو التعبير عن الموت كما هو حال الكثير من المظاهرات الداعية للسلم ونبذ التسلح أو في حالة الحروب والتهييج الشعوب، وهذا يدل من ناحية ثانية على أن التطبير ليس هو الحالة الوحيدة للتعبير عن الفداء للإسلام فهناك آلاف الصور للتعبير، وحين لا نكون بحاجة إلى التطبير فهناك طرق أخرى للتعبير متعارف عليها بين الإنسانية.

وهذا في مجال التعبير عن الحالة ولعل التطبير يزيد فيه التعبير إلى درجة الممارسة لحالة الفداء والاستعداد للتضحية، والممارسة أقوى تعبيرا من الرمز كما هو معلوم، فنحن الآن لا نستطيع أن نخفي سرورنا بزوال الخوف من قلب الشعب الفلسطيني من الطغمة الصهيونية وتعبير هذا الشعب عن إرادة الرفض التعامل مع الدم والبارود والنار وإظهار روح التضحية مما يبشر بأن حق المسلمين سوف يسترجع على أيدي هؤلاء المتطبرين عمليا على يد القوات الغازية والمجاهدين بأنفسهم وأموالهم وما يعز على الإنسان. فألف تحية إكبار وإعزاز للشعب الفلسطيني. الذي يزيدنا بمنظر دمائه وحروقه إصرارا على النصر وعلى طلب الحق الشرعي المهدور بقرارات دولية جائرة أنشأت الكيان الغاصب.

وهنا أوجه الكلام إلى اخوتي الشيعة:

أيها المعارضون لا تعارضوا أمرا فيه مصلحة لكم. ولا تكونوا عونا لأعدائكم على أمر فيه عزكم. على انه ليس ضروريا ولا قيمة له من ناحية فقهية. وعلينا أن نحترم رأي الفقهاء الذين لا يرون في ذلك قيمة لضرر أو تشنيع مفتعل.

أيها المؤيدون يوجد بينكم الآن من يقول بأن شتم التطبير هو تنصل عن التشيع وعن حب أهل البيت وعداء لهم، وهذا خطأ ووهم كبير، فهو فكرة مستحدثة لها ظروف آنية.

ولا يحق لنا اعتبار المستحدثات شبيهة بالأصول فهذا خلاف التشيع وخلاف محبة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. وعليكم أن تحسنوا الجواب لمن يعترض، وعليكم احترام الفقهاء الذين يرون أن في التطبير الضرر والشنعة وإن كانوا قلة قليلة جدا.

نحن رأينا أن خير التطبير – بعد كونه حجامة – إنما هو من جهة تقوية القلوب واحتواء عناصر المقاومة بين جوانح المؤمن. فإذا كان التطبير مصدر خلاف فهذا نوع من الإضعاف لجماعة المؤمنين. فلا بد من معالجة ذلك وتحويل السلبيات إلى إيجابيات، فغاية ما يمكن أن نتحاور حوله هو أن نضع ضوابط فلا نزيد أعداد المتطبرين عما هو عليه عنادا، ولا نسمح لتطبير الأطفال حتى يبلغوا وهم من يتخذ القرار. وأن نجعل التطبير بين الأخوة الشيعة فقط ولا يسمح بالتصوير والمقالات الصحفية فهو أمر داخلي لا دخل لأحد به خصوصا وهو مختلف فيه في المجتمع الشيعي. والسماح بالتصوير يقوي رأي من يقول بالشنعة. رغم أن رأيي بأن الصور لها مفعول قريب من الواقع فلا مشكلة ولكن احترام رأي من يقول بالشنعة مما تقتضيه الأخلاق ومنهج التمسك الديني.

وأقول للسلفيين كلما زدتم من عرض الصور علينا، فإننا نرتاح لذلك وننظر إليها لتتقوى قلوبنا ونتقي من شروركم. وسنشكركم تمام الشكر. فتقبلوا شكرنا سلفا، وإذا أسأتم الأدب في التعليق فكل إناء بالذي فيه ينضح. ولا أنصحكم بالتطبير حتى لا يزول خوف إسرائيل من قلوبكم فذلك مضر بمبادئكم.

ولكن يجب أن تعلموا بأن التطبير لا دليل على حرمته سلفيا ولو كان دليلكم هو حرمة تقوية قلوب أهل البدع (كما تسمونهم) بذلك. فنقول موتوا بغيضكم. ودليلكم هواء وفراغ وهو أدعى للتمسك بالتطبير من تركه. لأنه يزعجكم ويقوي شوكة من تكرهون وهذا فيه رضا لله تعالى وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشفيع المنقذ لأمته حيا وميتا.

لمن يتشدق ويقول بأن الحجامة لا علاقة لها بالتطبير من جهة الفعل أو يقول بأن الحجامة في الرأس لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فهذه

بعض النصوص بلا تعليق تكفي لبيان ضلال من يكفر الشيعة لأن بعض مئات من أصل مئات الملايين يعمل بالحجامة الجماعية وهذه الحجامة فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قبل كل شيء أحاول أن أبين – لمن لا يعرف ما هي الحجامة وما هو التطبير؟– ما هي العلاقة بين الاثنين؟

التطبير كما قلنا هو شرط جلدة الرأس بآلة حادة كالموسى يخرج بها الدم.

والحجامة والفصد لها نفس الصورة ونفس المضمون.

وقد يسأل سائل فيقول بأن القصد من الحجامة والفصد الاستطباب بينما هذه لم يقصد منها ذلك، فأقول بأن الاستطباب يحصل بحصول نفس خروج الدم وهو أمر وضعي تكويني لا يحتاج إلى نية تكليفية فهو كما لو أشتبه المريض فشرب الدواء بدل الماء فحصول التداوي حصل تكويناً، كما يمثل الفقهاء

بزوال النجاسة الخبثية بمجرد الغسل حتى لو كان اشتباها أو اضطرارا، فلا علاقة للنية بالاستطباب.

ثم أن التطبير لا يأخذ مشروعيته الإباحية من الحجامة لأنه بنفسه لا مانع منه وكل ما لم يمنع منه الشرع فهو حلال، نعم مشروعية الندب للحجامة ينطبق على التطبير قهرا لأنه من بابه موضوعا وليس قياسا، فلا يبعد أن يشمله الندب لوحدة الموضوع واتحاد العنوان.

والوحدة تعرف بوحدة المآل والغرض ووحدة الصورة وكلاهما واحدة في الحالتين، على أن بعضهم كما صرح لي يقصد الاستطباب وقد قال لي بأنه إذا لم يفعل ذلك سنويا فأنه يشعر ببعض التوعك الصحي وهذا يدل على اتحاد القصد عند بعضهم بل أدعى أحدهم بأن هذه مقولة أغلب العائدين للتطبير، بالإضافة للتعبير عن النصرة والاستعداد لبذل الدم والشهادة في سبيل الحق والعدل الذي جسده الحسين عليه السلام في قضيته العادلة التي

كانت بمثابة هزة كبرى لكل محاولات محو الإسلام وإعلان كذب الرسالة المحمدية.

وهذه بعض النصوص في الموضوع معنونة بعناوين عامة.

ما معنى الفصد والحجامة؟

الفصد: هو قطع عرق مخصوص وإخراج الدم منه، وله عروق خاصة.

الحجامة: هو تشريط اللحم بموسى حاد ومص الدم بمحجمة خاصة، ولها أماكن متعددة وتشترك مع الفصد عمليا في حجامة الأخدعين وهما عرقا الرقبة وهو فصد ويسمى حجامة.

صحيح البخاري، للإمام البخاري: الجزء الأول.١ – بدء الوحي.١ – باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(ليتفصد) يسيل، من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم،

لسان العرب، للعلامة ابن المنظور: متن الكتاب: لسان العرب.

فصد: الفصدُ: شَقُّ العِرْقِ؛ فَصدَه يَفْصِدُه فَصْداً وفِصاداً، فهو

مَفْصُودٌ وفَصِيدٌ. وفَصَدَ الناقةَ: شَقَّ عِرْقَها ليستخرِجَ دَمَهَ

فيشرَبَه. وقال الليث: الفَصْدُ قطع العُروق

لسان العرب

والحَجْمُ: المصّ. يقال: حَجَمَ الصبيُّ ثَدي أُمه إذا مصه.

وما حَجَمَ الصبيُّ ثدي أُمه أَي ما مَصَّه. وثَدْيٌ مَحْجوم أَي ممصوص.

والحَجَّامُ: المصَّاص. قال الأَزهري: يقال للحاجم حَجَّامٌ لامْتِصاصه فم

المحْجَمَة، وقد حَجَمَ يَحْجِمُ ويَحْجُم حَجْماً وحاجِمٌ حَجُومٌ ومِحْجَمٌ رَفيقٌ.

والمحْجَمُ والمحْجَمَةُ: ما يُحْجَم به. قال الأَزهري: المحْجَمَةُ قارُورَتُهُ، وتطرح الهاء فيقال مِحْجَم، وجمعه مَحاجِم.

كنز العمال للمتقي الهندي: المجلد العاشر. ذيل الأدوية.الحديث رقم: ٢٨٤٩٣- عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بالحجامة والافتصاد (الافتصاد: الفصد: قطع العرق، وبابه ضرب، وقد فصد وافتصد. المختار ٣٩٧. ب).

الحجامة في الرأس وفعل رسول الله لها، وقيل فعلها وهو محرم لشقيقة المت به.

صحيح البخاري، للإمام البخاري: الجزء الأول. ٣٤ – أبواب الإحصار وجزاء الصيد. ٢٢ – باب: الحجامة للمحرم. الحديث رقم:

١٧٣٩ – حدثنا خالد بن مخلد: حدثنا سليمان بن بلال، عن علقمة بن أبي علقمة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن ابن بحينة رضي الله عنه قال:

احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم، بلحي جمل، في وسط رأسه.

صحيح البخاري، للإمام البخاري وجدت في: الجزء الرابع. ٧٩ – كتاب الطب. ١٤ – باب: الحجامة على الرأس. الحديث رقم:

٥٣٧٣ – حدثنا إسماعيل قال: حدثني سليمان، عن علقمة: أنه سمع عبد الرحمن الأعرج: أنه سمع عبد الله بن بُحَينة يحدث:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم بِلَحْيِ جمل من طريق مكة، وهو محرم، في وسط رأسه.

وقال الأنصاري: أخبرنا هشام بن حسان: حدثنا عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في رأسه.

صحيح البخاري، للإمام البخاري: الجزء الرابع. ٧٩ – كتاب الطب. ١٥ – باب: الحجم من الشقيقة والصداع. الحديث رقم:

٥٣٧٤ – حدثني محمد بن بشار: حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس:

احتجم النبي صلى الله عليه وسلم في رأسه وهو محرم، من وجع كان به، بماء يقال له لحْيُ جَمَلٍ.

وقال محمد بن سواء: أخبرنا هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم في رأسه، من شقيقة كانت به.

صحيح مسلم الجزء الرابع. ٣٩ – كتاب السلام. ٢٦ – باب لكل داء دواء. واستحباب التداوي. الحديث رقم:

٧٦ – (١٢٠٢) حدثني أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي. حدثنا حبان بن هلال. حدثنا وهيب. حدثنا عبدالله بن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس؛

أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم. وأعطى الحجام أجره. واستعط

[ش (استعط) أي استعمل مع السعوط بأن استلقى على ظهره، وجعل بين كتفيه ما يرفعهما، لينحدر رأسه الشريف، وقطر في أنفه ما تداوى به ليصل إلى دماغه ليخرج ما فيه من الداء بالعطاس].

الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي: المجلد الثاني. الحديث رقم:

١٩٦٢– إن الحجامة في الرأس دواء من كل داء: الجنون والجذام، والعشا، والبرص، والصداع

التخريج (مفصلا): الطبراني في الكبير عن أم سلمة

تصحيح السيوطي: ضعيف

الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي: المجلد الثالث.فصل: في المحلى بأل من حرف الحاء.الحديث رقم:

٣٧٨١ – الحجامة في الرأس هي المغيثة، أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية

التخريج (مفصلا): ابن سعد عن أنس

الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي: المجلد الثالث. فصل: في المحلى بأل من حرف الحاء. الحديث رقم:

٣٧٨٣ – الحجامة في الرأس: من الجنون، والجذام، والبرص، والأضراس والنعاس

[أي تنفع من الجنون و...]-

التخريج (مفصلا): العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس الطبراني في الكبير وابن السني في الطب عن ابن عمر

تصحيح السيوطي: ضعيف

حديث في حجامة الرأس متشابه في كتاب شيعي (الكافي) وكتاب سني (فيض القدير).

الكافي جلد: ٦ (باب الظروف). الحديث رقم:

١٦٠ – سهل بن زياد، عن ابن فضال، عمن ذكره، عن أبي عبدالله قال:

الحجامة في الرأس هي المغيثة تنفع من كل داء إلا السام (٣)، وشبر من الحاجبين إلى

حيث بلغ إبهامه ثم قال: ههنا (٤).

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي: الجزء الثالث. – فصل في المحلى بأل من هذا الحرف [أي حرف الحاء]ـ. الحديث رقم:

٣٧٨١ – (الحجامة في الرأس هي المغيثة) أي تسمى المغيثة من الأمراض والأدواء (أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية) يعني الشاة التي سمتها له زينب اليهودية بخبير وقالت: إن كان نبياً لم يضره وإلا استرحنا منه، قيل: قتلها وقيل: لا.

موطأ الإمام مالك]. المجلّدُ الثَّاني (كتاب الحج (١)). ٧٢ – (باب المحرم (١) يحتجم).

الحديث رقم:

٥٢٠ – أخبرنا مالك، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار: أنّ (٢) رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم احتجم فوق رأسه وهو يومئذ محرم بمكان (٣) من طريق مكة يقال له: لَحيُ جَمَل.

قال محمد: وبهذا نأخذ. لا بأس بأن يحتجم الرجل وهو محرم، اضطُرَّ إليه (٤) أو لم يُضطَرَّ إلا أنه لا يحلق (٥) شعراً وهو قول أبي حنيفة.

حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي: الجزء الخامس. ٢٤ ـ كتاب مناسك الحج.

١٤٢٦ ـ باب الحجامة للمحرم. وجدت الكلمات في الحديث رقم:

٢٨٣٦ ـ أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدّثَنَا اللّيْثُ عَنْ أَبي الزّبَيْرِ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ: أنّ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ».

قال السندي: قوله: «احتجم وهو محرم» تجوز الحجامة للمحرم عند كثير بلا حلق شعر لكن سيجيء أنه احتجم في الرأس والحجامة لا تخلو عادة عن حلق فالأوفق بالحديث أن يقال: بجواز حلق موضع الحجامة إذا كان هناك ضرورة والله تعالى أعلم.

حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي: الجزء الخامس. ٢٤ ـ كتاب مناسك الحج.

١٤٢٩ ـ باب حجامة المحرم وسط رأسه. الحديث رقم:

١٤٢٩ ـ باب حجامة المحرم وسط رأسه

٢٨٤١ ـ أَخْبَرَنِي هِلاَلُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَهُوَ ابْنُ عَثْمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ قَالَ: قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ

الأَعْرَجَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ بُحَيْنَةَ يُحَدّثُ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم احْتَجَمَ وَسْطَ رَأْسِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِلَحْيِ جَمَلٍ مِنْ طَرِيقِ مَكّةَ».

سنن ابن ماجه. للإمام ابن ماجه: الجزء الثاني. ٣١- كتاب الطب. (٢١) باب موضع الحجامة.

الحديث رقم:

٣٤٨١- حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبي شَيْبَةَ. حدّثنا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ. حدّثنا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ. حَدَّثَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ أَبي عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمنِ الأَعْرَجَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ بُحَيْنَةَ يَقُول: احْتَجَمَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بِلَحْيِ جَمَلٍ، وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَسْطَ رَأْسِهِ.

[ش - (بلحى جمل) في النهاية: موضع بين مكة والمدينة. وقيل: عَقَبة. وقيل: ماء.]

سُنَنُ أبي دَاوُد، للإمامِ أبي دَاوُد: الجزء الأول. ٥- كتاب المناسك. ٣٦- ت/٣٥ م باب المحرم يحتجم.الحديث رقم:

١٨٣٦- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم احتجم وهو محرم في رأسه مِنْ داءٍ كان به.

سُنَنُ أبي دَاوُد، الإمامِ أبي دَاوُد: الجزء الثاني. ٢٢- كتاب الطب. ٣- ت/٣ م باب [في] الحجامة. الحديث رقم:

٣٨٥٨- حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي، ثنا يحيى يعني ابن حسان ثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي، ثنا فائد مولى عبيد اللّه بن عليّ بن أبي رافع،

عن مولاه عبيد اللّه بن عليّ بن أبي رافع، عن جدته سلمى خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قالت:

ما كان أحد يشتكي إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وَجعاً في رأسه إلا قال: "احتجم" ولا وجعاً في رجليه إلا قال: "اخضبهما".

ومن باب الرد على ضعف بعض طرق روايات فضائل الحجامة قال العسقلاني:

فتح الباري، شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني كِتَاب الطِّبِّ. باب الْحِجَامَةِ عَلَى الرَّأْسِ.

ولكن قال الأطباء: إن الحجامة في وسط الرأس نافعة جدا، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلها كما في أول حديثي الباب وآخرهما وإن كان مطلقا

فهو مقيد بأولهما، وورد أنه صلى الله عليه وسلم احتجم أيضا في الأخدعين والكاهل أخرجه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم.

أقول: يشبه أن يكون جواب العسقلاني على ضعف بعض طرق روايات الفضائل هو الجمع بين نفس فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للحجامة طلبا لزوال العلة وبين قول الأطباء بالنفع والفضيلة الصحية. فإما أن يتقوى الضعف بهذا يعتبر نفس النفع ثابت حتى مع ضعف الطرق لأن قول الأطباء بالنفع وفعل الرسول بناءً على النفع يكفي في ثبوت الفائدة بغض النظر عن صحة السند فتكون قضية خارجية ليست من اختصاص علم الحديث.

متفرقات:

موطأ الإمام مالك. (كتاب الحج). ٧٢ – (باب المحرم يحتجم).

ودلّت هذه الأحاديث على جواز الحجامة للمحرم مطلقاً (وقال ابن قدامة: أما الحجامة إذا لم تقطع شعراً فمباحة من غير فدية في قول الجمهور لأنه تداوٍ بإخراج دم فأشبه الفصد وربط الجرح، وقال مالك: لا يحتجم إلا من ضرورة، وكان الحسن البصري يرى في الحجامة دماً. المغني ٣/٣٠٥)، وبه قال عطاء ومسروق وإبراهيم وطاوس والشعبي والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: ما لم يقطع الشعر، وقال قوم: لا يحتجم المحرم إلا من ضرورة، رُوي ذلك عن ابن عمر، وبه قال مالك، كذا في "عمدة القاري".

فتح الباري للعسقلاني وجدت في: المجلد العاشر. كِتَاب الطِّبِّ. باب الْحِجَامَةِ مِنْ الدَّاءِ.

الشرح: قوله: (باب الحجامة من الداء) أي بسبب الداء.

قال الموفق البغدادي: الحجامة تنقي سطح البدن أكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن، والحجامة للصبيان وفي البلاد الحارة أولى من الفصد وآمن غائلة، وقد تغني عن كثير من الأدوية، ولهذا وردت الأحاديث بذكرها دون الفصد، ولأن العرب غالبا ما كانت تعرف إلا الحجامة.

وقال صاحب الهدى: التحقيق في أمر الفصد والحجامة أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والمزاج، فالحجامة في الأزمان الحارة والأمكنة الحارة والأبدان الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج أنفع، والفصد بالعكس، ولهذا كانت الحجامة أنفع للصبيان ولمن لا يقوى على الفصد.

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي: الجـزء الأول. حرف الهمزة. الحديث رقم:

٢٣٠ – (احتجموا) إرشاداً لا إلزاماً (لخمس عشرة أو لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو إحدى وعشرين) من الشهر العربي. قال ابن القيم: هذا موافق

لإجماع الأطباء أن الحجامة في نصف الشهر وما بعده من الربع الثالث من أرباع الشهر أنفع من أوله ومن آخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعله علة للأمر بها وخص الأوتار لأنه تعالى وتر يحب الوتر، نعم محل اختيار هذه الأوقات إذا أريدت لحفظ الصحة فإن كانت لمرض فعلت وقت الحاجة كما يفيده ما يجيء انتهى.....يتبع –

تابع – «تنبيه» قال أهل المعرفة الخطاب بالحجامة لأهل الحجاز ومن في معناهم من الأقطار الحارة لرقة دمائهم وميلها لظاهر البدن بجذب الحرارة لها إلى سطح البدن وقد أوضحه بعض الفضلاء فقال إنما لازم المصطفى صلى الله عليه وسلم الحجم وأمر به دون الفصد مع أن الفصد ركن عظيم في حفظ الصحة الموجودة ورد المفقودة لأن مزاج بلده يقتضيه من حيث إن البلاد الحارة تغير المزاج جدًا كبلاد الزنج والحبشة فلذلك يسخن المزاج ويجف ويحرق ظاهر البدن ولهذا اسودت أبدانهم ومال شعرهم إلى الجعودة ودقت

أسافل أبدانهم وترهلت وجوههم وخرج مزاج أدمغتهم عن الاعتدال فتظهر أفعال النفس الناطقة فيهم من نحو فرح وطرب وخمد وصفاء صوت والغالب عليهم البلادة لفساد أدمغتهم وفي مقابلها في المزاج بلاد الترك فإنها باردة رطبة تبرد المزاج وترطبه وتجعل ظاهر البدن حاراً لأن الحرارة تميل من ظاهر البدن لباطنه هرباً من ضدها وهو برد الهواء كما في زمن الشتاء فإن الحرارة الغزيزية تميل للباطن لبرد الهواء فيجود الهضم ويقل المرض وفي الصيف بالعكس والغرض من ذلك أن بلاد الحجاز حارة يابسة فالحرارة الغزيزية بالضرورة تميل لظاهر البدن بالمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالبدن فيبرد باطنه، فلذلك يدمنون أكل العسل والتمر واللحوم الغليظة فلا تضرهم لبرد أجوافهم وكثرة التحلل فإذا كانت الحرارة مائلة من ظاهر البدن لباطنه لم يحتمل الفصد لأنه إنما يجذب الدم من أعماق العروق وبواطن الأعضاء وإنما تمس الحاجة للحجم لأن الحجامة تجذب الدم من ظاهر البدن

فقط فافهم هذه الدقيقة التي أشرف عليها الشارع بنور النبوة ولا تقس عليه ما لا يناسبه من الأحوال.

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي: الجزء الرابع. فصل في المحلى بأل من هذا الحرف. [أي حرف الشين]ـ.الحديث رقم:

٤٩٤١ – (الشفاء في ثلاثة) الحصر المستفاد من تعريف المبتدأ ادعائي بمعنى أن الشفاء في هذه الثلاثة بلغ حداً كأنه انعدم به [ص ١٧٦] من غيرها(١) (شربة عسل وشرطة محجم) الشرطة ما يشرط به وقيل هو مفعلة من الشرط وهو الشق بالمحجم بكسر الميم وفي معناه الفصد وإنما خص الحجم لأنه في بلاد حارة والحجم فيها أنجح وأما غير الحارة فالفصد فيها أنجح

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي: الجزء الرابع. حرف الفاء. الحديث رقم:

٥٩٢٢ – (في الحجم شفاء) لاستفراغه أعظم الأخلاط وهو الدم وهو في البلاد الحارة أنجح من الفصد قال الموفق البغدادي: الحجامة نتقي سطح البدن أكثر من الفصد والفصد لأعماق البدن والحجامة للصبيان في البلاد الحارة أولى من الفصد وآمن غائلة وقد يغني عن كثير من الأدوية ولهذا وردت الأحاديث بذكره دون الفصد لأن العرب ما كانت تعرف إلا الحجامة غالباً وقال ابن القيم: التحقيق أن الحجامة والفصد مختلفان اختلاف الأزمان والمكان والمزاج فالحجامة في الزمان الحار والمكان الحار أولى والفصد بعكسه ولهذا كان الحجم أنفع للصبيان.

الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: الجزء الأول. كتاب الصيام. ما يوجب القضاء دون الكفارة وما لا يوجب شيئاً.

وأما ما لا يوجب كفارة ولا قضاء، فأمور منها الفصد ولو خرج دم، ومنها التشريط بالموسى بدل الحجامة للتداوي،

المبسوط، للإمام السرخسي: المجلد السابع (الجزء ١٣). [تابع كتاب البيوع]. باب بيوع أهل الذمة.

وكذلك إذا قال الكافر لمسلم أعتق عبدك هذا على ألف درهم يجوز، ويتملكه الكافر ثم يعتق عليه، وهو نظير الفصد فهو جرح لا يجوز الإقدام عليه من غير حاجة، وعند الحاجة يكون دواء.

فقه العبادات على المذهب المالكي، تأليف الحاجّة كوكب عبيد كتاب الصوم [ص ٣٠٢]. الباب الأول [ص ٣٠٣]: تعريف الصوم:. وجدت الكلمات في الفصل:

٧- التطيب نهاراً أو شم الطيب لأنه من جملة شهوة الأنف، والطيب أيضاً محرك لشهوة الفرج.

٨- الحجامة والفصد إذا كان مريضاً وشك في سلامة من زيادة المرض التي تؤدي إلى الفطر، فإن علم السلامة من زيادة المرض جاز له ذلك، أو كان صحيحاً ولم تؤذه الحجامة أو الفصد جاز له ذلك، أما إن علم المريض أو السليم أن الحجامة أو الفصد تزيد في مرضه حرم عليه ذلك. [ص ٣٢٢]

فقه العبادات على المذهب المالكي، تأليف الحاجّة كوكب عبيد

ولا يفطر بالفصد والحجامة " أما الفصد فلا خلاف فيه وأما الحجامة فلأنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم واحتجم وهو محرم.

اللُمَع (أصول فقه شافعي) للشيرازي: –الكلام في القياس. –باب أقسام القياس.

ومنها الاستدلال بالعكس وذلك مثل أن يقول لو كان دم الفصد ينقض الوضوء

لوجب أن يكون قليله ينقض الوضوء كما نقول في البول والغائط والنوم وسائر الأحداث. واختلف أصحابنا فيه فمنهم من قال إنه لا يصح لأنه استدلال على الشيء بعكسه ونقضه ومنهم من قال يصح وهو الأصح لأنه قياس مدلول على صحته بشهادة الأصول

فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني: المجلد العاشر. كِتَاب الطِّبِّ. باب السَّعُوطِ بِالْقُسْطِ الْهِنْدِيِّ وَالْبَحْرِيِّ.

وفي حديث أنس الآتي بعد بابين " إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري "

خليفة يشفى بواسطة الحجامة:

البداية والنهاية، للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي.: الجزء الثاني عشر. ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة.

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً، انتفخ منه حلقه، وامتنع من الفصد، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته.

طريفة: لقد شرب عبد الله ابن الزبير دم رسول الله من الحجامة وفيه دعوى أن من شرب دم رسول الله لا تمسه النار؟؟!!!.

هل يفسر هذا منع ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآذان حين حكم مكة والمدينة. تفضل واقرأ:

البداية والنهاية، للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي. الجزء الثامن. ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين.

وقد روي من غير وجه: أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال له: ((لا تمسك النار إلا تحلة القسم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك)).

كتب ألفت في الفصد والحجامة:

كشف الظنون للحاج خليفة

أرجوزة، في الفصد.

لابن الرفيقة الطبيب، هو: أبو الثناء، سديد الدين: محمود بن عمر الشيباني. المتوفى: سنة ٦٣٥

كتاب: الفصد، والحجامة.

لأبقراط.

نشر اللواء، في مقتضى الفصد والدواء.

في الطب.

لجمال الدين: عبد الله بن علي بن أيوب القادري، المخزومي، الدمشقي.

مختصر.

أوَّله: (الحمد لله الذي أظهر الأسرار... الخ).

ذكر فيه: أنه رسالة.

محتوية على: بيان القصد من الفصد، بسوابقه ولواحقه.

وهي مرتبة على: تسعة فصول، ومقدمة، وخاتمة.

نهاية القصد، في صناعة الفصد.

تأليف: شمس الدين، أبي عبد الله: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، المعروف: بابن الأكفاني، الطبيب، السنجاري، ثم المصري.المتوفى: سنة ٧٤٩.

الضرب بالجنزير (السلاسل):

لقد سألت أحد العارفين عن أصل هذا الموضوع فقال لي بأن الأصل آت من رياضة إيرانية تمارس في نوادي خاصة أسمها (الزورخانة). وهي رياضة

المصارعة. وفي التدريبات لها يعمل عصي خاصة وجنازير يضرب بها البطل لأجل التقوية وشد الجلد والعضلات وهو نفسه يستخدم في المصارعة الحرة الأمريكية. لتقسية جسد المصارع اقترح بعضهم أن يستخدم ذلك لعمل مزدوج وهو تقوية الجسم والتعبير عن الالم على مصاب الحسين عليه السلام.

فما الإشكال في ذلك؟

سيقول السلفيون بأن هذا دين ولا بد للدين من دليل قطعي إلى ما هنالك من ترهات. وجوابهم بسيط جدًا ، وهو أن هذا ليس دينا ولا هم يحزنون، إنما هو رياضة، وهو فعل مبني على الإباحة لعدم ورود نهي فيه، وفيه منافع صحية ويعملها أهل القوة والقدرة الجسدية لزيادة تحملهم. وإذا كان يقصدون ارتباطه بحب أهل البيت فنقول موتوا بغيضكم فنحن المسلمون أتباع القرآن نصلي على آل محمد يوميًا في صلواتنا الخمس تسع مرات وجوبا ونقرأ في كتاب ربنا سبحانه وتعالى: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)

(الشورى: من الآية٢٣). فمودتهم واجبة والتعبير عنها مباح عندنا وأما أنتم المحرومون من هذه المودة فخصمكم الله ورسوله ولا دخل لنا بكم وجزاؤكم عليهم.

المواكب:

ما هي ألا مظاهرات شعبية تستنكر الظلم لأهل البيت عليهم السلام يقرأ فيها الشعر والهتافات المزعجة للظلمة.

فما المشكلة فيها؟

هل حرمتم المظاهرات؟.

وهل تحرمون التشييع للميت؟!.

أليس هذا نوع من التظاهر بسبب الميت؟.

إذا كانت المظاهرة والمواكب محرمة عندكم فلا تفعلوها كما نراها لكم يوميًا في التلفزيون في باكستان والسودان غيرها من البلدان.

ثم لماذا تتظاهرون في البلدان التي فيها تسامح ولا تتظاهرون في منابع السلفية؟

هل ذلك بسبب التقية؟!.

الشبيه والتمثيلية والدائرة:

وهذه انتشرت في الأربعين سنة الماضية وهي عبارة عن مسرحيات شعبية مؤثرة جاهزة السيناريو.

ما الدليل على حرمتها؟

سيقول السلفيون لمجرد كونها تحتوي فضح قبائح يزيد وبني أمية فهي مستقبحة، ونحن نقول: ملاحتها في ذلك.

حين يكشف ظلم الظالمين الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حياته وبعد وفاته وآذوا أبناءه وانتقموا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بقتل أبنائه وحمل رؤوسهم بين البلدان وأخذ عياله بلا حجاب من بلد إلى بلد.. فلعنة الله على من آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا دليل شرعي عند السلفيين على حرمة التمثيل والفن المسرحي وإلا فليقدموه لنا لنضحك.

الحسينيات:

وهي صالة يؤدى فيها الاجتماعات الدينية والاجتماعية والمناسبات، فالحسينية وهي ناد حسيني ليس لها صفة وأحكام المسجد، ومن المعروف عند الشيعة فإن المساجد هي للعبادة وللدراسة ونشر العلوم ولأجل أن لا يزعج عوام الناس المحصلين من أهل العلم فعليهم أن يجدوا لأنفسهم نواد للاجتماع فكانت الحسينيات.

وأضيف بأن المجتمع الشيعي عادة كثير التواصل ويكون في الغالب له اجتماعات كبيرة بحيث إذا جاءهم خطيب لا يكفيهم مطلقا أي بيت من البيوت لأن الأعداد بالآلاف أو عشرات الألوف دفعة واحدة، فأي بيت يحويهم فلا بد من وجود صالات.

وهذا التلفزيون شاهد عندنا حين أقيمت صلاة الجمعة في إيران لا يوجد مسجد جامع يحوي مليون وربع المليون من المصلين فيضطرون إلى الصلاة في باحة عامة، وهذا لعله غير موجود في المجتمعات السنية – حسب اتصالاتي – ولا أعلم خارج حدود ما رأيت ؛ فلم أر صلاة تزيد عن المليون إلا في الحج وهذا له ظرفه الخاص وزمن ومكان خاص، بينما في المجتمعات الشيعية الأمر عام.

وبالمناسبة فقد انتشرت الآن صالات خاصة للأفراح في المجتمعات السنية لتحل مشكلة حجم المشاركين في الأفراح وهذا هو نفس غرض النادي

الحسيني أو الحسينية وهو التجمع الاجتماعي الكبير لغرض يتعلق بمناسبات الناس عموماً.

وقد درج الآن بين المسلمين عموما إجراء مراسم العزاء في نوادي الجمعيات الخيرية والصالات العامة حين يجد أصحاب العزاء أنفسهم غير قادرين على استيعاب معارفهم من المعزين ولعل بعضهم ينصب خيمة إضافية أمام داره لتمثل نادٍ متحرك وما أكثر شيوع هذه النوادي المتحركة في بلاد المسلمين الآن وهي تمثل نفس فكرة الحسينية أو التكية وما شابه ذلك، تقام فيها الصلاة جماعة للحاضرين ويجري فيها الذكر القرآني الحكيم وقد ضاف له العظات والترغيب بالنبل والفضيلة، وليس من جرم الشيعة فضيلة السبق إلى فكرة الناد بل ينبغي أن يقدروا لهذه اللفتة الجميلة ذات الطابع الاجتماعي التواصلي.

فهل للسلفية تحريم لهذا؟.

مع أنني بنفسي دعيت لأعراس أصدقاء سلفيين في ((صالات)) أفراح!!.

كما قد بادرت لحضور مجالس عزاء لسلفيين في جمعيات خيرية وفي نوادٍ متحركة كالخيمة.

هل هي حلال عليكم وحرام علينا؟.

ومنْ مِنا يسمع ما تهذون به؟!

صدقوا لا أحد.

لماذا لا نكتب كتبًا عن تصحيح وتضعيف الأحاديث؟

ملخص الجواب بكل بوضوح:

لا نكتب ذلك لأننا أهل علم ودين.

وشرح هذا الكلام هو ما يلي:

إثبات الصدور إنما هو مِن اختصاص مَنْ حقه الاستنباط، وهذا تكليف شخصي لا يجوز شرعا التقليد فيه، فلا يصح وضع قوالب جاهزة تؤثر على مجتهد ولو بالإيحاء، ولا يجوز تمكين الجهلة من التطاول على نصوص الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ووضع الكتب في ذلك تغري الجاهل يشعره أنه قد وجد طرق الاستنباط جاهزة فيمكنه الحكم والفتوى بغير علم، وهذا إغراء بالباطل، كما حدث لأهل السنة من وضع جداولٍ بناء على اجتهادات شخصية غير مسلمة

الصحة، مما أدى إلى الإغارة على الفقه الإسلامي وعقيدته، بما لا يمكن تصديقه من الاعتداء والتكلم باسم الدين من قبل جهلة لا يفهمون في الدين شيئا.

ولهذا فوضع هذه الكتب قد يكون مما يعد مقدمة للحرام أو بحسب المصطلح السني يمكن أن يعبر عنه بالتالي: يجب اجتناب وضع هذه الكتب لسد الذرائع.

وعليه فكتب الفقه (وكل ما يشمل الدين من إلزامات دينية) هي مليئة بالإشارة إلى ترك النصوص لضعفها أو ضعفها لتركها لأن مكانها الطبيعي هناك.

وقبل ذلك فهناك نظريات عميقة في اصل حجية ثبوت الصدور ومتطلباتها وحجية خبر الواحد وآلياته، ومعنى الخبر الصحيح والضعيف، وبحثوا في الآليات بدقة.

فهل التوثيق شهادة شرعية أم قرينة صدور؟

وأي هو المطلوب أهو الاطمئنان أم الصيغة الجامدة للدليل كالقرينة؟

فمن يقرأ في كتب الفقه الشيعي مثلا يجد الحجم الكبير من مساحة الاجتهاد في قبول أو رفض الحديث، ولهذا فإن علماء الشيعة من وقت مبكر لا يجيزون العمل بالأحاديث مجردة عن بذل الوسع مع التمكن من الآلة العلمية كما يصرح السيد المرتضى رضوان الله عليه.

فالسؤال عن سبب عدم تأليف الكتب في الضعيف والصحيح من الحديث يعارض العلم والدين في الجوهر، ولو فعل احدهم ذلك فهي ليست إلا مذكرات شخصية لأفكاره، وليس لها علاقة بالحكم النابع من الاجتهاد.

فهل سيفهم هؤلاء هذا القول البسيط جدا؟

المفروض أنهم لا يجب أن يفهموا ذلك، لئلا يزدادوا مرضا إلى مرضهم.

هل فسّر الرسول والأئمة القرآن؟

هذا السؤال يطرح بين الحين والآخر من قبل من لم يتعمق بفهم الدراسات الإسلامية، والجهل آفة العلم.

وفي سبيل فهم الجواب علينا أن نجيب على السؤال التالي:

هل الفقه والعقيدة والنصوص الإسلامية للنبي والأئمة هي تفسير للقرآن أم لا؟

الذي لا يفهم معنى القرآن ولا معنى التفسير يقول: لا... لا علاقة للفقه والعقيدة بتفسير القرآن، والتفسير هو ما ذكر في كتب التفاسير.

والذي يفهم يقول: نعم هما وغيرهما من المداولات العلمية الإسلامية من التفسير قطعا.

وذلك لأن المطلوب من النبي ليس تفسيره الجمل العربية وإنما حدود ما أراده الله من التشريع والعقيدة

ولان كلمة تفسير لم تكن في السابق بمعنى شرح المعاني وإنما بمعنى بيان حقائق أوامر الله وحقائق العلم بالله.

وهذا كله قد فعله الرسول والأئمة المعصومون، وعند الشيعة من هذه النصوص البيانية لأحكام الله وتعاليمه السامية ما لا يوجد عن أي مذهب أو دين من النصوص الأساسية كما وكيفا، فقد انتبه الباحثون الفرنسيون إلى هذه الحقيقة حيث قال بعضهم: انه حَسِبَ ما عند الديانات الثلاث من نصوص أساسية فوجد إن كمية النصوص عند السنة من المسلمين تفوق النصوص الأساسية عند اليهود والنصارى مجتمعين بمرتين، وان ما عند الشيعة من النصوص الأساسية تفوق ما عند السنة أربع أو خمس مرات، وقد صرّح جاك دبابنة (بان ما عدده من المناجاة فقط عن أهل البيت كان يفوق ست مرات ما هو موجود في كل كتب اليهود والنصارى من مناجاة ودعاء وتقرب إلى الله وهذا يعني ان المطروح في العقيدة الإسلامية على مذهب اهل البيت يفوق ما

يطرحه الدينين السماويين بعشرات المرات وذلك لغنى النص الإسلامي وكثرة إشارته) فهذا ما قاله جاك دبابنة في محاضرة له.

فهذه النصوص الهائلة الحجم هي التفسير الحقيقي لكتاب الله وأوامره واختياراته. ومن لا يعرف ذلك ليس له حظ من الدراسة في الأديان.

وسآتيكم بمثل بسيط:

حين يبيّن المعصوم أن لا تشبيه ولا تجسيم ولا مثلية، وكل نص يعارض ذلك يؤول، فقد وضع تفسيرا شاملا عامًا لكل آيات الصفات وقد أرسى دعائم فهم النص على أساس الممانعة العقلية أو النقلية الصارفة عن اتجاه المعنى البسيط الأولي.

فعشرون رواية على التقريب يمكنها أن تحدد مفهوم ثلث القرآن وخصوصا المتعلق منه بمعرفة الله.

وحين تأتي روايات تصرّح بان العالم بالقرآن هو العالم بمواقع نزول الآيات (متى وكيف وأين) يعني انه حدد إن القرآن يفسر بأسباب النزول كما يفسر باطلاقاته وهذا يعتمد على العلم بواقعة النزول، وهل هي قضية في واقعة أم بيانا عامًا؟

وهكذا فقد حددت عشرات ألوف روايات العترة معاني القرآن وبشرت بتفصيل التنزيل بما لم يفعله الأنبياء السابقون مع كتبهم، وهذا الوضع يفسّر لنا قول أمير المؤمنين (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب، فتح لي كل باب منها ألف باب) فان تعليم الرسول الخاص والمستمر أنتج هذا الكم الهائل من البيان والتفسير للنصوص الإسلامية بنصوص إسلامية أصلية وليست شروحا تركيبية كما يفعل المفسرون الذين لا ينتهون إلى فهم معنى الآية بل إلى تشويشها. وكان علم الأئمة المتسلسل عن رسول الله له اثر واضح في بيان نكات القرآن الكريم ومواطن اللغز فيه.

ومن يريد ان يحكم فعليه بقراءة دورة فقه كاملة ودورة عقائد كاملة ونصوص تاريخية وتفسيرية كاملة فسيجد معنى هذا الكلام بوضوح.

فهذا هو الجواب

ولا اعتقد انه يحتاج إلى توضيح.

القرآن هو كل الدين، والدين الإسلامي جوهره القرآن لأن الإسلام مبني على القرآن وفعل النبي وقوله وتقريره من هدي القرآن وقراءة معانيه الحقيقية.

لهذا لا نأخذ معالم ديننا وتفصيله الا من المعصوم لأنه العالم بدين الله العارف ببيانه.

فمن يأخذ عن غير المعصوم فقد فسّر القرآن برأيه وترك ربه

وهذا هو حقيقة قولنا بأن لا يفسر القرآن الا المعصوم فهو الوحيد المخول ببيان تفصيل تكاليف الله في كتابه المجيد.

وأما أئمتنا فقد بينوا بما لا مزيد عليه ولا يمكن أن يزايد أحد في ذلك.

فقد فسروا القرآن افضل تفسير

أما ما يقال بان السنة مقابل القرآن فهذا ليس في الجوهر وانما في المظهر، فالسنة مبينة اولية، وعلوم الدلالة لا تسعفنا على ادعاء معرفة مراد الله وانما تعذرنا في فهمنا العام اذا اتبعنا الصحيح من القواعد بإخلاص والا فهو التقصير الواضح وتعدي الخطوط المحرمة. ولهذا لا يوجد عند المسلمين تفسير حقيقي للقرآن الا ما عرضه المعصوم والباقي فهو فهم انساني قاصر لنصوص القرآن بحسب معايير الفاهم وقصده، وهو لا يعتبر تفسيرا في الحقيقة وانما توضيح دلالة غير ملزمة لصاحب القرآن ولا تنسب إليه.

وأما الرجوع إلى اراءنا في اللغة المعوجة لنقول بقول يخالف ما ثبت عن المعصوم! ونقول انه من القرآن! ويمكن أن نطرح به قول المعصوم! فهذا هو التفسير بالرأي وهذا هو الاعتداء على الله.

ثم ان القرآن له ظاهر وله سبعون بطنا فلو قلنا ان الظاهر يمكن أن ينكشف بعلوم الدلالة فكيف نكشف الباطن وبطن البطن؟ ان هذا تجاوز للحدود. ولهذا يجب التوقف عند تفسير المعصوم لظاهر وباطن القرآن وما يتفرع عنه من تكاليف ومعاني تسعد البشر. فكل ما تراه من كتب تفسير القرآن هي ليست تفسيرا وانما محاولات بائسة للفهم وهي في الغالب فاشلة ومعتدية على الله.

نعم هناك مورد الترجيح فهذا نحن معه فما وافق ظاهر القرآن نرجحه تعبدا من باب حل المشكلات وهو امر تعبدي بعد فرض وجود ثابتين احدهما يخالف ظاهر ما نفهمه والثاني لا يخالف. وهذا الامر التعبدي له فائدة

احترام القرآن وتاكيد مساوقة العصمة للقرآن وعدم افتراق الثقلين فالقرآن مع العترة المعصومة والمعصوم مع القرآن. ولعل لنصوص حل التعارض معان اعمق مما نفهم ظاهرها.

فمن ادعى أن قولنا خطأ فليثبت لنا أن التفسير بالرأي هو عين مراد الله!

وعندها سنعرف مقدار دينه وعقله.

ما هي حلولنا لمواجهة الصراع الحضاري الحالي؟

رضينا أم أبينا.

أردنا أم لم نرد.

فإننا في صراع حضاري مفروض علينا، رغم إرادتنا.

قد لا نؤمن بصراع الحضارات، ولا نقبل أن ندخل في أي شأن من شؤون الصراع، وإنما نرغب في حوار الحضارات أو مشاركة الحضارات.

ولكن القوة التي تتحكم بمسير الأحداث، تدفع بالحضارات إلى التصادم، وهذا يفرض علينا بدون إرادتنا أن ندخل في هذا الصراع ونوجهه بالطريقة التي نريد، حتى نخرج بأقل الخسائر وأفضل النتائج.

وبما أن مشاكل العالم الإسلامي غير واضحة لأبناء هذا العالم نفسه.

فينبغي لنا ان نحدد جملة من المشاكل، من اجل ان نفكر في الحلول المناسبة لمجتمع العالم الإسلامي، من اجل تفادي السلبيات المسببة لتأخر العالم الإسلامي ولإيقاف الانحدار الاجتماعي والثقافي لهذا العالم.

أول مشكلة في العالم الإسلامي، هي مشكلة الشعور الحقيقي بالدونية تجاه الحضارات الأخرى.

هذه المشكلة بنفسها قد لا تكون ذات قيمة فكرية، فان كل من يشعر بالدونية نتيجة الشعور بالنقص إزاء الآخرين، لا يمثل حضارته وإنما يمثل نفسه، حتى لو كانت هذه الحالة تمثل اتجاها كبيرا في المجتمع.

ولكنها من ناحية عملية وعقائدية حالة خطيرة جدا.

فالمجتمع إذا شعر بالنقص تجاه أي حضارة فسوف لا ينتمي لحضارته أصلا، لأن بهجة الحضارة الثانية ستشكل مغناطيسا جاذبا خارج إطار

الحضارة الأصل. وهذا يفتح في المجتمع محل البحث ثغرة يمكن اختراق المجتمع من خلالها.

ننتقل من التنظير إلى التمثيل:

الإنسان المسلم الحالي، يجد أن التقدم التكنولوجي للعالم الغربي يمثل تفوقا حضاريا يبعث على البهجة، فينبغي الارتباط به من وجهة نظر معجب، ولهذا فان المنتج الغربي الذي غزى العالم، يغري الإنسان المسلم على الإعجاب بالحضارة الغربية ومنتجاتها، حتى ليتعدى الإعجاب من المنتج الشيئي إلى المنتج الفكري، فيعجب المسلم بالسياسة الغربية وبالاقتصاد الغربي وبالثقافة الغربية، إلى درجة احتقاره لإسلامه وإيمانه بخواء دينه من ناحية حضارية، وهذا الشعور ليس وليد وهمٍ، وإنما هو وليد حقيقة خارجية وخطأ في التقدير لهذه الحقيقة.

لا نريد أن نقلل من قيمة التقدم الحضاري بصيغه العلمية والاقتصادية وبالتالي بالمنتج العلمي بشكل عام، فهذا خلاف ديننا ومفاهيمنا لأننا نؤمن بعطاء العلم وبعمارة الأرض.

فليس من ديدننا التقليل من قيمة التقدم، ولكن الذي نشير إليه إنما هو خطأ الاعتقاد بان التقدم الحضاري يمكن أن يبطل الحقيقة، ويمكن أن يغطي على الخرافة وعلى الخطأ الفكري. ولهذا فان الشعور بالدونية تجاه الفكر الغربي في وسط العالم الإسلامي لا يبرر، ولا يفسر إلا بالتسيب الاجتماعي الذي افترق عن الأصالة.

ولهذا فإنني شخصيا قد أوافق المفكر الاستراتيجي الأمريكي المتطرف الإرهابي الديمقراطي (فرانسيس فوكوياما) في كتابه: (نهاية التاريخ وخاتم البشر "والإنسان الأخير") في وصفه للإسلام بقوله:

(إن هذا الدين ليس له جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية).

لأن المنجز الحضاري لبلاد المسلمين أصبح شيئا من الماضي لا يستهوي جل العالم الفاعل، وإن كان عنصر المبالغة في قوله واضحا بدليل توجه الكثير من العقلاء في مختلف الديانات لاعتناق الإسلام، وهذا يناقض كلية القضية التي يطرحها هذا الداعية للديمقراطية ولو بالإرهاب المنسق.

ولكن قد لا نجد بداً من المصادقة على مقولته: (انه بات ممكنا اختراق العالم الإسلامي على المدى الطويل بالأفكار التحررية).

إلا ان سبب هذا الاختراق ليس ضعفا في الدين الإسلامي على صعيد الأفكار العقائدية أو السلوكية (كما يؤشر)، وإنما في المنجز الحضاري في المجتمع الإسلامي الذي يقلل من بهجة الارتباط بالحضارة الإسلامية. فالإنسان المسلم غير منتج وغير واعٍ لما يفعل به الحاكم المسلم الجائر، ولا يريد ان يفهم ما يجري حوله، ويركن إلى القناعة بالعجز. وهذا يفتح ثغرة كبيرة جدًا تدفع

بالمسلم إلى القناعة الداخلية بقبول أفكار التحرر من الحاكم الجائر ومن ثم التحرر من الدين للربط الخاطئ بين الحاكم الدين الإسلامي.

وهذا الخطأ ليس مقتصرا على الديانة الإسلامية بل هو يمس ديانات ومجتمعات كثير في الأمريكيتين واسيا وإفريقيا بل حتى أوربا الشرقية. فالتفوق في المنتج الحضاري لا يعني التفوق في الديانة أو الأفكار حتى تقبل فكرة الشعور بالدونية من أمم كاملة تجاه حضارة لم تكن ذات شأن إلى وقت قريب جدا، ولهذا فان من الغرور أن لا يرى الكاتب الأمريكي فوكوياما أي فكرة يمكنها أن تكون أفضل من الديمقراطية التي يريد فرضها بقوة السلاح لتكوين (النظام العالمي الجديد) المبني على النفعية بصيغته الأساسية، مطعّم بالحريات غير المنضبطة وبالكرامة في غير محلها، فقد قال: (إذا كنا وصلنا الآن إلى نقطة حيث لا يمكن أن نتخيل عالما بديلا يختلف عن عالمنا الذي لا

يقدم لنا طريقا واضحا للحصول على مستقبل أفضل، لذا يجب أن نأخذ في الاعتبار إمكانية أن يكون التاريخ نفسه بالمثل قد انتهى).

انه يستدل من عدم وجدانه لما هو أوضح حجة في تقديم الأفضل على عدم وجود الأفضل بالأساس، وهذا يقتضي عنده، نفي فكرة المصلح العالمي الأكبر الذي سيغيّر مسيرة التاريخ من اجل إسعاد الإنسان.

ولعل مصدر هذه الأفكار هو اختلاف المعايير، ففكر الإسلامي ينشد السعادة والصعود نحو الكمال، بينما الفكر الغربي ينشد العيش الأفضل سواء بالعلاقات الاجتماعية المنفتحة أو بالمنتجات التي تساعد الإنسان في أداء مهامه. و الفرق كبير جدًا بين المعيارين.

فالغربي اللبرالي لا ينشد الإصلاح والسير نحو الكمال، بينما المسلم ينشد ذلك كبقية الكثير من الديانات السماوية.

فلهذا لا يرى الغربي أية أهمية لإصلاح الإنسان بشكل عام، إنما ينشد العيش الرغيد وعنصر الرفاهية. ولهذا فلن يفكر أساسا في السعادة الكمالية، لا في الحاضر ولا في المستقبل، فمن المغالطة أن يستدل فوكوياما على عدم ضرورة النهاية السعيدة للتاريخ لأنه لا يرى أفضل من عيشه، وهي السعادة الحقيقية في معياره، وهو لا ينشد أكثر من صحة جيدة وعيش موفور وآلات مساعدة للإنسان في توفير حاجاته ومتعته، وباختصار انما همه بطنه وفرجه. فمن يذهب هذا المذهب يمكنه أن يعتقد أن لا حياة افضل مما هو عليه، ولا مستقبل افضل من المستقبل الذي تعده بها النظم لتجارية الحرة التي توفر المنتجات التي تيسر للانسان عيشه وتملأه بالرغبة بالحياة والمتعة الملحوظة.

ونعود إلى عالمنا الإسلامي.

إن القول بوجود الثغرة لتهديم الحضارة الإسلامية، قول لا يخلو من الصحة، والواقع يشهد بذلك، وهو اتجاه متنامٍ لا يجوز السكوت عليه، لأنه

سيؤدي إلى الفصام الجزئي أو التام مع الحضارة الغربية، كما أدى إلى وجود طبقات من المسلمين القابلين لخدمة اعداء الإسلام والدخول إلى قلب السلطات في المجتمع الإسلامي، وهم يعملون ليل نهار لتوهين الإسلام وتعظيم الحضارات الاخرى بدون حدود واضحة أو نقاش علمي رصين. وانما مجرد خلق اتجاه نفسي وتشكيك بالمعتقدات الاساسية ونفي للمعلومات الحقيقية التي تتعلق بتطبيق العدالة وقيادة التقدم والقول ان الإسلام لا يمكنه التطبيق في عالم متحضر.

هذه احدى المعضلات التي تواجه العالم الإسلامي، ويجب أن يفكر المسلمون بحلها.

سأقترح الحل ولكن سوف تنهال على هذا الحل جملة كبيرة من الشكوك، ولعل بعضها في محله لأنها نابعة من مشاكل اخرى يجب حلها ايضا، فنحن نعيش تداعي المشاكل وارتباطها ببعض.

الحل المقترح هو سعي العالم الإسلامي للحصول على التكنولوجيا المتقدمة وتسويقها، واعتبارها جزءا من العقيدة وأساسا في بقاء الحضارة الإسلامية. فان المجتمع المسلم اذا أزال الفوارق في المنجز الحضاري مع غيره، فسوف ينطلق بدون شعور بالدونية كما هو حال المجتمع الياباني أو المجتمع الكوري الجنوبي حيث تمكنا اخيرا من الوصول إلى مصاف الدول المتقدمة ولهذا لم نسمع ان الحضارة اليابانية سهلة الاختراق أو سهلة الزوال مع كونها حضارة وثنية عديمة المنطق والدليل. وتعتمد على الخرافات والدجل الكهنوتي في تكوين النظم الدينية والاجتماعية.

أما السعي للتقدم العلمي والتكنولوجي فيحتاج إلى مقدمات كثيرة، منها:

١- ارادة الحاكم لتكوين الانجاز المتقدم علميا، وهذه تعتبر شرطا مسرعا ومهما، بل من الناحية السلبية لا يمكن حدوث التقدم بدونها، واقصد

بالناحية السلبية أي في حالة ممانعة الحاكم للتقدم كما يحصل في اغلب بلدان المسلمين.

٢- تعليم المجتمع ليستوعب التقدم ويطوره بالاتجاه الذي يخدم الانسان وليس بالاتجاه الذي يؤخر الانسان، وخير مثال هو أن اليابان ومصر طلبتا النهضة العلمية في مطلق القرن التاسع عشر، ولكن اليابان بعثت ابنائها لدراسة العلوم التطبيقية في المانيا، بينما مصر بعثت ابنائها لدراسة الادب العربي في باريس، فجاء اليابانيون الاوائل ومعهم المكائن والمعدات العلمية، وجاء المصريون ومعهم زوجات فرنسيات يتباهون بجمالهن ويحملون بذور التشكيك في الحضارة والدين الإسلامي. وقد انتهى دور مصر إلى وضعها في الدول المتخلفة التي يطلق عليها (النامية) بينما اصبحت اليابان في مصاف الدول المتقدمة في العالم. وهذه التجربة التي توفر فيها إرادة الحاكم في البلدين، ولكن لم يتوفر في مصر إرادة التعليم الهادف لبناء الحضارة بالطرق

السليمة، فاختلفت نتائج التجربة اختلافا عجيبا بين امة توحيدية تتخلف نتيجة السعي للتطور بطرق غير سليمة، وبين امة وثنية تتقدم نتيجة سعيها للتطور بشكل صحيح.

وهناك شروط كثيرة للتقدم التكنولوجي أغلبا يتوفر بالإرادة والسعي، مثل:

٣- توفر رأس المال: وهذا أمر رغم صعوبته، الا ان الدول الغربية سهلت الحصول عليه بنظام الاستثمار الأجنبي والسندات وغير ذلك، فالدول الأوربية حين دخلت بأزمات حقيقية نتيجة الحروب وتكاليفها الباهظة، اتجهت تدريجيا إلى عملية نصب كبرى على شعوبها، باستصدار السندات المالية وتسليم الأرباح من بيع السند نفسه، ولهذا حصلت انهيارات كثيرة في الاقتصاد في الدول الاوربية ولكن سرعان ما تتعافى لأنها تعود لتمارس حلا ذكيا جديدا يخفى على اممهم، وهذا النصب والاحتيال يدفع بالامة إلى ابعد ما يكون من التقدم التقني، فبعد أن عوّمت العملة وألغيت المعادن كأساس

للعملة والمحاسبة الدولية فقد أصبحت العمليات الرياضية هي التي تتحكم بالاقتصاد وبتداول النقد. وهناك طرق اقتصادية كثيرة لاستجلاب النقد والخامات، فرأس المال يمكن توفيره ذاتيا بالأساليب الاقتصادية الحديثة أو أجنبيا لتكوين انطلاقة لحضارة شيئية ذات بهجة اجتماعية.

٤- توفر العمالة الخبيرة: هذه المشكلة قد تم حلها بطريقين معروفين وهما التعليم لعموم الشعب، واستقدام العمالة الأجنبية الرخيصة. وهناك طرق حديثة اتبعتها الدول المتقدمة حيث استعملت عمالة الدول الأخرى الرخيصة بتشغيل جزء من المنتج خارج البلد (في بلد العمالة نفيه) والجزء السهل ينتج داخل بلد المنتج، بل ان بعض الشركات أسست مصانع في دول اخرى باسمها وتكنولوجيتها من اجل تقليل الكلف واستمرار الازدهار التجاري.

٥- توفر الخامات والمصادر الطبيعية والخدمات: هذا الشرط مهم جدًا ولكن تجارب الشعوب الكثيرة وما صاحبها من نجاح واخفاقات وضع امامنا جملة

من الحلول المناسبة لتخطي المشكلة، فبعض الشعوب سعى إلى استغلال خامات الوطن باقصى الحدود كما حدث في الولايات المتحدة الامريكية وفي روسيا وفي كندا والنرويج والسويد والدنمارك، وبعضها اعتمد على الاحتلال الاستعماري واستغلال البلدان الاخرى بالقهر كما فعلت اسبانيا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا، وبعضها عمدت إلى الشراء والاستثمارات الخاصة في البلدان النائية، مثل المانيا وسويسرا والنمسا واليابان والصين. والعالم الإسلامي لم يبدأ بعد باستغلال خاماته، ولم يشكل منظومة عمل للتكامل في الخامات والموارد، وليس لديه منهجا واضحا في استغلال الموارد والخامات. فان العالم الإسلامي لديه موارد الطاقة والمياه موزعة بشكل غير متكافئ يحتاج إلى تعاون، ولديه خامات كذلك فهو يستطيع التعويض علن اغلب النقص من داخل المنظومة الإسلامية والبقية من الدول الصديقة التي تبيع تتلك الخامات والخدمات، ان سويسرا والنمسا بلدان لا تمتلكان الطاقة

ولا للخامات ولكنهما من اهم الدول الصناعية في العالم، ومن اكثر الدول رفاهية في العالم، وذلك بابتكار طرق إبداعية لتوفير الخامات والموارد والخدمات. حتى قيل ان ثلث السفن في البحار تسير بمحركات سويسرية مع انها لا تمتلك شبرا واحدا على ساحل بحري.

٦- توفر البنى التحتية للبحث العلمي والتصنيع والمناولة التجارية: وهذا شرط مهم جدًا وهو امر يمكن السعي له بطريق صحيح وإن كان بسيطا، ويمكن شراءه بالتبادل مع خامات وموارد متوفرة في البلاد الإسلامية، لقد ضربت لنا الهند مثلا جيدا في تجربة فريدة حيث طلب غاندي السعي إلى التكنولوجيا الشعبية لعلمه بعدم توفر البنى التحتية للبحث العلمي والمهام التقنية، وقيل أن الذي انشأ هذا النظام هو خلفه نهرو، فتقدمت الهند ببطئ ثابت ثم انطلقت لتكون قوة تكنولوجية عالمية تعمل بصمت وخفاء، وقد تجاوزت كل العقبات المعروفة امام التقدم العلمي ووصلت إلى كل ما تريده

تقريبا من المتلكات التقنية والتقدم الحضاري، ومن يزر الهند الان يرى صورة مختلفة عما في ذهنه. وهي مستمرة لتحقيق المستحيل وهو اقتصاد الرفاهية بعد خمسين عامًا من الان، وانما قلت المستحيل لان نسبة النمو اصبحت الاعلى في العالم وان الشعب الهندي فاق التعداد الصيني للسكان، وهو مهيأ لأن يزداد إلى الضعف خلال قرن، وبهذا الحجم من السكان قد لا تفي الموارد الداخلية لتحقيق اقتصاد يقرب من الرفاهية فضلا عن الرفاهية، بالاضافة إلى وجود اديان في الهند تحرم التساوي بين الطبقات في الرفاهية.

فمسألة البنى التحتية للعلوم والمناولة والتصنيع مسألة قابلة للحل.

وهناك شروط أخرى اقل أهمية ليس من مهمة بحث في الاستراتيجيات أن يعتني بالتكتيكات الدقيقة. ولهذا نتركها لنؤكد على أصل الفكرة.

إن السعي إلى تذويب الفوارق التقنية بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى قد يبدو أنه مجرد موضوع سياسي، ولكنه يدخل في صلب الهدف الديني والحضاري اذا كان عدم تحقيق التقدم يؤدي إلى فتح ثغرات لتهديم الحضارة الإسلامية من الداخل والخارج.

وهنا لا ننس أن الكثير سيتسائل: من هذا الذي سيسعى لتحقيق هذا الامر العظيم؟ وكل من نعرفهم اما قاصرون أو مقصرون في الوصول إلى ما هو اقل من هذا الهدف بكثير؟

بل يمكن لبعضهم القول: ان هذا من الخيال المحض، حيث ان كل من نعرفه من الحكام يسعى لتوطيد حكمه بمعونة الذين يريدون اختراق الحضارة الإسلامية وتدميرها، فكيف لمثل هؤلاء أن يقوموا بمشروع يرفع البلدان الإسلامية إلى هذا المستوى؟

وقد يعترض آخرون بان مثل هذا المشروع يحتاج إلى قيادة موحدة للعالم الإسلامي، يجب أن يتوحد المسلمون بدولة واحدة قبل أن يحدث مثل هذا التوجه.

وهناك اعتراضات وشكوك اخرى.

والجواب عن الجميع، اقول: بان التربية الشعبية السليمة لابنائنا بالسعي نحو النجاح بطلب التقنيات الحديثة بشكل فردي سيساهم بعمل مجموعة مترابطة من العمل التكنولوجي من جهة، ومن جهة اخرى فانه سيصعد شباب ممن يقدّر هذا الاتجاه للسلطة، وسيجد ان تثبيت سلطته سيكون عن هذا الطريق، وليس عن طريق خيانة امته وتهديم بنيتها التعليمية والتقنية، فان الشباب يجب ان يستفيد من التاريخ والعبر في حياة الشخصيات الناجحة والمذكورة في التاريخ بتمجيد، فان الدولة العباسية انما امتدحت في الحقيقة لانها رعت التقدم التكنولوجي، كل من امتدح من قياداتها مرتبط

بهذا وكل من ذم مرتبط بالعمل العكسي. فانت ترى ان المأمون راعي العلوم يمثل قمة المديح في التاريخ بينما امثال المتوكل والمستعصم يمثلون قمة التحقير للحاكم لأنهم كانوا يستأكلون بالفتن الاجتماعية الداخلية ويأنسون بها من اجل إشباع شهواتهم الهابطة. وهكذا كل قادة العالم يُمتدحون بمقدار ما يحققون من تقدم لأممهم، حتى لو تم انتقادهم لأسباب ثانية كالجور وسوء التصرف، كما حدث لهتلر ونابليون وغيرهم ممن مدحوا وذموا في نفس الوقت. فعلى شبابنا، ان يدركوا أن السعي للتقدم هو احد مفاتيح استقرار الحكم واستقرار الأمم، وتلهي الامم بالسعي للتقدم يقلل من فرص الجريمة والتهديم للمجتمع. واما ادعاء وجوب توحيد بلاد المسلمين بقيادة واحدة، فهذا غير ضروري للنهضة، نعم الضروري هو التنسيق والتحالف والتبادل من اجل الاستفادة من الفائض في الخدمات والخامات والموارد لتسريع العملية التقدمية.

ان شعوبا اسلامية تعاني من الفياضانات وكثرة المياه وأن شعوبا اخرى تعاني من الجفاف، فيجب أن يحصل تبادل في الادوار حيث أن الزراعات التي تحتاج إلى مياه كثيرة وهي ضرورية للحياة يجب تركيزها في المناطق المدارية المطرية الفائضة في المياه، بينما الزراعات التي لا تستهلك المياه تكون في المناطق الجافة وشبه الجافة، بالتعاون بين الطرفين، بمعنى أنه مثلا يجب الاستثمار الإيراني أو السعودي أو العراقي أو الكويتي في اندنوسيا وكينيا وتنزانيا وبنغلادش وبعض أماكن السودان وغيرها من الدول المدارية والمطرية، بحيث تكثف الزراعة بطريقة علمية ببذل التكنولوجيا الحديثة لزيادة غلة الأرض في تلك الأراضي لزيادة استفادة أصحاب الأراضي من أراضيهم، وبنفس الوقت على اندونيسيا وماليزيا وغيرها من البلدان المدارية المساعدة في زراعة أو تسويق مزروعات المناطق الجافة كالزيوت والتمور والخضار والأخشاب الخاصة التي يمكن أن تزرع بكميات هائلة تغير وجه المنطقة مع

أرباح أعظم من هذا التعاون، ولتصوير حجم المشكلة في المعادلة بين الماء والغذاء فان كيلو الرز يحتاج إلى طنين ونصف من الماء في سبيل وصوله إلى المستهلك، بينما كيلو زيت الزيتون يحتاج إلى اقل من مأتي كيلو غرام من الماء، وزيت الزيتون سعره أفضل من سعر الحنطة في السوق. فقيام تزاوج واشتراك بين مزرعتين واحدة في بنغلادش والأخرى في سوريا مثلا وكذا بين كينيا والعراق وهكذا في مختلف المزروعات الأساسية لبناء الحضارة سيساعد على توفير الخامات الضرورية بأسعار جيدة وربحية متوازنة بين جميع الأطراف، وهو يشكل مشاركة خفية في الموارد المائية عبر المخزون الغذائي بدون الدخول بحروب واحتلال مصادر المياه فأنت في الخليج حين تستهلك ١٠٠ غرام من الرز يوميًا فقد استهلكت حوالي ٢٦٠ لترا يوميًا من المياه الهندية أو البنغالية الفائضة عندهم، وهو بنفس الوقت حين يستهلك زيت الزيتون أو غيره من أراضيك يوفر على نفسه عملة بمقدار ثلاث دولارات

للكيلو غرام من الزيت لأنه لا يستطيع أن يوفر الظروف اللازمة لانتاج هذه المادة في العادة (وهذا مجرد مثال). وهكذا الحال في المعادن والطاقة والخدمات فيمكن قيام تبادل في النحاس والمجوهرات بين مدغشقر وايران أو بين السعودية وتنزانيا أو بين الجزائر وأفغانستان أو بين العراق وتركيا في مختلف الخامات والطاقة. وهذا كله لا يحتاج إلى توحيد قيادة أو حدود.

واما التشكيك في مقدرة المسلمين على النهوض، فهو تشكيك في غير محله، لا من ناحية علمية عامة، فان المسلمين بشر أذكياء يمكنهم ما يمكن غيرهم من التطوير والمعرفة المتنامية كما فعل آباؤهم سابقا من تطوير العلوم بلا أدنى شبهة، وثانيا من الناحية العملية فان هناك أمثالا يحتذى بها، فان ثورة آية الله العظمى السيد الخميني قدس الله سره كشفت كم يسهل التقدم التكنولوجي رغم الحروب والضغوط والحصار، وهذا هو آية الله السيد علي الخامنئي حفظه الله سار على ما سار عليه وقد حقق تقدما كبيرا إلى درجة

قريبة من الاكتفاء الذاتي وهذا مستوى لا يحلم به أي مراقب لدول العالم الثالث بدون مساعدة غربية، وهناك التجربة التركية والباكستانية التي اثبت القدرة على التقدم ولو بصورة بطيئة في مجالات لم يكن يتصور الإنسان وصول هذه البلدان اليها، حتى أصبحت بعض بلدان المسلمين تشكل هاجسا خطرا على أعداء الإسلام. فان التشكيك بقدرة المسلمين في الوصول إلى التقدم التقني هو تعبير عن هزيمة شخصية للمشكك، وهو شعور بالنقص خال من الواقع العلمي والعملي.

لقد تطرقنا إلى مشكلة واحدة من مشاكل العالم الإسلامي وهي الشعور بالدونية تجاه الحضارات الأخرى.

وهناك مشاكل كثيرة مثل مشكلة الشرعية في الحكم ومشكلة الحريات ومشكلة الحقوق الضائعة للمجتمعات الإسلامية داخليا وخارجيا، ومشاكل

الاقتصاد وعدم بناءه على الفقه الإسلامي حتى كأن لا اقتصاد في الإسلام و..و..و...

وهذا اتركه لمشاركات الإخوان بدل المشاركات في تمجيد الشخصيات أو الصراع الحزبي الذي يدور على الساحات الثقافية ، فان الثقافة السياسية والحضارية فيها نقص واضح عند اغلب المشاركين في واحة الحوار المعاصر، وقد أشرت في موضوعين سابقين لهذه النقص، وأتمنى أن ينشط الأخوة الأعزاء في فهم مجتمعاتهم والحوار حول مستقبلهم بعيدا عن الضيق في الأفق الفكري أو الإقليمي الذي تتسم به بعض الأحاديث.

الفرق بين عقيدة المسلمين والمسيحيين ثلاثة أيام

طبعا هذا العنوان طريف ومستغرب ولكنه حقيقة وهو نتيجة بحث وحوارات طويلة مع القساوسة.

لقد حاورت الكثير من القسسة ورجال الدين المسيحيين بنفس مستريح طيلة ثلاثة عقود واكثر، وكانوا من مختلف المذاهب. وكان بعض الحوار يتصف بالطول وبالفكاهة وبالعمق في بعض الأحيان.

وأشهد أن أمتع الحوارات هي مع علماء الكنيسة الانجيلية البروتستانتية، حيث يتصف اصحاب هذه الكنيسة بقلة الغموض وبرغبتهم في دراسة اللاهوت حتى لو كان خارج اطار الكنيسة. فقد ناقشت المارونيين والكاثوليك والارثوذوكس والاقباص والأرمن وغيرهم، وكانوا يمتازون بالغموض الزائد والتهرب من الإلزامات والحوار باي شكل كان.

ومن الحوارات الممتعة مع أحد قسسة الكنيسة الانيجلية جرى الحديث عن الفرق بين الإسلام والمسيحية في الأسس، غير أني بدأت أنسى اغلب تفاصيل الحوار لقدم عهده ولكن هذا بعض الحوار الذي اتذكره:

بدأ يجيب عن الفرق بين المسيحية والإسلام بقوله: بأن عقيدة الخلاص هي الفارق بين الديانتين.

فقلت له: هذه ليست فرقا فإن عقيدة الخلاص هي نفس اعتقادنا بالشفاعة.

قال: هي محصورة عندنا بيسوع.

فقلت له: الفداء محصور عندكم بيسوع واما الخلاص فلا، فقد وصل بكم أن تمارسوا غفران الذنوب بالاعتراف للكاهن بالكنيسة وهذا عين الخلاص بغير المسيح بحسب وجهة نظركم.

فقال: ولكن نعتقد بأنه خلاص بقوة الرب وليس من نفس الكاهن.

فقلت: حتى الشفاعة عندنا هي بإذن الله وهي ليست متاحة لكل احد بل هي لمن إذن له الله من أوليائه.

فقال: ذكرتني لعل الفرق هو الفداء فانتم لا تؤمنون ان المسيح فدا نفسه عن محبيه.

فقلت له: نفس فكرة الفداء موجودة في القرآن فقد فدى الله اسماعيل بذبح عظيم وهذا الذبح مختلف فيه، وفي معنى الفداء. فالفداء موجود بشكل عام ولكن مصاديقه مختلف فيها، وكل مصداق يحتاج إلى دليل حجة من الله. وموضوع فداء المسيح عن المؤمنين ليكون شفيعا لهم لا مشكلة فيه بنفسه، ولكن يحتاج إلى دليل إلهي على تعيين الشفاعة لا بتفسير شخصي من بعض الاتباع لمفهوم الصلب بانه فداء لشفاعة امة المسيح وهذا تفسير تبرعي غير مدعوم بدليل إلهي. ثم إننا نؤمن بأن كل الانبياء شفعاء لأممهم بلا حاجة

للفداء والالم والتحمل عن الغير. على ان مفهوم العقاب نيابة عن الغير غير وارد وفيه مشاكل كثيرة.

وبعد بعض حوارٍ حول هذه الجزئيات.

قال لي: إن الفارق بيننا هو الصلب.

قلت له: ليتك لم تقل هذا؟

فقال: لماذا؟

فقلت له: إننا نقول بانه رفع إلى السماء وهذا ما يزعجكم اليس كذلك؟

فقال: نعم.

فقلت له: انتم تقولون بانه رفع إلى السماء في اليوم الثالث أليس كذلك؟

قال: نعم نحن نقول بانه ارتفع إلى السماء بعد اليوم الثالث ليعود في قيامته الثانية.

قلت: إذن المسافة الزمنية بين قولنا وقولكم هو ثلاثة ايام. فاذا كان هذا الفرق بين الديانتين فهي فرق زمني بمقدار ثلاثة ايام لا يقدم ولا يؤخر.

فقال: ولكن قولكم يعني انكار الصلب.

قلت له: انكار الصلب لا يوجب مشكلة، فهو مسيحياً غير متفق عليه في الفترة الاولى من المسيحية. ثم ان اثبات الصلب لا ينفعكم كثيرا فمفهوم الخلاص كما قلت لك يمكن أن يقع بدون ألم ولا حاجة لكل هذه الفذلكة بالصلب والفداء، فإن المسيح مقرّب من الله بلا شك فلا يحتاج إلى عذاب نفسه ليشفع لأمته لأنه شفيع وهذه مهمة كل نبي. ثم ان المسلمين يقولون بأن الصلب بما هو صلب قد وقع، ولكن الله يخبرنا في القرآن الكريم حسب دليلنا، بانه تم استبدال وشبه بشكل المسيح، فالمسلم يعتقد ان من صعد إلى

الصليب هو شبيه جدًا بالمسيح بحيث اقنعت صورته الحضور بانه نفس المسيح.

والمسيحيون يعتقدون بانه المسيح، فلا مشكلة في الحقيقة فان الصورة التي صعدت إلى الصليب هي صورة المسيح فعلا لدى الطرفين. والفرق هو ان الله الذي رفعه يُعلم عباده بأنه رفعه وشبّه على الحضور صورته تماما بحيث حتى المقربين من المسيح حسبوه المسيح نفسه لولا انه نطق بأمور تدل على انه ليس المسيح لكفره وضعف ايمانه مثل قوله (إلهي إلهي لم شبقتني) أي لم تركتني، وهذه الكلمة والجزع غير المناسب لأولياء الله جعل بعض من حضر الصلب يتعجب من يأس المسيح فيظن بأن الله تركه.

فهذا لا يصدر من صغار المؤمنين لكونه كفرا لأنه يأس من رحمة الله!! فكيف من نبي مقرّب من أولي العزم، ولهذا وقع صراع مسيحي – مسيحي في البداية حول هذا الموضوع. وانكر المؤمنون أن يكون هذا اليائس من رحمة

الله هو المسيح بعينه فانتبهوا إلى انه قد بدّل وشبه لهم ولعل في القصة اسرارا عرفوها ترفض الكنيسة حتى نقلها على انها اكاذيب.

فقال لي: انت تشير إلى ما ورد في الاناجيل المنحولة وهي مرفوضة من قبل الجميع عندنا.

قلت له: تصنيفها بالمنحولة هو متأخر اكثر من مائتي سنة عن بدء المسيحية، ولكن قل لي هل هؤلاء مسيحيون أم كفار بالمسيحية؟ غاية ما تسطيعون قوله بأن هذه مذاهب انقرضت نتيجة قوة الكنيسة العسكرية بعد ان أضحى لها دولة تصادي عنها. ولا يمكن انكار اتجاهاتها الفكرية والرؤية الخاصة بها وان بعضهم انكر الصلب الحقيقي وانكر كثيرا مما ورد بالاناجيل المقررة في الكنيسة.

قال: حيرتني في الحقيقة، ولا استطيع انكار انهم من المسيحيين الاوائل، فما تراه من الفرق الحقيقي بيننا؟

فقلت: له الفرق بيننا ثلاثة ايام وهي الأيام التي تقولون انه بقي في الارض بعد حادثة الصلب. وهذا لا يستحق هذا الخلاف بيننا، والحروب الصليبية وغيرها. فكلانا الان يعتقد ان المسيح حي عند مليك مقتدر وسوف يرجع إلى الارض ناصرا القديس العالمي الذي يقيم العدل في الارض ويكسر شوكة المستكبرين.

فضحك وانتقلنا إلى البحث في علم اللاهوت والفروق بين المسلمين والمسيحيين في علمي الكلام والفلسفة. وكان بحثا طريفا.

الحقيقة أنني حضرت الكثير من المناظرات والحوارات بين المسيحيين والمسلمين ولكنني أجد خللا في طرق الحوار فلا المسيحي يعرف كيف يحاور المسلم ولا المسلم يعرف كيف يحاور المسيحي، ولا يبدءان ابدا من التسليم بالقواسم المشتركة ثم ينتقلان إلى مسائل الخلاف، وقد يحدث ان يختلفان على امر هما يتفقان عليه ولكنها لا يدركان المبادئ الاساسية لديانتهما.

المسيحي في الغالب حتى لو كان قساً لا يعرف ديانته خصوصا الكاثوليكي، فإن من المحرمات عليهم دراسة الاديان ودراسة حقيقة المسيحية وانما يجب عليهم الاخذ بتعليمات الكنيسة والايمان بها والفرح بها مهما كانت، فهناك مشكلة تواجهها الكنيسة قد لا يعلم بها المسلمون وهي ان من يُنتدب من الكنيسة للدراسة يخرج بنتائج معاكسة لما تريده الكنيسة ولهذا فان اغلب الدراسات مخفية وغير مسموح الاطلاع عليها.

وهذا ليس وليد الساعة بل هو مشكلة قبل فترة مجمع نيقية قبل هجرة الرسول محمد ص بحدود ثلاثمائة سنة. ولهذا فهناك مشكلة حقيقية في توجيه اسئلة غير ممكن الإجابة عليها في العقل المسيحي. فالتركيبة العقلية للمفكر المسيحي لا تسمح له بتوجيه مثل هذه الاسئلة لأنه ينطلق في تفكيره من لذة الايمان والقناعة المكتسبة. ويرى أن هذه الاسئلة عبارة عن فقدان لهذه اللذة، وقد عبّر مرة عن هذه الحالة البابا يوحنا بولس الثاني بقوله:

(قرأت القرآن فوجدته جميلا في توحيده ولكنه يفتقر إلى لذة الايمان بالتثليث والتجسيم.) فالمسيحيون بما فيهم البابا يرون ان الدين ومفاهيمه لذة ليست قابلة للبرهان العلمي، بينما المسلم يناقشهم من منطق الجدل الديني أو العقلي ويعتقد أنه سيغلبه بينما هو يجابهه بما لا يعقله اصلا في اصول التفكير. فهنا عقلان لا يتفقان في طريقة التفكير.

وابسط مثال على اختلاف العقلين بالاضافة إلى السؤال عن التثليث هو السؤال عن تحريف الانجيل فهذه الأسئلة لا يمكن ان يعقلها العقل المسيحي وليس لها أي تأثير في الحوار معه على هذا، فهو يعتبر هذا الحوار ليس حوارا دينيا وانما مجرد اعتداء على ايمانه وهو فارغ من الايمان. قد لا يصدّق المسلم هذه الحقائق ولكنها للأسف هي الواقع. ولهذا اعتقد أنه يجب أن تدرس المسيحية جيدا وأن يكون الحوار عن طريق الايمان بطريقة ابداعية.

وهذا يحتاج إلى فهرسة عقلية والى الكثير من المعلومات التي يفتقر اليها الباحث المسلم.

وقد يسألني البعض بأن هناك مسيحيون نواصب للنبي محمد ص يناقشون في العمق، فاقول لقائل هذا القول: أن هؤلاء –في الحقيقة– لا يقومون إلا بقراءة الحوار الإسلامي – الإسلامي بين المذاهب مع جمع الشتائم من هنا وهناك، فيجمعون نواقض هؤلاء على هؤلاء ونواقض أولئك على هؤلاء، وغالب ما يجمعونه هو من الحوار الشيعي – الوهابي ومن حوار الملحدين والكارهين للاسلام من شيوعيين وغيرهم في سبابهم للنبي محمد. فيجابهون المسلمين بجملة النواقض المذهبية أو اللا دينية، وهذا انما كان بفضل انفتاح عالم النت على تحصيل ومشاهدة هذه الفضائح الإسلامية. ولهذا لا ترى من إشكالاتهم الا ما كان من الحوار الإسلامي – الإسلامي أو حوار الملحدين مع المسلمين، ولا يجيبون عن سؤال يوجّه اليهم الا بقولهم (انك لا تفهم هذه

الحقيقة الإيمانية) كما يفعل مقلدوهم الوهابية ثم يقررون نظريتهم من أن الايمان لا يقبل التوافق مع العقل و العلم وأنه لا يؤخذ بالدليل العلمي وهذا افضل اجوبتهم. فليس هناك منهج متبع عندهم للحوار مع المسلمين وانما هو سرقة مواد النقاش الخلافي بين المسلمين، والا فهم كالوهابية لا يقبلون من المسلم أن يناقشهم احد في مصادرهم ومن مصادرهم ويقولون ان هذه خاصة بنا وليس لكم النقاش فيها. وإن تشبيههم بالوهابية ظلم لهم لأن الوهابية في الحقيقة يقتبسون من افكارهم وطرقهم في الحوار نتيجة اتحادهم في المبادئ والمنطلقات. مثل رفض العقل وعدم الثبات على معيار وعدم ضرورة التطابق الواقعي بين الافكار.

وافضل مثال على ذلك هو أجوبتهم عن توثيق كتبهم المقدسة، فهم يجيبون باجوبة لا علاقة لها بالسؤال، ولم اعثر لحد الان على من يجيب بما عند الكنيسة من دراسات سرية اطلعنا على بعضها حول اصل كتبهم المقدسة

ومقدار موثوقيتها. هذا بخلاف اللجان التي تشكل كل خمسين سنة تقريبا لبحث معضلة توثيق الكتب المقدسة وكلما تقدم الزمن وعثر على كتب ورقع قديمة وقريبة عهد من النزول تزداد مشكلة توثيق الكتب واعتمادها، وقد فرح المسيحيون بظهور مخطوطات البحر الميت (وادي قمران) ولكن سرعان ما اختفت وقد شُكلت عدة لجان لدراستها وخرجت بنتائج سلبية لم يسمحوا لأحد بالاطلاع عليها. وذكروا ان هذه المخطوطات اثبتت خطأ الكنيسة والكنيس اليهودي السائر منذ ازمان طويلة بأن التوراة لم يكن لها اصل مكتوب وهو كتاب شفهي النقل، فقد ثبت أن للتوراة اصلا مكتوبا قبل المسيح بمائة سنة أو اكثر قليلا. وهذا لا ينفع في المقام والغموض في العهد الجديد لا يقل عنه كما يعلم الباحثون المطلعون على تأريخ التوراة والانجيل وبعض اسرار مخطوطات قمرات والمخطوطات المصرية. وهناك مخطوطات للكتب القانونية نفسها عثر عليها في اثيوبيا (الحبشة) لم يفصحوا عنها وقد

قيل ان فيها بعض النصوص المشكلة تاريخيا. ومن اراد ان يتعمق في النظر في مشكلة المخطوطات التي عثر عليها حديثا عليه ان يتابع موضوع (شفرة دافنشي) ومشكلة مريم المجدلية وزواجها من المسيح وحملها منه. فهذه امور انتجتها هذه المخطوطات بشكل عجيب.

وسوف انقل بعض النصوص لبيان بعض المشكلات التي يعرضها البحث الكنسي نفسه الذي يقول بمجهولية الاصول وبعدم التأكد من النصوص وانها كانت شفوية يزاد فيها وينقص، والدراسات هنا مسيحية ولكن لا احد من المحاورين المسيحيين يتطرق اليها أو يقبل بها وهذا هو ما اقصده كمثال على نوع الحوار المسيحي الإسلامي وعدم معرفة كل من المسلمين والمسيحيين لديانتهم ولديانة غيرهم ويتناقشون بلا فهم للموضوع.

وبما ان النصوص مطولة جدًا فسوف اقتطف منها موضع الحاجة كمثال فقط على نوع التفكير الذي يواجهه المحاور المسلم مع زميله المسيحي في عدم التطابق بين الايمان وبين الواقع.

قول الكنيسة في العهد القديم نتيجة بحوثها التاريخية:

قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٤٣١

(وذلك مما يبين أن الكتب الخمسة كانت في الأصل مجاميع مختلفة ولا يمكن تحديد وقت جمع الكتب كلها في سفر واحد، غير أنه يرجح من مادة الكتابين؟ التعبير في بعض مزاميرهما أنهما جمعا بعد سبي بابل، ويرجح أن الجمع قد أكمل في أيام عزرا وأنه قد تم تدريجيا، إذ أن المزامير تظهر العواطف المختلفة للقرون العديدة منذ عصر داود إلى الرجوع من سبي بابل.)

أقول: اقول هنا استعملت الكنيسة خدعة لفظية حيث استخدمت كلمة (الجمع) بدل (التأليف) ولكن النص يبيّن أن المقصود هو (التأليف) لأن النصوص تظهر العواطف المختلفة للقرون العديدة أي ان امزجة النص تتلائم مع قرون متاخرة جدًا عن زمن موسى عليه السلام ويعني أن التاليف فيها مستمر على مدا عدة قرون، وهذا هو ما تعترف به الكنيسة بشكل رسمي في غير هذا النص.

وقد تسأل كيف اعتبروها كتابا الهيا مقدسا وهو قد الف بواسطة معلومين ومجهولين على مدى الف عام؟ فسيأتيك الجواب الكنيسة ان الدليل على قداستها هو: استعمال الكنيسة لها، فقد لا تصدق هذا القول ولكن هذا هو الواقع فاقرأ يرحمك الله ما يتعلق بالمزامير مثلا:

قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٤٣١

(من العجيب أن هذه المزامير التي كتبها عبرانيون أتقياء قبل المسيح بقرون، تستعمل اليوم في عبادة الكنيسة المسيحية وتناسب ذوق جميع الطوائف على حد سواء. ولعل هذا دليل على كونها موحى بها من الله وهي صادرة من أعماق القلب الإنساني في نسبته لله تعالى وتعبر عن حاسيات الشكر والحمد والتوبة والحزن ‹ صفحة ٤٣٢ › والغم والرجاء والفرح عامة، على نحو يجعل كل نفس تقية في كل عصر وكل بلد تشعر بمناسبتها لاحتياجاتها. وإن لم تشعر كل الشعور بقوة كل مزمور فما ذلك إلا لعدم إدراك جميع الظروف المحيطة بتأليفه. والمزامير شعر ويقتضي لفهمه أحاسيس مناسبة لأحاسيس الشاعر لكي يتضح للقارئ معناه العميق. لذلك فمن المزامير ما لا يمكن فهمه إلا في أوقات التجربة والضيق. ومنها ما لا يمكن فهمه إلا في وقت الاضطهاد وغيرها في وقت الفرح والابتهاج. غير أنه على قدر زيادة اختبارنا الروحي تكون زيادة إدراكنا لمناسبة المزامير لكل ظروف الحياة.

وهكذا نلاحظ أن أكثر الأسفار الكتابية قراءة هي الأناجيل والمزامير. كذلك صارت المزامير أساس كثير من ترانيمنا المسيحية المستعملة في العبادة الفردية والجمهورية في كل المسكونة. وسوف تظل كذلك مدى الدهور. ولا ريب أنه اختبار عجيب يجوزه كل مسيحي يفكر في هذه الترنيمات ويدرك أنها هي بعينها كانت سببا في التأثير في أحاسيس موسى وداود وآساف قديما. مؤلفو المزامير: قد استمر تأليف المزامير مدة نحو ألف سنة، من أيام موسى إلى العودة من السبي البابلي، أو حتى بعدها بقليل في أيام عزرا. غير أن أكثرها كتب في أيام داود وسليمان. وينسب ٧٣ مزمورا منها لداود حسب عناوينها هي ٣ – ٩ و ١١ – ٣٢ و ٣٤ – ٤١ و ٥١ – ٦٥ و ٦٨ – ٧٠ و ٨٦ و ١٠١ و ١٠٣ و ١٠٨ – ١١٠ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٣٨ – ١٤٥. وكان هو أشهر المؤلفين ورئيس المرنمين في إسرائيل. لذلك كثيرا ما سميت كمجموع " مزامير داود ". وهذه المزامير بسيطة وقوية العبارة تجتمع فيها الرقة مع

الإيمان. وترسم أمامنا صورة إنسان مجاهد ضد العقبات الداخلية والخارجية في الطريق إلى مدينة الله. كذلك ينسب ١٢ مزمورا لآساف ٥٠ و ٧٣ – ٨٣ وكان آساف لاويا وأحد رؤساء آلات الطرب والترتيل لداود (١ أخبار ١٥: ١٧ و ١٩ و ٢ أخبار ٢٩: ٣٠). وتتميز مزاميره بأنها تعليمية. وينسب لنبي قورح ١١ مزمورا. وهؤلاء عائلة شعراء كانوا يمارسون وظيفة الكهنوت في أيام داود وخلفائه (١ أخبار ٦: ٢٢ و ٩: ١٩ و ٢٦: ١ و ٢ أخبار ٢٠: ١٩)، وهي المزامير ٤٢ و ٤٤ – ٤٩ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ ومن هذه المجموعة سبعة تختص بأيام داود وسليمان. وتمتاز هذه المزامير بحسن شعرها وروعة خيالها وإبداعه. وينسب مزموران لسليمان هما ٧٢ و ١٢٧ وواحد لموسى ٩٠.)

أقول: ان هذه النصوص رغم عدم اتساقها وحذف جزء منها كما هو بعد علامات الاستفهام الخمسة ولكن النص واضح بعدم كون كتب العهد القديم

قد نزلت دفعة واحدة أي في زمن نبي واحد بل كانت موزعة على مختلف الازمة بما يمتد لألف سنة تقريبا، وان هناك انقطاعا واضحا بين ما قبل السبي البابلي وبين ما بعد السبي فقد ذهبت كل النصوص قبل السبي، وبقيت النصوص لما بعد السبي فقط، وهي لم تكن ثابتة بل عرضة للتحريك والزيادات بحسب الظرف الاجتماعي، وكان مما اشكلت عليه الكنيسة بشكل جدي على كتابة التوارة أنها تصف موت موسى عليه السلام فكيف يكون موسى ميتا وهو يصف موته في التوراة التي نزلت في زمنه؟ واما المزامير التي هي مجموعة الاناشيد الدينية المغناة في الكنيسة فهي كذلك في ازمنة متعددة ولكتبة متعددين بعضهم ينصون على انه مجهول لا يعرف من هو؟ ولكن دليلهم على انه من اللّه: هو فرح الكنيسة واستعمالها لهذه النصوص ببهجة الايمان. فهذا دليل على انه نص ملهم من اللّه.

طبعا هذا النوع من التفكير ومن العرض لا يستطيع ان يهضمه أو حتى يفهمه المسلم، لأنه يخالف منطقه في الغالب عدا المتشدقين بالإسلام وهو منهم براء.

واما ما قالته الكنيسة من بحث منشور علنا في العهد الجديد فهو نص طويل جدًا اقتطعت منه بعض ما ينبه عقل القارئ إلى وجود مشكلة حقيقية في اصل ثبوت النصوص وفي الظروف الغامضة والأليمة التي مرت فيها المسيحية بين التاثير اليهودي وبين الثورة على اليهويدية بعقلية يهودية بوجهة نظر ثانية أي الوجهة المخالفة لما يقوم به سراق الهيكل من اصدار تعاليم لها علاقة كبيرة بانشاء مذهب متسامح مع المحتلين الوثنيين.

وقد آثرت ان انقل نصا عن البيئة التي نشأت فيها المسيحية ونقد الكنيسة للسيد المسيح نفسه لأنه متاثر بحركة مسيحية تؤمن بنزول القديس العالمي في آخر الزمان الذي يخلص الناس من الظلم والجور، وكأن هذا النقد مبني على ان الكنيسة تؤمن بان القديس يجب أن يكون هو المسيح نفسه ولكن ايمان

المسيح ويوحنا المعمدان بغيره يجعلهما متأثرين بيهودية غنوصية عرفانية، كما ان الكنيسة تعترف بان مفهوم ابن الله وانه الإله الانسان مقتبس من مذهب يهودي كان يؤمن به بولس قبل ايمانه بالمسيحية وكان يؤمن به الكثير من كتاب المسيحية، فهذه الدراسة تثبت أنه لا الافكار المسيحية هي نفسها عند المسيح ولا النصوص هي نفسها في زمن المسيح وانما هي اجتهادات بشرية اخذت صفة القداسة نتيجة سلطة الكنيسة نفسها وقوة رجالها في نفوذهم الكنسي سياسيا واجتماعيا وعسكريا، وفي النص تصريح واضح انه لم تثبت نصوص الانجيل الا بعد أن تقدمت وسائل الطباعة وتم السيطرة على الطباعة.

وهذا هو النص وقد تجد بعض التعليقات مني للتنبيه فقط والا فهو نص مهم جدًا وكاف لا يحتاج إلى تعليقاتي الصغيرة لمن يعرف القراءة بين السطور وما وراء السطور:

الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٧ – ١٤

(من ترجمة أورشليم الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس

(صفحة ٧)

[مدخل إلى العهد الجديد]

يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرا مختلفة الحجم وضعت كلها باليونانية. ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني. فقد نالت الكتابات التي تؤلفه رويدا رويدا منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشأن في استعمالها ما لنصوص العهد القديم التي عدها المسيحيون زمنا طويلا كتابهم المقدس الأوحد وسموها " الشريعة والأنبياء "، وفقا للاصطلاح اليهودي في تلك الأيام.

وإذا انتهى الأمر إلى أن يطلق على جملة تلك الكتابات عبارة " العهد الجديد " فذلك يعود في جوهره إلى أن اللاهوتيين المسيحيين الأولين رأوا ما ذهب إليه بولس (٢ قور ٣ / ١٤) وهو أن تلك النصوص تحتوي على أحكام عهد جديد تحدد عباراته العلاقات بين الله وشعبه في المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص. وأدى بالمسيحيين كلامهم على عهد جديد إلى إطلاق عبارة " العهد القديم " على المجموعة التي كانت في الماضي تسمى " الشريعة والأنبياء " فأشاروا بذلك إلى أنهم يرون في تلك المجموعة قبل كل شئ ما فيها من أحكام العهد الموسوي القديم الذي جدده يسوع وتخطاه.

إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة واحدة أديا إلى تطوير طويل معقد.

والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة دون حسن التفهم لذلك الأدب. فلا بد لنا اليوم من النظر إليه في

البيئة التي نشأ فيها وإلى انتشاره في أول أمره. فلا غنى لكل مدخل إلى العهد الجديد، مهما كان مختصرا، عن البحث في الأحوال التي حملت المسيحيين الأولين على إعداد مجموعة جديدة لأسفار مقدسة. ولا غنى بعد ذلك عن البحث كيف أن تلك النصوص، وقد نسخت ثم نسخت مرارا ومن غير انقطاع، أمكنها أن تجتاز نحو أربعة عشر قرنا من التاريخ الحافل بالأحداث التي مضت بين تأليفها من جهة وضبطها على وجه شبه ثابت عند اختراع الطباعة من جهة أخرى. ولا غنى له في الوقت نفسه عن أن يشرح كيف يمكن ضبط النص بعد ما طرأ عليه من اختلاف في الروايات في أثناء النسخ.

وفي المدخل آخر الأمر محاولة لوصف على أحسن وجه ممكن للبيئة التاريخية والدينية والثقافية التي نشأ فيها العهد الجديد ثم انتشر. وقد

جرت العادة أن يقال لهذه المظاهر الثلاثة: مسألة القانون، ومسألة النص ومسألة البيئة لنشأة العهد الجديد.

(صفحة ٨)

[قانون العهد الجديد]

إن كلمة " قانون " اليونانية، مثل كلمة " قاعدة " العربية، قابلة لمعنى مجازي يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للإيمان. وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمي للأسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والإيمان. ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى في الأدب المسيحي إلا منذ القرن الرابع. وقد يسأل المرء نفسه ما الذي دعا المسيحيين الأولين إلى أن يفكروا في إحداث مجموعة جديدة لأسفار مقدسة، ثم في تحقيق تلك المجموعة، لتكمل المجموعة التي يقال لها الشريعة والأنبياء.

ويمكن إيجاز هذا التطور على هذا الوجه:

كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الجيل الأول في مرجعين، أولهما العهد القديم وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهادهم بوحي الله.

وأما المرجع الآخر الذي نما نموا سريعا فقد أجمعوا على تسميته " الرب ". وكان يطلق هذا الاسم على كل من التعليم الذي ألقاه يسوع (١ قور ٩ / ١٤) وسلطة ذلك الذي قام من بين الأموات وتكلم بلسان الرسل (٢ قور ١٠ / ٨ و ١٨). وكان لهذين المرجعين قيمة القياس في أمور الدين، ولكن العهد القديم كان يتألف وحده يتألف من نصوص مكتوبة.

وأما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدة طويلة ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علمه الرسل وتولي حفظ ما كتبوه. وما كان بد من أن تثار ذات

يوم مسألة المكانة العائدة لهذه المؤلفات الجديدة، وأن حظي في أول الأمر التقليد الشفهي بمكانة أفضل كثيرا مما كان للوثائق المكتوبة.

ويبدو أن المسيحيين، حتى ما يقرب من السنة ١٥٠، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلا جدًا إلى الشروع في أثناء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية. ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقا بالكتاب المقدس، بل كانوا يدعون الأحداث توجههم: فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة في حين إن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلا على ألسنة الحفاظ، فضلا عن أن بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسائله وتداولها بين الكنائس المتجاورة (١ تس ٥ / ٢٧ وقول ٤ / ١٦). ومهما يكن من أمر، فإن كثيرا من المؤلفين المسيحيين أشاروا منذ أول القرن الثاني إلى أنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل كتبها بولس، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه أقيمت من غير

إبطاء مجموعة من هذه الرسائل وأنها انتشرت انتشارا واسعا سريعا، لما كان للرسول من الشهرة. ومع ما كان لتلك النصوص من الشأن، فليس هناك قبل أول القرن الثاني (٢ بط ٣ / ١٦) أي شهادة تثبت أن هذه النصوص كانت تعد أسفارا مقدسة لها من الشأن ما للكتاب المقدس. ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهورا واضحا، كما يظهر شأن رسائل بولس. أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها، ولكنه يكاد

(صفحة ٩)

أن يكون من العسير كل مرة الجزم هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي. ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلف

من تلك المؤلفات صفة ما يلزم. فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحا على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن لها صفة ما يلزم، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدرجي. وابتدأ نحو السنة ١٥٠ عهد حاسم لتكوين قانون العهد الجديد. وكان الشهيد يستينس أول من ذكر أن المسيحيين يقرأون الأناجيل في اجتماعات الأحد وأنهم يعدونها مؤلفات الرسل (أو أقله مؤلفات أشخاص يتصلون بالرسل صلة وثيقة) وأنهم هم يستعملونها يولونها منزلة كمنزلة الكتاب المقدس. وإذا أوليت هذه المؤلفات تلك المنزلة الرفيعة، فيبدو أن الأمر لا يعود أولا إلى أصلها الرسولي، بل لأنها تروي خبر " الرب "، وفقا للتقليد المتناقل. ولكن سرعان ما شدد على نسبة هذه المؤلفات إلى الرسل، وعلى الخصوص لما مست الحاجة إلى حمايتها من تكاثر المؤلفات الشبيهة بها في ظاهرها، في حين أن محتواها يعود في معظمه إلى تقليد سخيف، بل

إلى ما ينسجه الخيال في حال الهذيان. وكان بعد السنة ١٥٠ بقليل أن مست الحاجة في الكنيسة إلى قاعدة شاملة، فاتجهت الأنظار إلى مجموعة الأناجيل الأربعة لأنها نالت، حتى ذلك الوقت، انتباه الناس، لما تحللت به من الصفات ولصحة الشهادة التي تؤديها " للرب ". وكان تفوق الأسفار الأربعة عظيما جدًا من جهات كثيرة، حتى أنها حجبت بسرعة مجمل المؤلفات المماثلة. فيمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام الأدب القانوني، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين. أما رسائل بولس فيكاد أن يكون من الأكيد أنها لم تدخل إلى القانون الواحدة بعد الأخرى، بل إن مجموعتها أدخلت إليه برمتها يوم أخذ يغلب في الكنيسة الرأي القائل بأنه لا بد من الحصول على قانون للعهد الجديد. والراجح أن النسبة إلى الرسل، وقد جعلوها من قبل الصفة التي تتميز بها المؤلفات الإنجيلية، كان لها نصيب أكبر في إعلاء شأن ما كتب بولس، وقد أخذ

يظهر رويدا رويدا وبالمصادفة بمظهر مجموعة اعترفت بصفتها الالزامية كنائس القرن الثاني اعترافا واسعا. ويظهر هكذا نشوء مبدأ قانون جديد لأسفار مقدسة، غير أن هذا المبدأ لم يناقش قط. فقيام القانون هذا أمر حدث ثم انتشر انتشارا سريعا في الكنيسة حتى عمها. ولم يتدخل التفكير اللاهوتي إلا بعد ذلك، لما وجب تحديد ما يحتويه القانون. ويرجح كثيرا أن الذي زاد في سرعة هذه الحركة هو تدخل مرقيون (+ ١٦٠) الهرطوقي الذي نبذ سلطة العهد القديم نبذا تاما، فاحتاج أشد الحاجة إلى تزويد كنيسته بأسفار مقدسة وبما يقتضيه ذلك من قانون جديد. وهكذا ساهم أتباع مرقيون إلى حد ما في نشر مبدأ القانون الجديد، هذا وقد اتفق على أنه مؤلف من قسمين: الإنجيل والرسل، كما أن القانون القديم كان هو أيضا مؤلفا من قسمين: الشريعة والأنبياء. فالرأي القائل بقاعدة جديدة للكتاب المقدس رأي راسخ في الكنيسة منذ أواخر القرن

(صفحة ١٠)

الثاني، ولكن بقي أن يوضح محتوى القانون الجديد. ولم يوضح الجدول التام للمؤلفات العائدة إلى القانون إلا على نحو تدرجي، وكلما تحقق شئ من الاتفاق، بفضل الشعور النامي في الكنيسة بوحدتها، وبفضل نمو العلاقات بين مختلف جماعات المسيحيين. فهكذا يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠، إذ حدد على نحو تدرجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني، وقد عده في أواخر القرن الثاني إيريناوس، أسقف مدينة ليون، سفرا مقدسا واستشهد به على أنه شهادة لوقا في كلامه على الرسل. ولا بد من القول أن سفر أعمال الرسل ضم إلى القانون خصوصا للصلة التي يمت بها إلى الإنجيل الثالث، فهو مؤلف تابع لذلك الإنجيل. وكان نمو المسيحيين في

التنبه لما لسلطة الرسل من شأن، طوال القرن الثاني، هو أيضا عاملا مهما على ضم مؤلف عد من غير إبطاء مقدمة لا يستغنى عنها لمجمل الرسائل.

فإذا حاول المرء أن يستعرض حصيلة هذا التطور، اتضحت له هذه الأمور: فازت الأناجيل الأربعة في كل مكان بمنزلة منيعة لا نزاع عليها البتة من بعد، ويمكن منذ ذلك الوقت أن قانون الأناجيل قد اكتمل، وأما القسم الآخر من القانون (وهو أسفار الرسل) فقد استشهد في كل مكان برسائل بولس الثلاث عشرة وبسفر أعمال الرسل وبرسالة بطرس الأولى كما يستشهد بالكتاب المقدس. وقد حصل شئ من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى. فقد تجاوزت الصيغة الأخيرة للقانون مرحلة النشوء. ولكن ما زال هناك شئ من التردد في بعض الأمور. فإلى جانب مؤلفات فيها من الوضوح الباطني ما جعل الكنيسة تقبلها لما لا بد منه، هناك عدد كبير من المؤلفات " الحائرة " يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونية، في حين أن غيرهم ينظر إليها

نظرته إلى مطالعة مفيدة. ذلك شأن الرسالة إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية وكل من رسالة يعقوب ويهوذا. وهناك أيضا مؤلفات جرت العادة أن يستشهد بها في ذلك الوقت على أنها من الكتاب المقدس، ومن ثم جزء من القانون، لم تبق زمنا على تلك الحال، بل أخرجت آخر الأمر من القانون. ذلك ما جرى لمؤلف هرماس وعنوانه " الراعي " وللديداكي ورسالة اقليمنضس الأولى ورسالة برنابا ورؤيا بطرس. ويبدو أن مقياس نسبة المؤلف إلى الرسل استعمل استعمالا كبيرا، ففقد رويدا رويدا كل مؤلف لم تثبت نسبته إلى رسول من الرسل ما كان له من الحظوة.

فالأسفار التي ظلت مشكوكا في صحتها، حتى القرن الثالث، هي تلك الأسفار نفسها التي قام نزاع على صحة نسبتها إلى الرسل في هذا الجانب أو ذلك من الكنيسة. وكانت الرسالة إلى العبرانيين والرؤيا موضوع أشد المنازعات.

وقد أنكرت صحة نسبتهما إلى الرسل إنكارا شديدا مدة طويلة. فأنكرت في الغرب صحة الرسالة إلى العبرانيين وفي الشرق صحة الرؤيا. ولم تقبل من جهة أخرى إلا ببطء رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا.

ولا حاجة إلى أن نتتبع تتبعا مفصلا جميع مراحل هذا التطور الذي أدى خلال القرن الرابع إلى تأليف قانون هو في مجمله القانون بعينه الذي نعرفه اليوم، ما عدا التردد في ترتيب الأسفار في القانون. وأن الاهتمام بالوحدة في الكنيسة، وقد ازداد فيها يوما بعد يوم الإقرار بحق الصدارة لسلطة كنيسة رومة، قد ساهم مساهمة غير قليلة في تخفيف ما ظهر من الخلافات في هذه المرحلة أو تلك من التطور الذي رافق تأليف القانون.

أقول: هذه النصوص تبين بشكل لا شائبة فيه ان العهد الجديد لم يكن مدونا قبل سنة ١٥٠ وقصته اشبه بقصة الحديث الشريف عند السنة حيث لم يدون قبل سنة ١٤٢ هجرية ولم يكن الحديث قد كتب الا في حدود ١٦٠ هجرية، ويلاحظ القارئ هنا وجود تعابير مستغربة في توثيق النص الديني مثل: (يعتقد، يحتمل، يرجح، يتردد، لا يزال الشك، نشك، وما شابه ذلك)، وسيلاحظ القارء لما يأتي مجموعة هائلة من المعاني الدالة على الصراع والشك حول النصوص وحول طبيعة نشاة المسيحية من رحم اليهودية.

(صفحة ١١)

[أسفار العهد الجديد المنحولة]

إن الأسفار التي اعترف بأنها قانونية أصبحت بناء على ذلك نصوصًا مقدسة وحصلت منذ دخولها في القانون بنوع من الحصانة ساعدت في وصولها إلى عهد الطباعة وهي في حالة حسنة.

ولم تحظ بمثل ذلك المؤلفات التي لم يكتب لها أن تدخل في القانون. فإذا حظي بعضها (كالديداكي أو رسالة برنابا) بتقدير جميع الكنائس فحفظ في حالة حسنة، مع أنه لم يدخل إلى القانون، فإن بعضها الآخر، الذي لم يتحل بتلك الصفات، نحي تنحية أشد عن الاستعمال الكنسي، فأصبح عرضة للضياع، الأمر الذي يبين لماذا لم يبق منه سوى آثار قليلة. خصت بكلمة " منحولة " (خفية باليونانية) بعض المؤلفات التي كانت، على ما فيها من الشبه بنصوص العهد الجديد القانونية، تنقل في نظرهم آراء غريبة عن أفكار الكنيسة، وعلى العموم سرية، تعود إلى بيئة " متحزبة " كانت وحدها تستطيع التصرف بها للحصول منها على معرفة حقيقية، أي " عرفان ".

وعدت بعد مدة مؤلفات منحولة تلك التي أبت الكنيسة أن تبني عليها عقيدتها وإيمانها، ولذلك لم تإذن بقراءتها في أثناء إقامة شعائر العبادة يوم

الأحد. وقد أمر أن تبقى تلك الكتب مخفية في أثناء إقامة شعائر العبادة، وأن أوصي في بعض الأحوال بأن يطالعها الناس فردا فردا لحسن تأثيرها في النفس. جرت العادة أن تفهم هذه الكلمة بذلك المعنى قبل أن تستعمل، لما اكتمل القانون، للدلالة على المؤلفات المنحولة إلى الرسل، وقد اقترنت منذ ذلك الوقت كلمة " منحول " بمعنى الذم، فغدت المؤلفات المنحولة وسائل نقل للضلال. والمؤلفات المنحولة إلى العهد الجديد، مهما يكن من قيمتها عامة، لا تزال مؤلفات ثمينة جدًا لدرس تطور الآراء الدينية في القرنين الثاني والثالث.

ويمكن المرء، إذا لم يقصد الدقة في التعبير، أن يميز، ضمن الأدب المنحول، أربع فئات من المؤلفات تشابه مختلف أصناف الأسفار القانونية. فهناك أناجيل وأعمال رسل ورسائل ورؤى منحولة، ولن يذكر هنا سوى بعض تلك المؤلفات. ولا نعرف أناجيل النصارى والعبرانيين والمصريين إلا مما استشهد

به منها آباء الكنيسة، وهي، على قدر ما يسعنا أن نحكم في ما ورد منها، مؤلفات تمت بصلة قريبة إلى الأناجيل القانونية. وإنجيل بطرس، الذي عثر على جزء منه في مصر في أواخر القرن الماضي، يحتوي على آثار غنوصية ظهرت على وجه تام في مؤلفات تحسنت معرفتنا لها منذ أن عثر قبل قليل في مصر أيضا على أسفار كإنجيل الحق وإنجيل فيلبس وإنجيل توما، علما بأن في الإنجيل هذا أمورا كثيرة مشتركة بينه والأناجيل الإزائية، غير أن تلك المؤلفات تختلف اختلافا واضحا عن الأناجيل القانونية، لأنها تكاد لا تحتوي رواية شئ من الأحداث. والمؤلف المعروف باسم إنجيل يعقوب يروي رواية مفصلة أناجيل الطفولة ويولي اهتماما خاصا بما جرى لمريم وبأحداث ميلاد يسوع. وأما أعمال الرسل المنحولة فهي على العموم مؤلفات غايتها القدوة الحسنة للشعب المسيحي، تستوحي عن بعد ما ورد في سفر أعمال الرسل القانوني. وهي تتخير التوسع في جانب المعجزات من

(صفحة ١٢)

سيرة الرسل، وهدفها أن تعظم شأنهم. ذلك هو الأثر الذي تتركه في نفس من يقرأ أعمال يوحنا وبولس وإندراوس. وإذا استثنينا أمر " رسالة الرسل " التي كتبت في نحو السنة ١٥٠ والتي هي أقرب إلى فن الرؤى، فليس لنا إلا القليل نقوله في الرسائل المنحولة. ولا يمكن تشبيه هذه المؤلفات بالرسائل القانونية: فهي لا تشبه الرسائل، بل هي أشبه بمقالات صغيرة يغلب عليها السخف. وأما الرؤى المنحولة فيمكن أولا ذكر " الراعي " لهرماس ثم رؤيا بطرس (وهي تخيل للحياة المستقبلية والنعيم والجحيم) ورؤيا بولس وفيها يزعم تفصيل الرؤيا الواردة في ٢ قور ١٢ والتي خطف الرسول في أثنائها إلى السماء الثالثة. وضعت تلك المؤلفات كلها بعد الأسفار القانونية وهي في أغلب الأحيان تقليد لها، ولا تحتوي على العموم أي تقليد تاريخي قديم، فليست مرجعا ذا شأن لدرس العهد الجديد، مهما يكن فيها من فائدة لتاريخ الفكر

المسيحي في عهد لاحق. [نص العهد الجديد] بلغنا نص الأسفار السبعة والعشرين في عدد كبير من المخطوطات التي أنشئت في كثير من مختلف اللغات، وهي محفوظة الآن في المكتبات في طول العالم وعرضه. وليس في هذه المخطوطات كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هي كلها نسخ أو نسخ النسخ للكتب التي خطتها يد المؤلف نفسه أو أملاها إملاء. وجميع أسفار العهد الجديد، من غير أن يستثنى واحد منها، كتب باليونانية، وهناك أكثر من خمسة آلاف كتاب خط بهذه اللغة، أقدمها كتب على أوراق البردي وكتب سائرها على الرق. وليس لدينا على البردي سوى أجزاء من العهد الجديد بعضها صغير. وأقدم الكتب الخط، التي تحتوي معظم العهد الجديد أو نصه الكامل، كتابان مقدسان على الرق يعودان إلى القرن الرابع. وأجلهما " المجلد الفاتيكاني "، سمي كذلك لأنه محفوظ في مكتبة الفاتيكان. وهذا المخطوط مجهول المصدر وقد أصيب بأضرار لسوء الحظ ولكنه

يحتوي العهد الجديد، ما عدا الرسالة إلى العبرانيين ٩ / ١٤ – ١٣ / ٢٥ والرسالتين الأولى والثانية إلى طيموتاوس والرسالة إلى طيطس والرسالة إلى فيلمون والرؤيا. والعهد الجديد كامل في الكتاب الخط الذي يقال له " المجلد السينائي "، لأنه عثر عليه في دير القديسة كاترينا، لا بل أضيف إلى العهد الجديد الرسالة إلى برنابا وجزء من " الراعي " لهرماس، وهما مؤلفان لن يحفظا في قانون العهد الجديد في صيغته الأخيرة. والمجلد السينائي محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن. وكتب هذان المجلدان بخط جميل يقال له الخط الكبير الكتابي. وهما الأشهران بين نحو ٢٥٠ كتبت على الرق بالخط نفسه أو بخط يشبهه قليلا أو كثيرا، وتعود إلى عهد يمتد من القرن الثالث إلى القرن العاشر أو الحادي عشر. ومعظمها، وعلى الخصوص أقدمها، لا يحفظ إلا جزءا صغيرا جدًا في بعض الأحيان من العهد الجديد. إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن المرء

أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكن عددها كثيرة جدًا على كل حال. هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الألفاظ أو ترتيب الكلام، ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات

(صفحة ١٣)

تتناول معنى فقرات برمتها. واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير. فإن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون تتصف أية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا، عن حسن نية، أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي. وهكذا أدخلوا إلى

النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ. ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحيانا كثيرة إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوت عال. ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات. والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصا يكون أقرب ما يمكن من الأصل الأول، ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه. وأول عمل في علم نقد النصوص هو النظر في جميع نسخ النص. فيجب بعبارة أخرى أن تحصى وترتب جميع الوثائق التي يرد فيها نص العهد الجديد كله أو بعضه، ولا يقتصر الأمر على مراجعة الكتب

المخطوطة باليونانية، بل تراجع جميع الكتب التي تحتوي ترجمة العهد الجديد التي استعملها المسيحيون في القرون الأولى (وهي اللاتينية والسريانية والقبطية) فقد اعتمد الناقلون في بعض الترجمات أصولا يونانية أقدم من المجلد الفاتيكاني أو السينائي، فهي تشهد على حالة للنص أقدم مما يمكن الوصول إليه بمراجعة أقدم الأصول اليونانية. فالترجمات القديمة، على قدر ما يمكن استنباط أصلها اليوناني استنباطا دقيقا، تساعد مساعدة مهمة على ضبط نص العهد الجديد. يضاف إلى مراجعة الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة أن علماء نقد النصوص يحاولون الاستفادة مما في مؤلفات آباء الكنيسة من شواهد كثيرة جدًا أخذت من العهد الجديد. والفائدة الأكيدة التي تجنى من هذه الشواهد هي على الخصوص أنها تمكن العلماء في أحيان كثيرة من الرجوع إلى النص كما كان قبل أقدم الترجمات (وهكذا يرتقى أيضا إلى حالته قبل أقدم الكتب المخطوطة باليونانية)، ثم إن تحديد تاريخ هذه

الشواهد وأصلها الجغرافي سهل المنال إلى حد ما. وهكذا يحصل العلماء على وسيلة هينة للاطلاع على نص العهد الجديد، كما كان يستعمل في وقت من الأوقات في هذا الجانب أو ذاك من الكنيسة. غير أن لهذه الشواهد محذورين. فالأمر لا يقتصر على أن كلا منها لا يورد إلا شيئا يسيرا من النص، بل كان الآباء، لسوء طالعنا، يستشهدون به في أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ومن غير أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة. فلا يمكننا، والحالة هذه، الوثوق التام في ما ينقلون إلينا. وإذا فرغ علماء نقد النصوص من إحصاء وتمحيص ذلك العدد الضخم من الوثائق التي تتألف منها الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة وشواهد آباء الكنيسة، بذل هؤلاء العلماء

(صفحة ١٤)

جهدهم في ترتيبها ليتيسر لهم استعمالها على أحسن وجه، فيرجعوا إلى أبعد ما يمكنهم في طلبهم للأصل الأول. وأدى البحث الدقيق، والحالة هذه،

بأهل الاختصاص إلى اكتشاف هذا الأمر، وهو أن ذلك العدد الكبير من الوثائق المعروفة تنقسم إلى عدد محدود من الفئات الكبرى. وهكذا استطاعوا أن يقيموا ثلاث فصائل كبرى أو أربعا من الأصول يبدو جميع ممثليها نسخا لمثال واحد. وبوسع علماء النقد، على أثر هذا العمل الذي لم يكتمل إلى اليوم ولكنه بلغ مبلغا عظيما، أن يعتمدوا اعتمادا حسنا، لا على عدد ضخم من الوثائق بمفردها، بل على فئات من الأصول يظهر في كل منها مثال للنص يمكن تحديد تاريخه ومكانه بكثير أو قليل من اليقين. وأهم الأمثلة التي أبرزها علماء النقد هي: – نص يقال له " الأنطاكي " أو " السوري " بالنظر إلى أصله الذي ينسب على العموم إلى أنطاكية في نحو السنة ٣٠٠. فقد ورد في معظم الكتب المخطوطة باليونانية ولا سيما أحدثها، لأنه ما لبث أن أصبح أكثر النصوص استعمالا في العالم البيزنطي، ولذلك يقال له أيضا " البيزنطي " أو النسخة الشائعة. ويظهر فيه اهتمام خاص بالأناقة والوضوح

ويميل إلى التوفيق بين فقرات فيها الكثير أو القليل من التشابه ويدمج الروايات المختلفة في فقرة واحدة. قيمته ضعيفة من جهة النقد ومع ذلك فإن الطبعات الأولى للعهد الجديدة اعتمدت نسخا متأخرة لهذا النص، فشاع مدة تزيد على ثلاثة قرون وعرف بالنص المتداول، أي النص الذي يتداوله جميع الناس. – نص يقال له " الإسكندري " أو " المصري "، فكل شئ يدل على أنه ينسب إلى مصر، بل إلى الإسكندرية نفسها. وأهم مثال له المجلد الفاتيكاني، ودونه أهمية السينائي. وجد نحو السنة ٣٠٠ على أقل تقدير، واكتشف في عهد قريب عدة أشياء توحي بأن وجوده يعود إلى قبل ذلك الوقت بمدة طويلة، وعلى الخصوص نص الأناجيل الأربعة.. يكاد يجمع أهل الاختصاص كلهم على أن لهذا النص قيمة عظيمة من جهة الدقة.. وتعتمد طبعات العهد الجديد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر هذا المثال للنص وهي محقة في ذلك وإن كان لا يحسن عده خاليا من الشوائب.

– نص يقال له " الغربي ". لقد اتضح أن هذه التسمية التي ترجع إلى القرن الثامن عشر هي تسمية غير صحيحة. فإن الترجمات اللاتينية القديمة للعهد الجديد وبعض الكتب المخطوطة باليونانية واللاتينية كمجلد بيزا (من القرن الرابع؟)، في ما يعود إلى الأناجيل وأعمال الرسل، تدل على أن هذا المثال من النص قد انتشر انتشارا واسعا في الغرب، ولكن أصبح من الواضح اليوم أنه وجد في الشرق أيضا كما تشهد بذلك بعض الترجمات الشرقية وكثير من الشواهد وبعض الأجزاء للكتب التي خطت باليونانية في عهد بعيد. فإن هذا النص " الغربي " هو الصيغة الأقدم والأعم للعهد الجديد في كثير من الأمور. ويتميز بميله الشديد إلى الشرح والإيضاح والتفسير والتوفيق بين الروايات المختلفة، وهذه الأمور تبعده على العموم من الأصل الأول ولكن قراءاته القديمة، ولا سيما القصيرة منها، هي على العموم جديرة بأن تعد ذات قيمة.

(صفحة ١٥)

ولا يقتصر الأمر على هذه الفصائل الكبرى للكتب المخطوطة فهناك صيغ وسط بين هذه الأمثلة المذكورة، ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك. حسبنا أن نشير إلى الفائدة المتوقعة من تحديد هذه الأمثلة للنص ومعرفة زمانها ومكانها، بالاستناد إلى ما نعرفه من التاريخ والجغرافيا لدى مراجعة الترجمات والشواهد وعلم الكتابات والخطوط القديمة عندما يقتضي الأمر ذلك. وهكذا يمكن، لدى البحث في كل قراءة أو سفر أو العهد الجديد كله، معرفة الصيغ الأكثر قدما والأكثر ورودا والتي يقدر أن تكون الأقرب إلى الأصل الأول. وهذا النقد الأول الذي يقال له النقد الخارجي غير كاف، فكثيرا ما يؤول هذا النقد إلى الوقوف على فقرة لها في القرن الثاني أو الثالث روايتان انتشرتا قليلا أو كثيرا، ومن العسير اختيار إحداهما. فلا بد من اللجوء إلى النقد الباطني. فهو ينظر إلى القراءات نظره إلى أنها تبرز أمثلة مختلفة لنص العهد الجديد، بل ينظر إلى كل رواية وحدها ويفحصها في حد

ذاتها، لأنها تدخل لا داعية له قام به الناسخ عن قصد أو غير قصد. وهدف أصحاب النقد الباطني أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ والأسباب التي دعته إلى ذلك التدخل. فيسهل بعد ذلك الارتقاء إلى القراءة القديمة التي تفرعت منها سائر الروايات ولا يحسن استعمال النقد الباطني وحده، لأنه مرهون برأي الناقد. ولذلك جرت العادة ألا يستعمل النقد الباطني إلا وسيلة متممة للنقد الخارجي. ومهما يكن من أمر، فإن النتائج التي حصل عليها علماء نقد النصوص منذ ١٥٠ سنة جديرة بالإعجاب. وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا إثباتا حسنا، وما من داع إلى إعادة النظر فيه إلا إذا عثر على وثائق جديدة.

أن هذه النتائج مكنت من التقدم الكبير الذي يراه المرء إذا قارن بين الطبعات الحديثة للعهد الجديد من جهة والطبعات التي ظهرت منذ ١٥٢٠ إلى نحو سنة ١٨٥٠، قبل العمل المحكم بقواعد علم نقد النصوص. الطبعة الأكثر

انتشارا في أيامنا هي طبعة نستلي – ألاند، وقد اعتمدت النص العائد للطبعات العلمية العصرية الثلاث، قام بها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر تيشندورف، ووسكوت – هورت، ووايس.

إن العهد الجديد اليوناني الذي نشرته جمعيات الكتاب المقدس وحققه ك. ألاند وم. بلاك وب. م. ميتزجر وا. ويكرين بذل الجهد فيه لإدخال زيادة من التحسين على ذلك النص.

[بيئة العهد الجديد]

نشأت المسيحية في شعب عاش تاريخا مضطربا. فإن إسرائيل بعد جلائه الأليم إلى بابل، الذي بلغ أثره أعماق نفسه، عاد إلى فلسطين وأقام فيها ورتب أموره على قدر ما استطاع. ولكن اليهود تحققوا أن الأحوال قد تغيرت وأنه لا سبيل إلى العيش كما في الماضي. فإن فلسطين قد أمست أكثر مما

(صفحة ١٦)

كانت عليه في الماضي رهن مصالح تفوق طاقتها وعرضة لتأثير خبيث مستمر يأتيها من آراء غريبة وثنية تعارض معارضة تزداد حدتها يوما بعد يوم التقاليد الموروثة عن الأجداد والتي كانوا يبذلون جهدهم في الحفاظ عليها مهما كلف الأمر.

وقد تطورت على مر الأيام المجابهة بين اليهودية والعالم المحدق بها وازدادت عنفا. فقد دخلت فلسطين منذ وفاة الإسكندر الكبير السنة ٣٢٣ ق. م في حكم الملوك الهلنستيين، فاختلف موقفهم من اليهود اختلافا كبيرا، فمنهم من أظهر تسامحا كبيرا ومنهم من حاول بأعنف الوسائل دمج اليهود بالوثنيين.

وظل اسم انطيوخس الرابع ابيفانيوس (١٧٥ – ١٦٤) ق. م مقترنا بأقسى تلك المحاولات للقضاء بالقوة على ما لليهود من نمط عيش خاص بهم وحملهم على اعتناق المدنية اليونانية.

وكانت ذروة ذلك العنف تحويل هيكل أورشليم إلى عبادة جوبيتر الأولمبي، فكانت نتيجة هذه الأحداث، التي رويت في سفري المكابيين، إن اليهود الأتقياء (حسيديم) اضطروا في جملتهم إما إلى المقاومة السلبية وإما إلى التمرد، فأدت الثورة المسلحة، وكان قادتها الإخوة المكابيون، إلى استعادة قدر من الاستقلال السياسي والديني استمر نحو قرن.

فإن سلالة الحشمونيين التي ينسب اسمها إلى أحد أجداد يهوذا المكابي، حكمت فلسطين إلى أن فرض عليها النظام الروماني، فقد دخل بومبيوس لحسم الخلافات الداخلية التي كانت تفرق بين الحشمونيين، فاستولى على أورشليم السنة ٦٣ ق. م.

سادت سلالة هيرودس في أوائل الحقبة الرومانية لتاريخ فلسطين. ملك هيرودس الكبير (متى ٢ / ١) من السنة ٤٠ إلى السنة ٤ ق. م. مستعملا وسائل الارهاب أحيانا كثيرة، وقد أبغضه الشعب اليهودي بغضا لا هوادة فيه لأصله الأدومي، فلم يكن من سلالة داود، ولشراسته أيضا.

ولما توفي اقتسم أولاده مملكته، فكان نصيب هيرودس أنطيباس الجليل (لو ٣ / ١) والبيرية، فملك من السنة ٤ ق. م. إلى السنة ٣٩ ب. م. عرف بقتله ليوحنا المعمدان (مر ٦ / ١٧ – ٢٩) وباشتراكه في محاكمة يسوع ولو قليلا (لو ٢٣ / ٦ – ١٦).

أما أرخلاوس (متى ٢ / ٢٢)، وكان نصيبه اليهودية والسامرة، وفيلبس، وكان نصيبه البلاد من شمال البيرية (لو ٣ / ١)، فلا تعرف الأناجيل سوى اسمهما. ولكن السلطة السياسية المسيطرة كانت في أيدي الرومانيين الحكام منهم أو الولاة.

وقد ذكر العهد الجديد بضعة منهم: بنطيوس بيلاطس وهو خامسهم. تصرف في منصبه بعنف منذ السنة ٢٧ إلى السنة ٣٧، وفيلكس وكان قاسيا فاسقا (إذا كان لنا أن نصدق تاقيطس). تولى منصبه منذ السنة ٥٢ إلى السنة ٦٠ وتسبب إلى حد بعيد في اندلاع الحرب الأهلية في البلاد التي كان يليها، ولديه مثل بولس في قيصرية (رسل ٢٣ / ٢٣ – ٢٤ و ٢٦) وخلفه فسطس (رسل ٢٥ – ٢٦) وفي حضرته رفع بولس دعواه إلى قيصر (رسل ١٥ / ١١ – ١٢).

انقطع عهد الحكام بعودة سلالة هيرودس إلى الحكم مدة قصيرة، فملك أغريبا الأول، حفيد هيرودس الكبير، وقد عرف، على ما جاء في العهد الجديد، بأنه كان أول مضطهدي الكنيسة الناشئة (رسل ١٢ / ١ – ٢٣) ولم يشهد هذا الفصل من الزمن (٣٩ – ٤٤) تحسنا في أحوال فلسطين، فقد

تفاقمت الاضطرابات السياسية في عهد الحكام الآخرين وتحولت إلى ثورة حقيقية والى قمع

(صفحة ١٧)

الرومانيين الشديد السنة ٧٠ إلى خراب أورشليم وهيكلها، ولما خرب الهيكل تعذر على اليهود إقامة شعائرهم الدينية.

فقد منيت اليهودية في نظامها السياسي والديني والوطني بأسوأ كارثة أصابتها طوال تاريخها. ويبدو أن الجماعة المسيحية الصغيرة كانت، قبل وقوع هذه الحوادث المشؤومة، قد هربت من أورشليم ولجأت إلى بلاد في منطقة المدن العشر. ولم يكن تاريخ اليهودية بعد السنة ٧٠ سوى تاريخ ملايين من اليهود كانوا منذ عدة قرون قد تفرقوا في حوض البحر الأبيض المتوسط كله وفي بلاد الجزيرة بين النهرين وفي بلاد الفرس نفسها، تباعا لجميع العواصف التي ضربت الشرق الأوسط.

وكانت أكبر الجماعات في هذا الشتات تقيم في الإسكندرية وأنطاكية وروما.

وكان اليهود يحظون فيها بنظام للأحوال الشخصية يجيز لهم الحفاظ على إدارة دينية ومدنية مبنية على شريعة موسى.

وإن تيارا من العداء للسامية غير ظاهر ساعد على عزل تلك الجماعات عن بيئتها في المجتمع، ولكنه لم يطغ طغيانا عنيفا مقصودا إلا نادرا.

وكان المجمع مركز الحياة الدينية والثقافية عند اليهود، فقد كان في الوقت نفسه مدرسة وناديا ثقافيا ومكان العبادة.

وكانت العبادة تقتصر في جوهرها على الصلاة وتلاوة التوراة وتفسيرها.

وكانت اليهودية في أيام يسوع عبارة عن نظام اجتماعي ديني متجانس مبني على الإيمان بالرب القدير الأحد ومراعاة قاعدة مطلقة هي التوراة أي الشريعة.

فكان بوسع الفكر اليهودي أن ينطلق من هذين العنصرين الأساسيين فيجول بكثير من الحرية وهو ينعم بتسامح كبير من لدن السلطات الدينية على الخصوص. وكانت أحداث الحياة اليهودية تجري كلها في ضوء إلهي يأتيها من الشريعة. فهذه الشريعة كاملة لأنها من أصل إلهي، ولكن لا بد من شرحها وتفسيرها ليسري حكمها على المسائل العملية والفردية. وقد استمر ذلك الجهد في الشرح مدة قرون كثيرة فآل إلى إنشاء توراة شفهية تحيط بالتوراة المكتوبة وتتألف مما سمي سنة الأقدمين وقيل إنه يرتقي إلى موسى بشهادات متواترة من الربانيين. إن العهد الجديد يطلق اسم الكتبة على أولئك المثقفين الذين يفسرون التوراة. وكان لهم زمن يسوع سلطة كبيرة عند الشعب، ولا سيما عند الطبقات الوسط، كانوا يعملون عمل معلمي اللاهوت والفقهاء في المجتمع، فكان لهم شأن كبير في حياة اليهود. وأخذ الربانيون منذ القرن الميلادي الثالث يدونون سنة الكتبة كلها بعد ما ظلت إلى ذلك

الحين شفهية. فآل العمل الضخم إلى تكوين المشنة (تكرارالشريعة، تفسير) التي دخلت هي بنفسها في تأليف التلمود (التعليم).

وهناك أمر لا يقبل الجدل وهو أن القطب الآخر لحياة اليهود كان في القرن الأول هيكل أورشليم وعليه كانت تنصب مشاعر الشعب كلها، الدينية منها والوطنية، فقد كانوا ينظرون إليه نظرهم إلى مركز العالم فيه سيتجلى الله في اليوم الأخير. وكان البالغون من ذكور اليهود يلزمون أنفسهم، إن لم نقل يلذ لهم، أن يؤدوا في الوقت المحدد ضريبة الدرهمين لسد حاجات الهيكل. وكان يقوم بشعائر العبادة والطقوس كهنة ينتخبون من سليلي أسرة هارون وكان يعاونهم اللاويون في أعمالهم. فقد كانت هناك طبقة كهنوتية تدور في فلك هيكل أورشليم، وكان لها نظام تسلسل محكم تحت سلطة عظيم الكهنة العليا، وكان يرئس مجلس اليهود وهو جمعية مؤلفة من سبعين عضوا ما بين كهنة وعلمانيين، إليهم يعود الحكم في الشؤون المدنية والدينية.

(صفحة ١٨)

وكان في الوقت نفسه خصام يتفاقم يوما بعد يوم بين الكتبة وهؤلاء المثلين للطبقة الكهنوتية. وكان ذلك الخصام مظهرا من مظاهر الخلاف بين الهيكل والمجمع، أي بين الصدوقيين والفريسيين. وكانت هاتان النزعتان الكبيرتان تؤلفان ما جرت العادة أن يقال له اليهودية الرسمية.

ورأى الصدوقيون سلطتهم عرضة لمنازعة شديدة منذ زمن يسوع. فقد كانوا محافظين وأنصارا لسيادة النظام في كل وجه من الوجوه، وإن كان ذلك النظام رومانيا، لأنه يضمن لهم جل دخلهم. ولذلك كان الشعب يتهمهم اتهاما جديا بالتعاون، بل بالتواطؤ، مع حكومة الاحتلال الوثنية. ومهما يكن من أمر، فقد فقدوا كل نفوذ عند الشعب، وكان الشعب يفضل عليهم خصومهم الفريسيين وقد رأى فيهم مواطنين مخلصين للرب والشريعة،

سليلي الحسيديم المشهورين الذين اشتركوا في الثورة على انطيوخس ابيفانيوس في أيام المكابيين.

وأدى خراب الهيكل السنة ٧٠ إلى خراب الصدوقيين، وكان مصيرهم مرتبطا به ارتباطا تاما. وقد مثلت منذ ذلك الوقت النزعة الفريسية وحدها اليهودية الرسمية. وكان في زمن يسوع، على هامش هذين " الحزبين "، عدة شيع لبعضها فائدة كبيرة لمعرفة البيئة التي نشأت فيها المسيحية. وليس لدينا عن شيعة الغيورين سوى أخبار جزئية يعسر تفسيرها. يبدو أنها كانت جناحا متطرفا لحزب الفريسيين، وكان أعضاؤها مصممين على فرض مراعاة أحكام الشريعة بجميع الوسائل حتى بالقوة منها. وقد وصفوا أحيانا بقطاع طرق رعاع، في حين أنهم كانوا في حقيقتهم من المتعصبين الدينيين الذين يعارضون معارضة مطلقة رأي سلطة لا تصدر من الشريعة نفسها. لذلك لم يكونوا يترددون في أن يعاقبوا بالموت كل من كان مذنبا في نظرهم بمخالفات كبيرة

للشريعة (أقول: هم النسخة الأصلية للوهابية)، ولا سيما الذين كانوا يعاونون حكومة الاحتلال الوثنية. وربما كان بعض تلاميذ يسوع، بل بولس نفسه، قبل أن يصيروا مسيحيين، على صلة بشيعة الغيورين.

وكان هناك الاسينيون وكانوا في هامش الحزبين المذكورين على قدر أبعد من الغيورين. وقد تحسنت معرفتنا للاسينيين منذ اكتشاف الكتب المخطوطة في قمران على البحر الميت. وكان أكثرهم من الرهبان ولكن كان بعضهم يقيمون في خارج دير قمران المركزي ويؤثرون تأثيرا كبيرا في سكان فلسطين. كان الاسينيون أعداء الدة للسلطات اليهودية القائمة، ولا سيما لعظيم الكهنة. كانوا يهود متشددين جدا، ومع ذلك فقد تقبلوا كثير من الأفكار الأجنبية وكيفوها وفقا لمذهبهم اللاهوتي. ولا شك أنهم تأثروا بمبادئ إيرانية فأنشأوا عقيدة ثنائية صريحة جدا، مبنية على التناقض التام بين روحين أو قوتين إحداهما للخير والأخرى للشر، تتحاربان في معركة لا رحمة فيها حتى اليوم

الأخير وفيه يشاهد النصر النهائي يحرزه أمير النور على ملاك الظلام. لا ذكر للأسينيين في العهد الجديد، وليس فيه ما يدل على تأثير مباشر لعقيدة الأسينيين في المسيحية. غير أن أناسا مثل يوحنا المعمدان ويسوع والتلاميذ الأولون عاشوا، وهم إلى بيئة " الشيع " اليهودية في القرن الأول أقرب منهم إلى بيئة اليهودية الرسمية. وكانت هذه البيئات كلها، على قدر ما يتيسر لنا الاطلاع على الأمر، تميل إلى آراء الأسينيين على درجات متفاوتة. فليس من المستحيل أن تكون المسيحية في أول نشأتها قد أفسحت قليلا في المجال لتلك الآراء وأنه ساد الجماعة المسيحية في

(صفحة ١٩)

أورشليم تفكير وسلوك مطبوعان بما عند الأسينيين من تفكير وسلوك، ولو مدة من الزمن. لا شك أن الأسينيين اشتركوا اشتراكا فعالا في الثورة على الرومانيين. وقد زالوا عن التاريخ في عاصفة السنة ٧٠. إن الأحداث التي

أدت إلى خراب أورشليم تشهد على ما بلغه الغيظ عند الجماعات اليهودية التي عانت تعسف الحكام الرومانيين.

كان الغيورون يستغلون استغلالا كبيرا ذلك الغيظ الذي كانت تغذيه أيضا جميع المعتقدات المستوحاة من الرؤى، وقد نمت نموا كبيرا في فلسطين منذ القرن الثاني قبل الميلاد. فقد ترسخ يوما بعد يوم في يقين اليهود أن الله لن يلبث أن يرد على تحدي وجود الوثنية في الأرض المقدسة فيعود إلى إقامة عدله ويعيد إلى مختاريه امتيازاتهم، إذ يبسط ملكوته على الأرض بسطا يبهر العيون، وهذا التدخل يجعل حدا للشدائد الحاضرة ويفتح عهدا جديدا خاليا من الشر والإثم، ويؤذن بقدوم ذلك العهد آخر الأمر تضاعف الكوارث والنكبات يرافقها ابتلاع جميع أعداء الله من غير رجعة.

إن جملة هذه المعتقدات تؤلف آراء اليهودية المتأخرة في أمور الأزمنة الأخيرة. وكانت آراؤها في الخيرات التي يرجى الحصول عليها في الأزمنة الأخيرة

أبعد من أن تكون مجموعة محكمة التماسك، بل كانت أقرب إلى فيض من الأفكار لا تخلو من الغموض ويعسر ضبطها. ومع ذلك فما يمكن الوصول إلى معرفته هو أن هذه الآراء، لما اقترب العهد المسيحي، ازدادت تشددا على الأقل في بعض البيئات. فقد بلغت بلايا إسرائيل مبلغا لم يبق من المعقول أن يرجو الناس بعده ظهور مشيح بشري في التاريخ يستطيع أن يعيد ذات يوم إلى الشعب المختار كرامته.

فكانوا ينتظرون من الله وحده تبديل الحالة، وكانوا يرون أن ذلك التحول الذي ينتظرونه بفروغ الصبر لن يحدث إلا لصالح انقلاب يشمل الكون كله إذ يظهر بغتة عالم جديد برمته. ففي ذلك المشهد لرؤيا الأزمنة الأخيرة ليس للمشيح نصيب كبير جدًا في جميع الآراء. فإن مؤلفي الرؤى، عندما يتكلمون عليه، كفوا، على ما يبدو، عن أن يروه شأنهم في الماضي مشيحا دنيويا مسحه يهوه، وبعبارة أخرى ملكا من ذرية داود يقوم بأعمال سياسية

وعسكرية في جوهرها، ليحقق بعون الله تحرير الشعب وازدهاره. فهم يميلون بعد ذلك إلى إظهار المشيح بمظهر كائن من الملأ الأعلى أقرب إلى الله منه إلى البشر، ويطلق عليه في بضع رؤى اسم ابن الإنسان، ولكنه يظل في جوهره وجها سماويا ليس له صلة حقيقية بالناس وغير قابل للالم.

إن مجمل معتقدات أهل ذلك العصر في المشيح والأزمنة الأخيرة كانت من الأمور التي رجع إليها المسيحيون لما أرادوا تحديد ما يؤمنون به في كلامهم على المسيح. غير أن المسيحيين تنبهوا لنصيب الالم في مصير يسوع فاضطروا إلى أن يجعلوا معنى جديدا بأجمعه لأقوال معاصريهم في المشيح ورؤى الأزمنة الأخيرة.)

أقول:

هذه النصوص من دراسات الكنيسة نفسها تغنينا عن الكثير من الكلام ولكن بما ان طرق التفكير وطرق اعتماد القداسة والنبوءة مختلفة في تصوارت كل من

المسيحيين والمسلمين فهناك فجوة كبيرة في التفاهم حول نقائص أو كمال هذه المعلومات. ولكن اردت ان ابين للمحاور المسلم مقدار الفجوة وعدم تعجله في الحوار. وعليه ان يجد ابداعا جديدا في الحوار مع المسيحي وفق ما يفهمه المسيحي نفسه.

فالمسيحي الذي يحكم على جان دارك بالكفر والسحر والشعوذة فيقتلها شر قتلة ثم بعد عقود يعتبرها قديسة يدخل اسمها في صلوات القديسين، لا يمكنه ان يستوعب طريقة تفكير المسلم التي يعتبرها جامدة واحادية وغير مرنة كما هو عقل المسيحي بقبول الكافر حكما وبحكم كنيسته نفسها لأن تحوله إلى قديس شهيد مع ان الكنيسة هي التي قتله وسببت شهادته.

فهذا مزاج عقلي مختلف تماما عما يعيشه المسلم في تصوراته وعقله.

تفنيد شبهة إله القمر

لا ينقضي عجب العاقل من فعل الكنيسة الحالية خصوصا كنيسة الاقباط المصريين، من التعدي على رسول وشتمه والصاق التهم الباطلة به.

ومن جملة ما قالوه أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مشرك يعبد إله القمر ويعبد اللات والعزى.

ويستندون في ذلك الى أمور :

أن كلمة الله ليست هي كلمة (إلوهيم) فاذن هي لا يقصد بها اله الدينيين المسيحي واليهودي فهو يعبد غير الله.

إن قصة الغرانيق تدل على أن الرسول عَبَدَ اللات والعزى حين مدحها.

إن اسم مكة يشبه اسم معبد بلقيس الوثني (المقة) في سبأ، فإذن هو يتبع ديانة الوثنين ولم يغيرها.

أن الكعبة التي امر رسول الله بالتوجه اليها هي معبد اله القمر وفيه بناته الثلاث هو اتبع عبادة الوثنيين، خصوصا وان الكعبة عبارة عن حجارة والاصنام حجارة فاذن النبي يعبد الاصنام.

كثرة ذكر الشيطان وإبليس في القرآن وفي الروايات وهذا يعني تعلق الرسول بابليس فاذن هو يعبده ويعبد بناته.

هذه هي أهم دعاواهم في الموضوع.

وكل عاقل لو نظر في هذه الدعاوى المضحكة والادلة الساقطة فسوف يمجها ويعتبر ان قائلها مصاب بخبال يقيني، ولكن الغريب هو توفير الوهابية لكل ما يريده هؤلاء من تهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن يلاحظ استدلالهم يرى عجبا حيث يستدلون بالنقد والنفي على انه اثبات، مثلا يأتونا بكل الايات النابذة للشرك وللاصنام ويدعون ان مجرد

ذكر ذلك يدل على ان الاسلام دين شرك وتعلق بالاصنام، فما تقول لمن يستدل بالنفي على الاثبات؟ اليس المجنون افضل حالا من هذا؟

من جملة ما يستدلون به حين يأتي ذكر احترام للسيدة مريم أو السيد المسيح عليهما السلام يقولون اذن ثبت بطلان نبوة النبي محمد لأنه مدح القديسين فهو على باطل !

هل رأيتم اعجب من هذا المنطق؟

ثم لماذا هذه الهجمة الشرسة من قبل الكنيسة؟

هل الاسلام تحرش بالكنيسة؟

هل غير المسلمون تقديسهم لعيسى ومريم ؟

هل حدثت حرب بين المسيحيين والمسلمين؟

على كل ليس هذا موضوعنا وانما اردنا ان نشير اشارة عابرة الى الاعتداءات القذرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي لا يوجد ما يبررها وانما هي دفع للحرب المستقبلية والقتال على اساس ديني لاعادة الحروب الصليبية.

نأتي الى مناقشة حججهم الغريبة جدا :

١–لفظ الجلالة اصله ما قبل سومر وبابل، وقد ثبت في الدراسات الاثرية والنقوش القديمة أن اسم الله كان في سومر (آن) ثم تحول الى (إيل) ثم تحول الى (إيلاه) انتقل الى اليهود (إلياهو) والى العرب (أللّه) وهو بمعنى الخالق المعبود، وكل دعاواهم انه بمعنى اله القمر كذب في كذب، واله القمر له اسماء معروفة ليس منها كلمة الله مطلقا، واما (إلوهيم) هي ليست بمعنى لفظ الجلالة وانما هي نداء لله بمعنى يا (الهي) وهي تقابل (اللهم) في القرآن فهي مذكورة في القرآن وليست كما يذيع الكذابون. فكل استدلالهم تلفيق في

تلفيق. وكلمة الله بمعنى المعبود والخالق معروفة عند كل العرب موحدهم ومشركهم ولا يدل استعمال المشرك لهذه اللفظة انها جزء من الوثنية، كما ان كلمة الوهيم موجودة في فلسطين في زمن المسيح عند الموحدين والمشركين.

٢–قصة الغرانيق قصة كاذبة مدسوسة على الاسلام ومن اثبتها فهو إما جاهل بمقاصد الامويين الكارهين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو انه منهم، وهذه الرواية اموية بامتياز، وهي احدى الاعتداءات على رسول الله. ومن يعتمد على اكاذيب بني أمية فهو أقل شأنا منهم.

٣–أما اسم مكة وشبهه بـ (المقة) فهو من المضحكات فان اسم مكة في الجزيرة قبل مملكة سبأ، ثم إن مكة انشئت على يد إبراهيم الخليل عليه السلام، وتكذيب رواد الكنيسة لكونها من صنع ابراهيم هو تكذيب من لا يعلم لا تكذيب من يملك دليلا. وادعائهم بان ابراهيم عليه السلام لم ينزل الى الحجاز كذب محض، بل لعل فلسطين هي في الحجاز (بالستين) فهم لم

يستطيعوا الرد على كتاب كمال صليبي (التواراة جاءت من جزيرة العرب) حيث يدل على ان ابراهيم نزل الى الجزيرة واستمر الى ما بعد الطائف والى عسير في منطقة خميس مشيط. وقد ذكر ان نبوخذ نصر حين هجم على اليهود ذكر في وثائقه انه نزل جنوبا ولم يذكر انه ذهب غربا؟! وكلمة مكة اصلها بكة بتغيير الباء إلى ميم، وقد ورد هذا الاسم في القرآن: {إِنّ أَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذِي بِبَكّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعالمينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنْ العالمينَ} (آل عمران/٩٧). ومعنى بكة هو: الهلكة أو الارض المهلكة لانعدام مائها وزرعها، وهذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بعبادة إله القمر الوثنية، وفي اللغات السامية (مكة) قيل هي مشتقة من (الملك) وهو البيت، وقيل هي مشتقة من (ماكرب) أي المقرب الى الله كما ورد في جغرافية بطليموس وعند بروكلمان، وعلى كل حال فان الغات العربية

والعبرية والسامية بشكل عام فيها مكة وبكة بمعنى الهلكة، وهو مناسب جدا لوضع مدينة مكة حيث كانت ارض خالية من الزرع والماء، وهي تعني الهلاك للبشر : {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (إبراهيم/٣٧). والوهابية يقولون ان مكة ومقة بمعنى واحد وهذا تسهيل لاعداء رسول الله. ولكن حتى لو ثبت المعنى فيصبح معبد المقة لا علاقة له باله القمر كما يدعون وانما هو بمعنى الهلاك، وهذا ما يجب أن يفسر، حيث لا معنى لمعبد باسم الهلاك أو المهلك. فيكون كل ابحاثهم بهذا الشأن تلفيق في تلفيق.

٤–وأما قولهم بأن الكعبة هي معبد اله القمر وبناته فهذا من اسخف الحجج، فان الادعاء هو عكس ذلك حيث ان مكة هي الاصل في عبادة الله، وانما اتخذها الوثنيون مقرا لاصنامهم بعد سيطرتهم العسكرية وجهل الناس

وميلهم الى الشرك والوثنية، وقد استخدموا تقديس الناس لهذا المكان المقدس، فالمدعى عكس ما يقولون، ثم ما شأن احتلال المشركين للكعبة بان تتحول الى مكان يجب نبذه كما يقولون، فان القدس وقعت تحت يد اليهود ويد المسلمين فعلى المسيحين ان لا يعتبروها مقدسة بل هي مكان الاثم والرذيلة والشيطان والشرك، أيقبل المسيحي العاقل بهذا؟ مع ان فعل الرسول هو تكسير الاصنام وازالتها والدعوة الى نبذها وعبادة الله الواحد دون شرك، فهل يعتبر هذا دليل على عبادة اله القمر؟

٥–وأما كثرة ذكر ابليس وحزبه والجن وغير ذلك مما لا يرى للبشر من مخلوقات، فهل سمعتم بان ذكر الشيطان بالذم يعني الاعتناء به ومحبته وعبادته؟ هذا امر لا يحتاج الا الى ضحك على العقول التي تصدق هذا الكلام الخرافي. ثم ماذا سيقول هذا المسيحي بتعلق النصرانية بالارواح والجن والشياطين ورسم صورها والاتصال بها وبراعة رجال الكنيسة بالسحر والصلة

بالشيطان؟ فهل هذا عداوة مع الشيطان بينما تعوّذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان يعني الارتباط به ؟ فأين المنطق في هذه الاقوال، انها اقوال خرافية لا تمت الى الواقع وإلى المنطق السليم بصلة.

فهذه خلاصة ما يقال في خلاصة اقوالهم والعاقل لا يفوته الكثير من التفاصيل في مناقشتهم.

القرآن يتحدى الأديان: اختبار عدم الزيف

اختبار عدم الزيف

Test of Falsification

بحث في طرق إثبات نسبة القرآن إلى الله

هناك أكثر من طريقة اتبعها الباحثون ليتأكدوا من صدق نسبة القرآن إلى الله، ومن الطرق المعترف بها علميا هو (اختبار عدم الزيف):

حينما يأتي الفلكي بنظرية عليه ان يبرهن انها نظرية مقبولة، وغير قابلة للدحض، وحين يأتي الطبيب بنظرية عليه أن يبرهن انها غير زائفة، وكذا علماء الفيزياء والكيمياء وبقية العلوم، وكذا الأديان ودعاواها، فعليها إثبات ذلك خصوصا حينما تنسب نفسها إلى الله، عالم كل ما في الكون، فيجب

إثبات انها صادرة من خالق الأشياء وليس فيها تخالفا حقيقيا مع هذه الحالة:

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يطالب بالكشف عنه في اختبار عدم الزيف، وهو مليء بالايات الكونية والعلمية بشكل ملفت للنظر وينادي بتفحص الكتاب لمعرفة حقيقة المعلومات فيه واذا كان مقدورا فليأتوا بمثله:

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} (النساء/٨٢).

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} (الطور/٣٤).

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (يونس/٣٩).

هذه دعوة صارخة لأن يعثروا على أخطاء في القرآن واختلافات مع الواقع أو مع نفسه فيما بين آياته أو ان يأتون بمثله إذا كان مقدورا، ولكن مضى ١٤ قرنا ولم يفلح الإنسان بالعثور على هكذا أخطاء واختلافات، فالتحدي الكبير باختبار معلومات القرآن يعتبر اكبر معضلة لأعداء الإسلام، وكل محاولاتهم باءت بالفشل حتى ان الكنيسة والعلماء في الغرب يعترفون ان الكثير من القسسة حاولوا ان يبطلوا القرآن ولكنهم (اسلموا) نتيجة هذه المحاولة نفسها، لأن القرآن فرض نفسه عليهم، ككتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه.

فأين البديل المنطقي لنسبة القرآن إلى الله؟

القران يصرح بانه كتاب من رب العالمين، ويصرح في فقراته انه اذا لم يكن من الله فممن هو؟ إذن على مدعي ذلك ان يثبت هذا.

ان إثبات صدور هذه العلوم والحقائق التي في القرآن من إنسان عالم في ذلك الوقت، لهو اقرب إلى المستحيل إذا لم يكن مستحيلا فعلا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، حيث فقدان وسائل المعرفة، كما هو حال وسائل المعرفة الحديثة، فأين للعالم ان يأتي بذلك؟ ولكن أن تصدر هذه العلوم من إنسان يعيش في بيئة غير علمية مطلقا، ولم يتعلم أبدا عند معلم معروف، فهذا يمثل الاستحالة بعينها. فأنت تفترض العدم وجودا عند ذاك. فلهذا لا يوجد عاقل الا وهو يذعن بصلة النبي بالله، وبكون القرآن كتاب الله. فلا يوجد بديل منطقي للتصريح الإلهي بأنه تنزيل من رب العالمين.

ومحاولات أهل الجاهلية في نسبة القرآن لغير الله، كشفت جهلهم لأنهم اتهموا النبي بأمرين متناقضين في ان واحد، فقد اتهموه بان به جنة، {وَإِنْ

يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالمينَ } (القلم/٥٢). بينما واقع القرآن يكشف انه صدر من منبع العقل والعلم.

واتهموه بانه ساحر ذكي يسحر الناس {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} (يونس/٢).

وفي نفس الاتجاه اتهموه انه رسول الشيطان، {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} (الشعراء/٢١١).

وهذا نقيض التهمة الأولى القائلة انه صادر عن مجنون، فالتخبط في الاتهامات نفسه يكشف عدم معرفة ما يريدون الوصول إليه ولا يملكون برهانا على ما يقولون فيتخبطون في الأقوال والتهم.

ثم انه مهما كان ذكيا فانه لا يستطيع أن يخترع في ذلك الوقت ميكروسكوبا متطورا وتكنولوجيا تستطيع الكشف عن مراحل خلق الجنين، ولا يستطيع تصنيع تلسكوبا يرى فيه الفضاء. بينما نرى تعرض القرآن لأمور لم نصل إلى بعض معانيها الا في الوقت القريب جدًا حيث تطورت وسائل تحصيل المعرفة من الكشف بالأشعة والتلسكوب والميكروسكوب وأدوات الكشف بالرنين الصوتي أو المغناطيسي وما شابه ذلك من الكواشف الفيزيائية والكيميائية والرياضيات وعلم المنطق المتطور في البرمجيات..

ثم اننا نقول للمعاند القائل إن القرآن صدر ممن به جنة: إذن أنت تدعي ان في القرآن معلومات جنونية؟ فآتنا بها؟ فسيبهت قطعا والا فهو عديم الكرامة حيث يهدرها بمثل هذا الادعاء الأجوف المخجل الذي لا يستطيع حتى التمثيل له. ولو ادعى المعاند ان النبي حصل على المعلومات من غيره ونسبها لنفسه كذبا فهو مطالب ان يثبت هذا الغير، من هو؟ واين هو؟ وان يثبت

قدرة احد من الناس ان يأتي بأمور لا تعرفها البشرية ولم تكتشفها الا قبل ثلاثين عامًا فقط، ثم كيف يكون كاذبا وهو يطالب بكشف كذبه؟ فهل هناك من فعل ذلك من الكذابين؟ بينما نرى ان إيمان الرسول ويقينه لا يدانيه أي إيمان وهذا ليس سلوك الكاذبين قطعا.

ان مثل هذه الفروض تعبّر عن مقدار الحرج والمحاصرة الأكيدة لمن يكذب على الإسلام فيكشف بنفس دعواه كذبه، بدون أمر زائد.

يلاحظ المراقبون ملاحظة ذكية جدا، وهي ان القرآن بشّر بدخول أبي لهب النار بشكل قاطع ووعد واضح وهو غير معلق على الكفر انما سيدخل هذا الرجل نار جهنم، فلماذا لم يستطع المشركون وأبو لهب نفسه ان يكذّب الرسول والقرآن فيؤمن به فينتفي كونه من اهل النار فيبطل القرآن، ان هذه الحادثة محيرة جدا.

ورد في تقرير الكنيسة في (الموسوعة الكاثوليكية الجديدة) أمر مهم يشير فيه إلى ان كل الفروض حول عدم صدقية نسبة القرآن إلى الله مرفوضة: قال التقرير: (طرحت عدة نظريات عبر القرون عن مصدر القرآن... واليوم لا يقبل عاقل ايا من هذه النظريات!) فهل هناك تصريح اكبر من هذا من قبل جهةٍ سعت اكثر من ١٤٠٠ سنة لتكذيب القرآن والنبي محمد ص ثم تصف ان كل محاولاتها لا يقبلها أي عاقل!

هذا هو نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ان من كبار رجال الكنيسة المتأخرين قس باحث اسمه هانز درس القرآن بعملية فحص دقيقة وانتهى إلى قوله الشهير في تقريره: (لقد تكلم الله للانسان من خلال محمد)، فهو يعترف ان هذا كلام الله وليس كلام محمد، وهذه شهادة تصدر من مناوئ درس القرآن لنقضه.

احد المفكريين الغربيين وهو القس الدكتور جاري ميللر رتب الفكرة على الطريقة التالية: اذا كان القرآن ليس وحيا فهو خداع إذن، فما هو أصله؟ وأين هو الخداع؟ وعلى المدعي البينة، ويقول هذا المفكر انه لا أحد استطاع ان يجيب على هذين السؤالين. والجواب الصحيح هو صحة صدور القرآن عن الله.

ثم ذكر هذا العالم جملة امور مدهشة من مئات الحقائق التي اغفلها عمدا مكتفيا بهذه:

ذكر القرآن ان الكون كان رتقا ففتقه الله، وحين اكتشف عالمان غربيان نظرية الانفجار الكبير منحا جائزة نوبل والنص القرآني يشهد انه سبقهما.

ذكر القرآن ان انثى النحل هي التي تجمع العسل بينما لم يكتشف هذا الا من مدة قصيرة وكان الاعتقاد ان ذكر النحل هو من ينتج الرحيق.

ذكر قصة ابي لهب وخلال عشر سنوات لم يستطع ابي لهب ان يسلم فيكذب القرآن وهذا لا يقوم به الا علام الغيوب والقادر على تحريك المخلوقات ومعرفة مصيرها.

ذكر ان الشمس تسبح في الفضاء مما لم يكتشف الا مؤخرا حيث انه بعد اكتشاف ان الارض تدور حول الشمس كان الاعتقاد بان الشمس ثابتة. {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (يس/٤٠).

ذكر القرآن ان اصل الكائنات الحية هو الماء وهو المكون الرئيسي وهذا لم يكن متوفرا حتى اكتشفت المكرسكوبات ليكتشف البروتوبلازما

كما ذكر ان القصص القرآنية لم يستطع اهل الكتاب دحضها رغم الاختلاف بين قصتهم وقصة القرآن لأن قصصهم لا يستطيعون اثباتها عمليا. وأضف ان قصة الطوفان المكتشفة بالنصوص الاثرية اقرب للقصة القرآنية.

ذكر القران مدينة ارم هي غير مذكورة في كل المدونات البشرية ولكن كم دهش الباحثون حين وجدوا في كتبتة مدينة مدفونة في سوريا اسمها (البا) اسماء المدن التي تعاملت معها فكان اسم مدينة (ارم) واردا فيها، وأنا أضيف كم كانت الدهشة عظيمة حينما اكتشفت الأقمار الصناعة مدينة مدفونة بالرمال المتحركة في غرب سلطنة عمان في ظفار قرب الربع الخالي وتبين أنها مدينة ارم التاريخية التي لا يوجد لها أي ذكر في المدونات البشرية ما عدا القرآن الكريم.

ان تكرار عمليات الصواب وعدم حصول الخطأ في القرآن يعني حسابيا ان نسبة وقوع القرآن عن غير علام الغيوب هو صفر حسب حساب الاحتمالات، فيكون مقابله يقينيا ١٠٠&#٣٧؛.

وهناك ظاهرة ينبغي ان يشار اليها وهي ظاهرة نفي علم النبي والبشر جميعا بالأشياء الموجودة في القرآن، فهي جديدة لا تعرفها البشرية وهذا تحد لم يستطع أي متصد للقرآن ان يبطله:

{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا، فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}(هود/٤٩).

وهنا نشير إلى بعض الظواهر العلمية والعقلية التي ذكرها القرآن الكريم:

لم يتكلم القرآن عن الادوية لحكمة نجهلها، الا في الاشارة إلى ان العسل شفاء وهذا لا يختلف عليه اثنان، أو ان القرآن شفاء للصدور أي الطب

النفسي وهذا جزء من الاعجاز حيث ثبت مؤخرا ان الايمان والامل هما افضل الادوية للنفوس المريضة، بخلاف جميع الكتب السماوية التي تورطت في النصوص الدوائية التي لا يمكن إثباتها.

اما في الطب فقد تعرض القرآن لخلق الجنين.

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (الحج/٥).

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الموْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحج/٦).

{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (الحج/٧).

الانفجار الكبير واستمرار الاتساع الكوني وان الماء أصل الحياة

{أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء/٣٠).

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (الذاريات/٤٧).

وصف حالة البحر النادرة في أعالي البحار:

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (النور/٤٠).

وهنا يذكر القس جاري ميللر ان احد رواد البحار الكنديين تسائل عن كانت هذه الآية حين ترجمت له فقد اعتبره بحارا يسكن عمق البحار وقد وصف حالة نادرة في البحر تصادف البحار نادرا.

الذرة التي هي اصغر شيء عند القدماء ولكن القرآن يصرح بوجود ما هو اصغر منها:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالم الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (سبأ/٣).

من المناسب ان ننقل ما قيل عن الانفجار الكبير الذي يصرح به القرآن الكريم كما ذكرنا بنص الايات الكريمة، مع العلم بان النظرية في طور التكوين وهم يبحثون عن ادلة اخرى تمكنهم من اعتماد هذه النظرية التي صرح بها كتاب الله قبل ١٤ قرنا:

نظرية الأنفجار الكبير

عن مجلة إنيكترا الأمريكية

الكاتب / البروفيسور جاي باسكوف – مدير مرصد هوبكنز في كلية وليامز

ترجمة / الاتحاد

نظرية الانفجار الكبير Big Bang تعتبر حاليا التفسير المقبول من قبل أغلب العلماء حول نشوء الكون وتقول بأن الكون بأجمعه كان يتكون من كتلة كثيفة ساخنة وحدث الأنفجار الكبير قبل ١٣,٧ مليار سنة ومنذ تلك اللحظة بدأ الكون بالأمتداد ودرجة حرارته بالأنخفاض، وتعتمد النظرية على معادلات رياضية يطلق عليها بمعادلات المجال ضمن نظرية النسبية العامة التي جاء بها أنشتاين عام ١٩١٥.

في عام ١٩٢٢ قدم عالم الفيزياء الروسي الكسندر فريدمان سلسلة من الحلول لتفسير معادلات المجال وأصبحت هذه الحلول أطار عمل للجزء الأكبر من نظرية الانفجار الكبير الحالية، العالم الفلكي الأمريكي أدوين هوبل قدم بعضا من أهم الأدلة على النظرية من خلال اكتشافه عام ١٩٢٩ بأن الضوء البعيد للمجرات يتحول على مستوى الكون نحو الأحمر في نهاية الطيف، نظرية الضوء المتعب تقول بأن الضوء يفقد ببطء وبصورة طبيعية طاقته ليتحول بمرور الزمن إلى اللون الأحمر وهذا التحول إلى الأحمر يثبت بأن المجرات تتحرك في حالة من التوسع بعيدا الواحدة عن الأخرى وقد أكتشف العالم الفلكي هوبل بأن المجرات في الأبعاد السحيقة تتحرك بسرعة أكبر أي أن الكون يتوسع بصورة متناسبة، في عام ١٩٤٠ توصل العالم الفيزيائي الأمريكي من أصل روسي إلى وضع نظرية تتلائم مع حلول فريدمان التي تقول بأن الكون أنتقل إلى حالة توسع مع أنخفاض درجة حرارته وفي

عام١٩٥٠ أطلق العالم الفلكي البريطاني فريد هويل على نظرية جاموف أسم الأنفجار الكبير الذي أصبح شائعا وعندما اقامت مجلة سكاي أند تيلسكوب sky and telescope عام ١٩٩٠مسابقة للعثور على تسمية أفضل لم تنجح في مسعاها، اطار العمل الشامل لنظرية الأنفجار الكبير جاء كحل لمعادلات المجال لانشتاين في النسبية العامة التي بقيت ثابتة دون تغيير ولكن مختلف تفاصيلها أجريت عليها التعديلات، كان أنشتاين نفسه يؤمن بأن الكون هو في حالة مستقرة وعندما تعارضت معادلاته مع توسع الكون أضطر إلى أضافة فقرة ثابتة لإلغاء التوسع ولكن بعد اكتشاف الأدلة العلمية على توسع الكون أقر بأن تقديم صورة عن كون ثابت كان خطأ، بعد عام ١٩١٧ نجح عدة علماء ومن ضمنهم جيورجس ليمايتري من بلجيكا، وليم دي سايتر من هولندا، الكسندر فريدمان من روسيا في العثور على حلول لمعادلات المجال الخاصة بأنشتاين، وقدم هؤلاء العلماء نماذج مختلفة عن الكون، نموذج دي

سايتر لا يحوي أية مادة مستندا على الكثافة القليلة (تخلخل المادة)، ليمايتري أعتمد في رسم صورة الكون على ذرة بدائية primeval atom أما الكون لدى فريدمان فأنه توسع من مادة ذات كثافة عالية وهذه النماذج تفسر سلوك الكون بعد نشوئه ولكنها لم تقدم تفسيرا مرضيا عن بداية الكون، في عام ١٩٤٠ شارك تلامذة جاموف رالف ألفير و روبرت هيرمان أستاذهم في بناء نظرية تربط بين تفاصيل حلول فريدمان مع نظرية أنشتاين وتقول النظرية الجديدة بأن الكون بدأ يتوسع من حالة بدائية للمادة تتكون من بروتونات ونيترونات وإلكترونات كانت تعوم في بحر من الأشعاعات وكان الكون ساحنا جدًا في لحظة الأنفجار الكبير ولأن العناصر كانت أثقل من أن تؤدي إلى نشوء الهايدروجين الذي لا يظهر سوى في درجات حرارة عالية ويتوقع الفريق بأن الأشعاعات الناجمة عن الأنفجار الكبير لا تزال باقية وهذه الأشعاعات التي كانت تشكل خلفية الكون وتناظر درجة الحرارة التي

تنبأ بها فريق تم أكتشافها عام ١٩٦٠ وأضاف هذا الاكتشاف دليلا جديدا لدعم نظرية الانفجار الكبير التي تحاول شرح مالذي حدث في لحظة الأنفجار الكبير أو بعهدها بفترة قصيرة جدًا واليوم يتمكن العلماء بناء نموذج للكون يعود إلى ١٠ أس سالب ٤٣ ثانية بعد الأنفجار وللفترة قبل هذا الزمن، لا تتلائم معها القوانين الكلاسيكية للجاذبية والعلماء يبذلون جهودهم للتوصل إلى نظرية توحد بين الجاذبية كما تم تفسيرها في النسبية العامة مع نظرية الكم ولكنهم أخفقوا في ذلك حتى الأن، ولأن العلماء لا يستطيعون العودة إلى الوراء أبعد من تلك الفترة المبكرة فأن الأنفجار الكبير يظل لغزا بالنسبة إليهم، فليست هناك طريقة للكشف عن أصل الكون كما أن نظرية الأنفجار الكبير لا تشرح ماذا كان يوجد قبل الأنفجار وربما الزمن نفسه بدأ مع الأنفجار لذا يبدو أن مناقشة ماذا حدث قبل ألانفجار الكبيرلا معنى لها، وفق نظرية الانفجار الكبير بدأ الكون يتسع بسرعة منذ اللحظة

الأولى من الأنفجار وكانت هناك قوة وحيدة، ومع امتداد الكون وأنخفاض درجة حرارته أنقسمت هذه القوة إلى القوى التي نعرفها اليوم، الجاذبية، الإلكترومغناطيسية والقوة النووية القوية والقوة النووية الضعيفة وقد توصل العلماء إلى نظرية تدعى الكترو ويك electroweak تقدم تفسيرا موحدا للقوة الألكترو مغناطيسية والقوة النووية الضعيفة ولكنهم لا يكتفون بهذه النظرية ويحاولون بناء نظرية تشمل القوة النووية القوية فيما يسمى بنظرية المجال الموحد Unified Field Theory أما نظرية السلسلة فتحاول توحيد الجاذبية مع بقية القوى الثلاثة ليتمكنوا من تفسير كل شيء، النسخة المقبولة من نظرية الانفجار الكبير على نطاق واسع تتضمن فكرة الأنتفاخinflation وفي هذا النموذج كان الكون يتوسع بسرعة أكبر في البداية تبلغ تقريبا ١٠ أس موجب٥٠ من حجمه الأصلي في الثانية ١٠ أس سالب٣٢ ثم بدأ يتباطأ وقدم هذه النظرية عام ١٩٨٠ الكوسمولوجي الأمريكي الان غوث بالتعاون مع عالم

الفلك الأمريكي بول ستاينهاردت والعالم الأمريكي من أصل روسي أندريه لاندي وعالم الفلك البريطاني أندرياس ألبريخت، نظرية انتفاخ الكون حلت العديد من المشاكل في علم الكونcosmology فعلى سبيل المثال فأنها تظهر لنا بأن الكون الأن يبدو على نفس الشكل المسطح الذي وصفته قوانين هندسة أقليدس، فنحن نرى منطقة صغيرة من الكون الأصلي وهي رؤية شبيه بعدم رؤيتنا لأستدارة الأرض لأننا لا نرى سوى جزءا صغيرا منها، كما أن الكون المنتفخ يفسر لماذا يبدو الكون لنا بهذا الشكل المتجانس لأن الكون الذي نشاهده أنتفخ من حجم أصغر لذا فأنه لا يفاجئنا إذا بدا لنا في شكل كتلة موحدة، وعندما أنتهت مرحلة الانتفاخ الأولي أستمر الكون في الاتساع ولك بشكل أبطأ من السابق وهي تشرح لنا بأن الكون هو على حدود بين الأنفتاح والأنغلاق فإذا كان الكون في حالة انفتاح فأنه سيستمر في التوسع إلى الأبد أما إذا كان في حالة إنغلاق فأنه سيتقلص حتى ينتهي تماما والأنفتاح والأنغلاق

يعتمدان على درجة كثافة المادة فإذا كان ذا كثافة كافية فأنه يكون في حالة الانغلاق، وكما ذكرنا فأن الكون يتوسع مع انخفاض درجة حرارته، بعد ثانية واحدة تشكل البروتون وفي الدقائق التالية ويشار إليها عادة بالدقائق الثلاثة الاولى من حياة الكون بدأت مركبات من البروتون والنيترون تشكل نظائرالهيدروجين المعروفة بأسم ديتيريوم إلى جانب بعض العناصر الخفيفة وأهمها الهيليوم والليثيوم، بيرليوم والبورون، دراسة توزيع الديتيريوم وبعض العناصر الخفيفة الأخرى تعتبر الأن من المجالات الرئيسية في الأبحاث، تواجد الهليوم بكثرة حول الكون يدعم نظرية الأنفجار الكبير وكثرة الديتيريوم تستخدم لتقدير مدى كثافة المادة في الكون، ويقول العلماء بأنه وفي خلال ٣٨٠٠٠٠ إلى مليون سنة بعد الأنفجار الكبير هبطت درجة حرارة الكون ب ٣٠٠٠ سنتيغراد وتراكب البروتون مع الإلكترون أنتج ذرات الهيدروجين التي تمتص وتصدر ألوان محددة أو أطوال معينة من موجات

الضوء، تشكل الذرات سمح لأطوال أخرى من موجات الضوء (وهي تلك الأطوال التي كانت تتداخل مع الألكترونات الحرة قبل انخفاض درجة حرارة الكون) ان ترتاد مسافات أبعد وهذا التغيير حرر الإشعاعات التي نكتشفها في هذه الأيام، وبعد مليارات من سنوات انخفاض درجة حرارة الكون ظهرت الأشعة الكونية التي تم الكشف عنها عام ١٩٦٥ من قبل العالمان الأمريكيان أرنو بينزياس و روبرت ويلسن، وتشير الادلة بأن المادة التي كشف عنها العلماء في الكون ليس سوى جزء صغير من المادة الموجودة في الكون، فعلى سبيل المثال أن رصد السرعة التي تتحرك بها المجرات المفردة ضمن مجموعات المجرات يظهر بان لا بد أن هناك كمية هائلة من المادة غير مرئية تمارس الجاذبية على تلك المجرات وتمنعها من التشتت، ويعتقد علماء الكون بأن الجزء الأكبر من الكون يحوي المادة السوداء dark matter التي لها قوة الجاذبية ولكنها لا تصدر الاشعاعات التي يمكن أن

نراها أو الكشف عنها وأحد أنواع المادة السوداء يطلق عليها من قبل العلماء أسم المادة السوداء الباردة والتي تتحرك ببطء وتتكون من كتلة هائلة من الجزيئات الباردة ولم يتم حتى الأن الكشف عنها، أما النظرية الأخرى في تفسير المادة السوداء فتعتمد على المادة السوداء الساخنة والتي توحي بأن جزيئاتها تتحركة بسرعة بالغة والنيترونات وهي الجزيئات الرئيسية التي تتحرك بسرعة تكاد تبلغ سرعة الضوء هي الأمثلة الرئيسية على المادة السوداء الساخنة ويعتقد العلماء من أن كتلة النيترونو صغيرة جدًا إلى درجة أن النيترون لا يشكل سوى جزءا صغيرا من المادة السوداء، وإذا كانت نسخة الانتفاخ من نظرية الأنفجار الكبير صحيحة إذن فأن كمية المادة السوداء أو أي شيء أخر يمكن أن يوجد، توجد بالكمية الكافية ليضع الكون على الحدود ما بين الانفتاح والانغلاق، علماء الفلك مستمرون في أجراء ارصادات جديدة تفسر هي الأخرى في أطار نظرية الأنفجار الكبير وحتى الأن لم تواجه

مشاكل كبيرة ولكن العلماء يصرون على تكييف النظرية مع نتائج الرصد للوصول إلي نموذج مثالي لهذه النظرية.

والبقية على الإخوة الباحثين المحبين للقرآن ولله سبحانه الذي أرسل هذا الكتاب الكريم.

الدكتور عبد الصبور شاهين

وقصة ولادة آدم عليه السلام من أب بشري

الموضوع الذي فكرت فيه يتعلق بما رأيته قبل أيام على شاشة MBC في برنامج يديره محمود سعد وكان الحوار مع الدكتور عبد الصبور شاهين في نظريته التي تقول بأن القرآن لا يمانع أن يكون لأبي البشر آدم، أب وأم، بل يرى الدكتور عبد الصبور شاهين أنه بعد بحث ثلاثين سنة تبين له فعلا أن لآدم أب فعلي.

وقد لاحظت شيخا يرد عليه بعصبية ويتهمه بإنكار ضروريات الدين بتعصب شديد.

وأنا هنا سأعرض فكرة الدكتور عبد الصبور شاهين وأضع اليد على بعض الثغرات الأولية على هذه النظرية آملا من الأخوة أن يدربوا أنفسهم على نقد

النظريات ومعرفة طرقِ حوارٍ سليمٍ ومنهجي يستكشف الثغرات ويبيّن مواطن الخطأ والخلل.

فلا نفوت مثل هذه الفرص في الحوار مع أفكار جديدة قابلة للحوار.

عرض نظرية الدكتور عبد الصبور شاهين:

النظرية اعرضها من مشاهدة البرنامج وليس من كتاب الدكتور فهو لم يتيسر لي.

يقول الدكتور شاهين:

إن الله خلق بشرا من قديم الزمان وقد يصل زمن ظهوره إلى ملايين السنين.

وهذا البشر تحوّل إلى إنسان.

الإنسان (وهو آدم) يفترق عن أبيه (البشر) بميزة اللغة.

وهي التي تعبر عن الأفكار بالصوت، فأدم مخلوق يمتلك ظاهرة التفكير الملقى خارجا، بحسب المعطيات اللغوية، أي ظاهر التفكير بموجب التعبير اللغوي.

وهو هنا يعتمد على النص القرآني ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨)﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾

فإن اصل خلقة الإنسان هو البشر الذي خلقه الله من طين، ولم يقل أنه آدم، وأما آدم فهو قد امتاز بمعرفة الأسماء وبهذا صار إنسانًا.

ويرى الدكتور بان هذا يفسر ما ورد في آيات الحوار بين الله والملائكة، بأن الملائكة تعترض على تكريم هذا البشر بجعله خليفة لأنه يسفك الدماء، وهذا كلام شهودي منهم، وهو يدل على وجود البشر قبل هذا الحوار.

وكان جواب الله بأن ميزة هذا المخلوق هو(معرفة الأسماء) أي اللغة التي ظهرت عليه.

وهذا كلام تقريري من الملائكة لواقع البشر الوحشي والدموي قبل خلق آدم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٣٠} وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الملاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ

بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ ألم أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

والنتيجة عند الدكتور عبد الصبور شاهين إن آدم من أب ونسل بشري تميز بخاصية اللغة وبالتالي بإنشاء الحضارة العاقلة.

فهذا موجز ما سمعته من الدكتور عبد الصبور.

بيان بعض الثغرات:

مقدمة:

يجب احترام نظرة الدكتور شاهين وهو يحاول أن يجتهد بالجمع بين عدة علوم منها العلوم الإسلامية وعلى رأسها القران وعلم اللغة وعلم الآثار الإنسانية.

وما وصل إليه من نتيجة يعترف هو بأنها مشوشة لأنه لا يستطيع أن يجد دليلا على بداية خلق البشر ولم اسمع منه تفسيرا للمشاهد خلق آدم ونوعية ما جرى حسب النصوص القرآنية، ولكنه قال بأنه تأكد بأن القرآن لم يكن فيه هذه المعلومات التي رسخت في أذهان المسلمين و إنما تم ذلك بفعل دس الإسرائيليين لما في كتبهم.

وأن النصوص القرآنية قابلة لهذا التفسير..

وقال بأن الأزهر الشريف اعترف بأن هذا من الاجتهاد الجائز في استباط المعاني من النصوص الدينية بطريقة تحترم النص الديني وتستكشف منه حقائق غائبة.

وهو بعمله هذا في الحقيقة يحاول أن يوجد مفهوما جديدا للاجتهاد (بغض النظر عن قيمته العلمية) يمكن الاستفادة منها، ولكن بعد تهذيبها وتقدير الطرق المنتجة من غيرها في هذا الأسلوب من الاجتهاد.

وهو اجتهاد يتناسب مع علوم غير أساسية في الشريعة أو في الفكر الديني بشكل عام.

و لا شك بأن ما طرحه الدكتور لا يساعد على الابتهاج بمثل هذا الاجتهاد.

فقد بان لي ثغرات عديدة تجعل من هذا الاجتهاد مجرد حديث مجالس للأنس والفرفشة وليس بحثا علميا رصينا.

فالاجتهاد أهم شيء فيه هو النهاية اليقينية أما في نفس الحكم أو في طريقه.

أما الحكم الظني فلا يمكن أن يبنى عليه نظرية، نعم قد يدّعي بعض الناس أنه يمكن يكون معذرا بمجرد كونه ظنا (وهذا خلاف الواقع)، وهو في مجال امتثال التكليف بالأمر المظنون فيه، وليس في مجال تحقيق الكونيات أو الأفكار التي هي خارج محل العمل.

على إن مدرستنا كشيعة لا تجيز الركون للظن المجرد في مجال العمل، فضلا عن تحقيق المعاني (خارجا وداخلا)، وإنما الحجة هي: للظن المتيقن صحة طريقيته، أو المجعول شرعا (أي حجة (العلم) و (العلمي) بمعنى المتيقن في نفسه أو في طريق الوصول إليه). وهذا يقتصر على مورد الصحة المجعولة أو القطع الطريقي.

وهنا لا يصح إجراء أي من هذه القيم المعرفية لأننا لسنا في مجال معالجة الامتثال و إنما بتصوير واقعة تاريخية وتحقيق وقوعها وأشكالها التي وصلتنا.

ولا احب الاسترسال في هذا فهو من ابتدائيات معرفة أصول الفقه، الذي يتكفل في جزء منه تحديد نظرية المعرفة ومن ثم طرق تحليل النص.

ويمكن لمن يملك أساسيات هذه المعرفة أن يفهم ما أوردته بسهولة وأن يعالج القضية بعمق اكثر بكثير مما سأطرح لأنني سأطرح الموضوع لعامة القراء وليس لأهل الاختصاص.

ومن يريد أن يعمق الاشكالات فلا مانع ولكن حبذا لو بسط عرضها و أعطى المصطلحات حقها من التبيان.

وهنا أضع بعض الثغرات في طرح الدكتور عبد الصبور شاهين:

١- هذه فرضية ظنية وكل مقدماتها لا تعلو عن الظن المجرد، ولم يصل ما سمعته من الدكتور إلى مستوى تعاضد الظنون.

٢- قدم ثغرة في عرضه بنفسه حيث أعلن بأن اكتساب قابلية اللغة للإنسان كانت تراكمية وبطيئة وتواصلت اكثر من مليون سنة، وهذا نفي لأساس

نظريته في كون أدم هو شخص ظهرت عليه بوادر اللغة وتحوّل إلى إنسان من أبوين بشريين، فلا يوجد بشر يعيش مليون سنة لتتطور عنده اللغة!!

وعرضه هذا يعني أن لا وجود لآدم الشخصي و إنما هو يتكلم عن نوع الآدميين، وهذا خلاف نظريته التي طرحها في البرنامج، فلو كان ما يريده هو تطوّر نوع الإنسان تدريجيا فسوف يفقد استدلاله بالنص الديني لأنه صريح بكون آدم شخص طبيعي وليس نوعا متحولا!

وإذا كان مصرا على انه النوع فسوف تأتى اشكالات مهمة:

منها: المطالبة بتفسير انقراض البشر اللا إنساني وبقاء البشر الإنساني؟

منها: استحالة أن يكون المتحول واحدا، وهذا يقتضي تعدد الأصول الإنسانية بينما علماء الهندسة الوراثية لم يجدوا في قراءة خرائط ما توفر من جينات الإنسان الحالي المدروسة ما يثبت تعدد الأصول بل كل الدلائل تشير

إلى وجود مصدر واحد واصل واحد؟ بينما الجينات للعظام لم تتطابق مع جينات الانسان الحالي؟

وهناك اشكالات كثيرة لا يمكن حلها وفق ما طرحه الدكتور إذا كان يريد به النوع الإنساني وليس شخص آدم.

٣- قراءة الدكتور للنصوص القرآنية فيها خلل واضح، فمثلا كل اعتماده هو على تحول البشر إلى إنسان بما يستشفه من نص قرآني، ويستدل بالآية الكريمة (...إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ...) وبدلالة قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) فينبغي ان يكون البشر غير الخليفة!!

وهذه مجازفة في فهم النص!

فلا يوجد نص يقول بأنه خلق (الإنسان) من (البشر)، بل خلقه بشرا من طين أو من صلصال، واتخذه خليفة، ولا يوجد أكثر من هذا في النص، فما شطح به الدكتور إنما من شطحات الخيال في فهم النص.

٤- يرفض الدكتور رفضا قاطعا نظرية التطور الدارونية، ويراها مهزلة ولا تثبت بالدليل.

ولكن في الحقيقة هي اقرب ما يمكن لتفسير نظريته بها رغم اعتماده على نظريات تشومسكي في تطوّر اللغة عند الطفل.

فكان يمكن له أن يدعي عدم التعارض بين النص الديني وبين أساسيات نظرية التطور (مع الاعتراف بالثغرات في تفصيلات النظرية)، فهذا اكثر مصداقية، لأن نظريته تعتمد كليا على حالة التطور في الصناعة العقلية، وعلى التغيرات البيولوجية لقابليات الدماغ عند البشر ليتحول إلى إنسان، وهذا هو أساس ادعاء دارون (بغض النظر عن التسلسل بين المخلوقات التي

لم يستطع إثبات الرابط بين سلاسلها)، والدكتور عبد الصبور يرى إمكانية تكوّن البشر فجأة بدون أب سابق، ولكنه لا يقبل تكوّن آدم من دون أب فجأة، وقد استنكر على من سأله عن تصوير كيفية خلق البشر السابقين فقال هذا لا يجوز لعدم امكانية اثبات ذلك. (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ)

٥- لقد وجد الدكتور مشكلة وجود آثار عظامٍ لمخلوق يشبه الانسان من مليوني سنة، وهذا لا يمكن تفسيره إلا بنظريته كما يرى.

ولكن هناك من يرى حلا افضل من حل الدكتور عبد الصبور شاهين وهو حل صدر قبل أن تضع الأحافير مشاكلها أمام بعض النظريات الدينية فهو حل مسبق، ورغم عدم تأكدي من صحة نسبة هذا الحل للإمام الصادق عليه السلام، ولكن طبيعة الحل تشبه أن تكون من معدن علم نوارني يعرف حقائق لا يمكن تصورها في حينها.

فما نقل عن الامام الصادق هو تعدد الآدميين في الأرض، وأن هناك مليون آدم قبل آدمنا، مما يعني ان هذه الجماجم معروفة المصدر وفق هذا التفسير، وهي لأوادم خلقوا قبل آدمنا هذا.

والفرق بين النظريتين: أن ما يطرحه الامام الصادق لا يقع في حيرة التطور البطيئ، وانما يندرج فورا في باب الخلق المباشر، فما المانع أن يخلق الله مليون آدم قبلنا ومليون آدم بعدنا بقدرته وقوته التي خلق بها آدم نفسه، فهل خلق آدم وعجز عن خلق الأخرين؟

غير أن رواية الامام الصادق تقول بتقدم الآدميين وعدم وجود آدميين بعد آدمنا هذا، وهذا لا يتعارض مع الامكانية لخلق مليون آدم بعدنا وإنما يتوافق مع النصوص القرآنية من ان الساعة تقع بعد فناء هذا الجيل من بني آدم كما يفهم من مجمل النصوص، وهذا ما نتقل عن الامام الصادق عليه السلام (إن

قبل عالمكم ألف ألف عالم، وإن قبل آدمكم ألف ألف آدم، فعالمكم آخر العوالم، وآدمكم آخر الآدميين).

وبناءً على هذه الرواية الصادرة من العالم الكامل والإمام الصادق (بناءا على ثبوتها، وإن كان عليها مخايل الثبوت من واقع نصها) فلا نحتاج لهذا العرض المعوج لنحاول اثبات بنوة آدم لأب مزعوم بخلاف النصوص الصريحة من القرآن التي تنطق بخلقه مباشرة من طين.

هذا الحدث الذي كرره الله للإمتحان والاختبار البشري للموضوع حين خلق فصيل ناقة صالح وحين خلق المسيح عليه السلام من دون اب وحين احيا الطيور المقطعة والمشتتة الاجزاء لإبراهيم عليه السلام وحين أحيا الألوف ممن ماتوا وهم هاربون حذر الموت، فكل هذه الحوادث المتفرقة تأريخيا تذكرنا بطبيعة قدرة الله على الخلق بدون تسلسل طبيعي لا كما يميل العقل التجريبي الحسي لانكاره.

فتكون محاولة الدكتور عبد الصبور شاهين محاولة حسنة النية من أجل الخلاص من مشكلات علمية معقدة وضعها العلم الحديث أمام النص الديني، ولكنها محاولة متخلفة عما سبقه بها الامام الصادق قبل الف وثلاثمائة سنة تقريبا.

فهناك الحل افضل واقدم واكثر صمودا امام المشكلات العلمية، ففرض وجود عدة سلالات مستقلة من البشر يحل أهم مشكلة تواجه نفس العلم الحديث، وهي مشكلة الاختلاف الجيني بين الإنسان السابق وبين الانسان الحالي، مما يعني بأن الأصول ليست واحدة.

وهذه مشكلة يحاول التاريخيون التستر عليها دائما.

وحلها يأتيهم من الفرض الذي يستقى مما طرحه الامام الصادق عليه السلام

فيكون كلام الامام الصادق حل لمشكلتهم ومشكلتهم تصديق لطرح الامام الصادق عليه السلام.

وبهذا يمكن تعديل نظرية الدكتور عبد الصبور شاهين قليلا لتكون نظرية صامدة امام الطرفين المتصارعين ظاهرا وهما:

١- النص الديني.

٢- نتائج البحوث المخبرية للمكتشفات الأثرية لعظام الانسان.

وسوف لن نحتاج إلى فرض عدم قدرة البشر القدماء على اللغة حتى ندعي أنها تطورت فيهم بملايين السنين وكان آدم عليه السلام بشكل رمزي أكثر منه بشكله الحقيقي الشخصي.

والقرأن يركز القرآن في ظاهر نصوصه على التعامل مع مفردات شخصية تعيّنية خارجية لآدم وحواء.

من بدء الخلقة والنفخ فيه، وظهور اللغة عليه بكلام مع الملائكة الكرام، ودخوله الجنة، وحواره ومعصيته وخروجه منها، وسكنه على الارض ومشاهدة ذريته ونكبته بقتل ابنه على يد ابن آخر وغير تلك المشاهد التعيّنية الشخصانية التي لا تقترب ابدا من مفهوم الرمز (للنوع) وإن امكن تؤيلها تؤلا بعيدا، ولكن كما هو معلوم فان النص يؤخذ منه بالظاهر ولا يلجأ إلى التأويل الا حين يتعذر الأخذ بالظاهر أو باقرب المجازات والتأويلات. وهذا ليس منها.

إن فرض النظرية عن الامام الصادق عليه السلام لم يتعرض لموضوع اللغة ولكن لا مانع من تصور طرفي القضية في الموضوع ويمكن لكل صورة وجهة نظر لها ادلتها.

وهي لا تخرج أي من النتيجتين من اطارها العام.

الحداثوية في فهم النص الديني بين السطحية والجهل

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} (الأنفال/٣١).

وهذا البحثُ يأتي استجابةً لرغبةِ المرجعيةِ المباركة، حيثُ ندبتْ مثقفي الشيعةِ لتصحيح مسارِ الفكرِ الخاطئ ولتعليم المتورطينَ بهذه الأفكارِ مواطنَ الخللِ فيها لعلهم يهتدون والله الموفق.

قبلَ كلِ شيءٍ نحنُ نُناقشُ منْ يتّبعُ الحداثويةَ في تفسيرِ النصِ الديني، وليس لنا دخلٌ بالحداثوية في تفسيرِ النصِ الأدبي. وهذا اعتذارٌ مسبقٌ للذين قد يرونَ أنهم حداثيون أدبياً، فالحديث لا يخصُهم من قريبٍ أو بعيدٍ.

نقرأُ أولاً في كتابِ (قراءةٌ بشريةٌ للدينِ للدكتور محمد مجتهد شبستري) منْ اجلِ بيانِ خطورةِ مقولات هذا الفكرِ على المجتمعِ الإسلامي:

(قراءةٌ بشريةٌ للدينِ) للدكتور محمد مجتهد شبستري – صفحة: ٢٣٣

[ومنَ الواضحِ أننا لو تبنينا هذا الاتجاه فإنَ الكلامَ الوحياني الذي نقلهُ النبيُ للناسِ يصبحُ كلامَ ذلكَ الإنسانِ النبي الذي يتميزُ بتأييدِ الإرادةِ الإلهيةِ لهُ. وفي هذهِ الصورةِ وبما أن هذا الكلامَ هو كلامُ بشرٍ فسوف يكونُ من الممكنِ فهمُهُ من خلالِ المعاييرِ الموجودةِ لفهمِ كلامِ الإنسان.

ولكن على أيٍّ حالٍ فإنَ الأوامرَ والنواهيَ المتعاليةَ على التاريخِ (عدمُ التحديدِ بزمنٍ) لا يمكنُ تصوّرُها في هذا الكلامِ لأن فعلِ الأمرِ والنهي وكذلك جميعِ أفرادِ البشرِ ومنهم الإنسانُ النبيُ هم موجوداتٌ تاريخيةٌ ولا يمكنُ أن تكونَ أوامرُهم ونواهيهم متعاليةً على التاريخِ.

وعلى أساسِ هذا المبنى (كما ذهبَ إليه بعضُ الفلاسفةِ المسلمين) فالمشرّعُ الإسلاميُ سيكونُ هو النبيُ نفسهُ المؤيدُ منْ عندِ اللّه. وينبغي القولُ إن الأوامرَ والنواهي القرآنية النبوية في بابِ السياساتِ والمعاملاتِ تدخلُ دائرةَ الزمانِ

والمكانِ (أي إنها تاريخية) إنما المخاطبين لها مجموعةٌ خاصةٌ من الناسِ ولها أغراضٌ خاصةٌ وهي نتاجُ مجتمعٍ بشريٍ معين ولا تشملُ هذا العصرَ وليس لها خلودٌ وشموليةٌ زمانيةٌ ومكانيةٌ، وإن شموليةَ تلك الأوامرِ والنواهي تنحصرُ فقط في جهتِها الكليةِ وهي عبارةٌ عن (مراعاةِ العدالةِ).]

قراءةٌ بشريةٌ للدينِ – صفحة: ٢٣٥

[وقد قامَ النبيُ بعمليةِ الإصلاحِ الأخلاقي بما يتناسبُ مع القيمِ والمعاييرِ الأخلاقيةِ الموجودةِ في ذلك العصرِ، وعلى هذا الأساسِ فإن الإصلاحاتِ الأخلاقيةِ والحقوقيةِ لنبي الإسلام كانت في حدودِ ثقافةَ ذلك العصرِ المبتنيةِ على النظامِ الأسريِ وعلى مقولةِ سيادةِ الرجلِ، ورغم إن هذه الإصلاحات كانت تصبُ في صالحِ المرأةِ إلا أنها مع ذلك لم تعملْ على إزالةِ هذا النظامَ الأسريِ بنظامٍ آخرَ.

وهكذا الحالَ بالنسبةِ لإصلاحاتِ النبيِّ في حقلِ النظامِ السياسيِ فقدْ كانتْ تصبُ في مصلحةِ الرعيةِ ولكنها لم تهدفْ إلى تغييرِ النظامِ السياسيِ وإزالتهِ.]

قراءةٌ بشريةٌ للدينِ – صفحة: ١٥

[و بما أنَ الفرضياتِ مختلفةً باختلافِ الرؤى و المفروضاتِ المسبقةِ فان المعنى المتعينِ للنصِ سيكونُ مختلفاً من شخصٍ لاخرَ ، و كلُ واحدٍ منهم يفهمُ من النصِ معنىً خاصاً ، و في هذا الفضاءِ فإن المعنى المقبولَ من هذه المعاني المتعددةِ هو المعنى الذي يملكُ ادلةً اقوى ، إذن فماهيةُ الفهمِ و تفسيرُ النصِ تعكسُ في حقيقتِها فرضياتٍ مقترنةً مع عمليةِ الاستدلالِ و لا يمكنُ القطعُ بتوصلِ احدِ هذه الفهومِ للمعنى الواقعي]

قراءةٌ بشريةٌ للدينِ – صفحة: ١٨

[ان افتراضَ وجودِ معانٍ مجازيةٍ و باطنيةٍ و رمزيةٍ للنصوصِ المقدسةِ بدأ عندما أرادَ المفسرونَ صياغةَ النصوصِ ((الاسطوريةِ)) بصياغةٍ ((معقولةٍ)) و ((أخلاقيةٍ)) و قد بدأَ هذا العملُ قبلَ اليهوديةِ و المسيحيةِ و الإسلام ، وفي هذه الأديانِ أيضا إتبعَ المفسرون هذه المنهجية في التفسير و قرروا وجودَ معانٍ مجازيةٍ أو باطنيةٍ أو رمزيةٍ للنصوصِ هرباً من الوقوعِ في مأزقِ اللاعقلانيةِ الظاهرةِ في بعضِ الآياتِ أو الفرارِ من ضيقِ القواعدِ و الأحكامِ الجزميةِ التي تتجلى أحياناً بشكلٍ غيرِ أخلاقي و أحياناً أخرى تكونُ ثقيلةً و غيرِ مقبولةٍ من قبلِ أصحابِ التسامحِ و التساهلِ في العقائد.]

بجولة واسعة بين عشرات الكتب الحداثوية وفهمها الديني، يمكنُ تلخيصَ أهمِ دعاوى الحداثوية في فهم النص الديني بما يلي:

أولاً: تفسيرُ جوهرِ الدينِ بالتجربةِ العرفانية الشخصيةِ للنبي ٰ وهي خاضعة لفهمه الشخصي.

ثانيا: عدمُ الفرقِ بين الأديانِ، ولا يوجدُ حقٌ يقابلُ الباطلَ فكلاهُما نسبيانِ.

ثالثا: إن وجودَ اللهِ لا يقبلُ الاستدلالَ العقليَ، ولا بدَ منْ تجربَته، وهو غيرُ قابلٍ للتجربةِ، فهوَ مجردُ فكرةٍ غيرُ مبرهنةٍ.

رابعاً: القرآنُ كتابٌ صامتٌ لا دلالةَ لألفاظهِ ولا تحصيلَ لمعانيهِ.

خامساً: تفسيرُ الخاتمية عندهم: هو بلوغُ البشرِ مرتبةَ الرقيِ المستغني عن الاحتياجِ للوحي، فالخاتميةُ هي وصولُ البشرِ لعدمِ الحاجةِ للوحي، وقدْ بلغناهُ الآن بالتقدمِ الإنساني الملحوظِ.

سادسا: تعاليمُ الإسلام لا تتصفُ بالثباتِ والديمومةِ لأنَّ الأحكامَ هي اجتهادُ النبيِ بتجربَتِهِ الشخصيةِ.

سابعا: يجبُ إلغاءُ وتغييرُ الأحكامِ الضرورية الإسلامية الثابتةِ، بحجةِ إنها أحكامٌ محاصرةٌ بالزمانِ والمكانِ وقد انتفتْ هذه الظروف.

ثامنا: إن ما يشرّعه الإنسانُ الحاليُ من أحكامٍ وضعيةٍ هو صحيحٌ، وهو الدينُ المطلوبُ، ومخالفةُ القرآنِ لهذه الإحكامِ الوضعيةِ المتطورةِ يعتبرُ إدانةً للقرآنِ وهو ما ينبغي هجره.

تاسعا: القرآنُ كتابُ أساطيرٍ لا تصلحُ للتصديقِ العقليِ. فالغيبياتُ والقصصُ التاريخيةِ كلُها أساطيرُ مرفوضةٌ.

عاشرا: القرآنُ كتابٌ لا يقاربُ العدالةِ فإنه يظلمُ المرأةَ في الإرثِ، ويظلمُ الكافرَ والفاسقَ في الشهادةِ. ويكرّسُ الإرهابَ لأنه يصفُ اللهَ بالجبارِ المتكبرِ، ويساعدُ على فكرةِ قتلِ الإنسانِ بحجةِ قتالِ الكفارِ المعتدينَ. فمنْ الخطأِ، الرجوعُ إلى القرآنِ والسنةِ، وإنما يجبُ الرجوعَ للعقلِ الإنساني لرفعِ الظلمِ الذي أحدثَه القرآنُ.

هذا بعضُ ما يطرحه الفكر الحداثوي، وآخر ما توصلت إليه العبقرية الحداثوية، وهو كما يرى أي منصف، تهجمٌ صارخٌ على ديننا ومذهبنا، ومن حقنا أن نبيّن موردَ الخطأ الذي وقع فيه هذا الفكرُ بعد هذا التهجم.

رأيتُ أن أناقش قضيةً واحدةً من طروحات الفكر الحداثوي، وهي قضية (صحة القراءات المختلفة للدين)، وأؤجل دراسة الأسس الفلسفية للهرمنيوتيكا التي هي عمود الفكر الحداثوي، ومسألة التعددية الدينية، ومسائل التفسير الحداثوي لنصوص القرآن، فان هذه كلها مواضيع كبيرة، ولعل بعض أجزاء موضوع القراءة المتعددة للدين اكبر من قراءته بندوة فكرية واحدة مثل مسألة الباطن والظاهر، ومسألة الفرق بين الاجتهاد وفكرة القراءة المتعددة.

فلعلنا نتحمس جميعا ونستمر بهذه الندوات للتفاهم العلمي وظهور الحقيقة أمام الجماهير في عالمنا الإسلامي.

القراءةُ المتعددةُ للدينِ:

أولاً: ما معنى القراءاتِ المتعددةِ للدين؟

تعني أن جميعَ القراءاتِ مهما كانتْ متعارضةً فهي صحيحةٌ وكلُها صوابٌ، ولا ينبغي التمايزُ على أساسِها، وليس معناها: إثباتُ وجودِ قراءاتٍ متعددةٍ للدين فقط، فهذا لا إشكالَ عليه، بل يرادُ منها أنها كلُها صحيحةٌ ولا يوجدُ فرقٌ بينَ حقِها وباطلِها.

القراءاتُ المتعددةُ للدينِ موجودةٌ بالفعلِ في الفكر الإسلامي وهي مشكلةٌ طويلةٌ عريضةٌ، والفكرُ الشيعي له ميزاتٌ وبصماتٌ في تلك القراءاتِ، ولكنْ لا احدَ من المسلمين يقولُ بأن جميعَ القراءاتِ صحيحةٌ.

وهذه الموجةُ من الدعاوى إنما هي استيرادٌ لبضاعةٍ غربيةٍ تعالجُ مشكلةً غربيةً ومسيحيةً بالذاتِ، ولا علاقةَ لها من قريبٍ أو بعيدٍ بالفكرِ الإسلامي.

بل إن دعوى صحةَ القراءاتِ المتعددةِ هي دعوى مسيحيةٌ لتصحيحِ مسارِ الكنيسةِ حيث وقعتْ مشاكلُ كثيرةٌ، وهذا الظرفُ لا يمكنُ أن ينطبقَ على الفكرِ الإسلامي والشيعي بالذات، ولهذا فإن بعضَ المسلمين والشيعة التسلقيين الذين اتبعوا فكرةَ القراءاتِ المتعددةِ التي وردتْنا أولاً في العالم السني المحكومِ من قبلِ السلفيةِ الحشويةِ الخاطئةِ التي تشابهُ مسارَ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ ، حيثُ تفرضُ رؤاَها اللا عقلانية على النص والدين، فان هذا الانتقالَ سواءً مباشرةً من أبحاثِ الغربِ الكنسيةِ أو من خلالِ الصراعاتِ السنيةِ حولَ تفسيرِ النصوصِ إنما هو جهلٌ من الشيعي بحقيقةِ مذهبه الفكري، ولم نقرأْ لحدِ الآن أيَ مؤشرٍ من أحسنِ كتّابِ الحداثةِ ما يشيرُ إلى فهمٍ عميقٍ للفكر الشيعي. بل هي أفكارٌ مناقشةٌ ومردودةٌ بالأدلةِ العلميةِ في الفكرِ الشيعي، حتى لو غُلفتْ بألفاظِ ومصطلحاتِ العلماءِ الشيعة، وإنما هي مجردةٌ من محتواها بطريقةٍ دجليةٍ فيها الكثيرُ من التعميمِ وقلبِ المقاصدِ.

المبرارتُ العمليةُ لدى المسيحيين للقراءاتِ المتعددة:

تتلخصُ العواملُ المؤديةُ إلى ظهورِ ظاهرةِ القراءةِ المتعددةِ للدين بما يلي:

العامل الأول: تصحيح مسارِ الفكرِ المسيحي حيثُ ظهرتْ مشاكلُ حقيقيةٌ لدى المفكرين المسيحيين، أورثتْ شكوكاً وتساؤلاتٍ حولَ أصالةِ المسيحيةِ كفكرٍ دينيٍ. وهذه المشكلاتُ وجدوا لها حلاً جاهزاً هو (القراءةُ المتعددةُ للدين) لإنقاذِ المسيحية من الزوالِ وسْطَ الأفكارِ التي لا تقوى عليها، من هذه المشاكل:

المشكلةُ الأولى: الاختلافُ والتناقضُ في نصوصِ الإنجيلِ والتوراةِ. كما إن تعاليمَ الكنيسةِ تتعارضُ مع نفسِ الديانةِ المسيحيةِ مثل دعوة الكنيسةِ للقتالِ والقتلِ والاغتيالِ بخلافِ تعاليمِ المسيحِ صراحةً، فلابدَّ من القولِ بتعددِ القراءاتِ حتى يغطيَّ على ظاهرةِ الاختلافِ والتناقضُ التاريخيِ والمعنويِ.

المشكلةُ الثانيةُ: تعارضُ الكاتبينِ المقدسينِ مع منجزاتِ العلمِ ابتداءً من عصرِ النهضةِ إلى هذا اليوم. فلا بدَّ من قراءةٍ جديدةٍ رديفةٍ للقراءةِ القديمةِ مع القولِ بصحتهما حتى لا ينهارَ الدينُ المسيحيُ.

المشكلةُ الثالثةُ: تعارضُ النصوصِ المسيحيةِ الأساسيةِ سواءً في الكتابِ المقدسِ أو في النصوصِ الكنسيةِ التفسيريةِ مع العقلِ صراحةً، مثلَ القولِ بأن التثليثَ توحيدُ يعني أن الثلاثةَ تساوي واحدا، وأن تجسدَ اللهِ بصورةِ بشرٍ ممكنٌ، وقصصاً خرافيةً عجيبةً مثل مصارعةِ اللهِ معَ يعقوبَ وكسرِ رجلِ اللهِ وهربهِ من يعقوبَ. وشذوذَ الأنبياءِ جنسياً أو مثلَ كتابِ القديسةِ أوستير التي أنقذت بزناها المهولِ بني إسرائيلَ أو كتابَ الجامعة الخلاعي وغيرَه، وأمثالَ ذلك مما أحرجَ المفكرينَ المسيحيينَ.

العاملُ الثاني: موضوعُ تفردِ الكنيسةِ في السلطةِ وإحداثِ شروخٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ وفكريةٍ. فقد اضطهدتْ السلطةُ الكنسيةُ الشعوبَ، وفرضتْ عليها

قراءةً مختلةً للنصوصِ بلْ حرمتْ فهمَ نصوصِ الكتابِ المقدسِ إلا عبرَ الكنيسةَ حتى لو كانَ خلافَ الظاهرِ من النصِ، وأنشأَتْ الكنيسةُ حروباً ودماءً بين المسيحيين كانت من أغزرِ ما سُفكَ من دماءٍ في كلِ العالم وبينَ جميعِ الأديانِ، فأضحتْ الدعوةُ لصحةِ القراءاتِ المتعددةِ حاجةً ملحةً من اجلِ الحفاظِ على الكنيسةِ والتفلتِ من سوءِ ما أحدثتْ من شرخٍ في المجتمعاتِ المسيحيةِ بقراءةٍ جديدةٍ لا تطعنُ بالقراءةِ القديمةِ.

العاملُ الثالثُ: ظهورُ نظرياتٍ فلسفيةٍ غربيةٍ في المعرفةِ تنادي بنسبيةِ المعرفةِ والحقيقةِ، وأن الحقيقةَ إنما هي من صُنعِ الذهنِ البشري، فلا يوجدُ أمرُ ثابتُ معينٌ ليكونَ هو الصوابَ حتى يكونَ غيرُه الخطأَ، وكان هذا ظَرفاً مساعداً على تَقَبُلِ القراءاتِ المتعددةِ للدين، بل هذه النظرياتُ تبررُ كلَ اختلافٍ في الفكرِ وتصححُ كلَ الأفكارِ مهما كانت متضاربةً.

العاملُ الرابعُ: انتشارُ دعوى أن الرسالةَ عبارةٌ عن تجربةِ عرفانيةٍ للنبي المرسلِ فهي مشاهداتٌ روحانيةٌ بقراءتهِ الشخصيةِ، وهي قابلةٌ لان يُضافَ إليها قراءاتٌ أخرى من زاويةٍ ثانيةٍ، وكلُها قراءاتُ صحيحةٌ. وهذا إنما نشأ لأنَ الكنيسةَ ترى أن النبوة مستمرةٌ لحد الآن، وان البابا رسولٌ ملهمٌ بطريقِ المكاشفةِ والتجربةِ الشخصيةِ في قراءة الدينِ. فعليه لا داعي للاقتصارِ على رؤيةِ النبي الأساسيِ للديانةِ. وهذا حلٌ مناسبٌ بالنسبة للمسيحيين من أجلِ التخلصِ من مشكلةِ التناقضِ في الوصايا الدينية والرؤى الإيمانيةِ وتعاليمِ الكنيسةِ المتضاربةِ مع أصلِ الرسالةِ التي جاء بها النبيُ.

العامل الخامس: انتشارُ فكرةٍ في الغرب تقول: إن الإيمان هو (إحساسٌ) وليس هو المعرفةُ والتبصرُ بما أُنزلَ على النبي بطريق الوحي، وهذه الفكرةُ تعطي المبررَ لصحةِ القراءاتِ المتعددةِ وإنْ اختلفتْ مع التعاليمِ الأساسيةِ

للدينِ. وهي بنفسِ الوقتِ تبررُ استمرارَ ابتداعِ دياناتِ داخلَ الدين من دونِ شعورٍ بالخروجِ عن الدينِ الأصلي.

العامل السادس: تأثيرُ النظرياتِ الأدبيةِ واللغويةِ في تفسيرِ النصِ:

وهي تشملُ عدةَ نظرياتٍ تساعدُ على تصحيحِ القراءاتِ المتعددةِ للدينِ:

١- نظريات الهرمنيو تيكا (التأويلُ أو القراءةُ التأويليةِ): وهذه النظرياتُ تحتاجُ منا إلى ندواتٍ كثيرةٍ لشرحِ ماهيتِها وأبعادِها، ويمكنُ تلخيصُ فهرسِها بشكلٍ مبتورٍ بما يلي:

١-١- الاتجاهُ المحافظُ: وهو يقولُ إنه يمكنُ الوصولُ إلى مقصدِ المؤلفِ من خلالِ المنهجِ العمليِ الذي طرحوا بعضَ معالمه، ويمثلُ هذا الاتجاهُ: شلاير ماخر، وديلتاي، وهرش.

١-٢- الاتجاهُ المعتدلُ: وهو يقولُ بانَّ التفسيرَ هو حوارٌ جدليٌ خلاّقٌ بين النصِ والمفسرِ، وهو لا يرتضي القولَ بوجودِ حقيقةٍ موضوعيةٍ، والمقصدُ دائماً هو مزيجٌ من معرفةِ المفسرِ ومحتوى النص. ويمثلُ هذا الاتجاهَ: غادامر وريكور وإميليوبتي.

١-٣- الاتجاهُ المتطرفُ: وهو يؤمنُ بخلاّقيةِ المفسرِ للمعنى ولكنه لا يقبلُ فكرةَ الوصولِ إلى الحقيقةِ، فإنَّ الحقيقةَ ضائعةٌ ولا يمكنُ الوصولُ إليها. فالمعاني محتملةٌ ونسبيةٌ. ويمثلُ هذا الاتجاهَ: نيتشه وهايدغر وفوكو وديردا.

١-٤- الاتجاهُ النقدي: وهو يرى أنه فيما لو غرقَ المفسرُ في التأملِ فيمكنُه أنْ يتجردَ عن الخلفيةِ الثقافيةِ له، وبهذا يمكنُه أنْ يُدركَ النصَ بلا تأثيرٍ شخصيٍ ولكنْ هذه الحالةُ خلافُ عادةِ القُرّاءِ العاديين، وعليه فهي مجردُ فرضٍ علميٍ بالنسبةِ للواقعِ العملي، فإدراكُ الحقيقةِ ممكنٌ، ولكنهُ يحتاجُ إلى تأملٍ شديدٍ. ويمثلُ هذا الاتجاهَ: جون هابرماس وكارل أتو.

وهذه النظريات من ناحية تاريخية تنقسم إلى:

١-١-١- التأويليةُ الكلاسيكية: ورواد‌ُها أصحابُ الكنيسةِ البروتستانتية. وهي ترى أن مقصدَ المؤلفِ يمكنُ الوصولُ إليه بالفهمِ الموضوعيِ من خلالِ إزالةِ الغموضِ الذي يكتنفُ النصَ.

١-١-٢- التأويليةُ الرومانسية: ورائدُها شلاير ماخر. وهي مبنية على أن لكلِ نصٍ جانبين: موضوعيٌ (وهو نفسُ النصِ)، وذاتيٌ (وهو فكرُ المؤلفِ والمعنى الكامنُ في ذهنهِ)، وفي سبيلِ الوصولِ إلى فكرةِ النصِ الحقيقيةِ يجبُ المعرفةُ بخصائصِ النصِ نفسِهِ، وبظروفِ المؤلفِ وخلفيتِهِ الثقافيةِ، ولهذا فإنَّ علمَ الدلالةِ عندهُ: هو ما يشتملُ على إزالةِ الغموضِ من النصِ بطرفيهِ الموضوعيِ والذاتيِ.

١-١-٣- التأويليةُ الفلسفية: ورائدُها مارتن هايدغر. وقد بنى فكرَهُ على أساسٍ فلسفيٍ مبنيٍ على التفريقِ بينَ الوجودِ والموجودِ، وأن ادراكَ الكائنُ

الإنسانِيُ لوجودهِ يساعدُهُ على اكتشافِ ما حَولَه. وأهمُ مُدعياتِه هو استقلاليةُ النصِ عن مبدعِهِ، والفهمُ هو حوارُ بين النص والمفسر، وتأثيرُ الأحكامِ المسبقةِ على الفهمِ. فالفهمُ لم يصنعْه المفسرُ وحده، ولكن تصنعُهُ خلفيتُهُ المعرفية. وهي التي ساهَمتْ في تكوينِ المعنى. وقد أَسفّتْ هذه المدرسةُ حينما ادعتُ موتَ المؤلفِ وولادةِ المفسرِ أو النصِ، وتبقى القيمةُ المعرفيةُ – في هذا الاتجاه – احتماليةَ وليستْ مؤكدةً للوصولِ للمعنى، وليس للنصِ تفسيرٌ نهائيٌ ثابتٌ وإنما يحتملُ تفسيراتٍ متعددةً لا نهائيةً. ولهذا فإنَّ أصحابَ هذه المدرسةِ لا يَرونَ إمكانَ الوصولِ للحقائقِ مهما حاولنا. وهذه النظريةُ رفضَها علماءُ الغربِ ويروّجُ لها مُدّعو الحداثةِ في بلادِ المسلمين تبعاً لتخلفهِم الفكري.

وهذا الاتجاهُ الأخيرُ هو الذي يحملُ رايتهُ الحداثويون المسلمون، وهو طرحٌ يقتلُ نفسَهُ بنفسِهِ ولا يحتاجُ إلى نقاشٍ، فقد اتجهَ هابرماس إلى أن هذه

النظريةَ تنفي نفسَها، وهي تنفي عمليةَ الفهمِ والردِ والبدلِ من الأساسِ، واعترض (كارل اوتو) قائلا: (أغلقتْ هذه النظرياتُ الأبوابَ بوجهِ كلِ نقدٍ وتقييمٍ لأيِ تفسيرٍ ورأيٍ)، كما اعترض هابرماس (بأنَ هذه النظريةَ تؤدي للنسبيةِ في العلومِ الاجتماعيةِ واعترضَ على عدمِ وجودِ معيارٍ للفهمِ الصحيح من الفهمِ السيئِ). وقد دافعَ علماءُ الغربِ (عن وجودِ منهجٍ ومعاييرَ علميةٍ يمكنُ من خلالها تمييزُ الفهمِ المعتبرِ من غيرِ المعتبرِ وتحصيلُ الفهمِ والتفسيرِ الخارجيِ والموضوعيِ المعيّنِ في العلومِ الإنسانيةِ) وقد أشار هيرش إلى (أنَّ الهدفَ الأساسيَ من عمليةِ التفسيرِ هو التوصلُ لقصدِ المؤلفِ) وهذا منتهى التحقيرُ للنظرية. وهناكَ مناقشاتٌ علميةٌ غربيةٌ وإسلاميةٌ لهذهِ النظريةِ يطولُ شرحُها، وكلُها قدْ فَندتْ هذه النظريةَ وجعلَتها في مزبلةِ التاريخِ من الناحيةِ العلميةِ. حيثُ أنها نظريةٌ لا تستطيعُ حمايةَ نفسِها من السقوطِ.

٢- نظريةُ فراغِ الألفاظِ الدينيةِ من المعنى: وهي نظريةُ (جماعةُ فيّنا) وخلاصتُها: أن كلَ لفظٍ غيرِ قابلٍ للتجربةِ والاختبارِ هو خالٍ من المعنى ولا يوصفُ بالصحةِ والصوابِ، فلا هي صادقةٌ ولا هي كاذبةٌ، وهذا القدرُ من الفهمِ للألفاظِ الدينيةِ يجعلُها مقبولةً عندَ المسيحيينَ، فالنصُ غيرُ كاذبٍ حتى لو عاند العقلَ، والفكرةُ تعتمدُ على أن المعيارَ للحقيقةِ هو المنهجُ التجريبيُ الحسيُ، والقضايا الدينيةُ هي ما وراءَ الحسِ، فلا يمكنُ الحكمُ عليها من الأساسِ فتبقى عائمةً.

٣- نظرية رمزية اللغة الدينية: وهي تعني بأنَّ الكتابَ المقدسَ النصراني يحتوي على أمورٍ لا يمكنُ تفسيرَها على ظاهرِ ألفاظِها ولهذا ذهبوا إلى ان المقصودَ منها هو الرمزُ وليس الحقيقةَ، مثلَ الجنةِ والنارِ والشيطانِ والملائكةِ والجنِ وهكذا، وكان سببُ هذا القولِ هو عدمَ معقوليةِ بعضِ مفاهيمِ الدينِ المسيحيِ مثلَ أنَّ الواحدَ يُساوي ثلاثةَ أو التجسيدَ أو الوقائعَ التاريخية التي

لم تَثبتْ أو ثبتَ عكسُها. كما أنَّ من الأسبابِ التناقضُ في نصوصِ الإنجيلِ والتوراةِ مع العلمِ، فقالوا بالرمزية وعمَموها على المعقولِ من النصوصِ. وهذه النظريةِ اقتبَسها بعضُ المسلمين ليسلّموا بتعميمِ الرمزيةِ في القرآن الكريم، معتمدين على وجودِ الأدواتِ البلاغيةِ فيه، فبما أنهُ يوجدُ في القرآنِ مجازٌ وكنايةٌ وتشبيهٌ واستعارةٌ ومثلٌ وغير ذلك، فإذن ادمُ لا وجودَ له وقصة إبراهيمَ قصةٌ خياليةٌ أخلاقيةٌ، والطوفانُ عملٌ رمزيٌ أخلاقيٌ والعبادةُ إشارةٌ إلى التقربِ من الله وهكذا. وهذا يحتاجُ إلى أبحاثٍ واسعةٍ لبيانِ الخللِ الذي ارتكبهُ الحداثويون المسلمون في هذه القضيةِ رغمَ اعترافِنا بأنَّ التأويلَ على مراحلَ متعددةٍ، فمنه ما هو تفسيرٌ للظاهرِ من اللفظِ ومنه ما هو بيانٌ للمقصدِ بخلافِ الظاهرِ، ومنه ما هو رمزٌ. فللقران ظاهرٌ وباطنٌ وللباطنِ باطنِ حسبَ تفسيرِنا الصحيح. ولكنْ هذا لا يعني أن كلَّ النصِ الدينيِ رمزُ لا يمكن فهمه.

العامل السابع: قياسُ النصوصِ الدينيةِ بالنصوصِ الأدبيةِ الخياليةِ وتعميمُ الدلالةِ الأدبيةِ المتخيلةِ على النصوصِ الدينيةِ: وكما هو معروفٌ فإنَّ النصوصَ الأدبيةَ تعتمدُ على تحريكِ الخيالِ وبعثِ الإيحاءاتِ والمشاعرِ، فيكونُ مدارُ الإثارةِ في النصِ الأدبيِ بما يخلقُ من تزايدٍ في المشاعرِ والإيحاءاتِ وهذا يعني أن المحورَ في فهمِ النصِ هو ذاتُ المفسرِ أو المتلقيِ بخلافِ المسلكِ العقلائيِ الذي يشيرُ إلى أنَّ المحورَ في العلومِ والقوانينِ هو المؤلفُ ومُنشئُ النصِ وليس مفسرَهُ، وعملُ المفسرِ انما هو في مقدارِ اْستكشافِ إرادةِ المؤلفِ. فالذي قامَ به الحداثويون الأوربيون هو خلطُ الأوراقِ وحملُ النصِ الدينيِ على النصِ القصصيِ الخياليِ. وبهذا يصححونَ النصَ الدينيَ مهما اضطربَ، خدمةَ لدينِهم المنهارِ في خضمِ التقدمِ العلميِ، بخلافِ تصرفِ الحداثويينِ المسلمينِ من تفنيدِ النصِ باختراعِ قراءاتٍ مختلفةٍ حتى تنهدمَ بنيةُ النصِ، والحداثويُ المسلمُ يقصدُ ان النصَ الدينيَ المعيّن لا ينفعُ بسببِ

ما اخترعَه هو من معنىً مغايرٍ، فيقترحُ علينا ان نأتيَ بنصٍ آخر من بابِ الديمقراطيةِ في قراءةِ النصِ والاختيارِ الحرِ للمفسرِ، فهم يُريدون لصقَ عيبٍ بالدينِ بتحريكِ الخيالِ في فهمِ النصِ، بخلافِ عملِ الغربيينَ الذينَ يريدونَ إخفاءَ عيبِ دينِهم. وهذا هو الفرقُ بين من يعتزُ بانتمائِه وحضارتِه ويحميَها من السقوط، وبينَ الذيولِ الذينَ يهدمونَ حضارتَهم القويةَ بمعاولَ من خشبٍ. ولهذا فالحداثويونَ الأوربيونَ اغلبَهم متدينونَ يدعمونَ دينَهم السقيمِ، والحداثويون المسلمون اغلبُهم متحللونَ اخلاقياً و فكرياً، يهدمون دينَهم السليمَ، ويرون أنهم يُحسنون صنعاً متبعين هايدغر وغيره، ممن لا هوية لهم.

ومن اجلِ المناقشةِ القصيرةِ مع القائلينَ بتعميمِ القراءةِ الأدبيةِ على النصِ الدينيِ، بالإضافةِ للقائلينَ بتعددِ القراءاتِ بشكلٍ عامٍ، نقولُ ما يلي:

أولا: إنَّ النصَ الأدبيَ هو بذاتِه يُعطي الحقَ لقارئِه بالخيالِ وتحريكِ المشاعرِ الداخليةِ، بينما النصُ الدينيُ إما أوامرٌ وأحكامٌ وإما حقائقٌ مستكشفةٌ كالقيمِ

والصورِ، وهذا يحتاجُ إلى بيانِ قصدِ المشرّعِ للدينِ، حتى يكونَ الإتباعُ في العملِ والتصورِ مطابقاً لما هو مأمورٌ به، ولو كانتْ الرؤى الأدبيةُ مقبولةً في القانونِ لكانتْ المحاكمُ تحكمُ وفقَ خيالاتِ الترياكيةِ وأصحابِ المخدراتِ الذينَ ينتجونَ أروعَ منتجاتِ الخيالِ البشريِ الصرفِ. على أنَّ اغلبَ الأدبِ يحتاجُ إلى معرفةِ قصدِ المؤلفِ، وليسَ القولُ بأنَّ الأمرَ متروكٌ للمفسرِ هو قولٌ دائمٌ في الدراساتِ الأدبيةِ، كما يعلمُ ابسطَ أديبٍ أو دارسٍ للأدبِ. بل هناكَ أقوالٌ في الهرمنيوتيكا تقولُ لابدَ من معرفةِ ظروفِ المؤلفِ وعقلهِ وغير ذلك، ويقصدونَ بذلكَ تحليلَ المقاصدِ ومعرفتها منْ ظروفِ وضعِ النصِ، وليسَ نفيَّ مقاصدَ المؤلفِ.

ثانيا: إن اختلافَ التفاسيرِ والرؤى بينَ الفقهاءِ والمفكرينَ لا يعني أن جميعها مقصودةٌ، وكلَها صحيحةٌ، حيث يحدثُ التناقضُ بين نصوص الدين تبعا للرؤى المختلفة، وفي الدينِ الإسلاميِ هناكَ قضايا يقينيةٌ وثابتةٌ،

وهناك قضايا ظنيةٌ يمكنُ الاختلافُ فيها، وهي كلُها محلُ نظرٍ بالدليلِ، فمنْ اتبعَ الدليلَ في نظرةٍ معينةٍ، فقد اقتربَ منْ قصدِ الشارعِ بقدرِ استطاعتِه وحسبَ صحةِ مبانيهِ. وهنا تبرزُ نظريةُ (الاجتهادِ) وليسَ نظريةَ (تعددِ القراءاتِ) وصحتِها. فلا يمكنُ أنْ يكونَ الاختلافُ الاجتهاديُ مبرراً لتعددِ الحقائقِ وبالتالي صحة تعدد القراءاتِ، إنما كلٌ ملزمٌ بما دلَ عليهِ الدليلُ، وهذا يعتمدُ على قاعدةِ التخطئةِ للمجتهدِ التي نقول بها، بخلافِ غيرِنا الذي يقولُ بالتصويبِ. وبهذا فلا معنى لأنْ نطبقَ الدلالةَ الأدبيةَ على النصِ الدينيِ بسببِ الاختلافِ في الاجتهادِ، بل نرى أنَّ المجتهدَ المخلصَ إما معذورٌ أو مصيبٌ، ولا نقولُ بالصوابِ لكلِ أقوالِه، وعلى هذا فإنَّ القولَ الحقَ هو واحدٌ، ومنْ لمْ يصبْهُ قصوراً فهو معذورٌ، وإذا كانَ قاصراً فهو آثمٌ، فليسَ كلُ ما يقولُهُ الفقيهُ صائبٌ، وليس منْ حقِ الفقيهِ أن يَجتهدَ في الضروريات ولا مقابلِ النصِ، بخلافِ القراءةِ المتعددةِ للنصِ الأدبيِ. وهذا ما يؤكدُ عليه

الفكرُ الشيعيُ، ويقطعُ حجةَ الحداثوي من تعميمهِ لصحةِ كل قراءاتِ النصِ الدينيِ استناداً إلى وجودِ الاجتهاداتِ المختلفةِ بينَ الفقهاءِ.

ثالثا: نظريةُ تعددِ القراءاتِ في حقيقتِها مبنيةٌ على نسبيةِ المعرفةِ ونظريةِ الشكِ، وهذه النظريةُ تبطلُ نفسَها على اقلِ تقديرٍ، فإنَّ صحةَ الشكِ بكلِ نظريةٍ تنطبقُ عليها نفسِها، وكذا النسبيةُ فتكونُ هي بنفسِها ليستْ من الحقائقِ التي يمكنُ أنْ تكونَ طريقاً لتفسيرِ الحقائقِ، (فاقدُ الشيءِ لا يعطيه). ثم إنَّ هذهِ النظريةَ مخالفةٌ للوجدانِ وللعلمِ، وقدْ هجرَها الغربُ في المجالاتِ العلميةِ، وبقيتْ في المجالاتِ الأدبيةِ والدينيةِ تُلاكُ بصورةٍ ظلاميةٍ غريبةٍ، وكأنَّ المقصودَ بها المجتمعاتُ خارجَ المجتمعِ الغربيِ أو هي للضحكِ على الذقونِ، لأنها غيرُ قابلةٍ للتطبيقِ في أيِّ مجالٍ علميٍ. بل ظهرتْ الآن نظرياتٌ تحاولُ أنْ تزيلَ مفهومَ الشكِ المربكِ حتى من المجهولاتِ كما فعلَ الرياضيون سابقاً، وقد اعتمدتْ في ذلكَ طرقاً في الذكاءِ الصناعيِ مثلَ المنطقِ

الضبابيِ (فوزي لوجيك) وغيرِهِ من محاولاتٍ تعملُ عليها الروبوتاتُ والآلاتُ بدونِ قائدٍ. وبقيَّ جماعةُ الحداثويةِ المسلمينَ يتمسكونَ بمفهومِ الشكِ ونسبيةِ الحقيقةِ، بما كانَ عليهِ فلاسفةُ القرنِ الثامنِ عشرَ والتاسعِ عشرَ الميلادي، بينما هم يريدون الظهورَ أمامَ المجتمعِ المسلمِ بمظهرِ التطورِ والمجاراتِ للحياةِ العصريةِ، وهم لا يعلمون مستوى التخلفِ الذي وقعوا فيه.

رابعا: إنَّ أصحابَ نظريةِ تعددِ القراءاتِ المسلمينَ، يركزونَ على قضيةٍ هي خلافُ نظريتِهم بالتمامِ، بل تبطلُ نظريتَهم علماً وعملاً، فهم يحرصون بشدةٍ على إثباتِ خطأِ القراءاتِ السابقةِ ويحاولونَ تصحيحَها، وهذا نبذٌ ظاهرٌ لنظريةِ صحةِ تعددِ القراءاتِ، وقولِهم بالحريةِ في اختيارِ المعنى المناسبِ للمفسرِ حسبَ خلفيتهِ، فإنَّ أيَ محاولةِ تصحيحٍ هي قتلٌ لنفسِ النظريةِ بما يجعلُها غيرُ قابلةٍ للتطبيقِ، والدعوى لها تصبحُ مجردَ حركةِ دجلٍ فكريٍ يمارسٌ مع البسطاءِ لتمشيةِ الأغراضِ الخاصةِ بالحداثوي، فإذا كانت كلُ

القراءاتِ صحيحةً فلماذا يريدُ الحداثوي أنْ يُصححَ القراءاتِ السابقةِ؟ أو ينفي القراءاتِ التي تنقض غزله؟ وتصرفَه يعني أنه يريدُ منا أنْ نقبلَ تفسيرَه للنصِ الديني بخلافِ ضروراتِ ديننا الحنيف، بينما هو لا يقبلُ تفسيرَنا لنفسِ النصِ ويرفضَه متعالياً وكأنه يملكُ الحقيقةَ وهو يقول بنسبية المعرفة!! فهذا تناقضٌ من جهةِ الفكرِ، ودجلٌ ظاهرٌ من جهةِ العملِ.

خامسا: انعدامُ العواملِ التي أدتْ إلى ظهورِ القراءاتِ المتعددةِ للدينِ المسيحيِ، فلا يوجدُ كلُ هذهِ المشاكلِ في الدينِ الإسلاميِ، فما المبررُ لتطبيقِ نظرياتٍ وحلولٍ لمشاكلِ الدينِ المسيحيِ المحرّفِ المتهاوي من كثرةِ البدعِ والانحرافاتِ على التشيع مثلا؟ الذي يحملُ انصعَ الأفكارِ وقد بين خللَ كلَ الادعاءاتِ للاختلافِ والتناقضِ بما يؤكدُ جهلَ المشكلِ نفسهِ، وكان ذلك أساساً على يدِ أئمتِنا عليهم السلام ومن بعدِهم العلماء زاد اللّهُ في شرفِهم.

فتعميمٌ صحةِ القراءاتِ المتعددةِ للفكرِ المسيحيِ وتعديها لنصوصِ الإسلام والتشيعِ بالذات، هو قياسٌ مع الفارقِ، وقد ذكرَ احدُ الباحثينَ أن سبب استعارةِ نظريةِ القراءاتِ المتعددةِ من قبلِ بعضِ المسلمينَ هوَ ما يلي:

١- الانبهارُ بالغربِ ومنجزاتِه وأفكارِه المتحركة.

٢- تبريرُ بعضِهم بأنَّ هذهِ طريقةٌ لتقريبِ المذاهبِ.

٣- العاملُ السياسيُ: حيثُ أنَّ الحكوماتِ المسلمةِ التابعةُ سياسياً للغربِ استلمتْ أوامرَ بنشرِ هذا الفكر من اجلِ تسويقِ رؤيةً غربيةً مسيحيةً في العالم الإسلاميِ فإذا لم يقتربِ المسلمونَ من الغربِ فهم سيتشتتون فكرياً. وسيهدمون بايديهم دينَهم الذي هو عصمةُ أمرِهم.

ويمكن ان نضيف إليه التالي:

١- التحللُ الأخلاقيُ والانحرافُ الذاتيُ في طبائعِ بعضِ المؤسسينَ لهذا الفكرِ واستيرادِهِ، وانخداعِ البسطاءِ بهم.

٢- طلبُ الجاهِ والترقيِ في درجاتِ المناصبِ، وهذه وسيلةٌ سريعةٌ في إثباتِ غموضِ شخصيةِ المتمسكِ بهذه المقولاتِ (خالف تعرف) وهو مما يستدعي أنْ يكونَ محوراً للنقاشِ في المجتمعِ، فيشتهرُ شخصُهُ بين الناسِ وينالُ مطلَبهُ، لأنه لا يستطيعُ أنْ يفعلَ ذلك بينَ فحولِ العلماءِ، فأدواتُهُ قاصرةٌ عن مقارعةِ الفحولِ فيلجأ إلى السهلِ.

ونقولُ أخيراً أنَّ نظريةً تقولُ بأن النصوصَ فارغةٌ من المعنى وأنَّ معانيها لا تدركُ، بينما أصحابُها يمارسونَ عمليةَ فهمِ النصوصِ علانيةً، لهي نظريةٌ دجليةٌ متخلفةٌ، مبنيةٌ على خلافِ العقلِ وعملِ العقلاءِ.

وعملُهم بالتفتيشِ عن المعنى بعدَ قولِهم بعدمِ ثباتِه وعَدِم موضوعيتِهِ فهو كعملِ من يفتشْ في المزبلةِ عن الأكلِ النفيسِ، حيثُ أنَّ عملَهُ خلافُ مفروضِ القضيةِ أصلاً.

وهذا هو الجهلُ.

وهذه هي السطحيةُ.

وهذا هو الدجلُ الحقيقيُ.

{وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (الإسراء/١٠٥).

{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} (الطارق/١٤).

{لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت/٤٢).

{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا} (النساء/٨٧).

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ} (المرسلات/٧).

ظاهرة برامج الطب الشعبي في التليفزيون

.. معيبة على العرب

كل المختصين يعرفون بأن علمي الطب والفقه من أعقد العلوم وأكثرها دقة، ولا يجوز أن يدخل فيها من ليس لها بأهل.

ولكن الواقع العملي غير هذا، وهو أن الناس كلهم فقهاء وكلهم أطباء، بما يخالف علمي الطب والفقه.

ومثل هذه الظاهرة لا تكون في مجتمع بهذا المستوى، ما لم يكن المجتمع وصل إلى الجهل الذي يسمح له بقبول هذه الظاهرة.

لا أريد أن أتكلم عن تجاوزات الناس على الفقه والدين.

فإن كل من قرأ بعض الكلمات في الدين اعتقد نفسه فقيها فتجرأ بإصدار الفتاوى والآراء، حتى تجرأ الجهلة على لبس العمائم، لأن الناس لا يميّزون

على أساس علمي، وإنما على أساس الشكل والتواجد في المقام الديني بالدرجة الأولى، ولهذا نرى الناس في المجتمع الإسلامي يمكن أن يقلدوا إمام جامع تطوّر من مهنة كنّاس في الجامع إلى مؤذن ثم إلى إمام جامع مفتٍ بفتاوى خنفشارية، وهو لا يملك إلا فهم العوام للنصوص من دون آلة علمية، بل نراه يكفّر العلماء ويفسّق الأتقياء ويهيّج العامة على الشرفاء، معتقدا أن دكانه لا ينمو إلا بالقضاء على (الحثالات) من أهل العلم والتقوى في نظره، ليبقى هو ومَنْ على شاكلته من الزعماء المرموقين أصحاب السوابق في الادعاء واكتشاف جهل المجتمع وتسويق البضاعة التي توافق الجهل.

إن ما يعانيه أهل الفقه وما يعالجون به قضيتهم هو نفس ما يعانيه علماء الطب وما يعالجون به قضيتهم.

والعلاج للأسف هو السكوت والتخوف من المجتمع الجاهل وهجوم أدعياء العلم، لأن العالم هو من سيسقط في المواجهة ويرتفع شأن الجاهل بشكل كبير.

والعلماء مقتنعون بقضية حقيقية وهي: أنه في النهاية لا يستطيع أن يثبت في شؤون العلم ولا في النتائج إلا العالم الحقيقي، والجاهل لا يستطيع أن يثبت نفسه في المحافل العلمية، وإنما يبقى في الشارع مع العوام يكذب ويدجّل ويقود الناس بما يراه نظره القاصر.

فالعلم كاشف عن نفسه لا محالة.

وهذا الكلام صحيح وعلمي.

ولكن هناك مشكلة كبيرة، وهي الاعتراف بتدني ثقافة المجتمع وسيطرة الجهل على المجتمع، وعدم وجود فسحة من الأمل للرقي بهذا المجتمع.

وهذا ما يحز في النفس ويثير الحزن في قلوب المخلصين لهذا المجتمع.

فهل نترك المجتمع بهذا الجهل والتعدي على العلم؟

إذن أين دور المدارس ومؤسسات التربية؟

لماذا لا نخوّف الناس من التدخل في اختصاصات الآخرين؟

لماذا لا ندرّس المجتمع القواعد الأساسية للمعرفة من أجل أن نفرّق بين أصحاب الاختصاص وبين أصحاب الدجل والادعاء؟

هل فقدنا المعايير العلمية للتمييز؟

لماذا لا نعلّم الناس المعايير؟

الحقيقة إن قسما من ذلك يقع على عاتق الفقيه والطبيب نفسه. بل على أصحاب الاختصاصات جميعا، فحتى الفنانين تم التجاوز عليهم، فالرسامون

يشكون من الجهلة المتطفلين في فن الرسم، وكذا الخطاطون والفنانون، هذا فضلا عن الشعراء والأدباء والكتاب وأصحاب العلوم.

إذن هناك أزمة عامة في مجتمعنا العربي والإسلامي يجب أن نعترف بها. وهذه الأزمة كلنا نشارك فيها. والإعلام هو أول من يساهم في هذه الأزمة وتعميقها.

والإعلام هو من يعتدي الآن على أصحاب الاختصاصات ويقدم الدجالين والهابطين كوجبة سريعة لتغطيته الإعلامية للمجتمع.

فلم تنتشر ظاهرة الهبوط الفني إلا بواسطة الإعلام بشكل كبير.

هذه الأزمة تعمقت الآن على الصعيد الديني، لترسم لنا صورة الإسلام وصورة المجتمع من قبل جهلة متخلفين لا يفهمون في الدين شيئا، وقد وجّهوا دماء المسلمين باتجاه الاعتداء على الإسلام وعلى مبادئه وفقهه.

والمصيبة إن هؤلاء الآن هم أهل الجهاد، وهم القادة، وهم الإسلام، ولكن حين تسأل عن اختصاصهم فتجد أحدهم تاجر خردوات والثاني مقاول إنشاءات والثالث بائع حشيش والرابع مصلّح دولايب سيارات والخامس سائق تكسي وإذا تطوّر الأمر فبعضهم بكالوريوس طب أو زراعة أو ما شابه ذلك.

وحين تسألهم ما علاقة بكالوريوس الطب في عمل الفقيه؟

سيقول لك فورا: أليس هو إسلامنا؟ أليست القضية إسلامية؟ وهل نحن غرباء عنها؟ ألم نقرأ القرآن والحديث؟ وهل نحن لا نفهم الدين؟

وتنهال عليك الأسئلة التي لا علاقة لها بموضوع السؤال لتكون بديلا عن الإجابة الصحيحة. وهي أنه لا يجوز مثل هذا التدخل. وهو جريمة نكراء في حق الإسلام وقبولها دليل على وصول المجتمع الإسلامي إلى الحضيض.

لنترك موضوع الدين المؤلم ولنرى علما لا يقل أهمية وخطورة عن الأول وهو الطب.

فالأول أصبح سببا للقتل والإبادة للمسلمين بسبب نشر روح الكراهية وتحويل المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات مليئة بالخوف والرعب والهلوسة من الجرائم والإرهاب، والثاني ملأ القبور بنصائح طبية عجيبة لمرضى يمكن شفائهم بالطرق العلمية، ولكنهم يموتون بسبب (الإنقاذ) العجيب على يد المشعوذين. وهذه ظاهرة عجيبة، وقد سببت مقتل الملايين من المجتمع الإسلامي من دون أي ضجيج إعلامي.

والمصيبة برضا المجتمع وسكوت الأطباء.

مريض بالسكر يقال له اشرب العسل بكميات كبيرة فستشفى، وان سكر العسل لا يؤذي مريض السكر. وقد يبيع لك كيلو العسل بمائة دولار باعتباره خاليا من الكلوكوز بينما عسل السوق فيه ٨٠٪ – ١٠٠ ٪ كلوكوز.

ويأتي طبيب شعبي ليصف علاج صوم الوصال لمريض سرطان المثانة أو الرئة لطرد السموم من الكبد، فيصيبه بقرحة سرطانية معدية أو معوية إضافية تعجل بموته نتيجة الصوم الزائد عن الحد الطبيعي. أو كما حصل أن يمنع مريض السرطان من استخدم امبولات فيتامين بي ١٢ بحجة انه مجرد فيتامين لا يعالج السرطان!! مما يؤدي إلى التدهور السرطاني فيعجل بموته بشكل مريع.

هذه التجاوزات نشاهدها يوميًا بشكل كبير ونسكت عنها بحجة إنها لا تعنينا شخصيا ولكن حين يمرض احدنا نقع تحت نفس الظروف والضغط الشعبي لتغيير مسار العملية الطبية، وعدم التفريق بين عالم الطب الحقيقي وبين الدجّال.

فهل نحن في عصر الدجال؟

الدجل وهو المسيطر والحقيقة هي الغائبة!

كتبت هذا الموضوع لكثرة ما أراه في القنوات الفضائية من برامج تتحدث عن الطب وسعادة الإنسان بواسطة جهلة دجالين لا يفهمون إلا بعض المصطلحات الإنجليزية، يوهمون الناس بأنهم يفهمون طبيعة جسم الإنسان بهذه المصطلحات، ولنأخذ برامج قناة (النيو تي في NTV) اللبنانية التي تقدم العديد من الدجالين في مجالي الدين والطب. ولن أتكلم عن الأمية المضحكة المسماة مريم نور فهذه وحدها من الأضحوكات العربية والمهازل التاريخية في وصفاتها الطبية والجسدية والدينية والروحية. ولكن سوف أتكلم عما شاهدته من برنامج للطب الشعبي يقوم به الطبيب الشعبي الجاهل نقولا قيماز، وهذا أضحوكة إضافية للطب العلمي.

لم أشهاد البرنامج من بدايته ولكنني شاهدت منه ثلث ساعة تقريبا، فسمعت منه عجائب معيبة، (والله عيب على المجتمع العربي أن يسكت عن مثل هذا التطفل).

يقول هذا العبقري: إن أسباب الإسهال ليس كما يفهمها الأطباء وقد فشل الأطباء في فهم الإسهال، ونحن الأطباء الشعبيون عرفنا إن الإسهال أسبابه متعددة (اكتشف الأبريق) واهم أسبابه إنزيمات الكبد لأنها فيما تفعل تجمّع بكتيريا الفيروسات داخل المصران الغليظ، وقد ثبت عنده أن الأدوية الكيمائية تعالج الظاهر وتقتل بكتريات الفيروس بسرعة ولكنها لا تنهي السبب بينما الأدوية العشبية سليمة ١٠٠٪ ولا مواد كيميائية فيها وليس لها أثار جانبية مطلقا مطلقا، والمواد الكيميائية تجعل الجسم يتكئ عليها بينما الأدوية العشبية لا كيمياء فيها مطلقا وتعالج الجسم من الأساس لهذا تنجح فيما تفشل الأدوية الكيميائية.

ويقول: يمكن أن نستخدم التدليك لأنه يحرك العروق فيخف الإسهال، ويمكن أن نعمل عمليات تبريد وتسخين للجهاز الهضمي..... وقد أخطأ بعض المراجعين الكرام حين اعتمد أكل البطاطا للتبريد ولم يفعل عملية

تسخين معكوسة ولهذا لم يحصلوا على نتيجة مثالية، فننصح الناس بأن يلتفتوا إلى أهمية التسخين والتبريد المعوي بشكل متعاقب، لأن له علاقة بتحريك الأوردة داخل الجسم فتقوم بعمليات طبيعية لوقف الإسهال.

ويقول أنه قد عالج من إزيلت نصف معدته (لم يقل السبب) بعلاجات (لعله قال الكبد) فلم تنفع فعالجه بعلاجات المصران فتحسن ٥٠٪ وبعد ذلك احتاج إلى علاجات الكبد فتحسن المريض نهائيا، وهذا دليل عدم فهم الأطباء.

وقال فيما قال: أنه لا يعالج مرض السكر كما يعالجه الأطباء بالأنسولين والحبوب، وإنما بمعالجة السبب الأساسي بواسطة الإعشاب التي تعالج الكبد

وقال: إن ارتفاع ضغط الدم لا يعالج بهذه الطريقة الخطرة التي يعالج بها الأطباء مرضاهم وإنما أعالجهم بطريقة إزالة السبب من الداخل. (العجيب كأن الأدوية الطبية تعالج السبب من الخارج).

وهكذا يسوّق الجهل والدجل بشكل عجيب في فهم علوم الطب والكيمياء والفيزياء وغير ذلك

فيا أخوتي الأطباء أنا متطفل عليكم واحترمكم، ولكن عليكم أن ترحموا علمكم، وأن تفتحوا بابا للنوادر عن هؤلاء لتفضحوهم. فلا يجوز السكوت كما يفعل الفقهاء.

أقوال عجيبة مثل:

بكتريا الفيروس (هل هناك مخلوق اسمه بكتيريا الفيروس؟)

إنزيمات الكبد وعلاقتها بنمو بكتيريا الفيروس في المصران الغليض.

الأدوية العشبية ليس فيها مواد كيميائية، وليس فيها آثار جانبية مطلقا.

(إذن لا وجود للسموم والقاتلات في الأدوية العشبية!!! يا سلام!!)

الجسم يتكئ على المواد الكيميائية بينما المواد العشبية تعالج أساس العلة في الجسد ولا تعالج الظاهرة.

التدليك يساعد على وقف الإسهال من جهة تحريك عروق الدم.

البطاطا مادة تبريد للأمعاء. ولم يتفضل علينا بتوضيح مادة التسخين وأظنها الحلاوة الطحينية. (هذا علم جديد هو علم التبريد والتسخين الأمعائي)

ما هذه العلوم الممتازة التي لم يكتشفها علم الطب والكيمياء؟

إذن المشكلة ليس في ما يفعله الدجّال وحده، وإنما المشكلة في قبول قناة فضائية تصرف ملايين الدولارات على برامج شعبية هابطة تقدم أمثال هذه النماذج الخرافية.

والمشكلة في عدم رفض المجتمع لهذه الخرافات والتعديات.

والمشكلة الأكبر في عدم تكوين صيحة مهنية ونقابية من قبل الأطباء والعلماء لإيقاف هذا النزيف الاجتماعي الهادر المدمر لمجتمعاتنا بواسطة هذه البرامج والادعاءات الغريبة.

أن هذه البرامج هي مؤشر ومعيار لمستوى الهبوط الثقافي في مجتمعاتنا.

وهي مؤشر اكبر في عدم وصول صوت العلم وصوت الحقيقة للناس.

وهي مؤشر إلى انعدام المعايير العلمية التي يجب أن يحصّن الإنسان نفسه بها حتى لا يقع في الخطأ.

فمن المسؤول عن هذا؟

هل هو المجتمع؟

هل هو الحاكم؟

هل هو العالم؟

هذه إشكالية يجب تحرير وجوهها ومداخلاتها وأسبابها.

وإما من جهتي فهي مرفوضة جملة وتفصيلا، ويجب العمل على نشر الوعي العلمي في مجتمعاتنا وتنمية روح العلم والذوق الفني الرفيع، بدل هذا الهبوط العجيب.

وأنا احمّل الحكّام أولاً، والإعلام ثانياً، ومؤسسات التربية ثالثاً، والعلماء رابعاً، المسؤولية عن هذا التخلف الحضاري والعلمي.

وإما المجتمع فلا احمّله أي شيء، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

والمجتمع هو المريض الذي يجب معالجته، فسواء كان سبباً في مرضه أو كان معلولا لأسباب المرض فليس لنا إلاّ علاجه قبل أن نحمّله المسؤولية.

فالمجتمع الإسلامي العربي مجتمع جاهل مريض بمختلف الأمراض العلمية والأخلاقية والسياسية والدينية.

فكيف نعالجه؟ وكل يعالجه بحسب اختصاصه.

فما رأي العلماء الأطباء بظاهرة التعدي على الطب؟

وأن كل الناس أطباء يصفون الدواء لكل من يعودونه وكأنهم درسوا الطب عشرين سنة.

هل هناك معايير لتنمية روح علمية في التعاطي الطبي؟

أم سيكون حال الأطباء كحال أهل الفقه حين أوجدوا معيار الأعلمية والتقوى خرج لهم أناس يقولون بما إننا لا نفهم الأعلمية فيجب إسقاطها وهي ليست دليلا لصحة الفقيه و..و... إلخ. وأما التقوى فهذه بسيطة لأن الأتقياء يعرفون من سيماهم والعالم الفلاني له طلعة بهية، وهيبة صمدانية،

وجبة نظيفة، وعمامة كبيرة، وهو زاهد في صرف الحقوق، ومتشدد في تحصيلها احتياطا، ويصلي خلفه الألوف، ويتكلم بالمثاقيل، ولا فرق بينه وبين المعصوم إلا عدم النص وانتهى الخلاف.

فما هي المعايير التي يجب أن نفهمها للناس ليميزوا العلم والعلماء، بدل هذه الفضيحة المدوية؟

من جهتي حين سئلت عن المعايير لتمييز العلم الديني قلت: أولاً: يجب أن نتأكد إن المدعي فقيهٌ أساسا حتى نبحث عن أعلميته، وأنتم تقولون إن الفقيه الفلاني له كتب كثيرة، فلنعرض معاني كتبه على علم الفقه فإذا وافقت المعاني نعتبره فقيها مقبولاً، وبعد ذلك ندخل مرحلة التقدير لأعلميته. وإذا لم توافق معاني العلوم الحقيقية فلا مجال لبحث اعلميته بل نبحث ما الذي يريده هذا الرجل بالفعل؟

ولماذا يقوم بهذا الدور الدجلي. (من الطرائف أننا قرأنا إن احد الدجالين قال لأتباعه انه أعلم من المرجع الفلاني لأنه ألف عشرين كتابا والمرجع له ثلاث كتب فقط [وهذه مشكلة التمايز الكمي التي لا علاقة لها بالعلم مطلقا ولكنها مقبولة من قبل مجتمعنا الجاهل])

بعض السائلين رفض العرض على العلم، لأنه خاف من النتيجة. وبعضهم قبل العرض لأن عنده دين، فوجد عجبا. من حيث إن من يتصدى للمرجعية، وهو لا يعرف أساسيات علم الفقه فكيف يتصدى؟ فمثلا فقيه لا يعرف معنى الاحتياط ويطبّقه في غير محله، لأنه لا يفهم القضية من الأساس، وهو لا يدري منهج نظرية المعرفة عند نفسه فهو يتنقل من نظرية إلى نظرية ولا يعرف نوع الدليل الفقهي.

وقد وجهت نظر بعض السائلين الكرام عن فقيه يعتقدون اعلميته بأن من لا يعرف نظرية نفسه في حجية الخبر كيف يحكم في الأخبار؟ وقد أطلعتهم

على ما جاءوني به من كتبه فكانت دهشتهم عجيبة حيث أنه يقول في صفحة: بأن نظريته القاطعة في حجية خبر الواحد هو خبر الثقة. وبعد صفحة واحدة يقول. انه لا يعتمد نظرية خبر الثقة لأن نظريته الاطمئنان للصدور بالقرائن، وينفي تلك النظرية بشدة. لأنه مجرد ناسخ لأقوال تعجبه من دون فهمها فينقل عن القائل بحجية الثقة في مقام ثم ينقل عن القائل بنظرية الاطمئنان للصدور في تصحيح حجة الخبر. وهكذا هناك طوام ومصائب كبرى في نتاج المدعين للعلم يعرفها أهل العلم، تثبت عدم مماستهم للعلم فضلا عن أهليتهم للتصدي.

ولهذا فنظريتي هو التفريق بين أمرين

الأول: هو إثبات حقيقة المعرفة للفن

والثاني: هو الأهلية لتصدر أهل الفن.

والمرحلة الأولى ضرورية جدا. لأن مشكلتنا مع هؤلاء الدجالين وليس مشكلتنا مع العلماء الأتقياء فهم لا يسمحون لأنفسهم بالمنافسة غير الشريفة. وأما المرحلة الثانية فأهل الاختصاص لهم قدرة ممتازة على التمييز.

وهؤلاء الدجالون من أطباء شعبيين ورجال دين ميدانيين شعبيين وفناني جرائد وفضائيات، يمتلكون أساليب بسيطة للسيطرة على العوام، وعلينا أن نثبت أنهم لا يتصفون بما يدعونه من فن ومعرفة فضلا عن أهليتهم للتصدر بين العلماء كأقران.

علينا أن نثبت أنهم أقران أولا حتى يمكن الانتقال لمرحلة ثانية.

فما على أهل العلم الحقيقيين إلا الدعوة لبناء منظومة معايير سليمة تخلّص المجتمع من تخلفه.

ما هو الموقف الإسلامي من الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية؟

قد يسألنا المسلمون : ما هو الموقف الإسلامي من الأزمة الاقتصادية العالمية ؟

الفقيه المتمكن يستطيع الجواب.

والفقيه غير المتمكن يقول أن الأزمة ليست من شأننا فلا نبحث فيها.

من الصواب إن الأزمة لم نختلقها نحن،ولم نكن طرفا في اللعبة، ولكنها أزمة عالمية ذات ارتداد عام، فلا يصح اعتبارها لا تعنينا، وليست من شأننا، بل ستكسر ظهورنا لو حدثت.

والاهم من ذلك إن الفقه الإسلامي له نظر في ما يجري.

فلماذا نخفي هذا النظر؟ وهو في رأينا نظر صائب.

أساس الأزمة لمن لا يعرف: هو انهيار عدد هائل من البنوك والمصارف، وهبوط في أسعار السندات بشكل مفاجئ. بما يعني كارثة حقيقية لأصحاب رؤوس الأموال صغيرهم وكبيرهم. بحيث قد يؤدي إلى إفلاس ومديونية أكثر من نصف أغنياء البشر في الكرة الأرضية.

الرأي في الفقه الإسلامي:

الاقتصاد الإسلامي وفق نظرية أهل البيت قائم على نظرية أساسية : وهي إن التعامل الاقتصادي قائم على (التبادل) في سبيل (الحفاظ على المالية). والحفاظ على المالية يكون بالتقابل الحقيقي بين الثمن والمثمن، وأما القيم الاعتبارية فيسمح لها بالحدود العقلائية، بما لا يخرج عن الحفاظ على المالية نفسها. فلا مال بدون مقابل سلعي (أعيان أو خدمات أو حقوق).

ولهذا فالاقتصاد الإسلامي الأساسي الذي عالجه فقه أهل البيت هو اقتصاد سلعي في الغالب، وقد نفى بعض الفقهاء أن يكون هناك اعتبار للقيمي من

الأساس واعتبره اقتصادا خارج حدود الإطار الشرعي، ولكن ليس كل الفقهاء يقولون بذلك، فالأغلب يقولون بالمرونة والتوازن بين القيمي والبدلي.

والشرط في هذه المرونة هو عدم إطلاق العنان للوصول إلى اقتصاد (التبادل المالي الصرف) واقصد بذلك نمو النقد بما هو نقد على أساس التبادل من دون النظر إلى الرصيد البدلي لذلك النقد.

فهنا ندخل في اقتصاد المغامرة الذي لا يمكن أن يحفظ مالية المال نفسه ويحوله إلى اقتصاد وهمي سيرتد بشكل إجباري نتيجة حالة تكوينية ترتكز في نفس الإنسان، وهي الرجوع إلى التوازن القيمي. وهذه وان كانت حالة نفسية ولكن لا يمكن السيطرة عليها إذا أصبحت وباءً عاما، وقد يكون ارتدادها جنونيا فيخسر الإنسان ماليته نتيجة ارتداد جارف بلا ضوابط كما صعد بلا ضوابط.

إن حالة التوازن القيمي هي حالة معقدة، وقد حيرت علماء النفس في فهم كيفية وقوعها عند البشر. ولماذا تتحول إلى تيار جارف لا يمكن السيطرة عليه؟ فعدم اعتبارها قانونا كونيا هو اغفال عن ابسط قوانين الكون. والتشريع المبني على إغفال القانون الكوني تشريع فاشل وسريع العطب.

اعتقد أنه لا يخفى علينا إن الإنسان اذا أصابه الرعب والخوف فقد يحتاج إلى عدة أطباء بمختلف الاختصاصات من اجل السيطرة عليه وإرجاعه إلى واقعه، فكيف بمجتمع كامل تسيطر عليه فكرة احتمال الخسارة العامة والرعب منها، وهي فكرة لم تكن من الخيال وإنما لها واقع حقيقي يكتشفه الإنسان بعد إعلان بداية الانهيار حيث لا يمكنه التراجع. فيريد كل مشارك في العملية أن يتخلص من القيم المعنوية التي بين يديه لتحويلها إلى قيم حقيقية سلعية ثابتة القيمة من اجل أن يحافظ على ماليته، فيجبر السوق

بالتالي إلى الهبوط لأن العزوف العام عن التملك، هو انهيار للقيمة لا شك فيه، وهو حالة متداعية بعضها يدعو بعضا إلى درجة الكارثة.

فليس العتب على الإنسان المنهار، وإنما العتب على الاقتصاد الذي يسمح بالصعود الخيالي ليسمح بالانهيار. وعلى هذا الاقتصاد أن يحل هذه الثغرة الخطيرة في بنيته.

الإسلام وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام يؤمن بالاقتصاد المنفتح وباحترام الملكية، ولكنه لا يقبل إطلاق العنان للمبادلة على أساس نفس النقد أو المال الاعتباري بدون ملاحظة الرصيد البدلي له.

طبعا سيقال هل الاقتصاد الإسلامي مصان من الانهيار حتى يتكلم الفقيه بهذه اللغة ؟

فأقول : نعم الإسلام الحقيقي مصان من هذا الانهيار ولا يقبل بأسبابه أصلا، ويمنع ويبطل كل ارتفاع في القيمة بلا أساس بدلي عقلائي.

وما حدث من انهيارات للقيمة النقدية خلال فترات المماليك والفترة التركية لا يعني إن هناك تطبيقا حقيقيا للفقه الإسلامي فحدث ذلك، بل الذي حدث كما يرويه المقريزي في كتاب النقود الإسلامية وغيره، إنما هو خروج الحكام عن الأحكام الإسلامية والتلاعب بالنقد من اجل التكثير والتضخم بلا واقع بدلي فحدثت الانهيارات المريعة في مصر وفي الشام بينما لم تحدث في أماكن أخرى رغم تأثرها بالحدث.

فماذا تفعل لحاكم يؤسس اقتصادا لا إسلاميا يقوم على أساس البيع والشراء للذهب والفضة النقدين بما هما نقدين؟ بحيث يرتفعان في القيمة السوقية ثم ينهاران إلى درجة مريعة حتى يصبح الذهب الذي هو بنفسه قيمة حقيقية

عينية مادة لا تستطيع أن تشتري عشر ما كانت عليه قبل ذلك. فالحاكم هو من ترك الاقتصاد الاسمي لا انه اتبع الاقتصاد الإسلامي وفشل..

فماذا تفعل لحاكم يخلط العملة النقدية الذهبية بالنحاس والعملة الفضية بالرصاص المبيض من اجل غش القيمة الحقيقية ثم يضطر لأن يعلن: النحاس نفسه علمه ويعمل منه الفلوس من اجل الخروج من الأزمة ويدمر الاقتصاد الإسلامي بهذه الطريقة، ومن اجل التغطية على فعلته الشنعاء.

إنها الممارسات الخارجة عن الفقه وعن التدين، وهذا هو ديدن الحكام الذين يحكمون بأمر الله كذبا.

نعود إلى الأزمة الحالية :

الأزمة باختصار سببها الخلل القانوني في النظام الرأسمالي، وسره هو (الحرية في المعاملة على أساس القيمة). فالأصول السلعية في العالم الرأسمالي

هي بحدود ٤٧ ترليون دولار بينما المداولات في السوق عليها هي بحدود ١٤٢ ترليون دولار، وهذا الفرق الذي يمثل قرابة ٢٥٠٪ من البدل الحقيقي لا يمكن تكوينا أن يستمر. لأن القانون التكويني المتوافق مع القانون العقلي العام. وهو حفظ مالية المال، لا بد أن يحدث حالة ارتداد للتصحيح، وهذه الحالات تارة هي حالات آنية وهي أساس الربح والخسارة في العملية الاقتصادية بشكل عام، ولكنها قد تبلغ مرحلة الوصول إلى انقطاع الخيط فيحصل ارتدادا كبيرا للعودة إلى المقارب للقيمة البدلية، ولكن في الغالب يحدث الارتداد بشكل سريع ويصل إلى اقل مستوى من القيمة وتخسر حتى الأعيان قيمتها، وقد يصل إلى اقل من عشر القيمة الحقيقية بل وصل في بعض البلدان إلى اقل من واحد بالمائة من القيمة الحقيقية، ثم يحصل تصحيح بطيء للنهوض، وهكذا الدورة في حال فسح المجال للعمل فسيرتفع السعر إلى أضعاف القيمة البدلية وستتكرر المأساة.

ابسط مثال لمن لا يعرف الاقتصاد الحالي نقول : لو إن مصرفا عرض أسهمه للبيع وكانت خمسة ملايين سهم وقيمة السهم دولار، وهذا حسب الموجدات والأرباح التي فيه، ثم تمت عمليات المرابحة عليه، وبدأ يرتفع السهم إلى دولارين حتى يصل إلى عشرة، بينما حقيقة نمو البنك لنفترض وصوله إلى : ١٠٠٪ أي أصبح بقيمة عشرة ملايين، فالسهم في حقيقته لم يكن يساوي أكثر من دولارين، بينما في الواقع العملي وصل إلى العشرة نتيجة المرابحة بغض النظر عن الموجود البدلي، فهو الآن قد بلغ مرتبة خطيرة حيث أن أي مطالبة من أصحاب الأسهم بإرجاع مبالغهم سوف لن يحصلوا عليه مطلقا، لأنه سيحدث انهيارا في قيمة البنك، وسوف يباع بعشر قيمته الحقيقية، ليتحول السهم الذي يساوي حقيقة دولارين إلى سعر عشرين سنت، بينما المطالبة الواقعية الان هي عشرة دولارات، فليس أمام مالك الأسهم الا

التخلص من هذا الكابوس وقبول الخسارة، وهذا انهيار ظالم، ليس له حقيقة بسبب الصعود الوهمي للقيمة.

فالذي يحدث هو أن أي مشكلة مالية تواجه بنكا في التزاماته المالية فسوف تنكشف أوراقه عند مالكي السندات، وهؤلاء سيتملكهم الرعب فيحاولون التخلص الاحتياطي من هذه المشكلة، فيحدث إجماع في التخلي عن القيمة، فينهار السعر، لأن أي سلعة يتم العزوف عنها تتحول إلى عديمة القيمة. وانهيار هذه المنشأة المالية سيجر إلى انهيار ما يرتبط بها. وهكذا تتداعى الانهيارات.

فمن غير الصحيح أن يقال إن ما حصل هو انهيار مفاجئ لم يكن محسوبا.

فقد كان انهيار البنوك الأمريكية بسبب قروض الإسكان التي لم تستطع تحصيل أقساطها من المقترضين، كشف عن انخفاض حقيقي في القيمة البدلية للبنوك، فتمت التسوية المالية من قبل الدولة، ولكن هذا الانكشاف جر انكشافات، ولهذا قال الخبراء قبل أربعة شهور بان هناك انهيارا، وتحركت الدول قبل الانهيار الحقيقي الذي لم يقع بعد، فإن ما وقع هو بداية غير مستقرة للانهيار. والدول كلها أجمعت على المساعدة في الوقوف بوجه هذا الانهيار. لأنها تدرك انها لو حصل لهذا هذا الانهيار فستسقط حضارتها وستقوم حضارة دول اخرى.

إذن ما هي نصيحة الفقه الإسلامي للاقتصاد الرأسمالي؟

النصيحة هي أن يتحلى هذا الاقتصاد بالجرأة وبالواقعية للاعلان والتثقيف، ويسيطر عن طريق التثقيف وإصدار وزارات المالية قرارات تمنع البيع المفاجئ بخسارة تزيد عن عشرين بالمائة عن السعر المتداول قبل الأزمة. وتضخ أمولا

احتياطية في حال ثبوت طلب التخلي عن قيمة أي منشأة مالية فان إسناد ثلاثة أو أربعة منشئات سيبعث الاطمئنان في نفوس المالكين، ولكن بنفس الوقت يجب إحداث حالة من التصحيح باستمرار عملية الخسارة المبرمجة للوصول إلى السعر المقبول رغم انه لا يمثل القيمة البدلية الحقيقة. ومن ثم عليهم إصدار قوانين كقوانين الفقه الإسلامي تمنع التبادل المالي المتجاوز للقيمة المعقولة للبدل، فيجب أن يتوقف النمو الربحي حين يصل إلى القيمة الوهمية من اجل ارتداد خفيف وطبيعي لا يمثل كارثة. وهذا هو منهج الاقتصاد الإسلامي، فهو حر فيه بقيد عدم الخروج عن السيطرة فيُضرب بيد من حديد ويُنبه أي تاجر إلى أن فعله سفهٌ، ويجب ان يتحمل هو مسئولية فعله، وان البائع سيفقد الحق في إتمام الصفقة إذا كان البيع على أساس السعر الوهمي. وسوف يعاد عليه بالضمان إلا إذا حمّل الضمان للمشتري

بإرادته فهذا من حماقته التي قد توجب التحجير والفَلَس فيما إذا ثبت انه علم بالخطورة وبعدم القيمة الحقيقية وقام بالمبادلة.

فهذا ما عندنا في المنهج العام، ولكن التفاصيل عرضة للإبداع الإنساني وللتطوير في الكيفيات التي تحقق أمرين مهمين هما (الربح والحفاظ على المالية) وهما أساس عمل الإنسان العادل الذي يريد الخير لأهله وللبشر، ولا يريد أن يظلم الناس حقوقهم.

فعلى الاقتصاد الرأسمالي أن يعترف انه حاول امتصاص الأموال ومداولتها بما هي أموال من دون التعب في الإنتاج الحقيقي الذي يمثل النمو الحقيقي للاقتصاد، فإذا حدث الانهيار فسوف يكون خير دليل على أن كل هذا الاقتصاد قائم على الوهم، وان كل من راهن عليه، إنما يراهن على وهم وعلى اقتصاد كسول، لا يعمل حقيقةً على التوازن بين القيمة وبين السلعة.

فالإسلام لا يعترض على حرية السوق فهي مصانة للفرد وللجماعة، ولكنه يعترض على القوانين التي تسمح بنشوء الظلم بالتعدي على القيمة الحقيقية للسلع. ولهذا أوجد مولانا أمير المؤمنين وسيد الأولين من صحب رسول الله ص علي بن أبي طالب عليه السلام شرطة الخميس، ليمنع أي تلاعب في الاقتصاد لما هو خارج حدود المعقول في قيمة البدل السلعي للتبادل.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم..

واعتذر إن كان الكلام فيه بعض الصعوبة في شرح الفكرة، لأن الموضوع معقد جدًا، وحاولت تبسيطه بشكل كبير قدر امكاني وطاقتي وضعفي في العلوم فأرجو غض الطرف عن الهفوات والعذر عند كرام الناس مقبول.

تم الكتاب وللّه الحمد

نسألكم الدعاء